



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة

مركز دراسات الكوفة

## بحوث

# مؤتمر المرجعية ودورها في بناء الدولة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عدي جواد الحجار

إعداد

معاون رئيس مهندسين

أسامة عادل محمد باقر الشماع

## تعريف الكتاب

اسم الكتاب ..... بحوث مؤتمر المرجعية وأثرها في بناء الانسان  
اعداد وتصميم واخراج.....المهندس أسامة عادل محمد باقر الشماع  
المبرمج علي محمد حسين الحبوبي  
اشراف .....الاستاذ الدكتور عدي جواد الحجار  
السنة ..... ٢٠٢٠م - ١٤٤١هـ

## اللجنة العلمية:

١. الأستاذ الأول المتمرس الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد رئيساً
٢. سماحة السيد محمد صادق الخرسان عضواً
٣. سماحة السيد حسين الحكيم عضواً
٤. سماحة السيد محمد علي بحر العلوم عضواً
٥. أ.د. محمد حسن الدخيل عضواً
٦. أ.د. جبار جمال الدين عضواً
٧. أ.د. عامر عبد زيد عضواً
٨. أ.د. هادي التميمي عضواً
٩. أ.د. عدي جواد الحجار عضواً
١٠. أ.د. رحيم خريبط عطية عضواً
١١. أ.د. حسين لفته حافظ عضواً
١٢. أ.د. عهود حسين جبر عضواً
١٣. أ.د. جليلة صالح صاحب عضواً
١٤. أ.د. عقيل جاسم دهش عضواً
١٥. أ.د. ختام راهي مزهر عضواً

## اللجنة التحضيرية للمؤتمر:

١. أ.د. عدي جواد الحجار رئيساً
٢. أ.م.د. سعدي احمد حميد عضواً
٣. أ.م.د. علي زهير هاشم عضواً
٤. أ.م.د. عماد كاظم دحام عضواً
٥. أ.م.د. زهراء نعمة عضواً
٦. أ.م.د. محمد جبار عضواً
٧. أ.م.د. جبار محارب عضواً
٨. م.د. محمد علي الحكيم عضواً

- 
٩. م.د. محسن عدنان صالح  
عضوا
١٠. م.م. حوراء مهدي عبد الصاحب  
عضوا
١١. م.م. ستار جبار هاشم  
عضوا
١٢. م.م. محمد حسن صاحب  
عضوا

# المرجعية ودورها في بناء الدولة

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي التاسع عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

الجزء الخامس

اتجاهات الدولة

اعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

## فهرس البحوث

رقم الصفحة	اسم البحث	اسم الباحث	ت
١	اثر الدين في علاج مشكلات الدولة الاقتصادية ظاهرة الفقر إ نموذجاً	أ.د. حمدية صالح الجبوري	.١
١٨	أثر المرجعية في بناء المجتمع	أ.د. رحيم خريط عطية	.٢
٤٠	دور المرجعية الرشيدة الرقابي في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٩م	"أ.د عماد هادي عبد علي أ.د حسن كاظم أسد الخفاجي"	.٣
٥٩	المرجعية ودورها في الاحداث السياسية في تاريخ العراق المعاصر(ثورة العشرين إ نموذجاً)	أ . د عهدود حسين جبر	.٤
٦٩	الثورة الدستورية الاتحادية العثمانية وتأثيرها على الحراك المجتمعي في العراق، ١٩٠٨م	أ.م.د. علاء الدين محمد تقي الحكيم	.٥
٨٤	منظومة الاخلاق والمتغير التاريخي في فكر المرجعية الرشيدة	أ.م.د فاضل كاظم صادق	.٦
٩٦	موقف الدين من الدولة - دراسة في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية	أ.م.د.أحمد علي عبود الخفاجي	.٧
١٥٠	مبادئ التعايش الاجتماعي السلمي وفق مبادئ المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف	م.د. يوسف البيومي /الرضوي	.٨

١٨٢	" دور علماء الشيعة في تأسيس الحركة الفكرية والتجديدية "دراسة أموزجية وصفية""	م.د فارس فضيل عطوي	.٩
٢١٠	" جهود العلامة الحلي + في التقريب بين المذاهب الاسلامية اصول الفقه المقارن اغوذجاً"	م.د جبار محارب عبدالله الفريجي	.١٠
٢٦٠	"الشيخ محمد جواد الجزائري (١٨٨٢-١٩٥٩) واثره الاجتماعي والسياسي "	م.د. محمد جواد جاسم الجزائري	.١١
٢٩٨	مقترحات مراجعنا العظام حول نهضة المسلمين	م.م. نجاة نجم عبد الله	.١٢
٣٢٣	" الشيخ محمد مهدي شمس الدين وآرائه الفكرية من بناء الدولة المتحضرة وقضايا التجديد والاصلاح "	م.م اسراء تحسين علي الموسوي	.١٣
٣٦٥	الاتجاه الإصلاحية وجذوره في الدولة وفق روؤى المدرسة العلوية النظرية والتطبيق	ايتار نصير دواره العباس / طالب دكتوراه	.١٤
٣٩١	دور علماء الدين في محاربة الغزو الثقافي	باحثة ايناس شريم	.١٥

## اثر الدين في علاج المشكلات الدولية الاقتصادية ظاهرة الفقر إنموذجاً

أ.د. حمدية صالح الجبوري  
جامعة القادسية / كلية التربية / قسم التاريخ

مشكلة الفقر وعلاجها من منظور إسلامي:

أولاً: التصور الإسلامي للمشكلة الاقتصادية:

واجه الإسلام مشكلة الفقر مواجهة حكيمة، وذلك بعدد من الوسائل التي اتخذها لمساندة الفقراء من خلال فريضة الزكاة، والصدقات الجارية، والتطوع والهبات، وأنواع البر المختلفة، ومعالجة ظاهرة البطالة المسببة للفقر، إلى جانب ذلك، أحيا الإسلام في نفوس المسلمين فكرة العمل وتحقيق الاستقلال الذاتي والاكتفاء والاستغناء عن الناس دون تسول واستجداء أو فراغ وتعطل، وكذلك دعا الإسلام الدولة المسلمة إلى مساعدة شعبها الفقير بتحقيق مستوى الكفاية للناس وتوفير الحاجات الأساسية، والمطلوب من المسلمين عامة، وضع المال في محله كأن ينفق المال إنفاقاً مشروعاً للصدقة والزكاة والتبرعات والهبات والنفقة على النفس والأولاد والأقارب والجيران والمحتاجين، والتوازن الاقتصادي توازناً يؤدي إلى المساواة والتقارب بين الأمة كي لا يبقى في المجتمع متخمون بالغنى وفقراء معدمون، والتكافل الاقتصادي بأن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندون فيما بينهم باتخاذ مواقف إيجابية كإعانة اليتيم وتفقد المساكين والقيام مع المحتاجين في مصالحتهم.

فالمشكلة الاقتصادية هي مشكلة تعدد الحاجات مع ندرة الموارد، وبعبارة أخرى مبسطة هي مشكلة الفقر الذي لا يعدو كونه مظهراً من مظاهر زيادة الحاجات مع قلة الموارد<sup>(١)</sup>. وتعرف مشكلة الفقر في الفكر الاقتصادي الرأسمالي بقلة الموارد الطبيعية نسبياً، نظراً إلى أن الطبيعة محدودة<sup>(٢)</sup>. فلا يمكن أن يزداد في كمية الأرض التي يعيش عليها الإنسان، ولا في كمية الثروات الطبيعية المتنوعة المخبوءة فيها، مع أن الحاجات الحياتية للإنسان تنمو باطراد، وفقاً لتقدم المدنية وازدهارها، الأمر الذي يجعل الطبيعة عاجزة عن تلبية جميع تلك الحاجات بالنسبة إلى الأفراد كافة، فيؤدي ذلك إلى التزاحم بين الأفراد على إشباع حاجتهم، وتنشأ عن ذلك المشكلة الاقتصادية<sup>(٣)</sup>.

والماركسية ترى: أن المشكلة الاقتصادية دائماً هي مشكلة التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع. فمتى تم الوفاق بين ذلك الشكل وهذه العلاقات ساد الاستقرار في الحياة الاقتصادية بشكل عام .

نظرية التوزيع في المذهب الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر مراجعنا العظام: إن الفقير في المفهوم الإسلامي هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان، وباصطلاح الفكر الاقتصادي الإسلامي هو من لا يتوافر له "حد الكفاية" أو "حد الغنى" لا "حد الكفاف".

وواضح أن "حد الكفاف" هو الحد الأدنى للمعيشة من مأكل وملبس ومأوى مما بدونه لا يستطيع المرء أن يعيش وينتج، فهو غير قابل للنقصان ولا يختلف إلا باختلاف القوى الشرائية في كل زمان ومكان<sup>(٤)</sup>.

إذاً لا بدّ من توافر صورة قانونية لكل نشاط إنتاجي أو تبادلي يجري في اقتصاد أي بلد. وعليه فإن الأسهم والامتيازات التي يحصل عليها أصحاب عناصر الإنتاج - خلال نشاطهم الاقتصادي - تخضع للنظم التي يحددها القانون.

وقد أوضح الإمام موسى الصدر في أولى مقالاته التي نشرها في مجلة "مكتب إسلام"، بأن الامتيازات التي يمنحها الدين الإسلامي للعقود ومساهمة القوى العاملة، أكثر من تلك التي يمنحها لرأس المال<sup>(٥)</sup>. ففي النشاطات الإنتاجية تستطيع القوى العاملة المطالبة بأجور معينة، وفي الوقت نفسه المساهمة في الربح الناجم عن تلك النشاطات. أما إذا كان ذلك النشاط مهدداً بالخطر، ولم ترغب القوى العاملة المساهمة فيه، بإمكانها الاشتغال بأجور محددة. وبالعكس، لو تمتع المنتج بسوق جيدة، وكان ثمة احتمال بالحصول على أرباح مغرية، فبمقدور العامل أن يحتفظ بسهم له في الإنتاج. هذا، وتمنح الأحكام الإسلامية العامل حرية اختيار أي من الصيغتين (الخيارين)، في حين لا يحق لصاحب رأس المال النقدي سوى المساهمة في النشاطات الإنتاجية والتجارية، ولا يحق لصاحب رأس المال العيني سوى المطالبة بالأجور دون المساهمة.

إن مثل هذا الامتياز الذي يمنحه النظام الحقوقي الإسلامي للعامل، يصبّ في صالح العامل ويدفعه لاكتساب المزيد من المزايا لدى التوقيع على العقود. ولما كانت هذه الامتيازات بأسرها محفوظة لليد العاملة في الفعاليات الاقتصادية كافة، فلا بدّ أن يجري توزيع إيرادات الإنتاج بين العمل ورأس المال لصالح الشغيلة، شريطة أن تكون سائر العوامل الأخرى - التي سيرد ذكرها قريباً - ثابتة. وقد برهن الإمام موسى الصدر على أن الحقوق والمزايا التي يقرّها الإسلام لليد العاملة، أكثر بكثير مما هي عليه الحال بالنسبة للمذهب الرأسمالي والمذهب الاشتراكي<sup>(٦)</sup>

أما العوامل الأخرى المؤثرة في توزيع الإيرادات والدخول فهي عبارة عن التكنولوجيا وندرة وسائل الإنتاج. ولو كانت الفنون المستخدمة في الصناعة مستعملة بالعمل (labor using)، لتسنى استخدام اليد العاملة مع زيادة الإنتاج بنسبة أكبر من رأس المال، وبطبيعة الحال لارتفعت حصتها في الدخل القومي (national income) أيضاً. فإذا كانت الصناعة قائمة على رأس المال المستعمل (capital using)، فإن حركة توزيع الربح - الدخل - ستنتهي لصالح عنصر رأس المال. كما أن وفرة عناصر الإنتاج وندرته - لا سيما منابع الطبيعية - تخضع للظروف البيئية والجغرافية التي يشهدها الاقتصاد<sup>(٧)</sup>.

فالمذهب الاقتصادي الإسلامي إذاً يوجّه في المرحلة الأولى حركة توزيع الإيرادات الإنتاجية بين العمل ورأس المال لصالح القوى العاملة، استناداً إلى أحكامه الحقوقية والقانونية، ويوصي في المرحلة التالية، بالاستفادة من ميزانية الزكاة إذا لم يحصل تحسّن في الوضع المعيشي للعمال. ويستنتج الإمام موسى الصدر من الآيات والروايات التي يعرضها في مقال "الإسلام ومشكلة التفاوت الطبقي"، إمكانية الاستعانة بهذه الميزانية بما يؤمن الرخاء الكامل للعاملين. وتشمل هذه الميزانية الخمس أيضاً، إلا أن الحكومة بإمكانها مطالبة أرباب العمل بدخول أكبر للعمال إذا ما شعرت باستمرار الحاجة<sup>(٨)</sup> وفي المرحلة الثالثة تستطيع الحكومة أن تستخدم هذه الميزانية في البحوث التقنية، وتمهيد الأرضية للاشتغال والعمل.

وكما نرى أن نهج وأسلوب الدين والنظام الإسلامي في توزيع الدخل يختلف عن النظامين الرأسمالي والاشتراكي. فالنظام الحقوقي والسياسي للحكومة الإسلامية يعدّ في الوقت ذاته الظروف الطبيعية والجغرافية، أو بتعبير آخر الإمكانيات الإنتاجية (productio possibilities)، مؤثرة في تقسيم "الفائض الاقتصادي" (economic surplus) بين عناصر الإنتاج؛ بل إن النظام الحقوقي والسياسي للحكومة يرفع في الحالات الضرورية من امتيازات الطبقة العاملة لأجل الانتفاع بذلك الفائض. وبإمكان الحكومة الاستمرار في سياسة تطوير الصناعات الفعّالة إلى الحدّ الذي يُسعفها في علاج مشكلة البطالة القسرية (involuntary unemployment) في المجتمع. وبهذا النحو يتمّ القضاء على مشكلة الفقر بصورة تلقائية أيضاً، ذلك أن كافة الباحثين عن العمل سيجدون فرصة للعمل. وهذه الخصوصية بالذات هي التي تبيح للعناصر النادرة اقتطاع حصة من ذلك الفائض الاقتصادي. وتعمل هذه الظاهرة، مقترنة بسياسة البحوث المدعومة من قبل الحكومة، على حلول العناصر المتوافرة محل العناصر النادرة بشكل تدريجي أو حتى استهلاكها في عملية الإنتاج. ويعدّ حلول العناصر القابلة للتجديد (renewable resources) محل العناصر غير القابلة للتجديد (unrenewable resources) -والذي هو من مستلزمات التنمية الاقتصادية المستمرة (sustainable development) وبجاجة إلى مزيد من التحقيق والدراسة- من مصاديق عملية الحلول محلّ العناصر النادرة. وبإمكان سياسة الحكومة الداعمة للبحوث توجيه هذه العملية وتسريعها<sup>(٩)</sup>.

إذاً، فالنظام الإسلامي لا يتخذ في مجابهته للفقر أسلوب مصادرة أموال الأغنياء والاستحواذ على وسائل الإنتاج، أو انتزاع الضرائب من أصحاب الدخل المنخفض وتقديمها للفقراء؛ وإنما يسعى للقضاء على مصدر الفقر. فبواعث الفقر تتلاشى وتضمحل من خلال تفعيل العمل والنهوض بالجانب الفني والتخصصي للقوى الشغيلة في النظام الإسلامي. وتجري عملية مكافحة الفقر بفضل أسلوب توزيع الدخل بين العمل ورأس المال، وتطوير الصناعات الفعّالة. وتؤدي هذه العوامل بمجموعها إلى

تعلق جزء رئيسي من خالص الفائض الاقتصادي الناجم عن عمليات الإنتاج باليد العاملة. وبذلك يختلف أسلوب توزيع الدخل بين أصحاب عناصر الإنتاج في الإسلام عن سائر المذاهب الاقتصادية الأخرى. فعملية التوزيع -وكما مرّ- تتأثر بقوانين الملكية، ونوع التكنولوجيا، وندرة عناصر الإنتاج. والحكومة في النظام الإسلامي لا تحل محل القطاع الخاص (private sector) لكي تتحكم بتوزيع الدخل بصورة عادلة، وإنما تعمل على التحكم بذلك من خلال الدور الذي تمارسه في توجيه تكنولوجيا الإنتاج، والضمان الاجتماعي، وموازنة الدخل بين أصحاب عناصر الإنتاج<sup>(١٠)</sup>.

وهذا ما اشار المرجع الكبير السيد محمد باقر الصدر وحاول علاجه في كتابه القيم الموسوم (اقتصادنا) الذي ما زال يشكل مرجعاً للكثير من قواعد البنوك الإسلامية، حيث إنه كتاب يتحدث عن الاقتصاد الإسلامي ومزاياه ويتكلم عن أضرار الاقتصاديات الأخرى مثل الاشتراكية والرأسمالية وغيرها ويقارن بينها<sup>(١١)</sup>، تميز الكتاب بأسلوبه الراقى وأسلوب النقاش الصحيح في تنفيذ وتوضيح السلبات التي تقع في الأنظمة الاقتصادية الأخرى، وكيف أن الاقتصاد الإسلامي هو الاقتصاد الذي يجب أن يكون لعدم وجود خلل به أو يؤدي إلى بعض الأمور والعقبات التي تحل بالاقتصاد<sup>(١٢)</sup>، فقد أكد على دور العوامل أعلاه، لا سيما الضمان الاجتماعي، وعدّها أسلوباً من أساليب العدالة في توزيع الدخل في النظام الإسلامي<sup>(١٣)</sup>. ويؤكد الشهيد الصدر على جانب التوازن بين الدخل فضلاً عن ضمان الحد الأدنى من المعيشة. فيما يشير الإمام موسى الصدر إلى استخدام الزكاة لضمان رخاء أصحاب عناصر الإنتاج كافة. وهذا يعني أنه كان على علم بضخامة ميزانية الزكاة ومدى تأثيرها حينما يقول: الزكاة ليست مجرد ضريبة.

ويمكن أن نفهم مما ذهب إليه هذان العالمان الفاضلان أن بإمكان الدولة تحقيق التوازن في الدخل عن طريق توجيه تكنولوجيا الإنتاج أو من خلال استخدام ميزانية الزكاة. وبهذا النحو يعمل النظام الحقوقي والسياسي في الإسلام على بلورة مسار توزيع الثروة (رأس المال)<sup>(١٤)</sup>.

اما السيد محمد باقر الحكيم ، فقد كانت له رؤية مشابهة لرؤية من سبقه من المراجع وكانت نظرتة تتلخص في ان سماحته كان قد ابتداءً تطلعاته الفكرية ذات الطابع الاقتصادي منذ وقت مبكر، ويمكن تلمس ذلك بوضوح من خلال إسهامه في تنظير مسودات النتاجات الفكرية للسيد الإمام الصدر الأول، ومناقشه للكثير من الآراء التي وردت فيها، ولاسيما في السفر الخالد كتاب (اقتصادنا)، وعلى ما يظهر فإن جهوده في هذا المجال قد تركت أثراً واضحاً في نفس السيد الصدر مما حدا به إلى وصف الإمام الحكيم في مقدمة كتابه عندما اعتذر لجمهور قرائه قائلاً «وكنت أرجو إن يكون لقاءنا اقرب مما كان ولكن ظروفًا قاهرة اضطرت إلى شيء من التأخير، بالرغم من الجهود التي بذلتها بالتضامن مع عضدي المفدى العلامة الجليل السيد محمد باقر الحكيم في سبيل انجاز هذه الدراسة ووضعها بين أيديكم بأقرب وقت ممكن»<sup>(١٥)</sup> ويزداد الإعجاب حينما نشير إلى إن عمر السيد الحكيم في ذلك الوقت لم يتجاوز الخامسة عشرة أو السادسة عشرة على ابعد تقدير، وفي ذلك دليل قوي على نبوغ واتقاد ذكاء ربما تجاوز في كثير من الأحيان الحد المتعارف عليه، ولا غرابة في ذلك إذا انعمنا النظر في الأصول العلمية لسماحته التي تنحدر من أسرة علمية زقت العلم زقا، كان ابرز كواكبها في سماء العلم سماحة المرجع الكبير زعيم الطائفة السيد محسن الحكيم (رضي الله عنه). أسهمت عوامل عدة في تشكيل الرؤية الفكرية الاقتصادية لدى السيد الحكيم كان في مقدمتها ما قرأه من كتب في الأصول والتشريع، ولاسيما ما كان منها ذا علاقة بالتشريعات الاقتصادية الإسلامية، وفي مقدمتها جميعا كتاب (اقتصادنا) الذي على ما يظهر قد اخذ شيئاً كبيراً من فكر السيد الحكيم، لما ورد فيه من آراء وجد فيها السيد الحكيم تشكيلا نظرياً تعدى أقرانه، الأمر الذي دفعه إلى كيل المدح والثناء عليه قائلاً: «واعتقد إن أفضل كتاب إسلامي تناول النظرية الاقتصادية الإسلامية هو كتاب اقتصادنا لأستاذنا الشهيد الصدر الذي اعتمدنا عليه في مراجعة هذه المفردات ولكننا قد نختلف معه في بعض الاستنتاجات التي توصل إليها»<sup>(١٦)</sup>

اما موقف السيد السيستاني من المشكلات الاقتصادية المعاصرة ، فقد كان واضحاً

فمن المعروف تاريخياً أن الحقوق الشرعية (الخمسة والزكاة) وسائر ما يتبرع به المؤمنون من الخيرات والمبرات تشكل الموارد المالية للمرجعية الدينية، وبالتأكيد ان لذلك تأثيراً واضحاً على الواقع المرجعي، ويتمثل بالدرجة الاساس في حفظ استقلالية المؤسسة الدينية الشيعية عن السلطات الحاكمة عبر التاريخ. ومن هنا تجرى محاولات دؤوبة من جهات مختلفة لتقليص ما يصل الى المرجعية من الحقوق الشرعية ظناً منهم ان ذلك يؤثر في نشاطها ويحد من تأثيرها.

وجدير ذكره ان سماحة السيد السيستاني دام ظله – ومنذ بدايات تصديه للعمل المرجعي – أجاز لعموم العراقيين من مقلديه ان يدفعوا حقوقهم الشرعية إلى الفقراء مباشرة من دون الرجوع إليه. وكان لهذه الفتوى آثار مهمة ومباركة في الشارع العراقي، كما أن سماحته ملتزم بصرف كل ما يصله من العراقيين في العراق نفسه، ويصرف فيه أيضاً الكثير مما يصله من مقلديه في سائر البلاد.

وأما الموارد المالية للعتبات المقدسة في العراق فلم يسبق للمرجعية أن تصرفت في شيء منها، كما انها امتنعت عن تلقي أي دعم مالي حكومي مباشر أو من المؤسسات الممولة من قبل الحكومة كديوان الوقف الشيعي.

أما الحديث عن امكانيات مالية كبيرة للمرجعية الدينية فهو مما لا اساس له، وربما تذكر مبالغ خيالية لا عهد للمرجعية بها في كل تاريخها، ومن الغريب ما يطرحه البعض من ان المرجعية تستطيع ان تحل مشكلة الفقر هنا أو هناك فانه كلام غير علمي وغير واقعي بتاتاً. وانما حل هذه المشكلة واضرابها هو من مهام الحكومة وضمن الخطط والامكانيات المتاحة لها عادة. وأما امكانيات المرجعية فهي بحدود المساهمة في رفع بعض الحاجة عن الفقراء والمعوزين من خلال المساعدة المباشرة او اقامة المشاريع الخدمية. ومؤسسة العين للرعاية الاجتماعية من أهم المشاريع الخيرية للمرجعية، وهي تعنى برعاية عشرات الآلاف من الايتام والارامل وتقدم مساعدات للجرحى والمرضى لعلاجهم حتى في خارج العراق<sup>(١٧)</sup>.

التشخيص الإسلامي لسبب المشكلة الاقتصادية:

ولقد كان للمراجع تشخيص معين لسبب المشكلة الاقتصادية، يختلف عن التشخيص الرأسمالي وكذا التشخيص الاشتراكي، فالمشكلة الاقتصادية عند الرأسماليين هم الفقراء أنفسهم سواء لكسلهم، أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد، فقضية الفقر في نظره، هي أساسا قضية قلة إنتاج، وقد رتب على ذلك الفكر الاقتصادي الرأسمالي، أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع ليتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط كل حسب جهده وطاقته ومهاراته، وأن على من خانته الحظ أن يرضى بواقعه فهو نصيبه وقدر الله.

وسبب المشكلة عند الاشتراكيين هم الأغنياء أنفسهم باستثارتهم دون الأغلبية الكادحة بحيرات المجتمع، وبالتالي نشوء التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، فقضية الفقر في نظره هي أساسا قضية سوء توزيع، وقد رتب على ذلك نظرياته في الصراع بين الطبقات، وفي التركيز على تغيير أشكال ووسائل الإنتاج بإلغاء الملكية الخاصة وتصفية الرأسماليين البورجوازيين بحسب تعبيرهم.

أما في الإسلام فالمشكلة الاقتصادية ليست كما قال الرأسماليون بأنها الندرة ولا كما قال الشيوعيون بأنها عدم تطور علاقات التوزيع مع شكل الإنتاج بل المشكلة الاقتصادية في الإسلام تكمن في الإنسان الذي يظلم نفسه ويظلم الآخرين باتباع سياسة خاطئة في توزيع الثروة لم يشرعها الله سبحانه، وفي كفران الإنسان للنعمة بعدم استغلال كل ما سخره الله له في هذه الأرض وقد بين القرآن ذلك، قال تعالى: ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ<sup>(١٨)</sup>.

ثانياً: العلاج أو الحل الإسلامي للمشكلة الاقتصادية:

ومن واقع التشخيص الإسلامي لمشكلة الفقر، والذي يختلف عن كل من التشخيص الرأسمالي والتشخيص الاشتراكي للمشكلة المذكورة، كان العلاج أو الحل الإسلامي لتلك المشكلة، والذي يختلف بدوره عن كل من العلاج الرأسمالي أو الاشتراكي.

ففي إطار تحديد القرآن الكريم للمشكلة الاقتصادية عالجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هذه المشكلة علاجاً شاملاً متكاملًا من جميع الجوانب المادية والمعنوية؛ فقد بين الله سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله: أن كل ما في هذا الكون ملك لله يجب على الناس التصرف فيه في إطار المشروع وما أباحه الله، وأن الإنسان مستخلف في هذه الأرض لعمارتها وهي مذلة له<sup>(١٩)</sup>.

مع ملاحظة أن الأرض مذلة للمسلم ولغير المسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»<sup>(٢٠)</sup>، وأما المسلم فإن حظه الوفير يكون في الآخرة.

وقد فهم الصحابة ومن تبعهم هذا المعنى وخصوا القضية بقولهم: "المال مال الله، والبشر مستخلفون فيه"؛ فحيازة أو ملكية الفرد أو الدولة للمال في الإسلام، ليست امتلاكاً بالمعنى المطلق، وإنما هي وديعة أو وظيفة شرعية أو هي ملكية مجازية أي ملكية الفرد أو الدولة في الظاهر بالنسبة للآخرين؛ إذ المالك الحقيقي لكل الأموال هو الله تعالى، وأنه سبحانه سيحاسب المكتسب للمال أو الحائز المتصرف فيه حساباً عسيراً بقوله تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)<sup>(٢١)</sup>.

وقد ترتب على تكييف الإسلام للملكية: خاصة كانت أم عامة، أن أصبحت أمانة واستخلاف ومسئولية، ويجب الالتزام في شأنها بتعاليم الإسلام فلا يجوز مثلاً تمكين السفهاء والمبذرين من هذا المال بقوله تعالى: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا<sup>(٢٢)</sup>.

أو حرمان العاجزين المحتاجين من هذا المال بقوله تعالى: وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ<sup>(٢٣)</sup>، أو أن يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس بقوله تعالى: كَيَّ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ<sup>(٢٤)</sup>.

أكثر من ذلك فإن شرعية الملكية: خاصة كانت أو عامة تسقط إذا لم يحسن الفرد أو الدولة، استخدام هذا المال استثماراً أو إنفاقاً في مصلحته أو مصلحة الجماعة، وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير سيدنا عمر بن الخطاب حين قال لبلال وقد أعطاه الرسول عليه الصلاة والسلام أرض العقيق: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وإنما أقطعك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي"<sup>(٢٥)</sup>.

واستناداً إلى أن المال في الإسلام هو مال الله والبشر مستخلفون فيه، كان المبدأ أو الأصل في الاقتصاد الإسلامي الهام أن لكل فرد في الأمة حد الكفاية أولاً ثم لكل تبعاً لعمله في الظروف غير العادية "الاستثنائية" كمجاعة أو حرب حيث تقل الموارد ولا تتوافر الحاجيات يتساوى المسلمون من حيث توفير حد الكفاف وفي الظروف العادية يتساوى المسلمون من حيث توفير حد الكفاية وما فوق ذلك يكون لكل تبعاً لعمله وجهده.

ثالثاً: التنمية الاقتصادية الإسلامية وخصائصها:

لم يخلق الله تعالى الإنسان في هذه الدنيا عبثاً أو لمجرد أن يأكل ويشرب، وإنما خلقه لرسالة يؤديها، هي أن يكون خليفة الله في أرضه، قال تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>(٢٦)</sup> فهو يدرس ويعمل، وينتج ويعمر، عابداً لله شاكراً فضله، ليقابله في نهاية المطاف بعمله وكدحه بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ<sup>(٢٧)</sup> ولقد بلغ حرص الإسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا، أن قال الرسول: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة" نخلة صغيرة" فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها"<sup>(٢٨)</sup>.

وساوى الإسلام بين المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية وبين الساعين في سبيل الرزق والنشاط الاقتصادي بقوله تعالى: وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٢٩)</sup>، وأكثر من ذلك اعتبر الإسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته من أفضل ضروب العبادة.

وعملية التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتم إلا إذا توافر لها الإنسان الصالح القوي الذي ينهض بها، والمجتمع الخير الذي يحتضنها، والمال الذي تُبنى به المصانع وتُشيد به الصروح، وأداة الإنتاج المتطورة التي تنتج الجيد والغزير بتكاليف منخفضة، والتخطيط السليم، والأسواق التي تُصرف فيها المنتجات<sup>(٣٠)</sup>.

توجيهات المرجعية لتطوير خصائص التنمية الاقتصادية:

اقترح مراجعنا العديد من التوجيهات بغية تطوير خصائص التنمية الاقتصادية منها:

١ - تنمية شاملة: وذلك لأنها لا تستهدف رقي الإنسان مادياً فحسب وإنما روحياً بصفة أساسية، والروحانية في الإسلام، ليست كما يتصور البعض مسألة ميتافيزيقية أو غيبية، وإنما هي العمل الصالح إيماناً بالله واعتباراً أو مراعاة له تعالى سواء كان ذلك الإيمان أو تلك المراعاة والاعتبارات المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه، أو كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته. ومبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الإسلامية، يقتضي أن تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكّل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحرية العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية... إلخ، بحيث لا تقتصر التنمية على إشباع بعض الضروريات أو الحاجيات دون الأخرى، ومن هنا لا يقبل الإسلام "تنمية رأسمالية" تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز، كما لا يقبل "تنمية اشتراكية" تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير.

٢- تنمية متوازنة: وذلك لأنها لا تستهدف زيادة الإنتاج فحسب بقوله تعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)<sup>(٣١)</sup>، وإنما تستهدف أساساً عدالة التوزيع بقوله تعالى: اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى<sup>(٣٢)</sup>، بحيث يعم الخير جميع البشر أياً كان موقعهم في المجتمع وأياً كان مكانهم في الكون، ذلك أن هدف الإسلام من التنمية الاقتصادية هو أن يتوافر لكل فرد، أياً كانت جنسيته أو ديانته أي بصفته إنساناً، حد

الكفاية لا الكفاف، أي المستوى اللائق للمعيشة بحسب زمنه ومكانه لا مجرد المستوى الأدنى اللازم للمعيشة، وذلك حتى يستشعر نعم الله وفضله، فيتجه تلقائياً إلى حمده تعالى وعبادته، هذا الحمد والشكر الذي لا يعبر عنه في الإسلام بالقول والامتثال فحسب وإنما بالعمل والإخلاص فيه، وهذه العبادة التي لا تتمثل في الإسلام بالصلاة والتوجه إلى الله فحسب وإنما أساساً بخدمة الغير ومد يد العون لكل محتاج لقوله تعالى: ( لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ )<sup>(٣٣)</sup>. إن مبدأ التوازن في المفهوم الإسلامي للتنمية الاقتصادية، يقتضي أن تتوازي جهود التنمية، ومن ثم لا يقبل في الإسلام أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى، أو أن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو أن تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات أو الحاجيات، أو أن تسبق الصناعات الثقيلة أو المستوردة الصناعات الاستهلاكية أو المحلية، أو أن يركز على المشروعات الإنتاجية دون الخدمات والتجهيزات الأساسية ... إلخ من الأخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والإسلامية مقلدة دون وعي تجارب شرقية أو غربية، غافلة أو جاهلة الصيغة الإسلامية بضرورة "التوازن الإنمائي"، ولا شك أن التنمية الاقتصادية غير المتوازنة التي نراها في أغلب دول العالم الإسلامي مركزة على جزء من الاقتصاد القومي دون بقية الأجزاء هي تنمية مشوهة بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف إذ تزيد من تدهور بقية الأجزاء.

٣- تنمية غاية الإنسان نفسه: ليكون بحق خليفة الله في أرضه، فذلك ما يحدد بواعث أو غاية التنمية الاقتصادية الإسلامية وآثارها، فليس الباعث في التنمية الإسلامية الربح شأن الرأسمالية، ولا أهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية، وإنما هو ضمان حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من أية عبودية أو حاكمية إلا عبودية وحاكمية الله وحده.

فغاية التنمية الإسلامية هو الإنسان نفسه لا تستعبده المادة شأن التنمية الرأسمالية، ولا يستذله الغير شأن التنمية الاشتراكية، وإنما محرراً مكرماً يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليسعد في الأرض ويفوز بجنة الله في الآخرة<sup>(٣٤)</sup>.

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث كانت هنالك جملة نتائج خرجت بها الباحثة منها :

١. اعتنى الدين الاسلامي بالمشاكل الاقتصادية بشكل خاص واولاها حيز كبير من الاهمية ، وما ذلك الا لحساسية هذا الموضوع على المستوى الاجتماعي ، واعتباره الركيزة الاساسية التي يستند عليها العالم برمته ، لذا كان حري بالشارع الاسلامي ايلاء هذا الجانب قدر كبير من اهتمامه .

٢. يقف على رأس تلك المشاكل الاقتصادية مشكلة الفقر ، وعدم توزيع الثروات بشكل عادل وملاحظة الفوارق الواضحة بين طبقات المجتمع ، والذي يعود بطبيعة الحال الى الجشع الذي تعاني منه العديد من الانفس الضعيفة لتحصر الكم الهائل من تلك الثروات بأيدي عدد محدود من الناس ، وترك الكم الاكبر يعاني من تلك الازمة الاقتصادية .

٣. تعتبر المرجعية صمام الامان الذي له الفضل الاكبر في المحافظة على التوازن الاقتصادي .

٤. أن رأس المال الإنساني يمثل البنية التحتية لكافة النظريات الاقتصادية المنبثقة من الدين الإسلامي ونظامه. ويشير المراجع العظام بوضوح إلى دور العمل في توزيع الدخل وأهمية ذلك مقابل رأس المال. كما تحدثوا عن أهمية العمل في التوزيع الأولي لرأس المال وكذلك في عملية الإنتاج، فضلاً عن دوره في توزيع الدخل. ولا يخفى أن اليد العاملة التي تتمكن من إحياء الأرض الموات، أو اكتشاف معدن ما وتعمل على الاستفادة منه، أو أن تحصل على الماء من حفر بئر في أعماق الأرض، ليست يداً عاملة بسيطة، بل ربة عمل تمتلك العلم والتجربة والمهارة والإدارة. أي أن ذلك الذي يكون سبباً بإحياء في الأنفال وحيازة في الشركات، هو رأس المال الإنساني للأفراد الذي يتبلور في طاقتهم العاملة سواء كان أداءً عملياً أو فكرياً.

٥. بذلت مرجعيتنا الرشيدة جهود استثنائية في احداث توازن اقتصادي واضح من خلال توجيهاتها المتوالية عن طريق رجال الدين ، وكذلك في استحداث العديد من

المؤسسات الدينية التي تتبنى كفالة العديد من الفقراء والايتام مما قلص الى حد كبير من هذه المشاكل في البلاد الاسلامية .

### الملخص

اثر الدين تأثير ايجابي على جميع جوانب الحياة سواء كانت السياسية او الاجتماعية او الفكرية او الاقتصادية ، وفي محاولة منا لإلقاء الضوء على الجانب الاخير كان من الضروري الوقوف على فقرة مهمة من فقراته ، والتي تعتبر سبباً مهمة في انهيار العديد من المجتمعات في حالة اختلال التوازن بينها ، وماهي المعالجات التي وضعها الدين الاسلامي لتلافي مثل هذه الاشكالات والحلول المناسبة للخروج منها ، ولعل في مقدمة تلك المشاكل يحتل الفقر رقم واحد بين تلك المشاكل ، ولا بد من القول ان هذا الموضوع يقف من وراه العديد من الاسباب التي وجب الالتفات اليها والتركيز على تلك النقاط.

فالمشكلة الاقتصادية هي مشكلة تعدد الحاجات مع ندرة الموارد ، وبعبارة أخرى مبسطة هي مشكلة الفقر الذي لا يعدو كونه مظهراً من مظاهر زيادة الحاجات مع قلة الموارد . وفي الفكر الاقتصادي الوضعي تتمثل مشكلة الفقر في ظاهرة الجوع والحرمان أو العجز عن إشباع الحاجات الأساسية ، مما يعبر عنه أصحاب هذا الفكر باصطلاح "حد الكفاف" مما يتعلق بمتطلبات البقاء ، بمعنى أن الفرد يعد فقيراً عندما لا تتوافر له متطلباته بالقدر الذي يحفظ له حياته وقدراته على العمل والإنتاج.

أما في الفكر الاقتصادي الإسلامي ، فتمثل مشكلة الفقر في عدم بلوغ المستوى اللائق للمعيشة بحسب ما هو سائد في المجتمع ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ومما عبر عنه الفقهاء المسلمون القدامى باصطلاح "حد الكفاية" مما يتعلق بمتطلبات الحياة الكريمة ، وأحياناً باصطلاح "حد الغنى" بمعنى أن يعد الفرد فقيراً متى لم تتوافر له متطلباته بالقدر الذي يجعله في مجبوحة وغنى عن غيره.

إن الفقير في المفهوم الإسلامي ، فردا كان أو دولة ، هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع المحلي أو العالمي ، أي بعبارة أخرى هو

من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان، وباصطلاح الفكر الاقتصادي الإسلامي هو من لا يتوافر له "حد الكفاية" أو "حد الغنى" لا "حد الكفاف". ونخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، بأن المشكلة الاقتصادية في الإسلام لم ترتبط منذ البداية، بهدف توفير الضروريات الأساسية للمعيشة، وإنما بهدف رفع مستوى المعيشة وتحسينه، وهو ما انتهى إليه الفكر الاقتصادي الحديث، بعد أربعة عشر قرناً، معبراً عنه باصطلاح "الرفاهية الاقتصادية" أو "الرخاء المادي".

ولقد كان للإسلام تشخيص معين لسبب المشكلة الاقتصادية، يختلف عن التشخيص الرأسمالي وكذا التشخيص الاشتراكي، فالمشكلة الاقتصادية عند الرأسماليين هم الفقراء أنفسهم سواء لكسلهم، أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد، فقضية الفقر في نظره، هي أساساً قضية قلة إنتاج، وقد رتب على ذلك الفكر الاقتصادي الرأسمالي، أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط كل حسب جهده وطاقته ومهاراته، وأن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه فهو نصيبه وقدر الله.

الهوامش:

- (١) تفضلي، فريدون، تاريخ المعتقدات الاقتصادية، ط٢، طهران، منشورات ني، ١٩٩٣، ص ٦٥.
- (٢) الصدر، محمد باقر، عقائد الشيعة الإمامية، ط. قم، (د.ت)، ص ٣١.
- (٣) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ط. قم، ١٩٩٩، ص ٥.
- (٤) ينظر: عبد الله، إسماعيل صبري، نحو نظام اقتصادي عالمي جديد، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م ص ١٤٩.
- (٥) الصدر، موسى، المذهب الاقتصادي في الإسلام، تقديم وتعليق: علي حجتي كرمانى، ط. طهران، منشورات جهان آرا، (د.ت)، ص ١٨٧.
- (٦) الصدر، موسى، الإسلام ومشكلة التفاوت الطبقي، مجلة "مكتب تشيع" اردبيهشت ١٣٣٨، ص ١٦٧-١٨٥.
- (٧) الصدر، موسى، المذهب الاقتصادي في الإسلام، تعريب منير مسعودي، بيروت، مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، ١٩٩٨، ص ١٤٦.

- (٨) الصدر، سيد كاظم، الاقتصاد في صدر الإسلام، طهران، جامعة الشهيد بهشتي، ١٣٧٥، ص ٢١.
- (٩) الصدر، سيد كاظم، تجربة مسلمي صدر الإسلام في تحقيق التنمية الاقتصادية، مجموعة مقالات المؤتمر الأول الذي عقد تحت شعار الإسلام والتنمية، جامعة الشهيد بهشتي، ١٣٧٥، ص ٣٢.
- (١٠) امطهري، مرتضى، العدل الإلهي، طهران، منشورات إسلامية، ١٣٥٣، ص ٩.
- (١١) الطالقاني، عبد الزهرة، محمد باقر الصدر مفكراً وفيلسوفاً، موقع جريدة الزمان، ٢٠١٥، April ٢١، نسخة محفوظة ١٦ أغسطس ٢٠١٦، ص ٨٦. زكي، محمد باقر الصدر وتجديدات الفكر الإسلامي، مجلة الكلمة، العدد (٢٧) - السنة السابعة، ربيع ٢٠٠٠م، ص ١٤.
- (١٢) الغريبي، أحمد ناجي، دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر كتاب اقتصادنا أنموذجاً، موقع العراقية، المجلات الأكاديمية العلمية. ٢٠١٨، ص ٩١. مرادي، مجيد، ترجمة: علي عباس الورد، الاقتصاد الإسلامي في فكر الشهيد الصدر، موقع نصوص معاصرة (مركز البحوث المعاصرة في بيروت)، ٢٧ مارس ٢٠١٦، ص ٨٩.
- (١٣) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩، ص ٤٣.
- (١٤) مطهري، مرتضى، عشرون مقالة، قم، منشورات صدرا، ١٣٥٨، ص ٧٢.
- (١٥) الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ص ٣٦.
- (١٦) الحكيم، الإمام محمد باقر، دور الفرد في الاقتصاد الإسلامي، ص ١٣.
- (١٧) <http://www.kitabat.info/subject.php?id=137687>
- (١٨) سورة إبراهيم آية: ٣٢ - ٣٤
- (١٩) ينظر: الفنجري، محمد شوقي، نحو اقتصاد إسلامي، ط ٢، شركات مكنتات عكاظ بالمملكة العربية السعودية، ١٩٨١م، ص ٦٥.
- (٢٠) الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط. دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦، رقم الحديث (٢١٩١).
- (٢١) سورة التكاثر آية: ٨.
- (٢٢) سورة النساء آية: ٥.
- (٢٣) سورة النور آية: ٣٣.
- (٢٤) سورة الحشر آية: ٧.
- (٢٥) انظر: الخراج ليحيى بن آدم، ص ٩٣.
- (٢٦) سورة البقرة آية: ٣٠.
- (٢٧) سورة الانشقاق آية: ٦.

(٢٨) البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، الادب المفرد، وضع حواشيه: محمد ناصر الدين الالباني، ط٤، دار الصديق، ١٩٩٧ م ، رقم الحديث (٤٧٩) .

(٢٩) سورة المزمل: ٢٠ .

(٣٠) راتب ، خالد، دور القيم الإيمانية في التنمية الاقتصادية في الإسلام، مقال منشور بموقع الألوكة الالكتروني بتاريخ: ٢٠٠٩/١٢/٢١ م.

(٣١) سورة التوبة: ١٠٥ .

(٣٢) سورة المائدة آية: ٨ .

(٣٣) سورة النساء آية: ١١٤ .

(٣٤) الفنجري ، محمد شوقي، التوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول ، وزارة الأوقاف ، (د.ت)، ص

٦٢ - ٧٠ .

## أثر المرجعية في بناء المجتمع

أ.د. رحيم خريبط عطية / مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

يدرس هذا الموضوع الاثر المترتب على تناول المرجعية للاحداث التي يمر بها الشعب العراقي في العصر الحديث ؛ لما لها من مكانة حصلت عليها باستحقاق كبير ، فهي تنحدر من الرؤية الشاملة للاسلام المحمدي الاصيل الذي يريد للناس ان يعيشوا بكرامة متمتعين بحقوق شرعها الدين الحنيف ، وقد دار البحث على مباحث ثلاثة هي : السلم المجتمعي الذي لا بد منه في بلد متعدد الطوائف والقوميات ، إذ تقتضي المصلحة ان يعيش ابناء المجتمع الواحد في وئام يساعد بعضهم بعضا ، وتناول المبحث الثاني : الدفاع عن حقوق الناس الذين يعيشون في هذا المجتمع المتعدد ، والوسيلة الحيدة هي ان تحفظ حقوق الجميع لا ان نعنى بمجموعة دون اخرى . وتناول المحور الثالث : النصح والتوجيه الذي دأبت عليه المرجعية طوال خطب الجمعة بعد التغيير الذي حصل في العراق ، ومن خلال الاستفتاءات التي كانت تقوم بها واغلبها ما يطرحه الناس عليها منتظرين الرد الشرعي .

هذا العمل هو ما استطعت الوصول اليه عن طريق قراءة توجهات المرجعية من خلال خطبها واستفتاءاتها ، وعبرت فيها عن رؤية وطنية واسلامية صالحة ، ارجو ان اكون وفقت بعلمي ، وما توفيقى الا بالله العظيم ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

أولاً : السلم المجتمعي

دأبت الشرائع السماوية جميعها على العناية بالمجتمع عناية فائقة ، وقد بذل أنبياء هذه الشرائع مجهوداً عظيماً للحفاظ على ذلك . ولا نعدم من الشرائع الوضعية والديساتير التي كتبها عقلاء المجتمعات على مرّ العصور من عني به أيضا ؛ إذأ هي حاجة فطرية عند الناس . ومن أهم تجليات المجتمع حاجة أبنائه إلى العيش بسلام والابتعاد عما ينغص حياتهم ، ولانستغرب ذلك مع وجود الاختلافات بين أبناء المجتمع الواحد ، ففي أبنائه الاسود والابيض والغني والفقير ومن ينحدر من قومية تختلف عن قوميات الاخرين الذين يعيشون إلى جنبه . ففي سبيل الاستمرار بالحياة ينبغي صوغ قوانين او

دساتير تنظم الحياة . ولاريب في أن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده يعيشون على أهوائهم ، بل بعث النبيين مبشرين ومنذرين ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور . وقد أخذ الشارع المقدس حقيقة أن الانسان إجتماعي بطبعه - وهذه حقيقة ثابتة لايمكن إغفالها - لذا حضّ الانبياء جميعا على مراعاة حقوق الناس حتى وإن لم يكونوا على شرائعهم وأنزل رزقه على الناس جميعا حتى الطغاة من الذين يأكلون حقوق غيرهم ، بل إننا لانعدم أن نجد رزق من هو مجرم أو كافر يكون أكثر وفرة من مؤمن متقّ ! تلك إرادة الله ربما يعذب بها من يشاء ؛ لذا قالت المرجعية - وهي تلامس هذه الحقيقة - : "إنّ كلّ فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الآخرين ؛ لأنه، لايمكن لكل فرد أو مجتمع أن ينهض بمقومات وجوده إلا من خلال التعايش الاجتماعي وفق مبادئ وأسس وقواعد تنظم هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء ، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيدا عن تسلط الانانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الامور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعية وتهدد استقرار المجتمع"<sup>(١)</sup>

وربّ سائل يسأل : لم يقبل مجتمع مسلم - على سبيل المثال - يشكل أفراده النسبة الكبيرة بآخرين لايشكلون إلا نسبة ضئيلة من ويتعايشون معهم ، فيأتي الجواب على النحو الآتي : إنّ الله تعالى خلق الناس متساوين في الحقوق والواجبات وأن لا إكراه في الدين ، فليس من حقّ الاكثرية مصادرة حقوق الاقليات الاخرى ، وكان الرسول الكريم (ص) لايفرض على الناس اتخاذ الدين الاسلامي بالاكراه ، ومن زعم أن الاسلام انتشر بحدّ السيف فهو واهم ، بدليل أن أول معركة وقعت في الاسلام بين النبي الاكرم (ص) وبين قريش كانت موقعة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة وكان النبي (ص) لم يأمر بها إنّما امثل للامر الالهي : حَسَنُ اُذْنٍ لِلَّذِينَ يَفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ عِنْدَهُ<sup>(٢)</sup>

بعدهما اشتدّ أذى قريش للمسلمين وعذبوهم وصادروا أموالهم ونهبوا بيوتهم ومتجارهم . فإذا كان لا بدّ من توجيه لوم يوجّه إلى من اعتدى وليس لمن يدافع عن

حقوقه المشروعة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن النبي عليه الصلاة والسلام حين دخل مكة فاتحاً ومنتصراً عفا عن المشركين جميعاً بما فيهم العتاة والمردة والمجرمين - حتى قاتل أسد الله ورسوله "وحشي" - لمعرفة صلى الله عليه وآله بجرمة الدم وأنه يذهب بالدولة - مهما كان جبروتها وعظمتها<sup>(٣)</sup>

، ومن جهة أخرى : إن الدولة أو المجتمع ينبغي أن تنظر نظرة مستقبلية فالدول لا تبقى على حال وربما ستضعف في يوم من الايام أو يحصل الخصم على سلاح فتاك سيضر بالاسلام أو يقوم بمؤامرات على الاسلام للانتقام ، فعلى المسلمين أن يكونوا حذرين ويتأسوا بالنبي (ص) وأهل بيته الطاهرين وصحابته المنتجبين الاخير فنحن مأمورون باتباع سنة المصطفى الكريم (ص) ؛ لقوله تعالى **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا عِنْدَهُ**<sup>(٤)</sup>

ونحن نعلم أنه صلى الله عليه وآله عقد صلح الحديبية مع أن المسلمين لم يكونوا راضين ظناً منهم أن الاسلام لا يفيد من هذا الصلح ، لكنه صلى الله عليه وآله نظر نظرة بعيدة جداً تمثلت بإمكان الاسلام أن يستقطب عدداً كبيراً من الناس وفعلوا حصل ماكان النبي (ص) قد خطط له . فالمسلمون يعيشون في مجتمع قائم على التجارة والصناعة والمصالح الاخرى المشتركة ، ولا يمكنهم أن يعيشوا في دولة لوحدهم ، تلك الدولة ستكون عنصرية وهي خلاف طبع البشرية ولا بد لها أن تظلم حقوق الاخرين على غرار "دولة" اسرائيل العنصرية . ف((الانسان يعيش مع آخرين يختلفون معه في الرأي والدين واللغة وغير ذلك من الامور . ماهي المبادئ والاسس التي وضعها الاسلام التي تتفق مع الفطرة وسيرة العقلاء والحاجة الانسانية التي وضعها للتعايش الصحيح والسلمي مع الاخرين ، لدينا مبادئ إن فهمناها واستطعنا تطبيقها أمكن أن نضمن علاقات صحيحة ، ونضمن الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع))<sup>(٥)</sup>

وهذه الاراء والتوجيهات مأخوذة أصلاً من سيرة المصطفى الكريم(ص) وأهل بيته الطاهرين؛ فالمرجعية قد أخذت كل هذا وغيره واستنبطته لتضع مادة صالحة للمجتمع

العراقي وغيره قابلة للتطبيق من جهة ومن جهة ثانية تكون مستندة إلى أصل شرعي مضمون الجوانب .

وأرى أن المجتمعات الغربية نجحت في هذا الجانب ؛لأنها اعتمدت على قوانين طبقتها والتزمت بها ، فالقانون هو الذي ساعدها في النجاح وليست أخلاق تلك المجتمعات ، وبهذا فنحن أحوج ان نطبق قوانين صدرت أصلا من تراثنا الزاخر بسنة الرسول العطرة(ص) ولم نكن مجتمعاً جاء بالصدفة أو كونه ظروف معينة، بل نحن مجتمع عريق لنا حضارة راسخة في اللغة والطب والرياضيات وغيرها من العلوم في وقت كانت المجتمعات تتخبط في الظلام .

ومما يهدد السلم المجتمعي شعور الافراد بالطغيان والجبروت وعندها تبرز "الأنوية" عندهم بشكل كبير وهي تتأتى من قوة الجماعة على حساب الاقليات، سواء أكانت هذه الاقليات نتيجة القومية أو اللون أو الانتماء لحركة او حزب أو غير ذلك ، المهم هو أن يشعر الفرد بانتماء معين تجعله يعتقد ان هذا الانتماء يحميه وهو فعلا سحيمه ونحن نلاحظ من ينتمي إلى حزب او قبيلة لا يطاله القانون . والسبب - كما قلت - ضعف القانون أو غيابه وهذا من الامور الهدامة للمجتمع . فالفرد حين يتصرف بأنوية لا يفكر بالمجتمع ولا بعاقبة الامور التي ستحقيق بمجتمعه وبه هو أيضا . وقد أرجع باحث ذلك إلى "المذاهب المادية" بقولها : ((المذاهب المادية تعمل على تأكيد خصوصية الفرد وإثارة كوامن الانانية فتنزع عجباً وغروراً وجبروتاً فان الاسلام يعمل على استبدال محورية الفرد والانا ويسقط هذه التفاريق عن ان تكون سببا في التفريق ويصوغها من جديد لتصبح وسيلة وسببا في الجمع والتوحيد ويحوّل الخصوصيات الفردية إلى روافد للخير وحوافز للنمو والتكامل في الشخصية الانسانية الجامعة بعد تزكيتها وشحنها بالهدى والخير وبالطاقات الكبيرة والمؤثرة حتى تصبح في قبضة إرادة الانسان ولتكون الرصيد الذي يعتمد عليه ويستفيد منه في سعيه وكدحه إلى الله ليصبح من ثم تجسيدا للإنسان الإلهي الذي هو في أحسن تقويم ويكون الله بالنسبة إليه هو المآل والنهاية كما كان سبحانه هو المنطلق والبداية))<sup>(٦)</sup>

والباحث الكريم إذ يرجع هذا إلى المادية إنما ينطلق من قضية المصلحة التي تؤمن بها المادية في أن يكون الانسان بين أمرين ، إما أن يكون خاسرا أو أن يكون رابحاً من دون النظر إلى القضايا الروحية التي طالما تعلّق الانسان بها وفسّر بها الظواهر الكونية وربطها تارة بالالهة وتارة بأمور أخرى غيبية في حين كان الانسان المؤمن الذي يؤمن بالنبوات يرجعها إلى تعالي في منهج دقيق مطّرد وصحيح ناتجاً عن رؤى ملموسة ، فكثيراً ما وعد الانبياء أقوامهم وتحقق ما وعدوا به . ويكمل الباحث : (( وبهذه المحورية الالهية والبديلة عن محورية الانا يصبح الانسان جامعا لكل معاني الخير والصدقية والواقعية التي تستشرف كل هذا الوجود وتهيمن عليه من موقع الحكمة والمعرفة والرعاية والهدى والخير والقوة وتتكون له منتم حياة جديدة وهوية جديدة ولون وطعم جديدين وتنشأ لديه رغبات ونزعات وطموحات وخصوصيات ومزايا جديدة وفريدة أيضا ؛ وبذلك فقط يحفظ هذا الانسان من الضياع إذ بدون ذلك سيضطر لو أنه فقد معالم شخصيته الفردية وواجه الصراع مع نزعات وخصوصيات الاخرين الفردية المتناقضة والمتناحرة نعم سيضطر للإنكفاء من جديد إلى أحضان الانا وإلى آفاق الفردية ويصبح سجينها وضحيتها ، وما أشقاه من سجين وما أعلاه من ضحية ))<sup>(٧)</sup>

وأرى أن قضية الفردية لم تحتص بالفكر المادي او غيره ، بل هي قضية عامة تخص المسلمين أيضا بجميع مذاهبهم ونحن نعرف التاريخ الاسلامي وكيف تفرّدت أسر معينة بالحكم وصوّرت للناس انها على حق وكل خصومها كانوا على باطل ، وهذه قضية كبرى أخذت مأخذا من الفكر الاسلامي ومن التاريخ الاسلامي ؛ لذلك على من يكتبون التاريخ أن يكونوا موضوعيين في نقل الحقائق من دون مواربة ومن دون الانحياز إلى طائفته ؛ لذا فان المرجعية التفتت إلى هذا الجانب فقالت : (( وقد أكدت المصادر الاسلامية على أن التعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق واداء الواجبات هو التجسيد لمبدأ العدالة في الدين الاسلامي ))<sup>(٨)</sup>

والملاحظ انها قالت : المصادر الاسلامية ، لتبين أن الاسلام واحد ويجب تطبيق العدالة على طوائفه من دون تمييز ، ومن يظن انها تقول ذلك وتقصد الشيعة فقط كون المرجع

كبيراً وينبغي تأويل كلامه ؛ لأنه يعد – ضمناً مرجع الشيعة فقط – فهذا أمر لا يعتد به وينبغي أخذ الكلام بدلالته لا أن نوجهه كيفما اتفق وبجسب مصالحنا . ولم تكف المرجعية بالتوجيه على الدين الاسلامي الحنيف بل قطعت الطريق على المتصدين في الماء العكر وشملت ايضاً اتباع الديانات الاخرى بقولها (( لاحظوا إخواني مسألة تعايش أتباع الديانات المختلفة في الوطن الواحد والشعب الواحد والبلد الواحد وإذا لم نحسن التعايش بين أتباع هذه الديانات سيقود إلى الكثير من المخاطر في مجالات الحياة المختلفة))<sup>(٩)</sup>

ولا يقتصر التعايش السلمي هذا على الجوانب الفكرية والعقائدية والثقافية فقط ، إنما ينسحب على الجوانب الامنية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً إذ قالت المرجعية – وهي تقيد قولها السابق بتقييدات واضحة وتستأنف (( قد يتصور بعض الناس أن هذا الاختلاف بين أتباع الديانات إنما مخاطره وتحدياته ومشاكله في الجانب الثقافي والعقائدي فقط لا إذا لم نحسن التعايش الاجتماعي والثقافي أيضاً فإنه ستولد مخاطر ومشاكل أمنية واجتماعية وغير ذلك))<sup>(١٠)</sup>

فمن ظن من الذين لا يفهمون الدين الاسلامي الحنيف فهما صحيحاً أن الحاكمة للشريع المتمثلة بالاسلام ، وهذا صحيح من حيث المبدأ ، إلا أننا لانأخذ الامور بشكلها العام المسطح ، بل علينا ان لا نهتم حقوق الناس تحت غطاء الدين وهذه من أخطر الاشياء حينما تؤخذ الحقوق باسم الدين ، رأت المرجعية أن تلتم مثل هؤلاء حجراً بقولها : (( والله تعالى قال اتركوا هذا الامر وأنا أفصل بين العباد يوم القيامة لذلك حينما نعيش قدرا في هذا المجتمع أو بقية المجتمعات))<sup>(١١)</sup>

وهي تشير إلى قوله تعالى : **حَسُنَ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ عِنْدَهُ**<sup>(١٢)</sup>

فالناس كل يدعي حقه وأن الاخرين على ؛ لذلك حسمت القضية بهذا التدخل الالهي ، وقد أعطى سبحانه كل ذي حق حقه في ضمت هذه الاصناف الاخرى : **حَسُنَ فَاَسْتَجَابَ**

لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بِبَعْضِكُمْ مِّنَ بَعْضٍ ۗ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا عِنْدَهُ (١٣)

ولابد من الالتفات إلى حقيقة مفادها أننا لانستطيع حل مشكلة الاختلاف الديني بمعنى أنك لاتستطيع أن تغير مجتمعا نصرانيا بليلة وضحاها إلى ديانة أخرى وهكذا مع بقية الاديان ؛ لذلك لابد من القبول بهذه الحقيقة وترك الناس على سجيبتهم في مسألة تتعلق بالعبادة ، قال تعالى : حَسُنَ ۗ ﴿١٤﴾ عِنْدَهُ

وتأتي إشارة المرجع في خطبته إلى هذه الحقيقة الثابتة التي لا يستطيع البشر التغلب عليها : ((وإن هناك اختلافا في مسألة الانتماء الديني وإن هذا الامر لايجل ولايمكن حله ؛ لذلك لابد أن نتعامل مع هذا الامر كأمر واقع ))(١٥)

ولا شك ما يترتب على ذلك حرية العيش وحرية الفكر وحرية اتخاذ الدين ، والاهم من ذلك كله حرمة الدماء فهناك نهى شديد من الله تعالى في حرمة دماء المسلمين وقد بين النبي المرسل (ص) ذلك في خطبة حجة الوداع.وقد أشار القرآن بجرمة الدم للناس كافة ولم يقتصر الامر على المسلمين فقط ، قال تعالى : حَسُنَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا عِنْدَهُ (١٦)

فلا يصح قتل الناس بحجة الدين المختلف إلا بشروط معروفة . ومع هذا فالناس تقتل بعضها بعضا ؛ لذا أشار الشارع المقدس إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى استكمالا للآية السابقة : ((وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ))(١٧)

فالواقع يشير إلى غير ذلك ، إذ أن ثقافة المجتمعات (( اليوم وبدون استثناء هي ثقافة مستوردة ومنحرفة وهذه هي مشكلتنا الاساسية ))(١٨)

والحق ان الثقافة متشعبة منها مفيد ومنها ضار ، والمرجع المدرسي يقصد الثقافة المستوردة الضارة ؛ لذا قال قبل هذا النص : (( ان المجتمع بحاجة اليوم إلى من يدرك أوضاعه ويحل مشاكله ويتفهم أزماته ))<sup>(١٩)</sup>

وقد دأبت الشريعة الاسلامية على وجوب أن يعنى الحاكم برعيته على اختلاف انتماءاتهم ، ولا ينبغي له أن يغفل الاخرين ويركز على من ينتمون لدينه أو طائفته ، ومن أظهر الامثلة على ذلك – بعد رسول الله صلى الله عليه وآله – ما قاله الامام علي لعامله : ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، ولا تكونن سبعا ضاريا تغتتم أكلهم ، فانهم صنفان ، إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق ))<sup>(٢٠)</sup>

فترى كيف أن الشريعة عنيت عناية بالغة على يد خليفة رسول الله (ص) وحاكم الدولة مدفوعا بالسيطرة على هوى النفس وضبط سلوك الوالي الذي يخضع لغريزة حب السلطة وما يرافقها من غريزة تدميرية (ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا ) فعلماء النفس الاجتماعي – ومنهم ويليام مكدوجال – ضبطوا ما سمي بـ (غريزة السيطرة ) وانفعالها الزهو وما سمي أيضا بـ (غريزة المقاتلة ) وانفعالها الغضب . وهذا المبدأ منطلق أساسا من ان (( مصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم ، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر ، وموضوعها هو الاداة التي تحقق الاشباع أو توصل إليه ))<sup>(٢١)</sup>

ثانياً : الدفاع عن الحقوق

يتعرض الانسان – وهو يعيش في مجتمعه إلى مكاره واعتداءات من أعداء نتيجة تعارض مجتمعه معهم في الدين أو المصالح أو الصراع على النفوذ ، وقديما قيل : إن سبب الصراع بين بني البشر : لقمة أسوغ من لقمة أو وجه أصبح من وجه ، فإذا كان مجتمع مثل المجتمع العراقي بتاريخه وإراثه الحضاري وبالموقع الذي يتمثل في وقوعه في منتصف الكرة الارضية وأن الطرق الملاحية جوا وبراً وبحراً تمر به ، وقديما قيل : من يملك العراق يملك الجهات الاربع ، كل هذا جعله ساحة للصراع من أجل الاستحواذ على خيراته ومن أجل الحصول على النفوذ .

فلا بد لمن يتصدى للمرجعية من أن يكون في المسؤولية الشرعية وما تفرضه من واجبات جسيمة تتعلق في بعض الاحيان بالجهاد ضد الغزاة والطامعين في البلاد ، فحين احتل الانكليز البصرة في سنة ١٩١٤ وقف زعماء الدين في العراق مع ثلة من المجاهدين العراقيين بوجه انكلترا إلى جانب الدولة العثمانية لان الاسلام يفرض ذلك . إذ أصدر شيخ الاسلام في الاستانة فتوى في الجهاد العيني على المسلمين الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا رافقتها برقيات إغاثة من أهالي البصرة إلى مراجع النجف وكربلاء<sup>(٢٢)</sup>

وقد نقل الدكتور علي الوردي مما ورد في كل برقية من البصرة إلى رجال الدين: (( نثر البصرة ، الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع ))<sup>(٢٣)</sup>

ومع هذا لم تكن فتاوى علماء النجف والمدن الشيعية الاخرى تلاقي من يلبها لافي البقاع الاسلامية الاخرى مع نشوب ثورة الحجاز في سنة ١٩١٦ بقيادة شريف مكة ؛ لان تميلها كان من بريطانيا نفذت على إثرها معاهدة سايكس - بيكو التي قضت بتقسيم البلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني<sup>(٢٤)</sup>

وفي الحقيقة لعب رجال الدين دورا مهما وبارزا ، لم يقتصر على الجانب الوعظي والارشادي ، بل تعداه إلى تنظيم صفوف المجاهدين غير أبهين بالقلة القليلة التي رأت بعدم مساعدة العثمانيين نظرا لطائفتهم واستبدادهم ، وراحت تستجيب لفتوى شيخ الاسلام ونجدة البصريين وجاء السيد الحبوبى ممثلا عن الزعيم الشيعي الاعلى إلى الشعية لمحاربة الانجليز<sup>(٢٥)</sup>

وقد قادت المرجعية ثورة العشرين بعد الاحداث التي ذكرت ، ومع انها لم تحقق الانتصار المطلوب للعراقيين وبما يقابل تضحياتهم الجسيمة إلا انها أثمرت ثورات ضد المحتلين منها ثورة ١٩٢٢ في فلسطين وثورة الريف المغربي في سنة ١٩٢٥ وغيرها ، وانتهت ثورة العشرين بتنصيب ملك هاشمي على العراق ، وأعلن الامام الخالصي حينئذ أمام حشد كبير في مدرسته في الكاظمة خلع بيعة الملك بقوله : (( بايعنا فيصل

ليكون ملكا على العراق بشروط ، وقد أخل بتلك الشروط ، فلم تعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي بيعة ))<sup>(٢٦)</sup>

فمتى ما رأت المرجعية أن حقوق المسلمين ولاسيما الشيعة اهتمت فانها تهب في الدفاع عنهم حتى لو كلف الامر إصدار أوامر بالجهاد العيني – مثلما مر علينا – أو بالجهاد الكفائي – مثلما أصدرت المرجعية العليا فتواها ضد "داعش" حينما أسس تنظيمه على الاراضي السورية والعراقية. وكان للمرجع – منذ أوائل ١٩١٤ إلى هذه اللحظة يدافعون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ف ((سلك السيد الحكيم طريق النضال من أوسع أبوابه ، فكان العلم المناضل والبطل المجاهد منذ أول شبابه حتى وفاته ، فقد سحب السيد الحبوبى إلى الشعبية منذ اللحظة الاولى لدى تحركه من النجف الاشرف في ١٦/ محرم الحرام/ ١٣٣٣هـ = ١٦/١٠/ ١٩١٤ م ، وكان كاتم سره وحامل ختمه ، ومستشاره الخاص ، رافقه وهو يقود كوكبة المجاهدين العراقيين ضد الاحتلال الانكليزي... كان الامر المهم لدى السيد الحبوبى وبمعيته السيد الحكيم والعلماء الاعلام ، أن يناهض الانكليز بما يستطيع ، وان يحرك المشاعر العامة قدر الامكان ، وأن يقود جمهرة المجاهدين بما أوتي من قوة الشكيمة ، وصحة العزم ، ودقة المبادرة وليكن بعد ذلك ما يكون ))<sup>(٢٧)</sup>

ولم تكن المرجعية تصدر فتاوى الجهاد – على قلتها – من دون روية وفهم دقيق لما يحدث في الشأن العراقي بل هي تحجم عن صدورها أحيانا كثيرة فقد استطاع كاشف الغطاء أن يخمد الفتنة الطائفية في العراق في سنة ١٩٣٥ على إثر الاضطراب السياسي في استقالة وزارة المدفعي وتشكيل وزارة ياسين الهاشمي ((وحيثما رأى الامام كاشف الغطاء ما وصلت إليه الحال في إثارة النعرات وسفك الدماء ، واختلال النظام العام ، تيقن في قرارة نفسه أن هذه المناورات السياسية لاتخدم مصلحة العراق في حال من الاجوال ، والجماهير تهتف باسمه في أهازيج شعبية كاد ليهيأ أن يستطير ، روي لي – المتكلم الشيخ الصغير – منها:

يا محمد حسين العجل فتوى الجهاد إفتها

فجارى الامر بمحنة وروية ، ولم ينخدع بالغلاف المبطن لتلك الشعارات ، وتصرف في ضوء الميزان الواقعي في مراقبة الاحداث ، فنادى بالوحدة الوطنية وجمع كلمة العراقيين على أساس الوطن الواحد للشعب الواحد ، لاسيما وإن ياسين الهاشمي من الوطنيين البارزين وإن ثبت ذلك بعد حين ، وإن جميلا المدفعي من الاصلاحيين الذين يوفقون بين رغبة البلاط الملكي والسفارة البريطانية والشعب العراقي لا أكثر ولا أقل.))<sup>(٢٨)</sup>

وحين تدعو المرجعية العليا إلى المحافظة على الحقوق فانها تعني بها : حقوق جميع العراقيين ، ولم تقصد حقوق الشيعة لوحدهم ، بل شملت المسلمين جميعا ، وانا نلمس ذلك واضحا عند مراجع الدين عموما ولاسيما مرجعية السيد الخوئي ، إذ كان مرجعا للمسلمين جميعا ، ويكتب على بعض كتبه : (( فتاوى مرجع المسلمين زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي ))<sup>(٢٩)</sup>

ويعلق الدكتور الصغير على هذا بقوله : (( ان ماتحمله عبارة )) مرجع المسلمين ((تنطبق بأدق معانيها على السيد الخوئي، وإن كان المرجع الاعلى للإمامية.))<sup>(٣٠)</sup> ويعمل هؤلاء المراجع بناء على مقتضيات الصالح العام للشيعة ، وهذا الصالح لا يتناقض – طبعا – مع مصلحة المذاهب الاسلامية الاخرى ، بل وحتى الاديان الاخرى ، منطلقين من مبدأ أهل البيت – ع - في مراعاة الظروف العامة ، ففلسفتهم وتعاملهم مع الحكام (( لا تتجاوز التعاليم الواردة في القرآن والسنة النبوية ، ولما فيه مصلحة المسلمين وحسب مقتضيات الظروف والاحوال وليست مسألة راحة وتهرب من المسؤولية فان الظروف كانت تقتضي أن يتصرف اولئك الائمة كما تصرفوا ))<sup>(٣١)</sup>

وينقل باحث آخر عن أهل البيت (( ان أهل البيت في القرن الاول وأكثر القرن الثاني تهيأت لهم أسباب جعلتهم ذوي سجايا ليس عند كل الناس ، ذلك ان البيت النبوي كان محتفظا بكل ما توارثه من عادات نبوية ، وذكريات علوية ، وكان يذكي هذه الذكريات وينميها ما كانوا يرون من تنكر ساسة العصر لهم ، وما يرونه من أنهم حرموا السلطان فعكفوا على الميراث الذي ورثوه ولم يتجهوا إلى غيره ، وإذا كان لكل اسرة

تقاليد وعادات ونظم ، فتقاليد آل البيت في هذا العصر كانت الاتجاه إلى العلم وطلبه ونشره بين الناس والى تأليف قلوب المؤمنين وهداية الضالين )) (٣٢)

وينقل الاستاذ العقاد : أن الامام عليا كان مرجعا للمسلمين عامة وللخلفاء الذين حكموا قبله (٣٣). وعمل الائمة من ولده من بعده كل بحسب ظروفه وما كان يعتقد من ردة فعل ازاء الحاكم في زمنه . ويدخل في هذا الباب أيضا ما قام به مراجع الشيعة في البلدان التي يقطنون بها ، ولاسيما النجف بتبيان ان الاخطاء التي وقع فيها حكام الشيعة على مر التاريخ ، التي رأى خصوم الشيعة او تلك التي رآها العلماء الذين درسوا الفكر الشيعي على انها مثالب تنال من الفكر الشيعي إذ بين هؤلاء المراجع أو من كان يمثلهم بانها تختلف عن فكر آل البيت الكرام وانها صدرت من حركات تعد منحرفة اصلا عن الفكر الامامي ولا تعبر إلا عن اصحابها من الطالبين السلطان غي الآبهين بحقوق الناس ، بل رويت روايات عن ائمة اهل البيت ترفض مثل هذه السلوكيات من حكام جور ومن فرق منحرفة او من مجموعات ضالة محسوبة على الاسلام (٣٤)

ولا يتعلق الامر بالشيعة إنما يتعلق بحركة البشرية وحركة الاديان والمذاهب المختلفة ، إذ ابتليت المذاهب الاخرى بالمتشددين وبالمنحرفين وذوي المصالح المختلفة ، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من الذين يحرفون الامور لصالحهم ويؤولون الاشياء بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة ، وكان أهل البيت يحذون حذوه في هذا الامر ، بل كان الامام علي ينهى عن قتل الخوارج من بعده ويرى فيهم أنهم اجتهدوا فأخطأوا ؛ لانه عليه السلام يعتقد ان الفكر ينحرف في بعض الاحيان ، ولا يجب استعمال السيف لتسوية الامور الفكرية . وانه قبل بالمعارضة السياسية ، وأنه أعطى لنصراني محتاج من بيت المال ، وانه يوزع العطايا على المحتاجين ليلا ، كل هذا لايهدف الدفاع عن الحقوق . وكانت رسائلة واضحة إلى عماله يأمرهم بمعاملة الرعية بعدالة وإعطائهم حقوقهم .

ثالثا : النصح والارشاد

بما ان الانسان يعيش مع الاخرين في مجتمع واحد ، وان فطرته تلح عليه في الاندماج مع الجماعة ؛لانه "مدني بطبعه" أو "اجتماعي بطبعه" ومن الادلة على ذلك انه ينطق وهذا هو المبدأ الذي كان يقول به ارسطو والفلاسفة الاغريق الاخرين حينما عرفوا الانسان بانه حيوان ناطق . وكلمة حيوان تشير الى الحياة وغلى استمرارها ، قال تعالى :

حُسْنُ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا اِلَّا لَهٗوْ وَلَعَبٌ وَّوَلِيَّتُ الدَّارِ الْاٰخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ  
عندهٗ. (٣٥)

وقريب من هذا المفهوم يقول الطباطبائي : (( كون النوع الانساني نوعا اجتماعيا لايحتاج في إثباته إلى كثير بحث فكل فرد من هذا النوع مفطور على ذلك ولم يزل الانسان يعيش في حال الاجتماع على ما يحكيه التاريخ والآثار المشهودة الحاكية لاقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها ويحكم على هذه الارض)) (٣٦)

والظاهر ان هذه الفطرة لاتكفي الانسان أن يعيش من دون توجيه ومن وعظ وارشاد ؛ لذا يتقول المرجعية العليا في النجف : (( إن كل فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الاخرين وفق مبادئ واسس وقواعد تنظم هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء ، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيدا عن تسلط الانانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الامور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعية وتهدد استقرار المجتمع)) (٣٧)

إذا لا بد من أمور مكممة حتى تلبي الفطرة الابتدائية التي أودعها الله تعالى في الانسان وجعله خليفة في الارض . ولا بد أيضا من ضوابط تكبح جماح الانانية والغريزة – التي منها حب التسلط مثلما مر علينا – وهذه الضوابط هي مجموعة من القيم والتقاليد والاخلاق تشكل منظومة كاملة يضعها اناس لهم خبرة وموثوقية ودراسات معمقة وتكون خضعت للتجريب تهدف الى العيش بانسيابية وغلى اعمار الارض . وغذا انطبقت هذه الضوابط على المجتمع الحديث فانها تنطبق ايضا على المجتمعات الماضية عن

طريق قيم أودعها حكماء مروا بتجارب اجتماعية ، ويقف في الصدارة من هؤلاء الحكماء الانبياء - ع - فهم مسددون بوحي إلهي لا يخطئ ولا يزل ، انما هو على صراط مستقيم . فلا بد غذا من حكماء يرشدون الناس ، ويكون هؤلاء الناس مطمئنين لهم ويصغون لما يقولون ولا بد لهم من كلمة نافذة ، إذ يقول الامام علي : لا رأي لمن لا يطاع . وتقف المرجعية اليوم في الصدارة من القوم ولهم احترامهم وسمعتهم التي تؤهلهم للنصح والتوجيه والارشاد ، ومن يتابع خطبهم التي تقرأ بالنيابة عنهم كل جمعة من الصحن الحسيني الشريف . يجدهم يقدمون للناس ما يخدمهم ويأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب ، وهي بمجملها تعبر عن النظرة الاسلامية التي ينبغي ان يلتزم بها المجتمع الاسلامي ؛ فلانستغرب إذا ان تستند الى الايات القرآنية فيما تريد تناوله او توجيه الناس اليه : **حُسْنُ بَيِّنَاتِهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا عِنْدَهُ** (٣٨)

وبينت المرجعية - بعد أن تلت الاية الكريمة - إن الجميع - بما فيهم المسلم وغير المسلم - يعودون إلى أب واحد واصل انساني واحد ومن عائلة انسانية واحدة (٣٩) وحقيقة الاستشهاد بهذه الاية وبالآيات الدالات على أن لافرق بين أبناء الجنس البشري إلا بالتقوى وبالعمل الصالح الذي يخدم البشرية ، لكن الذين يروجون إلى العنصرية او الذين يعملون بها إنما ينطلقون من مصالح تجعلهم يرغمون البشرية على التفرقة بين الاسود والايض ويدلسون عليها بان الجنس الابيض ارقى من الاسود - على غرار ما فعله الامريكان أيام التمييز العنصري - إذ كانوا لا يسمحون للاسود بركوب عربات القطار المخصصة للبيض غلا بعد الخامسة مساء ، وطبيعي ان البيض يشعرون بالزهو وتقتضي مصلحتهم أن يؤيدوا مثل هذا التوجه العنصري . مع علمنا ان من الرجال البيض من قاوم هذا النوع من التمييز واصدروا قوانين ودستورا يلغي التمييز العنصري . وعلى غرار ما لاحظناه في المانيا من تمييز الجنس الاربي على بقية الاجناس حتى البيضاء منها ؛ لان من زعمائها - ولاسيما - هتلر أراد ان يستحوذ على العالم وأن يفرض اللغة الجرمانية على الكرة الارضية ، وباءت محاولاته بالفشل الذريع . بل ان الوقائع أثبتت

الآن ان السود يتفوقون على البض في القوة وان بشرتهم تتحمل الشمس وان اسنانهم اجود واصواتهم أعذب ، والتفت – من قديم – الجاحظ في رسالته في مفاخرة السودان على البيضان إلى هذه الحقائق ، وضرب أمثلة من حكماء السودان وفضلهم<sup>(٤١)</sup> وأكدت المرجعية على ارشاد الناس في أكثر من خطبة ، وكانت شديدة على المفسدين ، ومكانتهم هي التي وضعتهم في مواجهة أهل الجور ، الذين يقومون بالاعتداء على الناس وأموالهم وأعراضهم ماديا وجسديا (( ومن هنا فاننا نستخلص أهمية وجود المرجعية الرشيدة ودورها وما هي أهم المواصفات المناط إليهم هذه المسؤولية الارشادية التي دفع بها الائمة الاطهار (عليهم السلام ) إلى العلماء المختصين ، فهناك صفات وقواعد وشروط وضعوها للأمة كي تكون في المكان السليم بعيدا عن طرق الجور والضلال والهالك))<sup>(٤١)</sup>

وكان بالمقابل من هذا الارشاد والتوجيه الذي قامت به المرجعية ، لمقارعة السلوك المضاد الذي يهدف إلى التشكيك بأحكام الدين الحنيف وانها أصبحت قديمة قد أكل عليها الدهر وشرب ويجب ابدالها بأمر اخرى تناسب العصر الحديث والهدف من هذا ما يراه باحث هو الدين المحمدي الاصيل ولو أردنا ان نخضع لهذا الجو الضاغظ الذي يثيره الحاقدون فان علينا ان نتوقع ان نطالب ربما بالخروج عن ديننا إلى دينهم والعياذ بالله فان جميع أعداء الدين والمذهب لا يرضون بما نحن عليه<sup>(٤٢)</sup> ويتابع الباحث الكريم باننا لو أردنا ان نخضع لهذه الاجواء فان علينا ان نلغي الكثير من التشريعات التي يعلن عنها العلمانيون وغيرهم رفضها ويجاهرون بنقدها ويهتمون بتسفيهاها ويتابعهم على ذلك كثير من الناس البسطاء الذين لاحظ لهم من العلم ويأخذون الامور بسلامة نية وحسن طوية<sup>(٤٣)</sup>

وهناك من الباحثين من يذهب إلى ان المرجعية تعمل على ((ايجاد تيار فكري واسع في الامة يشتمل على المفاهيم الاسلامية الواعية من قبيل المفهوم الاساسي الذي يؤكد بان الاسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم))<sup>(٤٤)</sup>

ويستطرد الباحث قائلا (( وكذلك تعمل على اشباع الحاجات الفكرية الاسلامية للعمل الاسلامي وذلك عن طريق ايجاد البحوث الاسلامية الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمقارنات الفكرية بين الاسلام وبقية المذاهب الاجتماعية وتوسيع نطاق الفقه الاسلامي على نحو يجعله قادرا على مد كل جوانب الحياة بالتشريع وتصعيد الحوزة ككل على مستوى هذه المهام الكبيرة))<sup>(٤٥)</sup>

وذهب ابعد من ذلك بقوله : (( وتمارس المرجعية القيمومة على العمل الاسلامي والاشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الاسلام في مختلف انحاء العالم الاسلامي من مفاهيم وتأييد ما هو حق منها واسناده وتصحيح ما هو خطأ<sup>(٤٦)</sup>

والحق ان الباحث الكريم لم يتطرق الى الكيفية التي تعمل بها المرجعية في ايجاد تيار فكري واسع ، واين مصاديق هذا الكلام في الكتب . ولانعرف انها تعمل على ايجاد البحوث الاسلامية وما هي السبل على ذلك ، واخيرا يشير الى امور تتعلق بولاية الفقيه فلربما تتوافر فيها مثل هذه التوجهات ، والقاء الكلام على عواهنه بهذا الشكل لا يخدم ما نحن بصدده من توثيق الامور واعطاء كل ذي حق حقه ، آخذين بالحسبان سلامة نية الباحث الكريم وتمنيه الخير للاسلام والمسلمين . والذي نلاحظه ان المرجعية العليا في النجف تتحرج كثيرا في مثل هذه الامور فلا تفرض رأيها فيما يتعلق بالامور العلمية في داخل العراق ناهيك عن خارجه ولا ترضى بان ترفع جهة ما صورها او تهتف باسمها ومن يفعل ذلك فمن تلقاء نفسه ، وتكتفي بان تسدي النصح والتوجيه القويم لمن يستفتيها او من خلال خطبها . هذا هو المعلن والظاهر ، والناس مامورة بظاهر الامور ، ولا علاقة لها بمن يؤل كلامها على هواه او تبعا لطريقته الخاصة ، ومن الناس من يتمنى ان تفعل المرجعية الامر الفلاني او تقوله . وفي الحقيقة هي لم تفعل ولم تقل تلك الامور التي يرغب بها بعض الناس . فهي عالنة انها تقف على مسافة واحدة من الجميع ولا تفضل طرفا على طرف ، وتقول دوما ان الشخص الذي يرضى به العراقيون ترضى هي به ( فيما يتعلق بالانتخابات ) . هذا هو الموقف بشكل صريح لاغموض فيه . ويبدو لي - كما يبدو لآخرين ايضا - انها لاتنشد مصلحة من احد ولا تتسلم راتبا من احد

فهي مكتفية بذاتها ؛ ومن اجل ذلك تراها تقف المواقف الموضوعية . وعليه فلا يصح الاعتماد على من يريد تشويه الحقائق وخلط الاوراق : (( وللاسف فان هناك من لا يريد ان يبحث ويتأكد بنفسه عن الحقيقة فتجده يعرض نفسه لموجات متلاحقة من الافكار الباطلة ، ومثل هذا الانسان يعتبر بعيدا عن الحقيقة وهو يحتاج الى وقت طويل لكي يتخلص من تلك الوسوس والظنون التي تدخل الى القلب مباشرة بمجرد ان تكون المنافذ مفتوحة وبالتالي فان رؤيتنا للحقائق ستكون رؤية مشوهة ))<sup>(٤٧)</sup>

ولطالما نظرت المرجعية العليا في النجف الى ان الحرية حق مشروع ، ولا تجدها متعصبة او متشددة في هذا الموضوع ، وكانت تقرن ذلك باحترام حقوق الاخرين وحياتهم وتريد الالتزام بقانون الدولة ، وانها تدعو الى ذلك باستمرار ، حتى انها رأت ان الدولة واجهتها هي التي يجب ان تحمي المتظاهرين وتحمي الممتلكات العامة والخاصة ؛ ترى ان الدولة هي الجهة المخولة بهذا الامر ، ومن ينظر الى ذلك يجده متطابقا مع رؤية الاسلام المحمدي التي يتفق في كثير من قوانينه مع دساتير العالم المتحضر ، وان يوافقها في جوانب اخرى . وان الاسلام منح الناس حريات واسعة شرط ان لا تضرب بمصالح المسلمين<sup>(٤٨)</sup> ،

ومن الادلة على ذلك ما نقله صاحب وسائل الشيعة بقوله : روى سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : (( الواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعدما يموت امامهم او يقتل ضالا كان او مهديا ان لا يعملوا عملا ولا يقدموا يدا ولا رجلا قبل ان يختاروا لانفسهم اماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضاء والسنة ويجبي فيأهم ويقيم حجهم ويجبي صدقاتهم ))<sup>(٤٩)</sup>

وقول الامام علي ان يختاروا لانفسهم هو عين الحرية التي يتمتع بها الاسلام ، على غرار ما نراه اليوم في الديمقراطية الحديثة ، مع النظر الى شروط يجب ان يتمتع بها المختار من معرفة بالقضاء وورع وغيرها وهي امور ايجابية حقا ، ويجب الا يفرضها المسلمون كما يجب عليهم الا ينساقوا مع رجل لا يقيم حدود الله ويضيع حقوقهم .

## الخاتمة

- ينبغي تلخيص النتائج التي توصل اليها البحث ، ويمكن اجماله بالآتي :
- لاتحيد المرجعية عن الخط الذي رسمه الاسلام جملة وتفصيلا في القضايا التي طرحتها سواء أكان هذا الطرح من خلال خطب الجمعة او من خلال الاستفتاءات .
  - كانت توجيهات المرجعية متنوعة من حيث الطرح فمنها ما يتماشى مع موضوعات الساعة ومنها ما يتعلق بالخطوط العامة التي يمر بها المجتمع العراقي.
  - نجد ان توجيهات المرجعية العليا متقاربة الى حد كبير على مدى عقود من تاريخ العراق المعاصر .
  - انها تلبي نداءات الناس في اية منطقة من العراق ، فراها اعلنت الجهاد العيني ضد الانكليز في الربع الاول من القرن الماضي مع انه صدر من شيخ الاسلام في اصطنبول ، و اعلنت الجهاد الكفائي في القرن الواحد والعشرين .
  - انها لاتنكف تدعو الى الارشاد والتوجيه دون كلل او ملل .
  - انها تدعو الى حفظ ممتلكات الناس الخاصة والى حفظ ممتلكات الشعب العامة.
  - انها تقف على مسافة والحدة من جميع فئات الشعب الواحد .
  - تدعو الى كلمة واحدة تضم جميع اطراف الشعب العراقي ووحدته .
  - تدافع عن حقوق الشعب العراقي كافة .
  - تدعو الى السلم المجتمعي من اجل الحفاظ على حقوق الشعب وصيانة كرامته.
- الملخص:

يدرس هذا البحث "الأثر" المترتب على مزاولة المراجع أعمالهم الشرعية في بناء المجتمع ، وما من شك أنّ هذا الاثر سيكون ايجابيا ؛ لما عرفوا عن هذه الطبقة من الناس به من ورع وسلوك قويم معتمدين على هدف أسمى هو هداية الناس .

ويبرز دورهم الكبير في أيام المحن والشدائد التي تمرّ بالأمة ، إذ يلجأ إليهم الناس طلبا لأمر الفتوى وكيف يتصرفون بناء على مقتضى الحال فيما يتعلق بشؤونهم طبقا للشريعة المحمدية السمحاء . فقد حضّ كبار المراجع على العيش بوئام بين أبناء المجتمع على

اختلاف طبقاتهم وأديانهم فلم يكونوا يعنون بطائفة الشيعة – مثلما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة – مع أنهم زعماء لهذه الطائفة ، بل إنهم يؤكدون على السلم دوماً منطلقين من النص القرآني وسيرة المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة آل البيت الطاهرين . وكانوا يقولون للناس ان الاختلاف بين الاديان مسألة مسألة طبيعية تفرض التعامل معها بعقلانية وإيجابية .

وقد فرض الدين الحنيف العدالة بين أفراد المجتمع ؛ لمعرفة الشارع المقدس بالمخاطر التي تحدد بالامة – في حال فرط الناس بهذا – ويجب الانتباه إلى مسألة مهمة تتعلق بالكوارث المتأتية من الصراع الديني ، فقد مرت شعوب بحروب طاحنة وقع على إثرها الالاف من الناس نتيجة للحروب الدينية والمذهبية ، فهي أخطر ما تكون على الناس ولا سيما إذا استغلها المتصيدون بالماء العكر أو الذين يبحثون على المصالح . وكانت المرجعية تؤكد أيضا من خلال خطبها على الاصل الانساني الواحد من خلال الخلق الاول لادم ومنه خلقت زوجته حواء ؛ وما ذاك إلا لحض الناس على التكاتف والعمل البناء والالتفات إلى ما يجمع الناس على كلمة سواء وعلى مشتركات الانسانية . وكانت المرجعية تتخذ من القرين الكريم وسيرة الرسول(ص) العطرة وآل بيته الاطهار منارا لتوجيه الناس من أجل بنائهم بناء صحيحا غير ذي عوج بعيدا عن الانحراف الذي نراه هذه الايام وما ينجم عنه من فرق ضالة أو متطرفة تؤدي بالنتيجة من نفور الناس من الاسلام وتتخذها حجة للتدخل في شؤون المسلمين وتشتت كلمتهم وتفرقهم من اجل إضعافهم ومن ثم النيل منهم .

الهوامش:

(١) من خطبة الجمعة . الصحن الحسيني بتاريخ: ٢٠١٧/٥/١٩ .

(٢) الحج : ٣٩ .

(٣) ظ : رسالة الشيرازي : إذا قام الاسلام في العراق :

(٤) الاحزاب : ٢١ .

(٥) من خطبة الجمعة : الصحن الحسيني بتاريخ ٢٠١٧/٨/١١ .

(٦) مقالات ودراسات : ١٥ .

- (٧) م. ن. : ١٥ .
- (٨) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٨/١١ .
- (٩) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٨/١١ .
- (١٠) م. ن. .
- (١١) م. ن. .
- (١٢) الحج : ١٧ .
- (١٣) البقرة : ٦٢ . والمائدة : ٦٩ ، بتقديم الصابئين على النصارى ، وفي الايتين لم يذكر المحوس والمشركين الذين ذكرهم في الاية السابقة .ظ : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : ١٠٦ و : ١٠٧ . وذكر الايات التي وردت فيها الاصناف المشار إليها .
- (١٤) البقرة : ٢٥٦ .
- (١٥) من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٨/١١ .
- (١٦) المائدة : ٣٢ .
- (١٧) المائدة : ٣٢ .
- (١٨) المعهد الاسلامي بين الاصاله والتطوير : ١٠٩ .
- (١٩) م. ن. .
- (٢٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢٨/١٧ .
- (٢١) علم النفس الاجتماعي : ١٠٢ .
- (٢٢) ظ : يقظة العرب : ٢٢٢ .
- (٢٣) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ٤ / ١٢٧ .
- (٢٤) ظ : شكيب أرسلان : ١٣٢ .
- (٢٥) شيعة العراق وبناء الوطن : دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال : ٤٦٦ .
- (٢٦) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ٤٣/٦ .
- (٢٧) أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف : ١٣١-١٣٢ .
- (٢٨) م. ن. : ١٩٩-٢٠٠ .
- (٢٩) م. ن. : ٢٩٧ .
- (٣٠) أساطين المرجعية العليا : ٢٩٧ .
- (٣١) الفكر السياسي الشيعي : ٢٧١ .
- (٣٢) الامام زيد : ٩٠ .

- (٣٣) ظ: عبقرية الامام علي : ٤١ .
- (٣٤) ظ : الامام زيد : ٤٣ . وظ ايضا : الشيعة والحاكمون : ٧ .
- (٣٥) العنكبوت : ٦٤ .
- (٣٦) تفسير الميزان : ٩٢/٤ .
- (٣٧) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٥/١٩ .
- (٣٨) النساء : ١ .
- (٣٩) ظ : من خطبة المرجعية في الصحن الحسيني بتاريخ : ٢٠١٧/٨/١١ .
- (٤٠) ظ : رسالة الجاحظ في المفاخرة بين السودان والبيضان .
- (٤١) المرجعية الدينية درع الامة قراءة وتحليل في مواقف المرجعية تجاه التيارات المنحرفة والاحادية : ٤٤٦ .
- (٤٢) م . ن : ٤٤٧ .
- (٤٣) المرجعية الدينية درع الامة : ٤٤٧ .
- (٤٤) دور المرجعية في التصدي للحركات الاحادية والتيارات المنحرفة : ٦٣ .
- (٤٥) م . ن : ٦٨ .
- (٤٦) م . ن : ٦٨ . ونقل من : مباحث الاصول لكاظم الخائري : ٩٣/١ .
- (٤٧) المعهد الاسلامي : ١٩٧ .
- (٤٨) ظ : فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين : ٣٥ ، وظ : المدخل للعلوم القانونية : ١٤٠ .
- (٤٩) وسائل الشيعة : ١٤/٦ .

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم . --

- أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف : الدكتور محمد حسين علي الصغير .  
مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت - لبنان . ط ١ ٢٠١٢ م .
- الامام زيد : محمد ابو زهرة . دار الفكر العربي القاهرة . ١٩٧٤ .
- تفسير الميزان : الطباطبائي . منشورات مؤسسة النشر الاسلامي . قم . (د.ت) .
- رسائل الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هرون .  
الفكر السياسي الشيعي الاصول والمبادئ . د . حسن عباس حسن . الدار العالمية للطباعة  
والنشر والتوزيع . ط ١ ١٩٨٨ .

- فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين دراسة مقارنة . د. محمد شريف احمد . دارالرشيد . بغداد . ١٩٨٠ .
- عبقرية الامام علي . عباس محمود العقاد . دار المعارف القاهرة . ط ٤ . ١٩٧٦ .
- علم النفس الاجتماعي . د . حامد عبد السلام زهران . عالم الكتب . القاهرة . ط ٥ . ١٩٨٤ .
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . د. علي الوردي : مطبعة الارشاد بغداد . ١٩٦٦ .
- شكيب أرسلان : محمد شفيق شيا : بيروت- دار الانماء العربي : ١٩٨٣ .
- شيعة العراق وبناء الوطن : دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور وحتى الاستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢ . د . محمد جواد مالك : مؤسسة الاعلمي بيروت ٢٠١٢ .
- الشيعة والحاكمون : محمد جواد مغنية . المكتبة الاهلية . بيروت - لبنان \_ دون تاريخ .
- مباحث الاصول . كاظم الحائري . دار البشير . قم المقدسة . ط ١ ١٤٢٨ هـ .
- المدخل للعلوم القانونية . د. جعفر الفضلي ود. منذر عبد الحين الفضل . جامعة الموصل . ١٩٨٧ .
- المرجعية وأثرها في بناء الانسان . المؤتمر العلمي الدولي . المحور الفكري-القسم الاول . ٢٠١٩ .
- المرجعية وأثرها في بناء الانسان . المؤتمر العلمي الدولي . المحور الثقافي-الجزء السادس . ٢٠١٩ .
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة . محمد بن الحسن الحر العاملي . مؤسسة اهل البيت لاهياء التراث . قم المقدسة . ١٤١٤ هـ .
- يقضة العرب جورج انطونيوس ترجمة د . ناصر الدين الاسد ود . إحسان عباس بيروت - دار العلم للملايين ط ٧ ١٩٨٢ .

## دور المرجعية الرشيدة الرقابية في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٩م

أ.د. عماد هادي عبد علي- كلية التربية بنات/ جامعة الكوفة

أ.د. حسن كاظم أسد الخفاجي- كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

أولت المرجعية الدينية أهمية كبرى على سلوك أبناء الأمة والتزامها بأحكام الشرع الشريف، لذلك بعثت وكلائها إلى المناطق المختلفة لتثقيف المجتمع بمفاهيم العقيدة وأحكام الشريعة من أجل تحقيق الإصلاح والهداية إلى الله في حركة المجتمع العراقي معتمدة على دور المؤسسات الدينية في المساجد والحسينيات فضلاً عن الأندية الثقافية كالجمعيات الدينية الثقافية المختلفة، فكانت المرجعية الدينية ترعى وتراقب الأنشطة السياسية في العراق لاسيما خلال المدة التي أعقبت سقوط النظام عام ٢٠٠٣م من خلال المراقبة والتوجيه ونشر الروح الوطنية الصادقة في نفوس أبناء الشعب العراقي.

مثلت التوجيهات الدينية للمرجعية عاملاً حاسماً ومهماً في توجيهات الشعب العراقي فضلاً عن توجيه مسار السياسيين والدولة في خدمة المجتمع، إذ كانت فتاوى المرجعية سنداً حقيقياً في بناء الدولة العراقية رغم ان المرجعية الدينية لم تمتلك جهازاً تنفيذياً لمحاكمة المتجاوزين، إلا أن الأمة التزمت بإرشاداتها وأوامرها بعنوان تكاليف شرعية لا يجوز العمل خلافها.

فالمرجعية الرشيدة لا تتدخل في تفاصيل العمل السياسي بل تترك المجال واسعاً للقوى السياسية للقيام بذلك، وإنما تتدخل في القضايا المصيرية التي تعجز القوى السياسية عن التعاطي معها أو تقديم حلول نهائية لها. كما وان المرجعية تؤمن بالتعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد باختلاف أطيافهم وأديانهم، بتأصيلها منهج عملي يبتعد عن الشكليات غير المنتجة لحساب المضمون الذي يكرس ثقافة التعايش والاحترام المتبادل. فضلاً عن إنها تؤكد على احترام مؤسسات الدولة التي لا بديل عنها في قيام وطن حر ومستقل، وهذا يسري على كافة التنظيمات العسكرية والأمنية والسياسية والإدارية والاجتماعية وغيرها، كما أنها تؤمن بترك لأهل الحل والعقد في كل بلد تدبير شؤونهم،

ولا تتدخل في قضاياهم إلا إذا طُلب منها ذلك ورأت أن لتحركها ثمرة مفيدة وفق الظروف والمعطيات الموجودة.

أعتمد البحث على جملة من المصادر أهمها كتاب عباس جعفر محمد الإمامي المعنون (الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث) والمطبوع في بيروت عام ٢٠١١م، والذي يعد من أهم المصادر التي تابعت دور المرجعية الرقابية في فصوله المتنوعة، كما اعتمد البحث على كتاب حامد الخفاف المعنون (النصوص الصادرة عن سماحة السيد علي السيستاني في المسألة العراقية)، وفيه إجمالاً نصوصاً صدرت عن السيد السيستاني في متابعة الأوضاع السياسية في العراق خلال تلك المدة، ومصادر أخرى لا تقل أهمية.

وكانت خطة البحث على ثلاث مباحث، فتكفل المبحث الأول على الخلفية التاريخية للدور الرقابي للمرجعية الدينية في العراق، والمبحث الثاني تولى دراسة دور المرجعية الرقابية في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٩م، والمبحث الثالث تضمن دراسة رقابة المرجعية على سياسة سلطة الاحتلال الأمريكي في العراق، ثم الخاتمة وقائمة المصادر.

المبحث الأول:

الخلفية التاريخية للدور الرقابي للمرجعية الدينية في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية: تعود جذور الدور الرقابي للمرجعية الدينية إلى بدايات تأسيس الدولة العراقية، فقد كان للمرجعية دوراً كبيراً في متابعة الاحتلال البريطاني للعراق لاسيما حركة الاحتلال البريطاني لإفقاد المجتمع هويته تحت تأثير الدستور والتحديث، إذ تفاعل الدور الرقابي للمؤسسة الدينية وكان دورهم بارزاً في إدراكهم المباشر في التحفظ على تنصيب الملك فيصل ملكاً على العراق فقد أدرك البعض من المراجع أن الملك يمثل استمرار الوجود البريطاني في العراق، وكذلك حسمهم المبكر في تعزيز الوحدة الوطنية في العراق عندما عززت إقامة احتفالات شيعية سنوية مشتركة لا سابق لها في البلاد، وكانت هذه الاحتفالات دينية في ظاهرها وسياسية حيث أقيمت في مساجد الشيعة والسنة<sup>(١)</sup>.

أبدت المرجعية الدينية قدرة كبيرة في متابعة أوضاع البلاد في فترة الانتداب البريطاني من تشرين الثاني سنة ١٩٢٠م، إذ بدأت حقبة جديدة في تاريخ العراق السياسي عملت فيها المرجعية على إبداء رأيها ولاسيما في تأسيس المجلس التأسيسي إذ أسهمت فتاوى المجتهدين ضد المشاركة في انتخابات المجلس، ما لم تستجب الحكومة للمطالب الآتية:

- أ- إلغاء الإدارة العرفية.
- ب- إطلاق الحريات لاسيما المطبوعات والاجتماعيات.
- ت- سحب المستشارين البريطانيين من الأولوية والمحافظات إلى بغداد.
- ث- إعادة المنفيين السياسيين.

ج- السماح بتأسيس الجمعيات السياسية<sup>(٢)</sup>.

أبدت المرجعية قدرة هائلة على رصد الأحداث السياسية في العراق، ما اضطر السلطات إلى إبعاد المراجع المجتهدين إلى إيران عام ١٩٢٣م، فقد قامت الحكومة العراقية بتفسير عدد من المراجع والعلماء بسبب موقفهم من القضايا السياسية في العراق كالاتخابات والاتفاقية البريطانية العراقية وغيرها من القضايا الأخرى، فقد قام بعملية التفسير وزير الداخلية عبد المحسن السعدون وقد شملت التفسيرات عددا من المراجع والعلماء، منهم السيد الأصفهاني والشيخ النائيني والشيخ الخالصي بحجة تدخلهم في السياسة العراقية<sup>(٣)</sup> إلا إن السلطات تراجعت عن قرارها وإعادتهم إلى البلاد شرط أن يتعهدوا بعدم التدخل في السياسة<sup>(٤)</sup>، ويبدو أن المرجعية توجت متابعتها ومراقبتها للأحداث السياسية في البلاد بإصدار قرارات وفتاوى دقيقة عبرت عن رؤيتها في خدمة البلاد بأفضل واسلم الطرق<sup>(٥)</sup>.

تابعت المرجعية رصدها للأمور السياسية الخارجية بنفس القدر في متابعتها للقضايا الداخلية إذ كان لها دور كبير في المشاركة مع الجماهير في التصدي والتحمل لأنماط المشكلات والمحن التي طالت الأمة جميعا والمجتمع الشيعي خصوصا مع استمرار موجات الاستعمار واحتلال العالم العربي والإسلامي وما تعرض له المسلمون من القتل والإساءة والاستباحة والتهجير والنهب الممنهج على أيدي جيوش الأوربيين

المغتصبة، وكانت المواقف المشرفة للحوزات العلمية والمراجع الكرم من القضية الفلسطينية والفتوى المبكرة بضرورة الدفاع عن فلسطين وأهلها منذ عام ١٩٣٢م<sup>(٦)</sup> وحتى اليوم الحاضر مثل التصدي الكبير للمرجعية في المجال الفكري والثقافي الأنموذج الثقافي الإسلامي، إذ كان العبي الأكبر في ذلك يقع عليها بسبب وظيفتها العلمية والفكرية والثقافية التي حتمت عليها الصمود في وجه موجات التغريب التلقائية والمخطط لها معا<sup>(٧)</sup>.

ويمكن بيان استراتيجيات الحوزة في التصدي للتحديات الفكرية والثقافية التي فرضها الاتصال بالغرب في ثلاث من السلوكيات الآتية:

١- التواجد في الساحة ومراقبة كل التطورات على الصعيد الثقافي والاجتماعي والسياسي لاسيما ما يتعلق منها بالنماذج الثقافية والفكرية الغربية ونقدها ومراقبتها بشكل علمي ودقيق.

٢- بناء الثقة بين المرجعية والناس في كافة المستويات في خلق جو من الإيمان بالمرجعية ودورها والثقة بقراراتها رغم الهجوم الشرس عليها من مختلف الأصدقاء لاسيما الهجمات التي تعرضت لها من خارج البلاد بحجة التحديث والتطور والتمدن.

٣- استثمار المسؤولية الأخلاقية والشرعية والوطنية في الحفاظ على الأمة والمجتمع والوطن وقد مثلت هذه الاستراتيجيات وأسست لدور العلماء الكبير في المراحل الحساسة من تاريخ البلاد ومن التصدي بنجاح للتحديات الخارجية والداخلية<sup>(٨)</sup>

اتجهت المرجعية إلى مراجعة قواعدها الفكرية والعلمية لتثبيت أركان ودعائم الفكر الشيعي وهي دلالة واضحة على دقة عمل المرجعية الدينية في هذا الاتجاه لتصبح أكثر مقبولة وأكثر دقة لكافة العراقيين وفي الوقت نفسه عملت المرجعية على زيادة دورها الرقابي لأحداث العراق من خلال مكافحة ومتابعة انتشار الفكر الشيعي في العراق وذلك من خلال إصدار الفتاوى الخاصة بمكافحة ذلك الفكر الذي انتشر في البلاد بشكل متسارع وأثر على القاعدة الدينية في البلاد ما استدعى موقفا حازما في المرجعية بخصوص ذلك، ويمكن القول أن المرجعية الدينية ضاعفت من جهودها الرقابية خلال

المدة من عام ١٩٦٨م حتى عام ٢٠٠٣م، خلال عهد سماحة السيد أبو القاسم الخوئي<sup>(٩)</sup>، والسيد السيستاني وذلك في العام ١٩٧٠م بسبب اكتفاء الدستور المؤقت الجديد بالنص على (الإسلام دين الدولة)، في حين كان في نسخة عام ١٩٦٨م المتضمنة لإشارات عديدة للإسلام<sup>(١٠)</sup>.

سعت المرجعية الدينية خلال المدة السابقة رفع عدم قدرتها على إصدار الفتاوى الواضحة الخاصة بالشأن السياسي إلى زيادة ارتباطها بقاعدتها الشعبية ورغم صعوبة ذلك إلا أنه قامت بتزويد الطلبة في مختلف مناطق العراق بفتاوى عديدة فيما يخص أحوالهم الدينية والاجتماعية مما عزز قدرتهم على مواجهة التحديات الوجودية في تلك المدة ويمكن القول أن المرجعية الدينية خلال القرن العشرين واجهت صعوبات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع أهمها:

١- قدرة المرجعية على متابعة الأفكار الشاذة الدخيلة ورصدها وإصدار الفتاوى الخاصة ومتابعتها.

٢- رصد المرجعية بشكل دقيق للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد وإصدار الفتاوى لمعالجتها في مختلف مراحل تاريخ البلاد.

٣- كانت هناك ضغوطات على المرجعيات الدينية كبيرة في ممارسة دورها في البلاد متعرضة لأشكال مختلفة من الضغوطات كالتهمير القسري عام ١٩٢٣م، ومتابعة السلطات المختلفة لأدوارهم الدينية، وكذلك ممارسة القتل ضدهم في ظل أشكال مختلفة من الأنظمة بأيدولوجياتهم المتنوعة<sup>(١١)</sup>.

المبحث الثاني:

دور المرجعية الرقابية في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٩م.

أدت المرجعية دورا كبيرا في مراقبة الأوضاع السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣م وكانت هذه الرقابة رقابة معنوية وإرشادية التزم بها الشارع العراقي في أحيان كثيرة فكانت مراقبة المرجعية نافذة في أحيان كثيرة على الشعب والحكومة.

أولاً: الفتنة الطائفية:

سعت المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف بكل ما أوتيت من قوة وهيبة في نفوس الناس بالوقوف أمام الفتنة الطائفية والحرب الأهلية العامة في عام ٢٠٠٦م بعد حادثة تفجير مرقد الأماميين العسكريين في سامراء في ٢٢ شباط ٢٠٠٦م ولأجل ذلك عملت المرجعية على :

أ- إصدار بيان أدان فيه الجريمة النكراء معبراً أن الهدف الذي أراده التكفيريين من خلال التفجير هو إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي لتتاح الفرصة الوصول إلى أهدافهم<sup>(١٢)</sup>.

ب- دعا مكتب المرجعية الدينية المؤمنين إلى أن يعبروا عن احتجاجاتهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات وذلك من خلال الأساليب، ودعا بيان المرجعية إلى توخي عدم الانجرار إلى الفتنة الطائفية<sup>(١٣)</sup>.

وقعت في تموز ٢٠٠٦م الفتنة والقتال الداخلي في العاصمة بغداد، كما وقعت عمليات التهجير القسري للسكان من بيوتهم لأسباب طائفية ولأجل إيقاف نار الفتنة العمياء أصدرت المرجعية الدينية رسالة خاصة بعنوان (رسالة إلى الشعب العراقي حول الفتنة الطائفية)، ودعا فيها الشعب إلى الاعتصام بالوحدة وعدم التفرقة معبراً عن عميق حزنه وألماً يعتصر قلبها محذراً الشعب العراقي من شرك الفتنة الطائفية قائلاً: ((لقد كنت ومنذ الأيام الأولى للاحتلال حريصاً على أن لا يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العvisية من تاريخهم دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية مدركاً عظم الخطر الذي يهدد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة))<sup>(١٤)</sup>.

ناشدة المرجعية أصحاب الرأي وقادة الشعب من كل الطبقات مراقبة الأوضاع التي خلفتها الاحتلال الأمريكي وبذل الجهود لإيقاف مسلسل العنف الذي ضرب البلاد قائلاً: ((أناشد كل المخلصين والحريصين على وحدة هذا البلد ومستقبل أبنائه... بان يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي))<sup>(١٥)</sup>، وان المرجعية في مراقبتها هذه تنظر بعين المسؤولية إلى استمرار العنف بين مكونات المجتمع هي من أهم

الأسباب المؤثرة لإدامة الاحتلال للبلاد، ويؤثر على استقرار الأوضاع ويؤخر النمو في مجالات الحياة المختلفة.

راقبت المرجعية الدينية الهجمة الإعلامية التي تعرض لها المكون الشيعي من الشعب العراقي من خلال الهجمات الإعلامية التي شنتها وسائل إعلامية معينة متهمه إياهم بان ولائهم ليس لأوطانهم وردا على ذلك في ٢٠٠٦/٤/٩ في رسالة محدودة معتبرا أن هذه الأجهزة الإعلامية متجاهلة بحقائق التاريخ وذكروهم بجهاد الشيعة في العراق والدول الأخرى ضد الاحتلال والاستبداد ودفاعهم عن أوطانهم<sup>(١٦)</sup>.

وقد اعتبرت المرجعية هذه التصريحات خطرا بالغا في تأجيج الصراع الطائفي والعربي في العراق بعد الاحتلال الأمريكي وان هؤلاء السياسيين ووسائل إعلامهم يساعدون في زعزعة استقرار العراق وتفتيت وحدته الوطنية.

تميزت الرؤية الوطنية للمرجعية الرشيدة بقابلية وقدرة على مراقبة ومتابعة الأوضاع في العراق بشكل بالغ الدقة ومتابعة ومعالجة الأوضاع الخاطئة فيه في سبيل المحافظة على النسيج الوطني العراقي بشكل دقيق وحكيم.

ثانيا: الثقافة العراقية

راقبت المرجعية الدينية الهجمات الثقافية التي تتعرض لها ثقافة الشعب العراقي إلى جانب الهجمات السياسية، فأظهرت المرجعية هاجسا كبيرا في جوانب لها على سؤال مجلة بولندا الأسبوعي والتي تسالت : ما هو الخطر الكبر الآن على بلادكم؟ فأجاب السيد السيستاني قائلا: ((خطرا محو الثقافة الدينية والوطنية))، وبالتالي يتضح وبدقة مراقبة ومتابعة المرجعية للأوضاع ليس السياسية فحسب بل الثقافية ومدى تاثر المجتمع بالأفكار الواردة مع الاحتلال وما نشره الارهابيون من ثقافة تكفيرية وارهابية بواسطة الاعلام المنفتح بلا حدود شرعية وقانونية، فأظهرت المرجعية تحوفاها على مستقبل ثقافة الشعب الدينية والوطنية من ناحية وقد عكس جواب المرجعية شدة انتباهها واهتمامها بهذه الأمور واعتبرها الأساس لبناء مجتمع قوي وسالم من آفات الأفكار الوافدة المؤثرة سلبا في طبيعة الشعب العراقي<sup>(١٧)</sup>.

عملت المرجعية الدينية على تعزيز رؤيتها الرقابية على تقديم نصائحها وإرشاداتها في توجيه العملية السياسية بعد سقوط النظام في بغداد في نيسان ٢٠٠٣م نحو تحقيق المصالح العراقية العامة، فقد كان السياسيون العراقيون بكل توجهاتهم السياسية يستأنسون بآرائها بصورة عامة مع عدم الإلزام لهم بآرائهم ومع عدم قدرتهم أو رغبتهم في الالتزام بآرائها في معظم الأحيان، وقد حرصت المرجعية أن لا تمارس دورا في السلطة والحكم مما عزز قدرة المرجعية الرشيدة على عراقية العلاقة بين الشعب والحكومة إذ أكدت بمسؤولية كبيرة على تأسيس الدولة العراقية ابتداء من كتابة الدستور الذي عدته العمود الفقري للدولة والحكومة وحرصت المرجعية على أن يكون الانتخابات هي الطريقة السليمة لإشراك الشعب في تحديد مصير البلاد وإخراجه من أزمات السياسة المتكررة، مدركا إدراكا كاملا من منع أية جماعة من أن تسلط على مقدرات البلاد لأي سبب من الأسباب وليتمكن الشعب من حكم نفسه وبياراته بعيدا عن الانقلابات العسكرية والضغط الخارجية فضلا عن حرصه على مراقبة الدوائر السياسية المحلية والإقليمية والدولية.

المبحث الثالث:

رقابة المرجعية على سياسة سلطة الاحتلال الأمريكي في العراق. أثبتت المرجعية قدرتها على مراقبة ما تقدم به سلطات الاحتلال من ممارسات مادية أو قانونية وتعاملت معها على أساس المصالح العامة للشعب قدر الإمكان فضلا عن قرار مبدأي يتمثل بعدم التعامل واستقبال المسؤولين في سلطات الاحتلال والتواصل معهم أو اللقاء بهم كموقف مبدأي ثابت رغم محاولات الممثلين التواصل معهم وإقحامه في العملية السياسية في البلاد<sup>(١٨)</sup>.

تعارض موقف المرجعية في الكثير من المواقف مع سلطات الاحتلال، إذا فشلت المرجعية الكثير من الخطوات الأمريكية والسياسيات التي كان مقررا إجرائها بخصوص جعل العراق دولة تابعة في فلك الأمريكي، ومع ذلك استمرت المرجعية في مراقبة الاحتلال الأمريكي في العراق، فقد أدانت المرجعية مثلا سياسة القمع والقوة التي استخدمتها

قوات الاحتلال عام ٢٠٠٤م في أحداث مدينة النجف فأدانت الممارسات والأساليب داعية جميع الفرقاء إلى معالجة الأمور بحكمة وعبر الطرق السلمية لمنع إراقة الدماء بما نصه: ((إننا نشجب أساليب قوات الاحتلال في التعامل مع الحوادث الواقعة كما ندين التعدي على الممتلكات العامة والخاصة وكل ما يؤدي إلى الإخلال بالنظام ويمنع المسؤولين العراقيين من أداء واجبهم في خدمة الشعب وندعو إلى معالجة الأمور بالحكمة وعبر الطرق السلمية والامتناع عن أي خطوة تصعيدية تؤدي إلى المزيد من الفوضى وإراقة الدماء وعلى القوى السياسية والاجتماعية أن تساهم بصورة فعالة في وضع حد لهذه الماسي))<sup>(١٩)</sup>.

ساهمت المرجعية وبشكل واضح في مراقبة القوانين التي صدرت خلال مدة الاحتلال الأمريكي لاسيما بعد عام ٢٠٠٣م، وتأكيدا لمراقبة المرجعية للجوانب الإدارية التي صدرت من قبل قوات الاحتلال هو اعتراضه على اتفاقية ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٣م والتي تم الاتفاق فيها بين سلطة الاحتلال المتمثلة بالسفير بول بريمر<sup>(٢٠)</sup> ومجلس الحكم العراقي على جدول زمني لنقل السلطات ومضت على صياغة دستور وتشكيل حكومة مؤقتة قبل حزيران ٢٠٠٤م وتنظيم انتخابات قبل نهاية ٢٠٠٥م، وقد تحفظت المرجعية وبوحي من مراقبتها الشديدة للأوضاع في العراق وتحركات القوات المحتلة، وكانت تحفظات المرجعية كالأتي:

١- أنها تبنتي على إعداد قانون إدارة الدولة العراقية للفترة الانتقالية من قبل مجلس الحكم بالاتفاق مع سلطة الاحتلال وهذا لا يضمن عليه الشرعية بل لا بد لهذا الغرض من عرضه على الشعب العراقي لإقراره.

٢- أن الآلية الواردة فيها الانتخابات أعضاء المجلس التشريعي الانتقالي لا تضمن تشكيل مجلس يمثل الشعب العراقي تمثيلا حقيقيا فلا بد من وضع آلية منبثقة من إرادة العراقيين وتمثلهم بصورة عادلة ولعل بالإمكان إجراء الانتخابات اعتمادا على البطاقة التمثيلية<sup>(٢١)</sup>.

٣- التأكيد على عدم شرعية قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية في العراق الذي سنه الاحتلال الأمريكي كدستور مؤقت.

٤- الرجوع إلى أهل الاختصاص من العراقيين والاستفادة في هذا المجال للوصول إلى نتيجة مشتركة حولها.

٥- اقترحت المرجعية استدعاء فريق دولي للتدقيق في هذا الشأن للاستعانة بأرائهم. ويمكن الإشارة إلى أهمية مراقبة المرجعية لقانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية نظرا لأهمية هذا الأمر في حيه وفي المستقبل السياسي للعراق وصولا إلى حقيقة الموقف، ويلاحظ قدرة المرجعية على مراقبة الأوضاع نظرا لأهميته القصوى بتجديد المستقبل العراق دستوريا وسياسيا، وقد بينت المرجعية رأيها بوضوح بتاريخ ٨ آذار ٢٠٠٤م حول القانون المذكور المكتوب أميركيا في نص جاء به: ((لقد سبق لسماحة السيد ان أوضح تحفظه على اتفاقية ١٥ تشرين الثاني أن أي قانون بعد الفترة الانتقالية لن يكسب الشرعية إلا بعد المصادقة عليه في الجمعية الوطنية المنتخبة ويضاف ذلك إن هذا القانون يضع العوائق أمام الوصول إلى دستور دائم للبلد يحفظ وحدته وحقوق أبنائه من جميع الأعراق والطوائف))<sup>(٢٢)</sup>.

ويمكن القول أن مراقبة المرجعية لسياسات الاحتلال ومواقفه كانت صمام أمان لمصالح الشعب العراقي والمرشد الناصح للسياسة العراقيين بان يضعوا المصالح العامة للشعب والوطن نصب أعينهم في اتخاذ القرارات المصيرية، برغم ان من بين السياسيين لم يعط الاهتمام اللازم لمواقف المرجعية الوطنية ومراقبتها للأوضاع لحساب مصالحهم الخاصة<sup>(٢٣)</sup>

تابعت المرجعية دورها الرقابي للأحداث في العراق بعد ان استشعرت خطر هجوم داعش في العراق ووصله إلى مشارف بغداد فأصدرت بتاريخ ١٤/٦/٢٠١٦م قرار الجهاد الكفائي والذي أسهم في دفع خطر العدو وحماية الأنفس والأموال والأعراض والمقدسات بالتصدي الفعلي من قبل المجاهدين المتطوعين للقتال لرد وضرب العصابات

الداعشية الإجرامية وإلحاق الهزيمة لها، وتحرير المدن التي سيطرت عليها فتجلت الحكمة واقعا وثمارا، ويمكن تحديد أهمية الرقابة ودورها في هذا القرار.

١- متابعة المرجعية الدقيقة أدت إلى إصدار هذا القرار المناسب والذي احتاجه البلد حماية لكل العراقيين بكل فئاتهم وأطيافهم.

٢- في الجانب الاجتماعي للفتوى، إذ قدمت الفتوى حصانة اجتماعية أسهمت بقدر كبير في حفظ السلم الأهلي ووحدة المجتمع، رغم اختلاف مكوناته دينيا ومذهبيا، و بالتالي فإن الفتوى أفشلت مخططا يقسم البلاد على أساس طائفي وقومي.

٣- للفتوى بعدا عقائديا وأخلاقيا وقيميًا ووطنيا من قبل المجاهدين الأبطال، إذ رسخ روح الدفاع والمقاومة والرفض للعدو المنحرف عقائديا وسلوكيا وأخلاقيا<sup>(٢٤)</sup>.

عدت الرقابة من أهم سمات وخصائص المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف، وقد تعززت الرقابة للقيام بالدور الوطني الضروري تعززي باستقلالية الرؤية والقرار من هذه المؤسسة عبر تاريخها الطويل والممتد منذ عصر الغيبة حتى الوقت الحاضر، إذ كان الاستقلال الاستراتيجي أكبر الأثر في فاعلية العلماء المجادين وأثرهم المادي، والمعنوي على المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية في العال الإسلامي، وإن استقراء تاريخ المرجعيات الدينية والعلماء في مجال تحقيق الانجازات والتصدي للتحديات يقدم شاهدا حاسما على ذلك<sup>(٢٥)</sup>.

استند تأسيس الحشد الشعبي ومنح المشروعية له على جميع المستويات بعد صدور الفتوى المرجع السيستاني بالجهاد الكفائي ضد الأعداء العراق من الطائفيين الذين يمثلون تهديدا وجودي للإسلام والمسلمين وغيرهم من سكان العراق من المسيحيين والأيزيديين والصابئة ومن هنا كان لابد من ابراز دور حوزة النجف والعلماء في هذا المجال من حركة الأمة نحو التغيير والبناء الحضاري والثقافي في المجتمع والجمع بين الأصالة والمعاصرة، إذ اعتمدت فتوى المرجعية على مراقبة دقيقة للأوضاع وإحساس عال بعظم المسؤولية التي تتحملها في مختلف المجالات الحيوية الثقافية والسياسية والمنية والاجتماعية<sup>(٢٦)</sup>.

ويمكن بيان استراتيجيات الحوزة في التصدي للتحديات السياسية والثقافية التي فرضها الاحتلال الأمريكي في سلوكيات اتبعتها سلطات الاحتلال وهي:

- ١- إذلال أهل البلاد وتسخيرهم في خدمة المصالح الأمريكية.
  - ٢- مواجهة واستبعاد الإسلام الأصيل من خلال استبعاد دور العلماء والعاملين في المخلفين بشكل مؤثر للتخلص من الإسلام الأصيل ودوره الحضاري والثقافي<sup>(٢٧)</sup>.
- عززت المرجعية إحساسها ورقابتها لهذه السلوكيات التي اتبعتها سلطات الاحتلال من خلال تواجدها الجهادي في الساحة المعرفية وبيان موقفها الشرعي للأصيل للإسلام في مقابل السياسات الثقافية والفكرية التي اتبعتها سلطات الاحتلال من خلال التوضيح والتسليط للرؤى الأمريكي ومتابعتها<sup>(٢٨)</sup>.

عملت المرجعية الدينية على بناء الثقة بينها وبين أبناء الشعب وعلى كافة المستويات، إذ كانت واحدة من خطط الأمريكان التخلص من دور العلماء وأثرهم الفكري والاجتماعي والسياسي والتي تتمثل في إلغاء أو تحجيم دور رجال الدين وقتل الثقة فيما بينهم وبين الشعب عبر القنوات الفضائية ونشر الدعايات كواحدة من الاستراتيجيات الأمريكية في البلاد ومن ثم إيجاد الشك في مجمل الفضاء الإسلامي كمجتمع أو قادة، إذ سعى الأمريكان إلى زراعة عدم الثقة في صفوف الجميع فكان دور المرجعية من أهم الأدوار من العلماء الواعين وعلى امتداد الخط الجهادي والذي تمثل في بناء جسور الثقة بين المرجعية والمجتمع عن طريق الابتعاد عن الأهداف النفعية للسياسيين في السلطات التنفيذية والتشريعية وما صاحبها في دسائس ومؤامرات وصفقات مشبوهة، أو الدخول في المصالح الاقتصادية والتجارية القائمة على المنافسة التي لا تناسب مع قدسية العلم والعلماء<sup>(٢٩)</sup>.

مثل بناء عنصر الثقة الذي سعت إليه المرجعية الرشيدة في مدة الاحتلال الأمريكي عنصراً أساسياً كان يجري من خلال:

- ١- الالتزام الصادق والحقيقي والواعي بالشرع والأحكام الإسلامية والأعراف الاجتماعية.

٢- الالتزام بالعدالة الاجتماعية كجزء أساسي من فكر العلماء.

٣- الالتزام على حب الله تعالى ليس حبا دنيويا<sup>(٣٠)</sup>.

شكلت المسؤولية الدينية والشرعية والأخلاقية والوطنية في الحفاظ على الأمة والمجتمع والوطن وعلى بناء الدولة ومؤسساتها إحدى نتائج متابعة المرجعية الدينية ومراقبتها، لذا سعت المرجعية إلى الحفاظ على ارواح ودماء الناس وأعراضهم وأموالهم، ومواجهة المستبدين والمفسدين وهو مقتضى الإيمان السليم الراسخ إذ سعت المرجعية على محاولة:

١- إنهاء الطائفية في الفكر والعقول والسلوك والتعامل والتي رسخها المحتل الأمريكي والتي لم يعرضها العراق بهذه الصيغة من قبل في تاريخه وقد وصفهم السيد السيستاني (بأنهم أنفسنا)، وليس إخوتنا.

٢- وقد حذرت المرجعية من الانجرار في الفتنة الطائفية وذلك لما فيها من الخدمة المجانية للمحتل الأجنبي والذي هدف إلى تأجيج الصراعات وخلط الأوراق وتضييع الحق. الخاتمة:

١- امتلكت المرجعية رصيدا كبيرا من المعرفة والالتزام بمبادئ الإسلام في معرفة وتابعة أوضاع المجتمع العراقي في مختلف مراحل تاريخه في العهد الملكي والجمهوري والحقبة المتأخرة التي سبقت الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، إذ كانت حريصة على متابعة التطورات السياسية في البلاد في العهود الملكية والجمهورية وبعد احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية فكانت مجسدا نابضا في متابعة حركات المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

٢- حرصت المرجعية بعد متابعة والمراقبة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على إصدار فتاوى دقيقة امتازت بجرصها على النسيج الوطني والاجتماعي بين مكونات البلاد ومراعاة مصالح العراقيين جميعا بمختلف طوائفهم ومكوناتهم القومية والدينية والعرفية فكانت صماما وميزانا يضبط حركة المجتمع.

٣- تتمثل أهمية رقابة المرجعية في معرفة مدى التزام الأطراف بتوجيهاتها وآرائها وتأثير ذلك الالتزام في حياة الشعب بشكل عام، إذ عملن الطبقة السياسية بمختلف أطرافها على إهمال نصائح المرجعية وعدم الالتزام بها ما سبب مشكلات معقدة عانى منها الشعب العراقي سياسيا وثقافيا واجتماعيا.

٤- سعت المرجعية إلى تحقيق آثار المراقبة إلى تحقيق العدالة في حياة الأمة أفرادا وجماعات بدأ من الرقابة على دوائرها الخاصة ثم المجتمع والسلطة، من خلال تحذير بالوقوع لما لا يحمد عقباه لأنها وظفت كل طاقاتها وإمكاناتها لتحقيق مصالح المة في دينها وديناها.

الملخص:

مثلت التوجيهات الدينية للمرجعية عاملا حاسما ومهما في توجيهات الشعب العراقي فضلا عن توجيه مسار السياسيين والدولة في خدمة المجتمع، إذ كانت فتاوى المرجعية سندا حقيقيا في بناء الدولة العراقية رغم أن المرجعية الدينية لم تمتلك جهازا تنفيذيا لمحاسبة المتجاوزين، إلا أن الأمة التزمت بإرشاداتها وأوامرها بعنوان تكاليف شرعية لا يجوز العمل خلافها.

فكان دور المرجعية في المشهد السياسي، واضح الحدود واضح التدخل والتوقيت كان للمرجعية العليا أدوار مختلفة منذ سقوط النظام السابق في نيسان ٢٠٠٣ وليومنا هذا، فقد أخذت المرجعية الرشيدة بزمام المبادرة بإصدارها الفتوى الدستورية المهمة التي أرست دعائم بناء الدولة العراقية الحديثة وفق النظام الجديد الذي يعتمد التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع، كما حث العراقيين على الاشتراك في الانتخابات لتقرير مصيرهم بأيديهم، وعلى احترام القانون والحفاظ على المال العام.

وتدخلت المرجعية العليا مرات عديدة لإيقاف التدهور الأمني، مستخدمة قوتها الحكيمة والرشيدة، بتقديم الحلول السياسية الناجعة تارة، وبالتدخل المباشر تارة أخرى.

كما أجهضت كثيراً من التدخلات التي مثلتها جهات أجنبية حاولت وبشكل غير مباشر الالتفاف على المطالب المحقة للشعب العراقي في السيادة والاستقلال وأخمدت الفتنة الطائفية بالحكمة والصبر، ليس ذلك فحسب بل واجهت الإرهاب بكافة صورته وأشكاله، وكان من أهمها الهجوم الهمجي الذي تعرض له العراق من قبل تنظيم داعش، فقد أصدرت فتوى الجهاد الكفائي، مما عكس تغيير موازين القوى وإحباط مؤامرة كبرى كانت تقضي العراق.

وواكبت المرجعية الرشيدة الانتفاضة الشعبية في تحقيق المطالب التي تنادي بالإصلاح ومحاربة الفساد المالي والإداري ودعمته بخطبها الأسبوعية من خطب الجمعة المباركة، وظلت المرجعية العليا ولا تزال تراقب العملية السياسية بدقة تامة فتتدخل متى ما استشعرت الخطر محققاً بالعراق ومصالح شعبه، ووجدت أن تدخلها يكون مجدياً في حل الأزمات المستشكلة أو التخفيف منها، في صيغ مختلفة معلنة وغير معلنة، باختلاف الظروف والحديث، ولكنها في كل الأحوال تكون شفافة وواضحة لذوي الشأن من مسؤولين وغيرهم، وليس من دأبها أن تتفاوت مواقفها المعلنة عما تتبناه في واقع الحال. فكانت آلية المتابعة السياسية للمرجعية الرشيدة عبر عدة آليات، منها المتابعة المباشرة وغير المباشرة عبر وسائل الإعلام المرئي والمسموع، أو ما ينشر في الصحافة والمواقع الإلكترونية، ومنها ما يصدر من كتب وتقارير وتصريحات صادرة من قبل المسؤولين في الدولة بمستويات متفاوتة تبين وجهات نظرهم في مختلف شؤون البلد، أما إصدار المواقف الحاسمة من المرجعية الرشيدة فهو يبتني على دراسة دقيقة ومتأنية لكل حالة، وبعضها قد يستدعي الاستشارة من أهل الاختصاص.

الهوامش:

(١) ظ: خليل علي حيدر، العمامة الصولجان: المرجعية الدينية في العراق وإيران، ط٢، دار قرطاس للنشر، الكويت، ص١٧٨.

(٢) ظ: عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤م، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢١٦-٢١٧.

(٣) ظ: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، طبعة منقحة، د.ت، ص ٧٦-٧٧، وظ: عماد هادي عبد، تفسير المراجع والعلماء عام ١٩٢٣م، بحث منشور في مؤتمر المرجعية ٢٠١٨م، مركز دراسات الكوفة، النجف ٢٠١٨م.

(٤) ظ: إسحاق نقاش، شيعة العراق، ط ١، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ٧٣.

(٥) ظ: حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق ١٩٥٨م-١٩٦٨م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٣٢..

(٦) ظ: عبد الرزاق محمد أسود، الموسوعة الفلسطينية، نشر وتوزيع الدار العربي للموسوعات، مجلد ٢٣، بيروت، د.ت، ص ٣٤٠.

(٧) ظ: غالب الناص، الحشد الشعبي؛ ظهوره في ضوء فلسفة التاريخ، اصدارات تجمع مؤسسة الرضوان، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٢١٨.

(٨) ظ: محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٥٨..

(٩) ظ: أبو القاسم الخوئي: آية الله الحاج السيد أبو القاسم الخوئي بن علي أكبر الموسوي النجفي (١٨٩٩م-١٩٩٢م) ولد في خوي بإيران وجاء إلى العراق عام ١٩١٢م، تتلمذ على يد النائب وشيخ الشريعة، أصبح أكبر المراجع التقليد بعد وفاة آية الله السيد. محسن الحكيم، اشتهر بمباحث (الكلام)، (الرجال) و(الفقه)، اصدار فتاواه المعروفة بتحريم تداول البضائع المنهوبة من الكويت عام ١٩٩٠م، للمزيد من التفاصيل انظر: محمد مهدي الموسوي، أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، مطبعة النجاح، بغداد، د.ت، ص ٤١٢.

(١٠) ظ: هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، تجرّبتني في حزب البعث العراق، ط ١، مطبعة عترة، ١٤٢٤هـ، ص ١٣٠-١٣١.

(١١) ظ: عباس جعفر محمد الإمامي، مصدر سابق، ص ٢٥٨، وينظر: ابراهيم العاني، النجف مركز الشيعة والمرجعية، بحث ضمن كتاب شيعة العراق، مركز الدراسات والبحوث، الكتاب الشهري التاسع، ٢٠٠٧م، ص ٣٩٠.

(١٢) ظ: عباس جعفر محمد الإمامي، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث، بيت العلم للنابيين، بيروت، ٢٠١١م، ص ٢٤١.

(١٣) ظ: المصدر نفسه: ص ٢٤٢.

(١٤) قيس من حامد الخفاف، النصوص الصادر عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ، ص ١١٨.

- (١٥) المصدر السابق، ص ٢٢٩.
- (١٦) ظ: المصدر السابق، ص ٤٢٣.
- (١٧) ظ: الخفاف، مصدر سابق، ص ٢١٤..
- (١٨) ظ: عباس جعفر محمد الامامي، مصدر سابق، ص ٢٦٦.
- (١٩) مقتبس من حسين علي الفاضلي، الإمام السيستاني- امة في رجل، مجموعة مقالات للعدد من الكتاب، ط ١، وينظر: بول بريمر، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٩هـ، ص ١٢٩.
- (٢٠) بول بريمر: سياسي أمريكي، الحاكم المدني الأمريكي بعد احتلال القوات الأمريكية عام ٢٠٠٣م حكم العراق من (٢٠٠٣-٢٠٠٤م)، انضم الى السلك الدبلوماسي الأمريكي عام ١٩٦٦م عمل مسؤولاً سياسياً واقتصادياً في سفارة بلاده في أفغانستان وملاوي وما بين عامين ١٩٧٦-١٩٧٩م أصبح نائباً للسفير وقائماً بأعمال السفير في السفارة الأمريكية في النرويج. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسن لطفي الزيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط ٢، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٢٣؛ وينظر: بريمر السفير بول، عام قضيته في العراق، ترجمة عمر الأيوبي، الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- (٢١) ظ: عباس جعفر محمد الامامي، مصدر سابق، ص ٢٦٧.
- (٢٢) حامد الخفاف، مصدر سابق، ص ٤٣٤.
- (٢٣) ظ: محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتقليد، ط ١١، المؤسسة الدولية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١١٦..
- (٢٤) ظ: المصدر السابق
- (٢٥) ظ: غالب الناصر، ص ٢١٧.
- (٢٦) ظ: المصدر السابق.
- (٢٧) ظ: نيل فرجسون ، الصنم ، صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة معين محمد، ط ١، امام، دار العبيكان ، الرياض، ٢٠٠٩م، ص ٢١١-٢١٢؛ وينظر: محمد صادق الهاشمي ونضال حمادة، خفايا وأسرار داعش، ط ١، دار البيان، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٦٦-١٦٧.
- (٢٨) ظ: نخبة من الباحثين ، آراء في المرجعية الشيعية، دار السلام، لندن، ١٤٢٩هـ.
- (٢٩) ظ: ناصر الغالب، مصدر سابق، ص ٢٢١.
- (٣٠) ظ: المصدر السابق.
- المصادر والمراجع:
- ١- إسحاق نقاش، شيعة العراق، ط ١، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- ٢- حسن لطفي الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط ٢، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣- حيدر نزار السيد سلمان، المرجعية الدينية في النجف ومواقفها السياسية في العراق ١٩٥٨م-١٩٦٨م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
- ٤- خليل علي حيدر، العمامة الصولجان: المرجعية الدينية في العراق وإيران، ط ٢، دار قرطاس للنشر، الكويت.
- ٥- غالب الناص، الحشد الشعبي؛ ظهوره في ضوء فلسفة التاريخ، اصدارات تجمع مؤسسة الرضوان، بغداد، ٢٠١٥م.
- ٦- عباس جعفر محمد الإمامي، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث، بيت العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١١م.
- ٧- عبد الحلیم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤م، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م
- ٨- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، طبعة منقحة، د.ت.
- ٩- قيس من حامد الخفاف، النصوص الصادر عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- ١٠- محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٥م.
- ١١- محمد مهدي الموسوي، أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مجتهدی الشيعة، مطبعة النجاح، بغداد، د.ت.
- ١٢- محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتقليد، ط ١١، المؤسسة الدولية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٣- مقتبس من حسين علي الفاضلي، الامام السيستاني- امة في رجل، مجموعة مقالات للعدد من الكتاب، ط ١
- ١٤- نخبة من الباحثين، آراء في المرجعية الشيعية، دار السلام، لندن، ١٤٢٩هـ.

- ١٥- نيل فرجسون ، الصنم ، صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة معين محمد، ط١، امام، دار العبيكان ، الرياض، ٢٠٠٩م
- ١٦- هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، تجرّبي في حزب البعث العراق، ط١، مطبعة عترة، ١٤٢٤هـ.
- ١٧- ابراهيم العاني، النجف مركز الشيعة والمرجعية، بحث ضمن كتاب شيعة العراق، مركز الدراسات والبحوث، الكتاب الشهري التاسع، ٢٠٠٧م.
- ١٨- عبد الرزاق محمد أسود، الموسوعة الفلسطينية، نشر وتوزيع الدار العربي للموسوعات، مجلد ٢٣، بيروت، د.ت.
- ١٩- برير السفير بول، عام قضيته في العراق، ترجمة عمر الأيوبي، الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- بول برير، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٩هـ.
- ٢٠- عماد هادي عبد، تفسير المراجع والعلماء عام ١٩٢٣م، بحث منشور في مؤتمر المرجعية ٢٠١٨م، مركز دراسات الكوفة ، النجف ٢٠١٨م.
- ٢١- محمد صادق الهاشمي ونضال حمادة، خفايا وأسرار داعش، ط١، دار البيان، بيروت، ٢٠١٥م.

## المرجعية ودورها في الاحداث السياسية في تاريخ العراق المعاصر

### (ثورة العشرين إنموذجاً)

□ أ.د. عهود حسين جبر  
مركز دراسات الكوفة

المقدمة :

شكلت الحرب العالمية الاولى منعطفا خطيرا في حياة العراق وبقيّة الدول العربية والاسلامية ، إذ نتجت عنها تغيرات على جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية، وكان من نتائجها احتلال البريطانيين العراق في سنة ١٩١٤م ، وقد أظهروا في بادئ الامر أنهم انما جاؤوا لتحرير العراق من ظلم العثمانيين وجورهم ، كعادة الغزاة والمحتلين في إقناع الشعوب المحتلة ، ولكنهم ما لبثوا أن أظهروا الوجه الحقيقي المملوء طمعا وكراهية ، فلحق بالشعب العراقي ما لحق من ذل وظلم ومهانة .

ولم يقف الشعب العراقي مكتوف الايدي بل ثار ضد الغزاة ومن أكبر ثورات العراقيين ثورة العشرين التي تعد صفة بوجه المعتدي .

وقد وجدت من باب الوفاء لتضحيات شعبنا العراقي ، وتجسيدهم الثورة والبطولة بقيادة المرجعية الدينية ، أن اكتب في هذا الموضوع ، من خلال بحث جاء بعنوان :  
(المرجعية ودورها في الاحداث السياسية في تاريخ العراق المعاصر)ثورة العشرين  
إنموذجاً)

وقد ركز البحث في بدايته على وضع العراق الجغرافي ، والاسباب التي أدت الى استغلاله وكيف تعرض الى أطماع الطامعين ومنهم البريطانيين ، وردة فعل العراقيين على هذا الاستغلال متمثلة بثورة عارمة ضد هذا الوجود الاجنبي ، وكان للعشائر العراقية الأثر الاساس في هذه الثورة تقودها المرجعية الرشيدة . فقد كان لتوجيهاتها الاثر البارز في إشعالها ونجاحها

وسأتناول في هذا البحث أيضا ، أثر المرجعية في الاحداث السياسية في العراق ولاسيما تلك التي عاصرت الاحتلال البريطاني ، مبيّنة دور المرجعية المؤثر في استنهاض الهمم ، وتأجيج الثورات ومنها ثورة العشرين المباركة ، وفي الحقيقة ان هذا الموضوع يضم

في طياته تاريخ شعب ناضل الاستعمار واتخذ من مرجعيته الروحية والدينية مرشداً وموجهاً للمضي في مقاومة الاحتلال ، وكان لهم الدور المشرف في حشد الناس في مقاومة الاحتلال البريطاني الذي كان يمتلك القوة والسلاح .  
واخيراً وليس آخراً فسأركز في بحثي هذا على دور المرجعية في التخطيط والتنسيق للثورة حتى إشعالها، من دون التعرض لتفصيلات الثورة وما جرى فيها من أحداث دقيقة .

التمهيد

مفهوم المرجعية الدينية:

لابد لنا قبل أن نبدأ البحث من أن نتعرف على مفهوم المرجعية وأصلها في اللغة فقد عرفها صاحب القاموس المحيط بقوله: (رجع أو الرجوع ، بمعنى عاد ، أو العود الى ما كان من البدء، فمن اللغويين من يرى أن أصل المشتقات هو الفعل الماضي ، ومنهم من يراه المصدر)<sup>(١)</sup>

و المرجعية اصطلاحاً ( هي الجهة المتولية لشؤون الامة أو الفرقة أو الطائفة بأجمعها .. لإدارتها وتدبير اصولها وأوضاعها الدينية ويسمى المتقمص بها المرجع )<sup>(٢)</sup>.  
أما فيما يخص مرجعية الشيعة فيتولى امرها المرجع الاعلى للشيعة ، والمرجع الاعلى للشيعة هو مقام يكتسبه عالم من علمائها ولا يصل الى هذا المقام الا من كان يمتلك شروطاً خاصة مثل

( الاعمية والعدالة والعقل )<sup>(٣)</sup>.

الاحداث السياسية البارزة في تاريخ العراق الحديث :  
مرّ العراق في تاريخه الحديث بأحداث جسيمة أثرت في حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، منها احتلاله وغزوه قامت به قوى اجنبية واقليمية وكان من أسباب هذا الاستهداف المتكرر للعراق :

أولاً: (الموقع الاستراتيجي الهام الذي يتمتع به العراق)<sup>(٤)</sup> .

ثانياً: ( الثروات الطبيعية الهائلة التي تحتويها الاراضي العراقية والمتمثلة بالنفط الذي يعد عصب الحياة الصناعية في العالم)<sup>(٥)</sup>.

وكل هذا جعله يتعرض في فترات طويلة من تاريخه الحديث الى سيطرة السلطات الاجنبية ومنها الحكم العثماني للعراق الذي تسلط على رقاب الناس، وانتهى وجودهم بمجيء البريطانيين إذ ( قضى البريطانيون على الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨م وذلك أثر هزيمة العثمانيين)<sup>(٦)</sup>.

وكان من نتائج هذه الهزيمة وقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني بقيادة ستانلي مود وتحت شعار تحرير العراق من الاحتلال العثماني ( وفي بادئ الامر وعندما دخل الجنرال مود الى بغداد كان يصانع العراقيين ويدعي مساعدتهم على بناء دولتهم المستقلة)<sup>(٧)</sup> محاولاً تحسين صورته لدى الشعب العراقي ، وقد جاء على لسان مود مخاطبا العراقيين قوله : ( الا أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أعداء ، بل بمنزلة محررين)<sup>(٨)</sup>.

ولكن ما لبث المستعمر أن أظهر وجهه البشع وسرعان ما ظهرت حقيقته القبيحة ، فأخذ يتعرض للشعب العراقي ويذيقه الوانا من الظلم والتعسف ، (فوضعت سلطة الاحتلال نظاماً لجباية الاموال من الحاصلات الزراعية بالتوافق مع رؤساء العشائر ولاسيما الرؤوس الكبيرة التي تتحكم بالمقاطعات الواسعة من الارض ، ومارسوا بعد ذلك فرض رسوم وضرائب انهكت المواطن العراقي)<sup>(٩)</sup>.

وقد توالى على العراق احداث جسيمة هددت كيانه ووجوده ، على يد الاستعمار الانكليزي الذي ادخل العراق في نفق مظلم مستهدفاً هذا الشعب المظلوم فلاقى الويلات وكل انواع الظلم والاضطهاد بدءاً بكرامته وانتهاء بسلب خيراتة والسيطرة عليها ، ولم يقف الشعب العراقي مكتوف الايدي ضد الاحتلال الغاشم ، فحشد قواه المختلفة للنضال ضد الاستعمار .

(وقد تميزت ردة فعل العراقيين على الاحتلال البريطاني بوحدة الصف الوطني والاتفاق على مقاومة الاحتلال )<sup>(١٠)</sup> فكان لا بد من المجابهة التي تنهي هذا الواقع

الفاسد ، ( فقامت ثورات عديدة على الاحتلال كثورة الرميثة والنجف والسليمانية وديالى وتلعفر وانتهت بثورة العراق كله الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ م التي اوقدت شرارتها في الرميثة ومنها عمت جميع مناطق الفرات الاوسط )<sup>(١١)</sup> وتعد هذه الثورة (من الثورات التحررية التي قادها علماءنا الاعلام بكل شجاعة ضد الاستعمار الانكليزي ، وقد شملت هذه الثورة جميع أنحاء العراق ، واستطاعت أن تحقق بعض المطالب الاسلامية التي كان يطالب بها الشعب آنذاك)<sup>(١٢)</sup>. وقد اشترك في هذه الانتفاضة جميع شرائح المجتمع (وقد نتجت الانتفاضة عن تظافر أربع مجموعات هي: الجماعات العشائرية والجماعات الدينية الشيعية وجمهور المدن بقيادة الاعيان والمثقفين)<sup>(١٣)</sup>.

المرجعية ودورها في أحداث العراق :

وسأقف عند دور المرجعية في قيادة الناس ضد المستعمر، إذ أن المدن الشيعية المقدسة كان لها الاثر الاكبر في قيادة ثورة العشرين ، وقد (كانت كل من النجف وكربلاء اولى الاماكن التي انتفضت ضد البريطانيين بعد الاحتلال و لم تكن من المدن المعزولة بل ذات صلات وثيقة بالمناطق العشائرية المحيطة بهما )<sup>(١٤)</sup>.

ولابد من أن نقف عند المعطيات التي هيأت للثورة وأنضجتها أذ (تنبّهت القيادات الاسلامية الى ضرورة الاعداد الدقيق والمنظم للثورة من خلال تأسيس جمعيات وأحزاب دينية ووطنية لجمع شمل الامة )<sup>(١٥)</sup>.

وقبل أن نبدأ في الحديث عن الثورة العراقية الكبرى ، لابد من توضيح المكانة التي تحتلها المرجعية في قلوب الناس ، وأثرها في الثورة إذ كان رجال الدين في المدن المقدسة النجف وكربلاء من طبقة الرجال المخلصين لبلدهم ومجتمعهم الذي كان يضع ثقته واعتماده عليهم ويؤمن بكل ما يصدر عنهم من دون تفكير او مراجعة ، وقد كان هذا الامر يقلق البريطانيين بشكل كبير ويشكل هاجسا طالما ارقهم وشكل تهديداً لوجودهم ، لان المرجعية كان باستطاعتها في ذلك الوقت أن تقود الناس الموالين لها نحو المقاومة

ومن دون تردد ، إذ كانت توجيهات المرجعية هي الكلمة الفصل في كل ما يدور في البلاد ولاسيما تلك الاحداث الكبيرة التي رافقت الاستعمار البريطاني .  
لذلك نجد سياسة البريطانيين اتجه المرجعية تتأرجح بين الترهيب والترغيب . وكانت ردة فعل البريطانيين عنيفة أحيانا ضد المراجع وأتباعهم من زعماء الحركة الوطنية ، فتعرضوا للنفي خارج العراق ، والاعتقال لإسكات صوتهم .

وكان للمرجعية الدور الكبير في تحشيد الناس ضد الوجود الاستعماري في البلاد (إذ كانت السياسة والدين في المدن الشيعية تسيران يداً بيد وبدرجة من التقارب بحيث لا يمكن لأي حركة سياسية أن تنجح بدون دعم العلماء والمجتهدين البارزين) (١٦).

وقد كانت المرجعية من اوائل الداعين الى مجابهة الاحتلال البريطاني ، إذ عمدت المرجعية بقيادة الميرزا الشيرازي الى التخطيط المنظم للثورة ، فكانت الاجتماعات في النجف الاشرف وغيرها من المدن العراقية ، وكانت من اهم الاجتماعات الاجتماع (الذي عقد في مدينة النجف الاشرف في الخامس عشر من آذار وكان اجتماعا سريا وبتوجيه من الميرزا الشيرازي وقد ضم هذا الاجتماع الفاعلين ووجوه ورؤساء العشائر والشخصيات الوطنية وهم نفس اولئك الثوار الذين شاركوا في حركة الجهاد وصاروا زعماء ثورة العشرين) (١٧).

ويبدو أن هذه الاجتماعات في بادئ الامر لم يكن الهدف منها المواجهة المسلحة مع الانكليز وانما كانت للمطالبة بالحقوق عن طريق المفاوضات السلمية خوفا من الهزيمة أمام العدو

وحقنا لدماء الناس (إن الشيرازي قد أعرب عن شكوكه بشأن قدرة العشائر على الوقوف بوجه القوات البريطانية ) (١٨) فلما تأكد من تصميم العشائر على خوض المعركة اعطى موافقته في استخدام القوة ضد العدو بشرط المحافظة على القانون والنظام (١٩).

وقد دعت المرجعية الى توحيد الكلمة ونبذ الخلافات لمجابهة هذا العدو الغاشم الذي يريد الاستيلاء على مقدرات البلاد واستعباد ابنائه، (وقد اوكل الاجتماع السري الى بعض الخطباء الى نشر الوعي الثوري في المناطق الجنوبية والوسط)<sup>(٢٠)</sup> وقد كانت اهم اهداف المقاومة (قيام حكومة وطنية ترعى مصالح الشعب وتحافظ على وحدة البلاد واستقلالها وسيادتها) <sup>(٢١)</sup>.

وكان لهذه الدعوات الاثر البارز في نفوس الناس واستنهاض الهمم ، ويرى بعض الباحثين في وقتنا الحاضر (أن هذا الاجتماع يعد الركيزة الاولى للمهدة لاندلاع الثورة)<sup>(٢٢)</sup>

وقد عقدت ثلاثة اجتماعات سرية أخرى في كربلاء في النصف من شعبان برئاسة السيد ابي القاسم الكاشاني والسيد محمد رضا نجل السيد الشيرازي<sup>(٢٣)</sup>. وقد كان للسيد محمد رضا ظهور لافت في ذلك الوقت فقد كان من المعارضين للوجود البريطاني والداعين الى قلب الاوضاع من خلال خطاباته للجماهير . وقد تنبه البريطانيون الى خطورة هذا الرجل ، فما كان منهم الا نفيه الى الهند مع مجموعة من الاحرار والمجاهدين ، وقد كان لهذا الصنيع الاثر الاكبر في نفوس الناس وازدياد غضبهم على البريطانيين ، فكان هذا الامر من الاسباب التي ادت الى الثورة العراقية الكبرى .

وما ان حلّ شهر حزيران حتى بدأت الامور تأخذ منحى آخر للحسم النهائي للثورة ، فاندلعت في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠م. (وقد وفرت العشائر الدعم الاساسي لثورة العشرين وقدمت أكثرية المقاتلين ، فلحقها بالتالي أكثر الاصابات ، وقد دامت الانتفاضة المسلحة الفعلية نحو اربعة أشهر من تموز الى تشرين الاول ١٩٢٠)<sup>(٢٤)</sup>.

وقد اشتركت في هذه المعركة معظم مناطق العشائر العراقية من الفرات الاوسط وديالى والمنتفك والمنطقة بين بغداد و الفلوجة على امتداد شمال الفرات <sup>(٢٥)</sup>.

ولم يتحدد دور العلماء في تعبئة الجماهير ( بل قام بعضهم بالتوجه الى جبهات القتال للإشراف على العمليات العسكرية الاشتراك بالقتال أمثال ابو القاسم الكاشاني والشيخ جواد الجزائري والسيد هبة الدين الشهرستاني) (٢٦).

وما أن بدأ القتال بين بعض العشائر العراقية وبين البريطانيين ، حتى بدأت المرجعية بمتابعة الاحداث بكل تفاصيلها ودقائقها من خلال الرسائل التي يرسلها شيوخ العشائر الى المرجعية إذ (كان اتصالهم بمرجعية النجف مستمرا وكان وكلاء المرجعية من العلماء الاعلام لا يهدؤون يوماً من التواصل والتواجد مع الثائرين ) (٢٧).

الخاتمة :

- كانت القوى الغاشمة للاحتلال البريطاني تحاول الهيمنة على العراق من خلال المخاتلة والمراوغة حيناً والقوة في احيان اخرى ، مستغلة اوضاع المجتمع المتردية من الناحية الثقافية ، ولكن على الرغم من الجهل والامية التي كانت تسود في المجتمع العراقي آنذاك الا أننا لانعدم الحس الوطني الذي كان فطرياً في قلوب الناس .

- قامت ثورات عديدة على الاحتلال البريطاني باءت بالفشل باستثناء ثورة العشرين التي حققت أهدافها ، و كانت بدايتها في الرميثة ثم امتدت الى كل مناطق الفرات الاوسط .

- كان من أهم أسباب نجاح الثورة وحدة الصف الوطني و اتفاق الشعب بجميع شرائحه على مقاومة المحتل ، والمطالبة بحكومة وطنية ترعى مصالح الناس .

- ثورة العشرين ثورة وطنية إسلامية ، وقد رسمت معالم جديدة للوضع السياسي العراقي إذ أرغمت البريطانيين بالاعتراف باستقلال العراق في ظل حكومة ملكية بقيت الى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم .

- إن البحث في ثورة العشرين انما هو بحث في علامة مضيئة في تاريخ العراق المعاصر ، وشكلت تحولا خطيرا في اتجاهاته الاجتماعية ، إذ اشترك فيها معظم الشرائح الاجتماعية بمختلف انتماءاتها بقيادة المرجعية الدينية .

الملخص:

يتناول البحث دور المرجعية الدينية في الاحداث السياسية في العراق ولاسيما تلك التي عاصرت الاحتلال البريطاني وفي الحقيقة ان هذا الموضوع يضم في طياته تاريخ شعب ناضل الاستعمار واتخذ من مرجعيته الروحية والدينية مرشدا وموجها للمضي في مقاومة الاحتلال ، وكان لهم الدور المشرف في استنهاض الهمم وحشد الناس في مقاومة الاحتلال البريطاني الذي كان يمتلك القوة والسلاح .

و قد ركز البحث في بدايته على وضع العراق الجغرافي والاسباب التي أدت الى استغلاله من قبل البريطانيين ، وردة فعل العراقيين على هذا الاستغلال متمثلة بثورة عارمة ضد هذا الوجود الاجنبي ، وكان للعشائر العراقية الدور الاساس في هذه الثورة تقودها المرجعية الرشيدة ، فقد كان لتوجيهاتها الاثر البارز في إشعالها ونجاحها .

إن البحث في ثورة العشرين انما هو بحث في علامة مضيئة في تاريخ العراق المعاصر وتحولا خطيرا في اتجاهاته الاجتماعية ، إذ اشترك فيها معظم الشرائح الاجتماعية بمختلف انتماءاتها بقيادة المرجعية الدينية ، ولقد قامت ثورات عديدة على الاحتلال البريطاني باءت بالفشل باستثناء ثورة العشرين التي حققت أهدافها ، وكانت بدايتها في الرميثة ثم امتدت الى كل مناطق الفرات الاوسط .

وكانت من أهم أسباب نجاح الثورة وحدة الصف الوطني و اتفاق الشعب بجميع شرائحه على مقاومة المحتل ، والمطالبة بحكومة وطنية ترعى مصالح الناس ،

ثورة العشرين ثورة وطنية إسلامية أرغمت البريطانيين على الاعتراف باستقلال العراق في ظل حكومة ملكية بقيت الى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم .

الهوامش:

- (١) القاموس المحيط : ٢٨ / ٣ .
- (٢) بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف: ١٨٢ .
- (٣) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ٣٨ .
- (٤) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٢ .
- (٥) ينظر المصدر نفسه : ٩٢ .
- (٦) الامام الخوئي المرجع الشيعي الاكبر : ١٨٨ .
- (٧) المرجعية الدينية ودورها في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ١٧٧ وينظر المنتخب من تاريخ العراق : ٩٦ .
- (٨) الثورة العراقية الكبرى ٣٢
- (٩) المصدر نفسه : ١٧٧ .
- (١٠) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٩ .
- (١١) نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي : ٢٠ .
- (١٢) بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف : ٩٩ / ١ .
- (١٣) العراق نشأة الدولة : ٣٩٧ .
- (١٤) نفسه : ٤٢١ .
- (١٥) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر ١٦٩ .
- (١٦) العراق - نشأة الدولة : ٤٢٠
- (١٧) المرجعية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ١٧٨ .
- (١٨) العراق نشأة الدولة : ٤٣٠ .
- (١٩) ينظر الثورة العراقية الكبرى : ٩٧
- (٢٠) المصدر نفسه : ١٧٨ .
- (٢١) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٩ .
- (٢٢) الثورة العراقية الكبرى : ١٦٨ .
- (٢٣) ينظر المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر : ١٧٩ .
- (٢٤) ينظر العراق نشأة الدولة : ٤٣٥ .
- (٢٥) ينظر المصدر نفسه ٤٣٥ .
- (٢٦) البطولة في ثورة العشرين : ٢١٨ .

(٢٧) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر: ١٩٣.

المصادر والمراجع :

- الأمام الخوئي - المرجع الشيعي الاكبر ، تأليف محمد سعيد الطريحي ، المركز الثقافي لتراث اهل البيت ، د- ت .

- بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف ، تأليف السيد هاشم فياض الحسيني الكلمة الطيبة / النجف الاشرف ط ١٠ ٢٠١٠ م .

- البطولة في ثورة العشرين ، تأليف عبد الشهيد الياسري ، النجف ، ١٩٧٥ م .

- تاريخ العراق السياسي الحديث تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني ، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٨ م .

- الثورة العراقية الكبرى - تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٦ ، ١٩٩٢ م .

- العراق نشأت الدولة - ١٩٠٨م - ١٩٢١م، تأليف الدكتور غسان العطية دار اللام لندن ١٩٨٨م .

- القاموس المحيط ، تأليف الفيروز آبادي ، مصر ١٩٥٢م

- المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر تأليف الدكتور صلاح مهدي علي الفضلي مطبعة جعفر العصامي للطباعة - العراق - بغداد ، ٢٠١٠ م .

- المنتخب من تاريخ العراق الحديث ، تأليف محسن جبار العارضي ، مكتب زاكي - بغداد ، ط ١

٢٠١٨م .

- نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي، تأليف محسن جبار العارضي ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

## الثورة الدستورية الاتحادية العثمانية وتأثيرها على الحراك المجتمعي في العراق،

١٩٠٨م

أ.م.د. علاء الدين محمد تقي الحكيم  
كلية الامام الكاظم عليه السلام

المقدمة

رغم ما رافقت الثورة الدستورية الاتحادية العثمانية من أحداث ورغم ما سجل عليها من سلبيات تبقى هذه الثورة حدثا تاريخيا وانبعثا حضاريا امتدت إشعاعاته إلى العراق فتركة بصمات واضحة على تاريخه وخصوصا بعد الجدل الذي أثارته في أوساط علماء الدين والمثقفين وفي أوساط المد الجماهيري العام.

ونتيجة لمتابعة معظم المدن العراقية ولاسيما المدن والمناطق الشيعية لوقائع وتطورات الحركة الدستورية الاتحادية أثيرت مناظرات مفتوحة ومناقشات صريحة في الجوامع والمدارس في النجف وغيرها وولدت وعيا عاما في العراق إذ شمل النقاش والجدل العلماء والأدباء والطلبة والشعب فان طبيعة النقاش بين المجتهدين الأعلام بشكل خاص كانت في غاية العمق الفلسفي والاجتماعي .

ونتيجة لهذه الثورة ظهرت اللبنة الأولى للعمل الحزبي ، وتأسيس المنظمات والجمعيات السياسية وظهر كذلك ملامح الفقه الدستوري الامامي ، ولعل ذلك من أجنى ثمار الحركة الدستورية عن طريق رسالة الشيخ محمد حسين النائيني ( تنبيه الأمة وتنزيه الملة) فهو أول كتاب في الفقه السياسي الإسلامي الحديث ، ويعد وثيقة تاريخية تدون واقع الفكر والسياسة الذي كان قائما زمن صدوره.

تضمن هذا البحث ثلاثة محاور

المحور الاول : المسار التاريخي للثورة الدستورية الاتحادية العثمانية

المحور الثاني : المرجعية الدينية وثورة الاتحاديين

المحور الثالث : تأثير الثورة الاتحادية على الحراك المجتمعي في العراق

الثورة الدستورية الاتحادية العثمانية وتأثيرها على الحراك المجتمعي في العراق، ١٩٠٨م

سنتناول الموضوع وتأثيراته على وفق عدة محاور

المحور الاول : المسار التاريخي .

علق السلطان عبد الحميد الثاني العمل بدستور عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)<sup>(١)</sup> والذي عطل في ١٣ من شهر شباط ١٨٧٨م وظل هذا القانون الأساسي معطلا مدة تزيد على ثلاثين عاما حتى سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) حيث نشطت خلالها الجمعيات السرية المناهضة للسلطان خارج البلاد وعلى صفحات الصحف الأجنبية التي تدخل البلاد سرا عن طريق مكاتب البريد والقنصليات والإرساليات الأجنبية وكانت جميعها تطالب بضرورة الإصلاح ، وقد نجحت جمعية الاتحاد والترقي<sup>(٢)</sup> بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير واستغلال الظروف لصالحها حتى أمكنها ضم الجيش الثالث كله إلى صفوفها ، وفي ليلة (١٤ جمادى الآخرة ١٣٢٦هـ/٢٢ تموز ١٩٠٨م) أرسلت إلى السلطان عبد الحميد تطالبه بإعادة العمل بالدستور في ظرف أربع وعشرين ساعة وإلا تحرك الجيشان الثاني والثالث لاحتلال العاصمة ، وهنا اضطر السلطان إلى إعادة تفعيل الدستور في الموعد المحدد<sup>(٣)</sup>.

لم تمض على إعلان الدستور العثماني سوى مدة قصيرة حتى تألفت في اسطنبول جمعية باسم (الجمعية المحمدية) تحمل الصبغة الدينية في مظهرها الخارجي بينما هي في الواقع ذات هدف سياسي تعمل لمحاربة العهد الجديد والقضاء عليه ، وتدعي أن الدستور مخالف للشريعة الإسلامية وان السلطان غير راض عنه ، ولهذا وجب إلغاء الدستور وإعلان الشريعة بدلاً عنه ، وفي (١٠/٣/١٣٢٧هـ/أوائل نيسان/١٩٠٩م) نشر خبر في الصحافة مفاده أن الأتراك يجب أن يلبسوا القبعة ، ومعنى ذلك أنهم متشبهون في زيهم بالكفار ولم يمض على الخبر سوى أيام حتى أطلق مجهول رصاص مسدسه على الصحفي الذي نشر الخبر فأرداه قتيلا ، فتحولت جنازته إلى مظاهرة ضد العهد الجديد والتهاتف بسقوط جمعية الاتحاد والترقي ، وفي (١٣ نيسان) حاصر الجنود مجلس المبعوثين والباب العالي وأرسلوا وفدا إلى السلطان يطلبون منه إلغاء الدستور وإعلان الشريعة<sup>(٤)</sup>، فاتخذها الجيش ذريعة للتحرك لعزل السلطان عبد الحميد الثاني ، فتنازل السلطان عبد الحميد عن العرش لأخيه السلطان محمد رشاد ((إلا انه في الحقيقة لم يملك

أي سلطة فعلية وإنما السلطة أصبحت بيد جمعية الاتحاد والترقي وغدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها قومية في عصبيتها ، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها وإسلامية في رابطتها ، فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية الطورانية التي تدعو إلى تحرير كافة الأتراك مدعين أن الشعوب الإسلامية في الأناضول وآسيا الوسطى تمثل أمة واحدة، وهي الأفكار تطورت أخيراً... فأتبعت سياسة التتريك وذلك بجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة بعد ان كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها فتأججت حركة الدعوة إلى القومية العربية في مواجهة حركة التتريك))<sup>(٥)</sup>.

المحور الثاني : المرجعية الدينية وثورة الاتحاديين

أحدث الانقلاب العثماني صداه بالترحيب والمباركة بالنجف فابرق بعض علماء النجف الاشرف ومنهم (المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني) والمرجع الشيخ (المازندراني) إلى السلطان محمد رشاد برقية بعد أن بلغهم أن بعض الناس بدؤوا بالمطالبة بتطبيق الشريعة المحمدية وحل الدستور، جاء فيها ((وليت شعري فهل يمكن قيام الأحكام الشرعية بغير المشروطة وهل يمكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بقطع عرق الاستبداد ومتى عارض القانون الأساسي الأحكام الشرعية... فنأمل من سلطان الإسلام دامت إفاضاته وبركاته عدم الإصغاء لكافة هؤلاء فانهم إما أعداء وإما جهلاء...))<sup>(٦)</sup>.

ولم يكن موقف المرجعية الدينية العليا من الثورة الاتحادية في الدولة العثمانية متحفظاً بل وقفوا منها موقفاً سلبياً حينما خبروا أهدافها الهدامة على الرغم من كل المضايقات من قبل حكومة الاتحاد والترقي كتهديدهم للمرجع العام السيد كاظم اليزدي بالنفي خارج العراق وبأنواع البلاء ومنه القتل.

وجاءت هذه الضغوط من الاتحاديين لإدراكهم جيداً أن موافقة المرجع العام تعني لهم شيئاً كثيراً ، وأهم هذه الأشياء هو إضفاء الغطاء الشرعي الديني والاجتماعي على مجمل ما يقر من قوانين وأنظمة وضمائم عدم معارضة شريحة واسعة من الناس تمثل الأغلبية ، لذا كان ((الفرح في العراق بإعلان الدستور محدوداً وضعيفاً بينما في البلاد

الأخرى عاماً شديداً))<sup>(٧)</sup>، وذلك راجع بشكل رئيس إلى الموقف السلبي للمرجعية الشيعية من ثورة الاتحاديين ، الذي انعكس على الأمة بشكل عام وعلى الشيعة خصوصاً فكانت ((ردة الفعل الباردة للمرجعية الدينية اتجاه الدستور العثماني ، حيث لم يعرب اغلب المجتهدين والمراجع عن تأييدهم للاستعمار الدستوري إنما تعاملوا معه بتحفظ وإذا استثنينا موقف الشيخ محمد كاظم الخراساني المؤيد فان ذلك لم يؤثر آنذاك على الموقف الإسلامي العام))<sup>(٨)</sup>.

وجاء ردُّ الفعل البارد للمرجعية من معاشتها اليومية لما أحدثه إعلان الدستور (في ١٩٠٨) في واقع الحياة الاجتماعية والتي رصدتها بشكل دقيق المؤرخ (عباس العزاوي) ، حيث ((ظن الناس أن الحرية إغتنام الشهوات والملاذ من غير طريقها الشرعي فلم يكن هناك سامع أو ملتفت واشتهرت (طيرة) و(رحلو) وأضرابهما .. ولا هم لهؤلاء المومسات إلا ابتزاز الثروة ... فمال الناس إليهن ميلاً واحدة ... فكثرت الوقائع المؤلمة فاختلت حالة بيوت كثيرة وساء مصيرها وتطاير الشرر ، وتمكن أكثر كلما طالت الأيام وكأنها في تقدم مستمر ومن ثم اقتنع الناس بان الحركة ليست إلا مجموعة هذه السفاهات وارتكاب الموبقات وإفساح المجال للنفس أن تنال كل ما ترغب من أهواء فلا دين يردع ولا سيطرة عامة يفرع إليها ولا قوة قاهرة تحول دون التوغل في هذه الأمور فاكسبت شكل مصيبة ، فصار يتألم من حالها من كان يدعو إليها بالأمس ، ويحض على عملها فكان أسوأ تفسير لها بالمراقص أو الملاحية وحانات الخمر ، فصار الحبل على الغارب يؤم المرء ما شاء من هذه ، كان لهذا الأمر أثره في انتهاك حرية الأخلاق والآداب والأخلاق بأمور الأسرة والانشغال عن الواجب وعن الآداب العامة ، فذهبت العائلات ضحية هذا التهاون في الواجب ونال الكثيرين بؤس وأصابهم شقاء))<sup>(٩)</sup>.

ومما زاد من تفاقم الأحداث بعد انتهاك حرية الآداب والأخلاق وزاد بالتالي من وضوح أهداف الانقلابيين لدى المرجعية الدينية العليا هو مساس الاتحاديين بالقوانين الدينية والشعائر الحسينية ، فقد خرجت تظاهرات غاضبة في بغداد في ١٣ شهر تشرين الاول ١٩٠٨م رداً على إهانة الاتحاديين للدين تنادي بالعودة إلى الإسلام<sup>(١٠)</sup> ونتج عن

تفانم هذه التجاوزات تأليف جمعية سميت بـ(المشورة)<sup>(١١)</sup> كان أعضاؤها من رجال الدين السنة وهدفها الدفاع عن الشريعة المحمدية ومقاومة الأفكار اللادينية<sup>(١٢)</sup>.

وبعد حين حدث تبدل في موقف السيد كاظم اليزدي وذلك بعد مجيء جمال باشا السفاح<sup>(١٣)</sup> واليا على العراق (١٣٢٩-١٣٣٠هـ/١٩١١م-١٩١٢م) وكان القائمقام في النجف انذاك ناجي السويدي<sup>(١٤)</sup>، وحدث هذا التغير في الموقف من المجاهرة علنا برفض أهداف ثورة الاتحاديين إلى عدم المجاهرة العلنية في ذلك، كما أرخصها شاهد عيان اذ كتب: ((فأرسل إلينا أن الوالي جمال باشا يطلب حضوركم عنده في بغداد، والأحسن أن تسافروا إليه من تلقاء أنفسكم، فسافرنا واجتمعنا به فأظهر الشدة والتهديد أولا وقال إما أن تقنعوا صاحبكم (السيد اليزدي) على الموافقة كتبنا وإلا فالنفي والتباعد لكم جميعا، فقلنا إن هذه قضية سياسية دولية ونحن علماء دين وأرباب شرع لا نعرف شيئا من السياسة، نعم حيث أن الدولة صارت مشروطة فلكم علينا أن لا نعارض ولا نخرج عن قوانينها وأحكامها، وليس لكم الضغط على حريتنا بالدخول فيما لا نعرف فأين الحرية التي تحملون رايتها وتدعون إليها فان أثبتنا علينا المعارضة بكتابة أو مقال حقت العقوبة، وان أبيتتم إلا أن تضغطوا على حريتنا فأيسر شيء علينا مغادرة العراق بل المملكة، وأين ما نذهب نحن أعزاء محترمون، وبهذا ومثله من المنطق والحجة لان واستكان، واكتفى منا بالسكون والسكوت وعدم المعارضة))<sup>(١٥)</sup>.

ولتقويم موقف بعض مراجع الدين في النجف الاشرف كالشيخ محمد كاظم الخراساني وانصاره استنتج أحد الباحثين إن غاية أصحاب المشروطة في تأييدهم لثورة الاتحاديين كان لحلحلة الواقع السياسي الشيعي المتأزم، وتمثيل الشيعة في شؤون الدولة أي انه في ظل فهم من هذا النوع جرى تسويغ العمل مع السلطان (السلطة الزمنية) بقصد العدل والتقليل من الظلم ومع ذلك يجب الانتباه إلى أن مشروعية سلطانه بقيت غير منجزة على اعتبار أن المنصب مخصص للإمام المعصوم<sup>(١٦)</sup> ويذهب الباحث الى أن ذلك يرجع إلى مبانيه القائلة بوجود الدستور لتخليص الأمة من حالة الاستبداد التي

تعيشها الشعوب بسبب وجود الحكام<sup>(١٧)</sup>، ((وهل يمكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بقطع عرق الاستبداد))<sup>(١٨)</sup>.

وعودا على بدء يمكن ملاحظة أن تبلور رأي المرجعية الدينية العليا والمتمثلة بالسيد اليزدي قد مر بثلاث مراحل ، كان آخرها الإعلان عن تحفظه عليها بعد انحراف الثورة نتيجة الممارسات غير الإسلامية على الأرض وتأثير ذلك على المجتمع الإسلامي العراقي.

المحور الثالث : تأثير الثورة الاتحادية على الحراك المجتمعي في العراق .

جاء الاتحاديون إلى الحكم وجاءت معهم شعاراتهم في الحرية والعدالة والمساواة وعودهم المعسولة بتطبيق النظام البرلماني والعمل بالدستور ، وانتخاب ممثلي الأمة لمجلس المبعوثان والسماح بتشكيل الأحزاب وإلغاء القيود والرقابة على الصحافة والنشر ، هذه الوعود صادفت هوى في نفوس كل القوميات على حد سواء لما لحقها من اضطهاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(١٩)</sup>.

رحب المثقفون الدارسون في الحوزات العلمية بثورة الاتحاديين فقد وصفها محمد رضا الشيبسي<sup>(٢٠)</sup> بثورة عارمة على سائر نظم البلاد ، غايتها قلب النظم الاجتماعية قبل السياسية<sup>(٢١)</sup> ، وقال: ((كنت مغتبطا بالحرية الغالبة التي كنا نجاهد من أجلها مع جمهرة من شباب الدولة العثمانية للتخلص من فساد العهد الحميدي))<sup>(٢٢)</sup> ، لكن أهم ما دفع الشيبسي إلى الترحيب بثورة الاتحاديين هو ما علقه من آمال كبيرة عليها بأنها ستؤدي إلى انعقاد العراق من مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تفاقمت بصورة خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦م-١٩٠٩م) ، فقد كانت شعاراتهم تهزه في الأعماق كما أن عددا من إجراءات الاتحاديين حظيت بإعجابه لاسيما إحياء الدستور ومجلس المبعوثان<sup>(٢٣)</sup>.

وفي كربلاء رفعت الأعلام المكتوب عليها (حرية ، عدالت ، مساوات ، اخوت) ، وانشد الشعراء قصائدهم وألقى الخطباء خطبهم فرحين بإعلان الدستور ((ونيل الأمة مناهي وآمالها وشيدت مجدها وعلاها واستنقذت حقوقها المغصوبة بمجود المرهفات

والعزائم الماضية))<sup>(٢٤)</sup>، وأشار أحد الخطباء إلى ما لحق بالعرب من ظلم في عهد الاستبداد<sup>(٢٥)</sup> ((إن الدور البائد أساء إلى هذا العنصر الإسلامي وفرق شمله وعبث بحقوقه ولم يزل لاهيا بشهواته عن تأليف القلوب حتى جاءنا الدور السعيد))<sup>(٢٦)</sup>.

وفي مدينة الحلة عندما وصل الخبر بعزل السلطان عبد الحميد الثاني وإقامة السلطان محمد رشاد مكانه ، على أن تكون حكومته دستورية ديمقراطية ، أقيم في سراياها احتفال كبير حضره أهل الحلة من كل طبقاتهم وألقيت في هذا الاحتفال الخطب<sup>(٢٧)</sup>، وقد افتتح الاحتفال السيد محمد القزويني<sup>(٢٨)</sup> بخطاب افتتحه بقوله: ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء... الآية))<sup>(٢٩)</sup>.

وانسجاماً مع هذا النهج المؤيد للثورة سعى عدد من النخب المثقفة الدارسة في الحوزات العلمية إلى تنظيم أنشطتهم سياسياً عن طريق تأسيس الجمعيات السياسية والأحزاب ، وانعكس عمق هذا التفاعل في أنشطة فكرية كان منها صدور بعض المجلات والصحف ويمكن رصد العديد من تأثيرات الثورة الاتحادية على الساحة العراقية وأهمها :

أولاً: أثبتت للنجف فرصة ممتازة لإظهار نفوذها كما يقول المستر (R.wingate) عندما ((اندفعت موجة عارمة لحركة ديمقراطية تبنتها طبقة المثقفين وعمت الشرق لعشر سنوات خلت ، تلك الموجة التي أسفرت عن نجاح الحركة الدستورية في إيران وتركيا وقد قامت قيامة النجف وأصبحت مركزاً للمناورات السياسية وكان دعاة الدستور يعرفون جيداً إن فرصتهم ضئيلة ما لم ينالوا تأييد كبار المجتهدين وقد استخدم هؤلاء كل وسيلة متيسرة لديهم ليصلوا إلى غرضهم هذا وكان النجاح حليفهم لان الآخوند الخراساني قد انضم إلى جانبهم ومنذ ذلك الوقت أصبحت النجف مرآة تنعكس عليها حركات الأحزاب السياسية المختلفة))<sup>(٣٠)</sup>.

ثانياً: ظهور عدد من المجتهدين وعلماء الدين ومثقفين تحسسوا واقع الظروف الاجتماعية والسياسية المعاشة ، فسعوا إلى إحداث تغير اجتماعي وسياسي في الوسط الإسلامي ؛ ليتخلص من الجمود الذي أصابه ويواكب حركة السياسة العامة وتطوراتها لاسيما وان الدول الغربية بدأت بغزو البلاد الإسلامية ومنها العراق<sup>(٣١)</sup>.

ثالثاً: الآثار التي افرزها تطبيق الدستور العثماني على واقع الحياة العامة في العراق ظهرت بعد الصدمة الكبيرة التي واجهت الناس من جراء سياسة التتريك التي طبقتها جمعية الاتحاد والترقي وقد واجهت هذه السياسة معارضة من قبل العرب فشهدت مدة ما بعد إعلان الدستور ظهور الحياة الحزبية في العراق<sup>(٣٢)</sup>.

رابعاً: احتدام المناقشات القانونية بين فقهاء الشريعة ورجال القانون الوضعي ، وهي المرة الأولى التي يختبر فيها قدرة الفقيه على إثبات ذاته كفقيه ورجل تشريع أمام تحدٍ خارجي فقد كان البحث بين الشرعي الديني والوضعي العلماني يتمحور حول مدى تطابق القوانين الوضعية وأحكام الشريعة ، وكان فقهاء الشريعة من المدرسة الأصولية تحديداً اقدر على إتقان فنون الجدل القانوني واختبار صحة القوانين الوضعية ومطابقتها ، كما ظهر علم الأصول على انه سلاح فعال متفوق في أتون المحاججات القانونية والتي أفضت إلى مفاهيم قانونية حديثة متصلة بالحقوق الفردية والجماعية غير معارضة بنصوص شرعية وثوابت دينية التي لا يمكن إخضاعها للتسويات أو المناقشات القانونية<sup>(٣٣)</sup>.

خامساً: وجد الشعب في إعلان الدستور والحد من حرية السلطان ثم عزله عن السلطة أمراً غريباً ما كان يفكر فيه احد وأثار المفكرون قضايا كان يعاقب عليها القانون بمجرد ذكرها ، كالاستبداد والظلم ونظام الحكم والبرلمان والدستور ، وقد أخذ المجتهدون وطلاب العلم والمفكرين والأدباء يناقشون هذه القضايا في النجف وتسري روح الحماسة بين مؤيد ومعارض<sup>(٣٤)</sup>.

سادساً: امتد نشاط الحركة الإسلامية في النجف إلى استانبول بظهور جمعية (النجمن سعادت) فيها ، فقد كانت الرابطة التي تربط بين استانبول وطهران وأحرار النجف وتواصل بسط الفكرة وبعثها إلى أحرار العالم والمتطوعين وكانت تساند الحركة الدستورية في العراق ، وقد كان الشيخ أسد الله المامقاني الذي كان يدرس الحقوق في الأستانة وأحد أعضاء هيئة العلماء التي أسسها الشيخ الآخوند ممثلاً لعلماء النجف فيها ،

وبذلك أصبحت النجف في هذا العهد مركزا سياسيا مهما بين عواصم الأمم الإسلامية<sup>(٣٥)</sup>.

سابعاً: سهلت ثورة الاتحاديين قيام عدد من الجمعيات والأحزاب السياسية العربية والعراقية أسهمت في الحركة التحررية<sup>(٣٦)</sup>. قيام حركة صحفية قوية ومنتورة في الغالب على اثر إعلان الدستور وقد أسهمت الصحافة بتوسعة دائرة المتعلمين في البلاد وقد ساعدت على نشاط الوعي السياسي فيها<sup>(٣٧)</sup>.

ثامناً: كان من ثمار ثورة الاتحاديين تأليف الشيخ النائيني لكتابه ( تنبيه الامة وتنزيه الملة ) وهو اول كتاب في الفقه السياسي الاسلامي الحديث وكذلك عد وثيقة تاريخية تدون واقع الفكر والسياسة الذي كان قائماً أيام صدوره<sup>(٣٨)</sup>.

تألف هذا الكتاب من مقدمة طويلة ذكر فيها ان وجود الدولة ضرورة فطرية وعقلية ، وقد أيد الشرع هذه الضرورة وطبقها النبي صلى الله عليه واله وسلم اثناء نبوته، وان من اولويات وجدودها هو تمشية أمور البلاد والعباد على وفق نظام الحكومات المتمثل بحكومة تقوم على أساس أن الحاكم مالك للبلاد والعباد وهي الحكومة الاستبدادية، وحكومة أخرى تكون أمينة على إدارة أمور الناس فهي (السلطة)ولاية وأمانة.

ثم شرع في بيان كل صنف ونشأته، وخلص إلا أن التصور الشيعي للسلطة هو سلطة المعصوم(عليه السلام) إلا ان هذه السلطة غصبت منه، وأن هذا الحاكم الغاصب قد غصب حقين هما حق الله وحق الناس، وبغصب السلطة من المعصوم وعدم إيجاد المجتمع حاكماً مثله وضرورة أن وجود الدولة ضرورة عقلية وشرعية فعلى الناس أن تنتخب الحاكم الامثل وينتخبون الى جانبه هيئة مسددة من العقلاء العدول وان يكون هنالك دستور يتضمن كيفية إقامة السلطة ويشخص الحقوق والواجبات وحرية الامة ويكون هذا الدستور نافذا ملزماً للمكلفين بالعمل به كالتزامهم بالعمل بفتوى مراجعهم في أحكامهم الشرعية، كل ذلك شرط عدم تعارض الدستور مع الشرع ولا يعتبر أي شرط آخر قيدياً على صحة الدستور ومشروعيته.

وفي ختام مقدمته أكد على الحرية والمساواة وهما ركنا أية رسالة سماوية. وكتب احد الباحثين في تقييم هذه الرسالة ما نصه ((وتقدم رسالة الشيخ محمد حسين النائيني (١٢٧٣-١٣٥٥هـ) تنبيه الأمة وتنزيه الملة بمنهجيتها الجديدة تجسيدا لنظام معرفي يروم جيل من الفقهاء المصلحين ألسيعة تدشينه ليهيئ بذلك الأجواء لسيادة التوجه المقصدي العقلي للنص الديني يتمظهر في صياغة نظام سياسي عصري يقطع مع سياق تأريخي راسخ ومتحصن بترسانة ضخمة من المأثورات النصية... ان رسالة النائيني وهي بالمناسبة أول مدونة سياسية في التاريخ الإسلامي الشيعي على الاطلاق أسست لقائمة جديدة من التصنيفات العلمية تمثل تراث مرجعيات فكرية وسياسية متنوعة....))<sup>(٣٩)</sup>.

#### الملخص

كان لقيام الثورة الدستورية الاتحادية العثمانية تأثير كبير على الاوساط الدينية والاجتماعية في العراق اذ ان الاهتمام بها لم يختصر على العتبات المقدسة والمرجعيات الدينية فقط بل شمل جميع مكونات الشعب فأحدث يقظة تمثلت بالوعي الذي قوض البنى الفكرية السائدة انذاك حول الحكم والسياسة في الاسلام .

وانسجاماً مع هذا النهج المؤيد للثورة الدستورية سعى العديد من النخب المثقفة والدارسة في الحوزات العلمية الى تنظيم أنشطة سياسية عن طريق تأسيس الجمعيات والاحزاب .

وقفت المرجعية الدينية العليا المتمثلة انذاك بالمرجع السيد كاظم اليزدي موقفا سلبيا من هذه الثورة بعد دراسة اهدافها وافكارها وتوجهاتها .

#### الهوامش:

(١) ساهم في وضع هذا الدستور مدحت باشا الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) ولم يستمر العمل به بسبب وقوف عبد الحميد ضده وتم عزل مدحت باشا في شباط (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)، للتفاصيل انظر سيار كوكب علي الجميل، ص٤٤٣؛ سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، (الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ)، ص٣٥. وللتفاصيل: راجع خليل اينالجيك مع دونالد كواترت، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمه عبد اللطيف الحارس، بيروت - ٢٠٠٧، ج١-٢، ترجمه قاسم عبده قاسم.

(٢) أول حزب سياسي في الدولة العثمانية ظهر عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) بشكل سري يهدف إلى معارضة حكم عبد الحميد الثاني، للتفاصيل انظر السلطان عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٥٦.

(٣) سليمان بن صالح الخراشي ، ، ص ٣٧-٣٨.

(٤) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٣، ص ١٥٩-١٦٠.

(٥) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص ٤١٧.

(٦) عبد الرحيم محمد علي ، ، ج ١، ص ٣٩٢.

(٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٢. والعزاوي ، ج ٨ ، ص ١٦٠-١٦٢.

(٨) حسن شبر، ج ٢، ص ١٤٢.

(٩) عباس العزاوي ، المصدر السابق، ج ٨، ص ١٩٨.

(١٠) انظر علي جودت، ذكريات علي جودت ، ص ٢٥.

(١١) حزب المشور(الشورى)، تأسس عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) على يد عبد الرحمن النقيب وآخرون، وكان الحزب مركز المعارضة جمعية الاتحاد والترقي، أنظر حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الأحزاب السياسية العراقية، ص ٣٥٤.

(١٢) انظر علي الوردي، لمحات اجتماعية، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٥.

(١٣) جمال باشا هو احمد جمال باشا (١٢٣٨-١٢٩٠هـ/١٨٢٣-١٨٧٣م) من غلاة قياديي جمعية الاتحاد والترقي، تولى عدة مناصب منها والي بغداد (١/رمضان/١٣٢٩هـ-٤/رمضان/١٣٣٠هـ/٢٦/آب/١٩١١م-١٧/آب/١٩١٢م)، للتفاصيل انظر محمد حسين كاشف الغطاء، عقود من حياته، ص ٨٧(هامش).

(١٤) ناجي السويدي سياسي عراقي ورئيس وزراء سابق، ولد في منطقة الكرخ ببغداد عام (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م) وتوفي في (٤/شعبان/١٣٦١هـ/١٧/آب/١٩٤٢م) في سالبوري في جنوب افريقية تقلد مناصب عديدة في الدولة العثمانية، للتفاصيل انظر الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ٤١٧ ، المصدر نفسه ، ص ٨٨(هامش).

(١٥) انظر الزبيدي ، ص ٨٨. (هامش)

(١٦) محمد جبار إبراهيم، البيئة الاجتماعية والاقتصادية وأثرها في الفكر السياسي في العراقي الحديث، ص ١٢٩.

(١٧) انظر جودت القزويني ، ، ص ٢٣٣.

(١٨) فؤاد إبراهيم ، ، ص ٢٣٣.

(١٩) للتفاصيل انظر شكري محمود نديم، أحوال العراق في عهد المشروطة الثانية، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٥م)، ص ٣٥؛ فيصل محمد الأرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ٣٨. العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ١٦٠-١٦٢، وراجع تفصيلاً في توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري.

(٢٠) محمد رضا بن محمد جواد بن شبيب (١٣٠٦هـ-١٣٨٥هـ/١٨٨٩-١٩٦٦م) درس المقدمات على أيادي العلماء الأعلام الشيخ محمد حسن المظفر، السيد مهدي بحر العلوم، السيد هبة الله الشهرستاني، شارك في التصدي للبريطانيين، تقلد منصب وزير المعارف خمس مرات، وعضواً في مجلس الأعيان، ورئيساً للمجمع العلمي العراقي، للتفاصيل انظر محمد رضا الشبيبي، مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ص ١٣-٣١.

(٢١) علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي في العراق حتى عام (١٩٦٥م)، ص ٢٩.

(٢٢) عبد الرزاق النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨م-١٩٣٢م) ص ١٢٩.

(٢٣) علي عبد شناوة، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢٤) عبود جودي الحلي، الأدب العربي في كربلاء (١٩٠٨م-١٩٥٨م)، ص ٣٥.

(٢٥) راجع بصدد الآثار السيئة للسياسة العثمانية في: حميد احمد حمدان التميمي، وعكاب يوسف الركابي؛ السيد علوان الياصري، الزعامة العشائرية والعمل الوطني، ص ٦٣-٦٤.

(٢٦) نوري كامل، حسن أبو المحاسن، دراسة عن حياته والاتجاهات السياسية في شعره.

(٢٧) انظر يوسف كركوش، ج ١، ص ١٦٠.

(٢٨) محمد بن مهدي بن الحسن القزويني (١٢٦٢هـ-١٣٣٥هـ)، درس المقدمات في النجف على الشيخ

حسن الفلوجي والسطوح على الشيخ علي حيدر ثم رجع إلى الحلة ليكون مرجعاً روحياً، للتفاصيل انظر يوسف كركوش، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢٩) ((القرآن الكريم)) آل عمران، آية: ٢٦.

(٣٠) نقلاً عن عبد الله فياض، ص ١٣٢.

(٣١) حسن شبر، ج ٢، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣٢) حسن شبر المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٣

(٣٣) فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(٣٤) يوسف عز الدين، تطور الفكر الحديث في العراق، ص ٢٨.

(٣٥) علي الخاقاني، ج ١٠، ص ٨٩.

## المرجعية ودورها في بناء الدولة – اتجاهات الدولة

- (٣٦) عبد الله فياض، المصدر السابق، ص ١٣٩.
- (٣٧) عبد الله فياض المصدر السابق ص ١٣٩
- (٣٨) حميد جاسم عبود، ص ١٠١.
- (٣٩) فؤاد ابراهيم الفقيه والدولة المصدر السابق، ص ٢٣٧

### المصادر والمراجع

#### القران الكريم

- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري (القاهرة، ١٩٦٠)
- جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية، (بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٥)
- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الأحزاب السياسية العراقية (بيروت: العارف، ٢٠٠٧)
- حميد احمد حمدان التميمي، اثر المرجعية الدينية في النجف الاشرف على التطورات السياسية في ايران في اواخر القرن التاسع عشر العقد الاول من القرن العشرين في الصلات الثقافية بين العراق وايران (طهران: ٢٠١٢م).
- خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد م. الارناؤوط، (لبنان: الدار الإسلامي، ٢٠٠٢م)
- سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدول العثمانية، (الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ)
- سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث، (الموصل: دار الكتب للطباعة، ١٩٩١م)
- شكري محمود نديم، أحوال العراق في عهد المشروطية الثانية، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٥م)
- عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، (بيروت: الحضارات، د.ت)

- عبد الحميد (السلطان)، مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة محمد حرب، (دمشق: دار العلم، ١٩٨٩م)
- عبد الرحيم محمد علي ، فصول من تاريخ النجف ، وبحوث أخرى ، (بيروت: الرافدين ، ٢٠١١م)
- عبد الرزاق النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (١٩٠٨م-١٩٣٢م)، (بغداد: مكتبة عدنان، ٢٠١٢م)
- عبد الله فياض الثورة العراقية الكبرى، ط٢، (بغداد: دار السلام، ١٩٧٢م)
- عبود جودي الحلبي، الأدب العربي في كربلاء (١٩٠٨م-١٩٥٨م)، (كربلاء: أهل البيت، ٢٠٠٥م)
- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ط٢ (بيروت: دار الراشد ، ٢٠٠٥م)
- علي جودت، ذكريات علي جودت (بيروت: الوفاء، ١٩٦٧م)
- علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي في العراق حتى عام (١٩٦٥م)، (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٩م)
- علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، موقع المؤلف [www.slaay.com](http://www.slaay.com)
- فؤاد ابراهيم ، الفقيه والدولة ، الفكر السياسي الشيعي ، ( بيروت : دار الكنوز الادبية ، ١٩٩٨ )
- فيصل محمد الأرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، (الموصل: مطابع الجمهورية، ١٩٧٥م).
- محمد جبار ابراهيم، البيئة الاجتماعية والاقتصادية وأثرها في الفكر السياسي في العراق الحديث، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦م)
- محمد حسين كاشف الغطاء عقود حياتي، تحقيق أمير الشيخ شريف، (النجف: منشورات مدرسة ومكتبة الإمام كاشف الغطاء، ٢٠١٢م)

- محمد رضا الشبيبي، مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته، إعداد كامل سلمان الجبوري، (بيروت: الرافدين، ٢٠١١م)
- نوري كامل حسن، أبو المحاسن، دراسة عن حياته والاتجاهات السياسية في شعره، (بيروت: المعارف للمطبوعات، ٢٠٠٠م)
- يوسف كركوش، تاريخ الحلة، (قم: الحيدرية، ١٤٣٠هـ).

## الاخلاق الفاضلة وصناعة مسار التاريخ في خطاب المرجعية الرشيدة

أ.م. د فاضل كاظم صادق

جامعة ذي قار - كلية الآداب - قسم التاريخ

المقدمة:

تأتي الاخلاق في مقدمة القيم الانسانية التي دعا اليها الله سبحانه وتعالى من خلال ما بشر به جميع الرسل والانبياء للناس اجمعين ولأنها بهذه الاهمية فقد وصف البارئ نبيه الكريم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١) فالأخلاق الحميدة هي من الحسنات الكبرى التي يوصف من يعمل بها ومصداق هذا في قوله عز من قائل (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٢) وفي احاديث الرسول (ص) هناك الكثير منها من التي تدعو الى التحلي بمكارم الاخلاق على رأسها ( ما بعثت الا لأتمم مكارم الاخلاق ) (٣) وكذلك (ما من شيء في الميزان اثقل من حسن الخلق) (٤) و ( حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار ) (٥) وسئل رسول الله عن اي الايمان افضل ( قال حسن الخلق ) (٦) .

اما الامام علي عليه السلام فكان مدرسة في الاخلاق والفضائل وله احاديث ومقولات في صور القيم الخلقية (٧) . ومن التقوى والورع والحلم والعقل والصبر والثبات التواضع واحترام اراء الاخرين وحفظ كرامتهم (٨) والعفو والصفح والتسامح (٩) والصدق واداء الامانة والكرم والاحسان (١٠)

وتأسيسا على ما تقدم اذن ما هي العلاقة بين منظومة الاخلاق وتوجه مسارات التاريخ ؟ او بالأحرى كيف تؤثر طبيعة هذه الاخلاق في مسيرة اي مجتمع واية امة ؟ وايضا لماذا تؤكد المرجعية الرشيدة في المتوالي من خطابها على اهمية الالتزام بالقيم والاخلاق الكريمة ؟ وما اهمية ذلك على حركة ومسار تاريخ المجتمع العراقي سيما في هذه المرحلة المحرجة من حياة ومستقبل العراقيين جميعا؟

بداية لا بد من معرفة ان الرؤية الاخلاقية في الاسلام مرتبطة اشد الارتباط بالتاريخ فالتاريخ هو مسرح سلوكيات الانسان تلك السلوكيات في المنظار الاسلامي هي كعبرة

وموعظة من الضروري الوقوف عندها مليا للإفادة من خلاصة التجارب التي تمر بهذا المجتمع او ذاك<sup>(١١)</sup>.

ومعنى التاريخ هنا ليس مجرد نظرة فلسفية وعلمية الى احداث هذا التاريخ بل تتضمن فكرة اكبر واعمق حينما تتجه الى التقييم الاخلاقي لحركة واتجاه تاريخ هذا المجتمع<sup>(١٢)</sup>. وعلى هذا الاساس فان القران الكريم يشير الى اربعة عوامل هامة في نهوض ونكوص المجتمع والذي يؤثر لاحقا على صناعة تاريخ هذا المجتمع وهي العدل والظلم والوحدة والتشتت والتقييد بالأمر بالمعروف ونهي عن المنكر والفسق والفجور والفساد<sup>(١٣)</sup>.

اذن هناك ترابط مهم بين التاريخ والاخلاق اذ ان مفهوم الوجود وهو متعدد الجوانب فهو يشمل العقيدة وفلسفة التاريخ وعلاقة كل ذلك بالقيم الاخلاقية وان حركة التاريخ تتجه نحو الخير او الهلاك تبعا للهدف الذي تتجه اليه<sup>(١٤)</sup>.

وانسجاما مع هذا فموضوعة التقدم والتطور لها علاقة مباشرة وجوهرية مع المشكلة الاخلاقية<sup>(١٥)</sup>. على اعتبار ان الافعال والاحداث والقيم الاجتماعية والاخلاقية التي يمارسها الافراد والجماعات سلبا او ايجابا فهي لها الاثر الكبير في توجيه حركة الاحداث التاريخية<sup>(١٦)</sup>. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) (١٧).

وفي الجانب الاخلاقي فالقران الكريم يتحدث عن نموذجين الاول يمثل المثل الاعلى او النموذج الصالح المتفاني في خط الاصلاح والدعوة الى الايمان بالله في سبيل رقي وتقدم الانسانية والثاني يمثل الخط السيء الغارق في الانحراف والضلال البعيد عن القيم الاصلاحية الداعي الى الفساد والفوضى والذي يقف بوجه حركة التاريخ والمسيرة الانسانية نحو النماء والرقي فالخط الاول مثله الانبياء والاولياء والصالحون اما الخط الثاني فيتجسد في النمرد وفرعون وهامان وقارون<sup>(١٨)</sup> وفي المسار التاريخي للمنظومة الاخلاقية في صيانتها والحفاظ عليها من الضعف والانهياد فالقران الكريم

يؤكد على مسؤولية ابناء الامة جميعا في مواجهة الازمة الاخلاقية فالقيادات واصحاب المسؤولية لا يتحملون وحدهم ما يحدث فعلى الجماهير تقع ايضا مسؤولية التصدي للانحراف الاخلاقي الذي يقع في المجتمع<sup>(١٩)</sup>.

بعد هذه المقدمة التي عرفنا من خلالها اهمية الخلق الكريم في توجيه صناعة التاريخ الانساني نحو الخير والتقدم تأتي للتعريف والبحث في اهمية المنظومة الاخلاقية الحسنة التي تدعو اليها المرجعية الرشيدة ابناء المجتمع العراقي سيما في هذا الظرف المحرج والمرحلة المفصلية المحورية من حياة هذا المجتمع وهو يمر بأخطر حقبة من تاريخه الطويل ولعل موضوعه الاخلاق والقيم هي عنوان وتاريخ شخصية ومسيرة هذه المرجعية الرشيدة فكل حركاتها وسكناتها وما تقوله وتفعله هو اخلاق وقيم ومبادئ وعلى هذا الاساس لا يمكن الاحاطة والالمام بصور واوجه وافعال وتفصيل ذلك في فكر وفلسفة هذه المرجعية وفي ذلك فقد اخترنا خطبة الجمعة الثانية التي القيت بتاريخ ١٩ جمادى الاخرة / ١٤٤١ هـ الموافق ليوم ٢٠٢٠/٢/١٤ م بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي والتي كان عنوانها منظومة القيم والاخلاق وضرورتها المجتمعية للحديث في هذا الموضوع<sup>(٢٠)</sup>.

وقع الاختيار على هذه الخطبة الكريمة نظرا لما حوته من جوانب تفصيلية في المنظومة الاخلاقية والقيمية للمجتمع العراقي في هذا الوقت ولأنها جاءت في وقتها المناسب اذ من الضروري بمكان توصيف مواطن الخلل والضعف في هذه المنظومة عند الشعب العراقي سيما لدى الذين يقودون هذا المجتمع ويدهم سلطة القرار التشريعي والتنفيذي وهذه الخطبة جاءت في محلها حيث لا بد من الحديث بها بسبب ما ظهر وانتشر في المجتمع العراقي من بعض الافعال والتصرفات التي لا تمت بصلة لتاريخ وسلوك هذا المجتمع الكريم في اخلاقه وتاريخه المجيد.

ابتدأت الخطبة القول ان القيم والاخلاق ضرورة حياتية في جميع مجالات الحياة للفرد والمجتمع بل لكل المجتمعات البشرية مع قطع النظر عن كونهما تنتمي لذين سماوي او لا تنتمي لذين سماوي وفي التعليق عن ذلك فالقيم الخلقية في رأي المرجعية هي من

ضرورات الحياة في جميع مجالات المجتمع افرادا وجماعات بغض النظر اكانت هذه الاخلاق ترتبط في جذرها الى دين سماوي او لا تنتمي الى هذا الدين السماوي<sup>(٢١)</sup> . ومن هذه الفكرة التي اشارت اليها الخطية نستنتج مدى سماحة وانسانية المرجعية الرشيدة في الانفتاح على الاخلاقيات الحقة للآخرين من الذين لا يدينون بدين معين و الاخذ والافادة من تلك الاخلاقيات على اساس ان الاناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق<sup>(٢٢)</sup> ، وفي هذا ايضا نلمح الخلق العالي للمرجعية فهي لا تبخس الناس حقوقهم فهي تثبت وتشير الى المظاهر والافعال المشرقة لدى الآخرين من الذين لا يشتركون معها في الدين او المذهب وهذا الخطاب الانساني له اثر كبير في بناء وصلاح المجتمع فهو قد شمل الجميع بغض النظر عن الانتماءات والمشارب مما يحفز الامة كلها للمشاركة في البناء والرقى لما يجدون انفسهم فاعلين غير مهمشين وهذا يعطيهم الحافز والثقة بالنفس عندما يكون العمل يشارك فيه الجميع من ابناء الوطن حتما سيصنع هو لاحقا تاريخا مجيد حافلا بالإنجازات يعتر به كل ابناء البلد .

ولان الاسنان صانع التاريخ فمن المنطقي توفر صحة وسلامة هذا الانسان على المستويين المادي والمعنوي وهكذا اعتبرت المرجعية القيم والاخلاق الانسانية ضرورة اساسية لسلامة المجتمع وعلاقاته بعضه مع البعض الاخر<sup>(٢٣)</sup> .

وفي هذا الاطار تأتي نصائح السيد السيستاني الى الشباب وهي تحمل خلاصة التجربة الانسانية العميقة وهي شاملة لشباب جميع الاجيال فهي ذخيرة روحية من صاحب هذه النصائح الذي هو ابن النصيحة التي على جميع الاخذ منها والاهتداء بها<sup>(٢٤)</sup> .

هذه الاخلاق السليمة في فكر المرجعية ستنتج لاحقا اجيالا قوية تعد من اعمدة المجتمع السليم التعاون والتكافل والتعاقد بين ابناء المجتمع الواحد<sup>(٢٥)</sup> .

واذا ما ساد الخلق السليم فمن مظاهره الحياة الاقتصادية الرغيدة البعيدة عن الظلم والاستغلال وكذلك الاستقرار النفسي<sup>(٢٦)</sup> . وهذا ما يجعل نتائج صناعة التاريخ في اعلى مستويات الاشرار والاشعاع بلحاظ النتائج المهمة التي تترتب عن هذا ولعل من

اولها بناء الانسان الصالح القادر على اداء مهامه التي اوكلها له الله سبحانه وتعالى بوصفه خليفته في هذه الارض .

ومرة اخرى تشير الخطبة المباركة الى حال بعض الامم والشعوب الي وصلت الى مرحلة متقدمة من التطور والرقي رغم انها ليس دين سماوي مشيرة الى اهم اسباب ذلك في اهتمام هذه الشعوب بمنظومة القيم والاخلاق ليس اهتمام نظريا فقط بل نشر هذه المنظومة كثقافة وسلوك ونهج لدى افراد المجتمع ولدى مؤسسات الدولة ولكن ليس ثقافة فقط بل الى ممارسات وافعال يومية<sup>(٢٧)</sup> منها العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الاخرين والتقييد بالنظام والقانون والصدق والامانة وحفظ العهود والمواثيق وقدسية العمل واتقانه بالشكل الصحيح<sup>(٢٨)</sup>.

واذا ما توقفنا عند قدسية العمل بوصفه من اهم اعمدة هذه الممارسات الاخلاقية فالعمل في اخلاقياته هل فعل كل ما هو صحيح بعد معرفته معرفة تامة دينيا ومجتمعا وعند التعارض بين المعرفتين يجب فعل ما اشار اليه الدين دون النظر الى ما اعتاد عليه المجتمع الذي لا يتفق مع اخلاق الدين وتشريعاته في بعض الاحيان<sup>(٢٩)</sup> بالاعتماد على ان اكثر ما يعين العاملين آيا كانوا على اداء مسؤولياتهم وواجباتهم هو معرفة اخلاق العمل التي من المفترض ان يتحلوا بها لذلك يجب اتقانها وتحديدتها بكل دقة ووضوح<sup>(٣٠)</sup>

وتأسيا على هذا فأن تطور صناعة التاريخ لا يعتمد بالأساس على تطور ادوات ووسائل الحياة التي لا تمثل الا المظهر الخارجي لحقيقة النمو والتطور بل ان التاريخ الحقيقي الذي يسجل بناء الامم وشموخها هو الذي ينبعث من الروح الانسانية والعقل البشري المبدع والارادة الواعية وهو وقت ذلك يستند الى مبادئ واخلاقيات وقيم سامية<sup>(٣١)</sup> .

بعد هذا تنتقل الخطبة بالتوضيح الى المجتمع العراقي منوهة الى الكبير من الصفات والاخلاق الحسنة والقيم الانسانية التي يتحلى بها كالكرم والتضحية والصبر والثبات والحمية والغيرة على الدين والوطن . ولكن رغم ذلك فهناك البعض من النواقص

والخصل الذميمة والممارسات غير الصحيحة التي انتشرت بين ابناء المجتمع العراقي<sup>(٣٢)</sup>.

من النواقص الاخلاقية مشاعر الانانية وهي سعي الانسان لتحقيق مصالحة الضيقة الفردية دون الاخذ بعين الاعتبار مصالح الاخرين ، والاضرار في هذا لما يكون هذا الانسان من جماعة المسؤولين الحكام من الذين بيدهم مقدرات السلطة من الثروات والموارد<sup>(٣٣)</sup>.

ان فداحة ذلك يكمن في خلق طبقة تملك الكثير من المال والامكانيات وهي صغيرة يعدد افرادها الى جانبها طبقة كبيرة يعدد افرادها تملك القليل من المال والإمكانات . وهذه المجموعة المتنفذة تتحول بعد هذا الى فئة مترفة يمثل وجودها خطر دائما على عموم المجتمع وحتى يأمن المجتمع على سلامته وحقه يجب اتخاذ الوسائل الممكنة للحيلولة دون ظهور المترفين<sup>(٣٤)</sup> ، وهم في القران الكريم اعداء كل رسالة وخصوم كل اصلاح وتقدم واتباع الضلالة ومصدر الفساد عريض ومثار فتن متجدده<sup>(٣٥)</sup>.

ومن الظواهر غير الاخلاقية كذلك ظاهرة الكذب والنفاق التي سادت المجتمع<sup>(٣٦)</sup> وهاتان افتتان تفتكان اشد الفتك ببناء الدولة والمجتمع ، فالكذب يحرف الحقيقة وما يفكر به وما يعزم عن قوله وفعله<sup>(٣٧)</sup>.

اما عن النفاق فهو من اخطر الامراض انه مرض يمتد ليتغلغل في اعمال النفس البشرية فيسوقها الى المهالك والحتوف وهو انحراف في حياة الافراد والامم<sup>(٣٨)</sup>. وتبدو خطورة النفاق حينما يدخل في الدين لما يتخذه ستاراً وغطاءاً للقيام بعمليات الهدم الشنيع من الداخل ولذلك فالقران الكريم وقف عند هؤلاء المنافقين وعمل على فضح سرائرهم وكشف نواياهم وابرار مساوئهم وصفاتهم<sup>(٣٩)</sup>.

ومن الصفات غير الصحيحة في المجتمع هي العصبية القومية والمذهبية والعشائرية والتي دفعت البعض الى اتخاذ المواقف البعيدة عن الحق والانصاف التي تزرع اخيراً الاحقاد والضغائن والكراهية بين ابناء المجتمع الواحد وتدفع عنهم صفة التعاون والتكاتف<sup>(٤٠)</sup>.

فالعصبية المذهبية هي لون من ألوان الجاهلية قبل الإسلام فهي تستفيد من طاقة الدين وقدرته على التأثير الذي إن أحسن فهمه وتطبيقه فهو طاقة خيره وبناءه وإذا أسىء فهمه وتطبيقه فهو طاقة مدمرة وهدامة والشاهد في أيامنا هذه ليس بالقليل<sup>(٤١)</sup>.

إن أدنى مقارنة بين الخطاب المذهبي ذي المضمون الجاهلي وبين ما جاء في القرآن الكريم يظهر بوضوح إلى أي مجال ينتمي هذا الخطاب فالقرآن ينهي عن التنزع والخطاب المذهبي يدعو إليه والقرآن يتكلم عن الأمة والوحدة والخطاب المذهبي للأمم لديه بعدد المذاهب والقرآن يدعو إلى الوحدة والإصلاح والخير والرحمة والتفاعل الحضاري والإنساني والتمذهب الجاهلي يدعو إلى خلاف ذلك<sup>(٤٢)</sup>.

ومن الظواهر الأخرى التي أشارت إليها خطبة المرجعية مسألة استخدام العنف في حل المشاكل المختلفة والابتعاد عن الحوار والتفاهم والذي هو كفيلاً في القضاء على الخلافات<sup>(٤٣)</sup>.

إن لغة الحوار بين المتخاصمين هي من الأساليب الحضارية الإنسانية التي تبرهن على رقي وتطور هذا الشعب أو ذلك وهي توجه مسار صناعة التاريخ بنحو القوة والثبات والقرآن الكريم فيه من الأفكار والمناهج والآيات ما يشير ويؤكد على أهمية اتباع منهج الحوار للتواصل مع الآخرين<sup>(٤٤)</sup>.

وشخصت الخطبة كذلك جملة من الممارسات غير الأخلاقية الأخرى كالاعتداءات والتجاوزات على الأطباء والأساتذة في الجامعات والمعلمين والمدرسين وعلى مختلف موظفي الدولة من الذين يقدمون خدمات عامة ومن الظواهر الأخرى الرشوة والاختلاس والتجاوز على المال العام وتعاطي المخدرات وكثرة حالات انتحار وارتداء ملابس وإزياء لا تمت إلى الهوية الوطنية العراقية بعلاقة وصله<sup>(٤٥)</sup>.

وبعد ما عرضته المرجعية من هذه الأخلاق غير الحسنة جاءت لتعطي المعالجات للقضاء على هذه الآفات والأمراض الاجتماعية وأول ما عرضته كعلاج لذلك هو التأكيد على الوعي المجتمعي في أهمية الأخلاق والقيم على مختلف مجالات الحياة<sup>(٤٦)</sup>.

ولعل الوعي هنا بمعناه العام وقوف الانسان على افعاله وايضا افعال الاخرين من ابناء المجتمع جميعا والتفكير بها مليا ونقدها نقدا بناءا لتمييز الصالح من الطالح منها وهو بمعنى ادق قراءة ماضي ما حدث وفحص ما جرى ويجري في محاولة للإفادة من الدروس التاريخية السابقة من خلال النتائج التي ترتبت عليها تلك الأفعال والاعمال السابقة<sup>(٤٧)</sup>. ام مسألة وعي ما حدث ويحدث غاية في الاهمية لتحقيق الاصلاح المطلوب هذا الاصلاح الذي تريده المرجعية ليس شعارات واقوال بل تحويل مضامين وفحوى الاصلاح الى ممارسات يومية واشاعتها كثقافة تصبح بعد ذلك جزءا من حياة الشعب العراقي لا غنى له عنها وهو يعمل على بناء ورقي وتقدم بلده العراقي هذا يحتاج الى عمل كبير يشارك فيه ابناء الشعب جميعا<sup>(٤٨)</sup>.

وختاما فتاريخ الامم الماضية عبرة وعظة للأجيال الحاضرة فيحدثنا القران الكريم عن مصير الامم والشعوب كيف صار حالها حينما ارتكبت المعاصي والآثام وابتعدت عن الاخلاق الفاضلة فنالت غضب الله وكانت نهايتها الفناء وصارت ديارها خرابا . هكذا سعت المرجعية وتسعى جاهدة في تبصير الناس جميعا ان ملاذهم الاول والاخر التمسك بالأخلاق الحميدة وجعلها منهاج حياة وخارطة طريق وعند ذاك يبني حاضرا زاخرا بالتقدم والرقي يعيش الناس معه حياة هائلة سعيدة على مختلف الاصعدة والميادين تظل تاريخي تعتر به الاجيال القادمة

مخلص البحث

يركز البحث على اهمية المنظومة الاخلاقية القيمية التي اعتاد عليها المجتمع العراقي منذ امد طويل في صناعة تاريخ مجيد حافل بالإنجازات لهذا المجتمع فهناك تناسبا طرديا في هذه المعادلة فكلما ارتقى مستوى الاخلاق نحو الكمال والرقي كلما صفت الامة لنفسها تاريخا ظافرا بالفخر والمكرمات يصير محل اعتزاز وعرفان للأجيال القادمة والعكس صحيح فحينما تنحدر اخلاق وقيم اي مجتمع باتجاه الضعف والتسافل يتحول هذا التاريخ عبئا وثقلا على تلك الاجيال وبناءا على هذه المعادلة ادركت المرجعية الرشيدة ما يعاينه المجتمع العراقي الان من عادات وممارسات اخلاقية كان لا بد من الوقوف

عندها وتشخيصها ووضع الحلول والمعالجات المناسبة لها فالمرجعية تعي جيدا وهي المعروفة بذلك ان اية تطور وتقدم لا يمكن تحقيقه الا بعد اصلاح المنظومة الاخلاقية من الخلل والضعف .

لقد عملت المرجعية ومن منطلق مسؤوليتها في الحرص على بناء تاريخ مشرف لهذا المجتمع يعتز به العراقيون مستقبلا وذلك في معرفتها الدقيقة بالعلاقة الوثيقة بين الاخلاق والقيم من جهة وبين بناء هذا التاريخ المخلد من جهة اخرى .

الهوامش :

(١) سورة القلم ، الاية ٤

(٢) سورة فصلت ، الاية ، ٣٤

(٣) ، محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ٢٠١٢ م . الحديث ٦١٣

(٤) ابو عيسى محمد الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٩٦م الحديث ٢٠٠٢

(٥) احمد بن حنبل ، مسند ابن حنبل ، دار الحديث ( القاهرة ١٩٦٩م ) الحديث ٢٥٢٩٨

(٦) المصدر السابق ، الحديث ١٩٤٥٤

(٧) جورج جرداق ، روائع نهج البلاغة ، ط٣ ( قسم المقدسة ، ٢٠٠٥ ) ص ٤٢ وما بعدها .

(٨) نهج البلاغة ، الحكم والاقوال .

(٩) جرداق ، المصدر السابق ، ص ٢٠ وما بعدها

(١٠) عباس علي الموسوي ، الوصية الخالدة ط ١ ، دار الاضواء ( بيروت ، ١٩٨٥ ) ص ٢٨ ، ط ٣ ،

ص ١٧٠ ص ١٧٩ ، ص ٢٠٤

(١١) محمد عبد اللاوي ، دراسات في المدرسة الفكرية للشهيد السيد محمد باقر الصدر (وهران - د -

م ) ص ١٧٧

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٧٧

(١٣) مرتضى المطهري ، المجتمع والتاريخ ، ترجمة مرتضى الحسيني ط ١ ( طهران ، ١٩٧٩ ) ص ١٧٤ -

١٧٥

(١٤) عبد اللاوي ، المصدر السابق ، ص ١٧٩

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٧٩

(١٦) عامر الكفيسي ، حركة التاريخ في القرآن الكريم ، دار الهادي ( دمشق ، ٢٠٠٣ ) ص ١٢١

- (١٧) سورة الروم ، الاية ٩
- (١٨) الكفوشي ، المصدر السابق ، ص ١٢٢
- (١٩) عماد الدين خليل ، التفسير الاسلامي للتاريخ ط ٢ ، دار العلم للملايين ( بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٢ )
- (٢٠) الخطبة منشورة على صفحة العتبة الحسينية المقدسة .
- (٢١) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٢) نهج البلاغة ، عهد الامام الى الوالي على مصر مالك بن الاشر
- (٢٣) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٤) علي حسين الحجاز ، قراءة انطباعية في نصائح السيد السيستاني مقالة منشورة في موقع شفقنا العراق ٢٠١٧ م
- (٢٥) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٦) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٧) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٨) الخطبة ، المصدر السابق
- (٢٩) الخطبة ، المصدر السابق
- (٣٠) احمد جابر حسنين ، اخلاقية العمل بين الدين والمجتمع ( القاهرة - ٢٠١١ ) ص ١٧ .
- (٣١) احمد جابر حسنين علي ، المصدر السابق ، ص ١٧ .
- (٣٢) مرتضى معاش ، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار مجلة النبأ العدد ١٤ سنة ٢٠٠٠ م
- (٣٣) الخطبة ، المصدر السابق
- (٣٤) الخطبة ، المصدر السابق
- (٣٥) محمد فتحي حسان ، موقف القران من الترف والمترفين ، مقالة منشورة على شبكة الالوكة ٢٠١١/٤/٦ م
- (٣٦) المصدر نفسه
- (٣٧) الخطبة ، المصدر السابق
- (٣٨) جاك ديدرا ، تاريخ الكذب ، ترجمة / رشيد يازي ( الدار البيضاء )
- (٣٩) مسعود فلوسي ، شخصية المنافق في القران الكريم ، مجلة الاحياء ، العدد الاول السنة الاولى ١٩٩٨ م ، ص ٧٩ ،
- (٤٠) المصدر السابق ، ص ٧٩

- (٤١) الخطية ، المصدر السابق
- (٤٢) العصبية المذهبية :- المذهبية بلباس الدين ، مقالة منشورة على شبكة الانترنت .
- (٤٣) المصدر السابق
- (٤٤) الخطية ، المصدر السابق
- (٤٥) معن محمود عثمان ، الحوار في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ، ٢٠٠٥ م
- (٤٦) الخطية ، المصدر السابق
- (٤٧) الخطية ، المصدر السابق
- (٤٨) للمزيد عن ذلك ينظر ، محمد باقر الصدر ، السنن التاريخية في القرآن الكريم ط١ دار احياء التراث العربي ، بيروت ٢٠١١ ،
- قائمة المصادر والمراجع
- ١- القرآن الكريم
- ٢- البخاري : محمد بن اسماعيل ، بيروت ٢٠١٢ م ، صحيح البخاري
- ٣- الترمذي : ابو عيسى محمد ، سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٩٦ م .
- ٤- جرداق : جورج ، روائع نهج البلاغة ط٣ ( قم المقدسة ، ٢٠٠٥ ) .
- ٥- حسان : محمد فتحي ، موقف القرآن من الترف والمترفين مقالة منشورة على شبكة الالوكة ٢٠١١/٤/٦ م .
- ٦- حسنين : احمد جابر ، اخلاقية العمل بين الدين والمجتمع ( القاهرة ، ٢٠١١ م).
- ٧- ابن حنبل : احمد ، مسند بن حنبل ، دار الحديث القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٨- الحنباز : علي حسين ، قراءة انطباعية في نصائح السيد السيستاني ، مقالة منشورة في موقع شفقنا العراق ٢٠١٧ م .
- ٩- خليل : عماد الدين ، التفسير الاسلامي للتاريخ ، ط٢ دار العلم للملايين ( بيروت - ١٩٩٨ ) .
- ١٠- ديدرا : جاك ، تاريخ الكذب ، ترجمة رشيد يازي ( الدار البيضاء - د - م )

- ١١- الصدر: محمد باقر ، السنن التاريخية في القرآن الكريم ، ط١ دار احياء التراث العربي ( بيروت - ٢٠١١ م ) .
- ١٢- عبد اللاوي: محمد ، دراسات في المدرسة الفكرية للسيد الشهيد الصدر ( وهران - د. م )
- ١٣- عثمان: معن محمد ، الحوار في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح ٢٠٠٥ م .
- ١٤- الكفيشي: عامر ، حركة التاريخ في القرآن الكريم ، دار الهادي ( دمشق ، ٢٠٠٣ ) .
- ١٥- فلوسي : مسعود ، شخصية المنافق في القرآن الكريم ، مجلة الاحياء ، العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٩٩٨ .
- ١٦- المطهري: مرتضى ، المجتمع والتاريخ ، ترجمة مترضى الحسيني ط ١ ( طهران - ١٩٧٩ )
- ١٧- معاش : مرتضى ، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار مجلة النبأ العدد ١٤ لسنة ٢٠٠٠ م .
- ١٨- الموسوي: عباس علي، الوصية الخالدة ، دار الاضواء ( بيروت - ١٩٨٥ ) .

## موقف الدين من الدولة

### دراسة في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية

أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي  
عميد كلية القانون/جامعة الكفيل

مقدمة:

تبدو مفردتا الدين والدولة للوهلة الأولى واضحتين دالتين على معانيهما، إلا أن شيئاً من التمعن يقودنا إلى عمقهما وسعة معانيهما. وإذا كانت مفردة الدولة مستوعبة لمعانيها عندما تطرق مسامع ذوي الاختصاص القانوني فالدين ليس كذلك. فلا بد إذن من تحديد المفاهيم للوصول إلى رؤية واضحة عن موقف الدين من الدولة.

ما اختلف فقهاء القانون وأرباب الفكر السياسي على شيء اختلفاهم في تعريف الدولة وترجع هذه الخلافات إلى الغموض والالتباس الذي يحيط بالظاهرة موضوع التعريف نفسها، فالدولة في الواقع ظاهرة متعددة الصورة والعناصر وأن أكثر التعاريف التي وضعت تقتصر على بعض صور الدولة وعناصرها من دون البعض الآخر. على أن التعريف الصحيح للدولة يجب أن يتضمن جميع العناصر اللازمة لوجود الدولة والمعيار القانوني الذي يميزها عن غيرها من الوحدات السياسية والقانونية ذلك لأن الدولة هي في الوقت ذاته ظاهرة سياسية اجتماعية فإذا قصرنا التعريف على بعض هذه المظاهر كان التعريف ناقصاً، فيمكن تعريف الدولة أنها شخص معنوي يتكون من شعب يقطن إقليم تحكمه سلطة سياسية تتمتع بسيادة.

وهكذا نجد أن الفقهاء وإن كانوا يختلفون في تعريف الدولة، فإنهم متفقون على العناصر الجوهرية أو الأركان الأساسية للدولة بوصفها مجتمعاً قانونياً وهي عندهم ثلاثة: الجماعة البشرية (الشعب)، والإقليم، والهيئة الحاكمة (السلطة السياسية)، فيما يضيف لها جانب من الفقه ركن الاعتراف إلا أننا لا نجد فيه ركناً للدولة تنشأ باجتماع أركانها الثلاثة وإذا ما نشأت ثبتت لها السيادة على إقليمها إلا أن الاعتراف يمكنها من بناء العلاقات مع الدول الأخرى.

وإذا كان مؤرخو الفكر السياسي يجمعون على ظهور الدولة بالمعنى المتقدم كان في القرن السادس عشر، فالسؤال ما هي الدولة التي يمكن أن نبحت موقف الدين منها خصوصاً إذا علمنا أن الأديان أقدم بكثير من مفهوم للدولة؟ والاجابة على ذلك هي أننا نبحت موقف الدين من السلطة السياسية، أو الهيئة الحاكمة التي اكتسبت صفة الدولة، قبل أن يتوسع مفهوم الدولة إلى ما هو متعارف عليه اليوم.

وللوقوف على ذلك كله، سنقسم هذه الدراسة على ثلاثة مباحث، إذ سنخصص المبحث الأول لمعرفة ماهية الدين وسنبحت في الثاني موقف الديانتين المسيحية واليهودية من الدولة، وسنفرد الثالث لموقف الدين الإسلامي من الدولة.

### المبحث الأول

#### ماهية الدين

حاول الفقهاء والباحثون الوصول إلى مفهوم محدد للدين إلا أنه لم يتسن لهم ذلك لكثرة التصورات الدينية للمعبود والمقدس وتنوعها وتعدد صور وصيغ العبادات بالإضافة لاختلاف مواقف المفكرين ومذاهبهم في فهم الوجود.

بين هذا الكم من المفاهيم المتباينة نحاول تبيان ماهية الدين بقدر ما يتعلق بموضوع بحثنا إذ سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في الأول مصدر الدين ونشأته ونتطرق في الثاني تعريف الدين وتمييزه عما يشته به.

### المطلب الأول

#### مصدر الدين ونشأته

سنوزع البحث في هذا المطلب على فرعين نخصص الأول لمصدر الدين ونفرد الثاني لنشأته.

### الفرع الأول

#### مصدر الدين

إنَّ البحث في مجال الدين يجعلنا نقف عند عدد كبير من المؤلفات التي لا يمكن لباحث متخصص بعلم الأديان حصرها وحصر موضوعاتها فضلاً عن باحث غير متخصص

إلا أننا نسعى جهدنا لما تتسم به الدراسة الوضعية القانونية للدين من أهمية إذ تجد الدين تحول عبر التاريخ من كونه القانون الناظم لحياة المجتمعات إلى مصدر من مصادر القانون وأحياناً لا يعدو كونه حرية يبيحها القانون تارة ويضيق عليها أخرى.

وعلى الرغم من ذلك يمكننا القول إن الجانب القدسي للدين في حياة الأفراد والجماعات كان ولا يزال يأخذ حيزاً كبيراً. وحين نبحث في الأديان نجد أن مصدر الدين أما إلهي أو إنساني أي يصنعه الإنسان لأجل صلاح البشرية<sup>(١)</sup>، وهو أما يعود لإنسان معين كالبودية أو لا كالجانانية<sup>(٢)</sup>. أما المصدر الإلهي فهو على قسمين:

القسم الأول: أديان أهتدى الإنسان إلى وجود الهتها

تعدّ الآلهة موجودات أو حقائق طبيعة وتتضح هذه العلاقة في الديانات المصرية القديمة<sup>(٣)</sup>، وهو ما يُصطلح عليه بالوثنية وهناك من يرفض عدّها وثنية أو كفر بل يجد بأنها تُعبر عن حاجة إنسانية في الجوع إلى المقدس والبحث عن الحقيقة بل وهي دين فالروح تجوع كما يجوع الجسد، وأن طلب الروح لطعامها كطلب الجسد لطعامه لا يتوقف على جودة الغذاء ولا على حلاوة المذاق بل على الشعور بالحاجة إليه<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتضح أن الدين ناحية من النواحي الفكرية بدأ مع الإنسانية في سذاجتها وتطور معها في درج الحياة حتى وصل إلى كماله<sup>(٥)</sup>.

ويذهب أحد الباحثين إلى أن الأمم السابقة والتي كثيراً ما كانت تقدس آلهة أصغر وتُصنّفها إلى مجموعات كإله المطر وإله الريح.. لم تكن تعتقد بتعدد الآلهة بل أن الآلهة المتعددة هي عبارة عن ملائكة موكلة ببعض الأعمال وشؤون الخلق أو يرونها شياطين تعمل على ضررهم فيما يحسبون وقد أطلق عليها اسم الآلهة تساهلاً مع الناس. ويستدل على ذلك بوجود إله أعظم في كل حضارة من الحضارات يقهر هذه الملائكة أو الشياطين ويسيرها وتمثل أوامره ونواهيها، ونتيجة للخلط بين المفهوم الصحيح للآلهة وبين الملائكة والشياطين في أذهان عامة الناس تأصلت هذه المعتقدات لدى الأجيال المتعاقبة منهم حتى تصبح جزءاً حقيقياً من معتقداتهم وتختلط الأمور في أذهانهم، وأن الإنسان منذ بداياته كان ينظر إلى الألوهية نظرة توحيدية فالأمم قد أعطت صفات عامة

تشمل خلق السماوات والأرض والسيطرة عليها رغم اختلاف الأسماء التي أطلقتها هذه الأمم على الإله الذي تعبده وتخضع له وأن الاختلاف في الأسماء المطلقة على الذات الإلهية المقدسة لا يعني بالضرورة تعدد المسميات عند هذه الأمم، فإطلاق اسم (آن) لدى الحضارة الأكادية، و(آتون) و(رع) في الحضارة المصرية، و(أنليل) في الحضارة السومرية، و(بل) في الحضارة البابلية، لا يدل على اختلاف في الذات الإلهية لدى هذه الحضارات مادامت الصفات التي تنسبها هذه الأمم إلى معبودها واحدة، غاية الأمر أن كل أمة أطلقت عليه الاسم الذي يناسب ثقافتها ولغتها كما هو الحال في العصر الراهن حيث يُطلق في اللغة العربية على ذاته تعالى اسم (الله)، وفي الفارسية (خدا)، وفي الفرنسية (dieu)، وفي الإنكليزية (god)<sup>(٦)</sup>.

ونجد أن هذا الرأي وأن كان يصح لتفسير الدين للإنسان البدائي إلا أنه لا يمكن أن ينهض ليفسر لم بعضهم ينحى هذا المنحى من الدين في القرن الحادي والعشرين؟!

القسم الثاني: أديان الوحي الإلهي

والدين هنا وصل إلى الإنسان عن طريق الأنبياء واجتراح المعجزات والكرامات والاعتقاد بالوحي، والنبوة، والبعث والحساب. وهو القدر المشترك بين الأديان<sup>(٧)</sup>.

وهنا نجد أن الباحثين يفترون على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الدين واحد

إذ يذهب بعض الباحثين إلى أن الدين واحد ولا خلاف بين الأديان على العموم<sup>(٨)</sup> ويستدلون بقوله تعالى: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا))<sup>(٩)</sup> وهنا يؤكدون أن هذا الدين هو الإسلام<sup>(١٠)</sup> بدليل قوله تعالى ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ))<sup>(١١)</sup> وأن الدين من السماء هو الإسلام لا غير<sup>(١٢)</sup>، لقوله تعالى ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا))<sup>(١٣)</sup>، وقوله تعالى ((هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ))<sup>(١٤)</sup>.

أما فيما يتعلق بتسمية الأديان باليهودية والمسيحية فيشيرون إلى أن ذلك يرجع إلى محورية الشخص كما في المسيح أو تغليب فئة على ما عداها كما في اليهودية التي نشأت من تغليب سبط يهوذا. فيما يعللون اختلاف المفاهيم نتيجة عن تصرف الناس وتلاعبهم ولم يأت تعدد الرسائل إلا لتصحيح ما حُرّف فكلما طال الزمان بعد الرسل تبادى الناس في التحريف والتبديل حتى أرسل الله خاتم الأنبياء ليلغهم الرسالة من جديد والتي حُفظت رسالته من التحريف والتبديل<sup>(١٥)</sup>، لقوله تعالى ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))<sup>(١٦)</sup>.

القول الثاني: الأديان متعددة

فيما يذهب بعض الباحثين إلى القول بوحدة الدين يذهب البعض الآخر إلى القول بتعدد الأديان<sup>(١٧)</sup>. ودليلهم في ذلك قوله تعالى ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))<sup>(١٨)</sup> ويجدون بأن لهذا نتائج هامة على صعيد التنظيم القانوني - السياسي<sup>(١٩)</sup>.

القول الثالث: الدين واحد والشرائع متعددة

فالأديان السماوية وأن بدت مختلفة في مناهجها وتشريعاتها إلا أنها متفقة على الدعوة إلى وحدانية الله والأخذ بيد الناس إلى مكارم الأخلاق والهداية إلى سبيل الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة<sup>(٢٠)</sup>.

فالإسلام يحفظ الأصول الثابتة مما بين يديه من الكتب السماوية وينسخ منها ما ينبغي أن يُنسخ من الفروع بما يلائم صراط الترقى والتكامل بمرور الزمن، وينبغي أن يُلاحظ أن القرآن يُطلق لفظ الدين يريد به أحياناً الإسلام وأحياناً أخرى الشرائع السماوية<sup>(٢١)</sup>. ونحن نذهب مع هذا القول لرجاحته كما أن الوقوف والتأمل عند قوله تعالى ((لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...)) يقودنا إلى تعزيز هذا القول لا كما ذهب من قال بتعدد الأديان بدليل هذه الآية، فالشرع نهج الطريق الواضح وقد نسب تعالى الجعل لنفسه والمجعول هو الشريعة والمنهاج للدلالة على قصد ما أمر رسوله به لأن من اطاع

الرسول فقد اطاع الله، وهذا ينفي أن تكون هناك شرعة مجعولة من غيره عز وجل فما شرعة تبارك وتعالى هو الحق، كما أنه لا تشريع بعد شريعة خاتم الرسل ولا مخالفة لما جاء بها من أحكام ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)) بتشريع واحد ولكنه تعالى جعل الشرائع مختلفة باختلاف الأزمان، حسب ارتقاء الإنسان في مدارج التهيؤ والاستعداد<sup>(٢٢)</sup>.

وإذا كان جورج قرم يرى أن القول بتعدد الأديان له نتائج هامة على صعيد التنظيم القانوني السياسي كما سبق وبيننا، فمن باب أولى أن تكون هذه النتائج للقول بوحدة الدين مع تعدد الشرائع إذ يُحقق هذا القول قدراً من الشعور بالوحدة والاحساس بالمشتركات سيما في البلدان متعددة الديانات وتنص دساتيرها على دين رسمي للدولة من بين هذه الأديان.

ومما سبق نكون قد تعرفنا إلى مصدر الدين أي من أين نشأ الدين ويبقى السؤال كيف نشأ الدين وهو ما نبثه في الفرع التالي.

### الفرع الثاني

#### نشأة الدين

أيّاً كان مصدر الدين يبقى السؤال كيف توصل الإنسان إليه؟ كيف نشأ الدين ونمى على مستويات التاريخ والمجتمعات كافة؟

لتفسير ذلك نجد عدة آراء منهم من جعل خوف الإنسان من الطبيعة وراء نشأة الدين حيث جعل هذا الخوف الدين يخطر في أذهان البشر، وثاني أرجع نشأة الدين إلى جهل البشر وميله إلى معرفة العلل والقوانين الحاكمة في الكون، وثالث جعل من رغبة الإنسان في العدالة والنظام ومحاولته للتخلص من الظلم والاضطهاد وعدم العدالة في المجتمع والطبيعة الدافع لنشأة الدين، ورابع علل نشأة الدين بوجود الطبقات الاجتماعية حيث أنشأت الطبقة الحاكمة فكرة الدين حتى لا تثور الطبقة المحكومة المحرومة بوجهها فالدين لجام لجم غضبها وأفيون لهذه الطبقة المحرومة لتبقى سادرة في سباتها وغيبوبتها. وخامس فسر نشأة الدين وفق الغريزة الجنسية حيث تقف الظروف بوجه إطلاق العنان

لهذه الغريزة فُتصاب بالكبت والحُرمان ولكنها لا تزول بل تستقر في اللاشعور ويحقق هذا الكبت والحُرمان نفسه في الخارج بصورة أمراض عصبية ومظاهر مختلفة ومنها الدين (٢٣).

الى جانب ما تقدم نجد كذلك أن هناك من يقول بفطرية الدين حيث الدين وفقاً لهذا الرأي يتدفق من اللاشعور الإنساني إذ يُعتبر من الأمور المتواجدة في اللاشعور بصورة فطرية طبيعية وفقاً لـ (يونج) بينما يذهب (وليم جيمس) بأنه وأن صح القول بأن المنشأ الكبير من الرغبات الباطنية هي الأمور الطبيعية المادية ولكن المنشأ للكثير منها كذلك عالم آخر وراء هذا العالم ويستدل على ذلك بعدم توافق الكثير من أعمال البشر مع الحسابات المادية فالحالات النفسية الدينية لا تتلاءم مع الحالات النفسية البشرية وهي مرتبطة بعالم آخر ويذهب (الكسيس كارليل) إلى وجود شعلة في الوجدان الإنساني تُعرفه على خطاياها وانحرافاته وهي التي تصده عن الوقوع في الخطيئة (٢٤).

واياً كان الرأي حول نشأة الدين فأننا لا نجد في النهاية أكثر من حاجة فطرية في نفس الإنسان غاية الأمر الخلاف في الباعث الذي حرك هذه الحاجة الفطرية كما هو شأن العين حين تبصر تارة نتيجة لتأثرها بنور الشمس واخرى نتيجة لتأثرها بضوء المصباح. فالدين كامن في نفس الإنسان ((فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) (٢٥) لذا تجد الإنسان عبر التاريخ لم ينفصل عن الدين أياً كان مصدره تارة يتقبل الوحي ويؤمن به ومتى وجدته مُفتقداً للوحي خلق إلهاً في ذهنه أو موجوداً طبيعياً أو لجأ إلى إنسان يعتقد أنه أسمى منه وبكل الأحوال ينسب إلى هؤلاء الفضائل والخوارق ونظم الحياة التي يبتغيها ليتلقاها منهم لاحقاً عاداً إياها ديناً له. ووجدنا (أنشتاين) قد قال بذلك أيضاً إلا أنه يقول أيضاً بأن هناك بعض الأفراد أو الجماعات، رغم قلتهم، قد توصلوا إلى التعرف على المعنى الواقعي الحقيقي لوجود الله (٢٦). ولكن هل يكفي التوصل إلى المعنى الحقيقي لوجود الاله لنشأة الدين؟! فمن أين أتت تلك القواعد التي التزم بها هؤلاء على أنها ديناً لهم!؟

## المطلب الثاني

تعريف الدين وتمييزه عن بعض المصطلحات

كانت وما زالت مفردة الدين كثيرة التداول وكثيرة الدلالات ونظراً لما تتسم به دراستنا من علاقة بالدين فلا بد من الوقوف على فهم محدد لهذه المفردة لمعرفة ما نقصده بالدين فيما يتعلق بموضوع دراستنا وهذا ما نسعى له في الفرع الأول من هذا المطلب لتتوقف في الفرع الثاني لتمييز الدين عن بعض المصطلحات التي كثيراً ما تُطلق ويُراد بها الدين أو تُطلق مفردة الدين ليراد بها تلك المصطلحات.

## الفرع الأول

تعريف الدين

يُعد المدخل السليم للوصول إلى دلالة مفردة ما هو التعرف إلى مدلولاتها اللغوية والتي تقود بالتالي إلى سهولة الوصول إلى فهم مدلولاتها الاصطلاحية لذا سنبحث تعريف الدين في نقطتين متتاليتين الأولى للتعريف اللغوي والثانية للتعريف الاصطلاحي.

أولاً: التعريف اللغوي للدين

الدين (بالكسرة) الدال والياء والنون أصل واحد وإليه يرجع فروعه كلها<sup>(٢٧)</sup>. والدين الطاعة، يُقال دان له يدين ديناً، إذا أصحب وإنقاد وأطاع<sup>(٢٨)</sup>. والدين العادة والشأن، يا دين قلبك من سلما وقد دينا ...، يا دين قلبك أي يا عادة قلبك<sup>(٢٩)</sup>. والدين الجزاء والمكافأة، يُقال دانه ديناً أي جازه، ويُقال كما تُدين تُدان أي كما تُجازي تُجازى بفعلك وحسب عملك<sup>(٣٠)</sup>. والدين الحساب ومنه مالك يوم الدين وقيل معناه مالك يوم الجزاء، وقوله تعالى ((ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ)) أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي<sup>(٣١)</sup>. والدين العبادة والذل والقهر والغلبة والسلطان والملك وقوله تعالى ((أَنَا لَمَدِينُونَ)) أي مملوكون، وقوله تعالى ((فَلَوْلَا أَنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ)) أي غير مملوكين، والدين الحكم والسيرة والتدبير والتوحيد واسم لجميع ما يُتعبد به الله تعالى، والدين الورع والمعصية والقضاء وفي التنزيل ((مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)) أي في قضاء الملك، والدين الحال، قال النصر بن شميل: سألت إعرابياً عن شيء فقال: لو

لقيتني على دين غير هذا لأخبرتكم<sup>(٣٢)</sup>. والدين الإسلام<sup>(٣٣)</sup>، والدين لله طاعته والتعبد له ودانه ديناً أي أذله واستعبده<sup>(٣٤)</sup>. والجمع أديان، يُقال دان بكذا ديانة وتدين فهو دينٌ ومُتدين ومنه الديان في صفة الله عز وجل<sup>(٣٥)</sup>.  
والمدین العبد<sup>(٣٦)</sup>. والمدينة الأمة<sup>(٣٧)</sup> والمصر<sup>(٣٨)</sup>، والمدينة سُميت بذلك لأنها تُقام فيها طاعة ذوي الأمر<sup>(٣٩)</sup>.

ويتضح مما تقدم أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه (دانه ديناً) وهو بهذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو شأن الملوك. وتارة من فعل متعد باللام (دان له) وهُنَا يراد به الطاعة والخضوع. وتارة من فعل متعد بالباء (دان به) والدين هُنَا المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً<sup>(٤٠)</sup>، وهو ما نعينه ببحثنا.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للدين

إنه لمن الصعب عزل تعريف الدين عن تحليله وبيان مصدره ونشأته ولما كان هناك خلافات في بيان المصدر والنشأة حسب توجهات الباحثين – وكما تبين لنا سابقاً – فأن التعريفات ستكون متباينة كذلك، لا بل لاحظنا وبحدود ما اطلعنا عليه من مصادر أن هُنَاك خلطاً لدى الباحثين وعدم التمييز بين التعريف والنشأة والمصدر إذ تبحث هذه الموضوعات بإرباك شديد وهذا مرده إلى شدة التعقيد في موضوع الدين.

يتنازع الباحثون في ميادين متعددة على بحث موضوع الدين وتعريفه، وفي مقدمتهم علماء ورجال الدين إذ يعدونه اختصاصهم وشأنهم ومهما اختلفوا في تعبيراتهم فهم لا يخرجون عن كونه وضع إلهي لتقويم سلوك البشر<sup>(٤١)</sup>.

ويذهب علماء النفس بتعريفهم للدين بكونه حالة شعورية وجدانية يعيشها الإنسان إلا أنهم يختلفون في الدافع لهذا الشعور<sup>(٤٢)</sup>.

ويختلف الاجتماعيون الباحثون في تعريف الدين ولهم في ذلك مذاهب شتى، وكذلك يختلفون في تنظيم هذه التعريفات وتقسيمها<sup>(٤٣)</sup>، لكنهم في النهاية يذهبون إلى اعتبار

الصبغة الاجتماعية في الدين أقوى وأرسخ صبغة فهو قوة روحية تدفع بالإنسان إلى النمو ليتصل في النهاية بشؤون الجماعة ولا يقتصر على الفرد الواحد<sup>(٤٤)</sup>.  
 أما الفقه القانوني من جانبه عرف الدين بعدة تعريفات وأوردوا فيه عدة إيضاحات إذ يعرفه السنهوري بقوله ((الدين وحي ينزل من عند الله تعالى على نبي من أنبياءه لإرشاد الناس في معاشهم ومعادهم فيشمل واجب الإنسان تجاه ربه، وواجبه نحو نفسه، وواجبه نحو الناس))<sup>(٤٥)</sup>. ويعرفه البعض بأنه ((مجموعة القواعد التي ينزلها الله سبحانه وتعالى على نبي من أنبياءه ليلبغها إلى الناس ويأمرهم باتباعها وإلا تعرضوا لغضب الله وعقابه))<sup>(٤٦)</sup>. كما يعرف الدين بأنه ((ما يتلقاه الأنبياء من الله تعالى بطريق الوحي لتبليغه للناس فيصادف بداخلهم شعوراً يقينياً يحتويهم ويولد معهم ويوجه تصرفاتهم نحو الخير ويهذب سلوكهم ما داموا يراعونه فإن تجاهلوه تجردت تصرفاتهم من الخير وانحرف سلوكهم عن الفضيلة))<sup>(٤٧)</sup>.

وإن كنا نجد أن هذا التعريف الأخير معبراً لما نقصده بالدين بدراستنا هذه إلا أننا ومما تقدم عرضه من تعريفات للدين يمكننا أن نقول أنها إنما كانت معبرة عن فهم شخصي أو عقائدي أو علمي للدين لذا نجد أن الدين إذا أُريد به عموم هذه المفردة فهو (القواعد التي يسير عليها الفرد أو المجتمع اعتقاداً وجوانياً أو سلوكياً ظاهرياً نتيجة لشعور فطري بالزامها)<sup>(٤٨)</sup>، ومهما كان الاختلاف في تعريف الدين فلا بد من الالتفات إلى أن هذه الأديان ما يتوسع في النص على واجب الإنسان نحو غيره كتوسعته في واجبه نحو الله ونحو نفسه كالدين الإسلامي والدين اليهودي وهذا النوع من الأديان يعدّ مصدراً هاماً من مصادر القانون في حين أن بعض الأديان كالدين المسيحي فلا يعني بواجب الإنسان نحو غيره إلا في حدود ضيقة ولذلك فمثل هذا الدين يعتبر مصدراً ضيقاً للقانون<sup>(٤٩)</sup>. إلا أن الدين يبقى دوماً محتضناً للقانون ولم يستطع القانون الانفكاك من الدين إلا مع استتباب الدولة الحديثة، بل ولم يستطع ذلك تماماً إذ ما زالت هناك ملامح للدين تظهر في القانون. فالإنسان الأول كما استعمل الدين في مفردات حياته اليومية كذلك استعمله في بناء القرية وإقامة المدينة ثم تأسيس الدولة وكان الدين هو الجامع للهوية والدافع

للحرب<sup>(٥٠)</sup>، ومع ظهور الوثيقة الدستورية كإطار ناظم للسلطة والدولة ومؤسساتها سارع المؤسسون الدستوريون إلى تخصيص مكاناً للدين ضمن رؤاهم السياسية للدولة والمجتمع<sup>(٥١)</sup>.

### الفرع الثاني

تمييز الدين عن بعض المصطلحات

سبق وأن بينا أن مفردة الدين هي مفردة بالغة الاتساع وتدل على مدلولات عدة وهي كذلك في القرآن الكريم. فإذا ما أردنا أن نبحت العلاقة بين الدين والدولة فإننا سنصطدم بعدة مصطلحات قد تطلق هنا وهناك ويراد منها الدين أو نطلق مفردة الدين ليراد بها تلك المصطلحات. وحتى يتسنى لنا بحث هذه العلاقة دون لبس فلا بد لنا من تمييز مفردة الدين عن تلك المصطلحات المقاربة والتي تثور في مثل هكذا دراسة ولكن

مع أي معنى للدين أيضاً سوف نميزها إذ عرضنا فيما سبق مفاهيم متعددة للدين؟! نحن هنا نقصد الدين الذي سبق وأن بينا بأنه ما يتلقاه الانبياء من الله بطريق الوحي لتبليغه للناس فيصاف بداخلهم شعوراً يقينياً يحتويهم ويولد معهم ويوجه تصرفاتهم نحو الخير ويهذب سلوكهم ما داموا يراعونه فأن تجاهلوه تجردت تصرفاتهم من الخير وانحرف سلوكهم عن الفضيلة، أي الأديان السماوية.

ومن هنا نجد أنه ينبغي التمييز بين الدين من ناحية وبين الشريعة والعقيدة والشعائر والثيوقراطية من ناحية أخرى.

أولاً: التمييز بين الدين والشريعة

إن الشريعة في اللغة هي مورد المياه، أما في الاصطلاح القرآني فهي أخص من الدين وهي عبارة عن الطريقة أو الرؤى المتنوعة للدين الإلهي، أما علاقة الشريعة الخاصة بالدين، فهي كعلاقة الاحكام الجزئية بالنسبة للإسلام، لان سائر الشرائع السماوية منضوية تحت مفهوم الدين. وقد يطلق مفهوم الشريعة على الاحكام العملية أيضاً<sup>(٥٢)</sup>.

وبناءً على المعنى الأخير فالشريعة هي ما شرع الله لعباده من أحكام فرعية<sup>(٥٣)</sup> وهي بذلك تتفق مع الدين في مصدرها الإلهي ولكنها تقتصر على جانب واحد منه وهو

المتعلق بتنظيم علاقة الفرد بربه وتنظيم حياته الاجتماعية، فالشريعة من الدين هي الجزء من الكل.

ثانياً: التمييز بين الدين والعقيدة

العقيدة يراد بها الدلالة على العلاقة التي تربط العابد بالمعبود وقد تبرز العقيدة إلى الخارج على شكل شعائر وطقوس<sup>(٥٤)</sup>.

وإذا كان القائد المؤسس في كل دين يُعد مرجعاً للحسم والفصل يخضع له الجميع في حياته إلا أن ذلك يختلف بعد وفاته إذا يعتقد كل طرف أن فهمه ورأيه هو الأصح والأصوب، وهنا تبدأ بذور الانشقاق والتعدد للمعتقدات داخل الدين الواحد وقد ينتج عن هذا الاختلاف تعارض في المواقف السياسية أيضاً<sup>(٥٥)</sup>، وبذلك يظهر لنا أن العقيدة من الدين هي أيضاً الجزء من الكل، والمعتقد غالباً هو الذي يحدد الموقف من الدولة.

ثالثاً: التمييز بين الدين والشعائر

الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة التي تُقام للدلالة على شيء ككل ما يكون له علاقة تدل على الدين<sup>(٥٦)</sup>. والشعيرة تارة تكون دالة على العقيدة الدينية كما في الشعائر الحسينية وتارة نكون دالة على الشريعة الدينية كما في الحج وإذا كان لا خلاف في الشعائر الدالة على الشريعة الدينية إلا أن الخلاف ينشأ في الحق في ممارسة الشعائر الدالة على العقيدة الدينية بل يتجاوز هذا الخلاف مساحة الأديان والمعتقدات إلى السياسة والدساتير لتبيحه بعض الدساتير وتحرمه أخرى لتبقى الشعائر مظهراً من مظاهر العقيدة الدينية فهي ليست من الدين دائماً إلا أنها تدل عليه.

رابعاً: التمييز بين الدين والثيوقراطية

الثيوقراطية اصطلاحاً نظام حكومة دينية ينفذ القائم على رأسها تعاليم إلهية محددة لا يُحاسب عليها إلا أمام الله فلا سلطان لأحد في حسابه لأنه مستمد من أمر الله<sup>(٥٧)</sup>. تطورت الثيوقراطية عبر التاريخ إذا في الأصل كان الحاكم يعتبر من طبيعة إلهية ثم صار الحاكم مصطفى من الله وذو طبيعة بشرية ويحكم بمقتضى الحكم الإلهي المباشر لتنتهي

بالقول أن الحاكم ذو طبيعة بشرية أيضاً ولكن هداية الله قادت الشعب لاختياره<sup>(٥٨)</sup> وبذا يظهر أن الثيوقراطية هي السياسة المتلبسة بالدين وأحياناً الوجه السياسي للدين.

### المبحث الثاني

موقف الديانتين اليهودية والمسيحية من الدولة

وفيه نوزع البحث على مطلبين نخصص الأول لموقف الديانة اليهودية من الدولة فيما نتناول في المطلب الثاني موقف الديانة المسيحية من الدولة.

### المطلب الأول

موقف الديانة اليهودية من الدولة

عندما يصار إلى الحديث عن موقف الديانة اليهودية من الدولة فأن الذهن قد ينصرف إلى أن الديانة اليهودية لها موقف واحد من الدولة إلا أن الاطلاع على هذه الديانة وتأريخها يفرز لنا نتيجة مهمة وهي أن موقفها يعني موقف معتققيها لذا وقبل الولوج في البحث عن موقف الديانة اليهودية نتعرض بالحديث إلى ماهية اليهودية.

فاليهودية هي حصيلة تأريخ طويل يمتد لأكثر من ثلاثة آلاف سنة. وإذا عدنا لتكوين اليهودية على مدى هذه السنوات الطوال ندرك أنها تكونت على مبدئين هما مبدأ العرق ومبدأ شعب العهد والعرق هو نسل إبراهيم ويعقوب. وهو النسل المختار فمن ولد في هذا العرق فهو يهودي أما العهد فهو الذي يجعل اليهود شعباً فهم بقبولهم العهد مع الله في سيناء صاروا شعب الله المختار<sup>(٥٩)</sup>.

أما عن التأريخ العرقي لليهود فهو انتمائهم لإسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وكان يعقوب يسكن فلسطين من بعد إبراهيم إلا أنه انتقل لاحقاً بأولاده من بادية فلسطين إلى مصر بعد أن مكن الله ليوسف في أرض مصر وصار على خزائنها، ويذكر اليهود أن عدد أنفس بني إسرائيل حين دخلوا مصر سبعون نفساً وكانوا شعباً مؤمناً بين وثنين، فاستقلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها فرعون مصر فعاشوا عيشة طيبة زمن يوسف وبعد وفاته تغير الحال عليهم إذ انقلب عليهم الفراعنة طغياناً وعتواً واستضعافاً واستمرت هذه المحنة والبلاء عليهم زمناً طويلاً إلى أن بعث الله (عز وجل)

موسى رسولاً إلى فرعون وملئه فأبى فرعون واستمر في تعذيب بني إسرائيل فخرج موسى ببني إسرائيل وحدث منهم في خروجهم حوادث منها طلبهم من موسى أن يجعل لهم صنماً إلهاً، وعبادتهم العجل، ونكالهم عن قتال الجبابرة. فحكم الله عليهم بالتيه وبعد انقضاء المدة المحكوم فيها على بني إسرائيل بالتيه فتح بنو إسرائيل الأرض المقدسة في فلسطين بقيادة يوشع بن نون وكان قد مات في فترة التيه موسى ومن قبله هارون<sup>(٦٠)</sup>.

يقسم المؤرخون تاريخ اليهود في فلسطين لدى دخولهم إليها بعد التيه إلى ثلاثة عهود هي: عهد القضاة حيث قسم يوشع بن نون الأرض المفتوحة على أسباط بني إسرائيل وجعل على جميع الأسباط قاضياً واحداً يحتكمون إليه فيما شجر بينهم، وعهد الملوك وهو العهد الذي تتضح فيه ملامح دولة يهودية الديانة كان أول ملوكها طالوت الذي يسميه اليهود في كتابهم شأؤول وملك عليهم بعده داود ثم سليمان وكان عهده أزهى العهود التي مرت على بني إسرائيل، أما العهد الثالث فهو عهد الانقسام إذ تنازع الأمر بعد سليمان رحبعام بن سليمان، ويربعام بن نباط فاستقل رحبعام بسبط يهوذا وسبط بنيامين وكون دولة في الجنوب من فلسطين عاصمتها (بيت المقدس)، وسميت دولة يهوذا نسبة إلى سبط حكامها وهو سبط يهوذا الذي من نسله داود وسليمان وملوك تلك الدولة. واستقل يربعام بن نباط بال عشر أسباط الأخرى وكون دولة في الشمال من فلسطين سُميت دولة إسرائيل وجعل عاصمتها (نابلس)<sup>(٦١)</sup>.

وهكذا كان بين الدولتين عداء بدون قتال إلى أن سقطت دولة إسرائيل في يد الآشوريين، فسبوا شعبها إلى العراق وأتوا بأقوام من خارج المنطقة اعتنقوا فيما بعد الديانة اليهودية أما دولة يهوذا فسقطت بأيدي فراغنة مصر وبعد ذلك سيطر الكلدانيون على الشام وفلسطين ودمروا معبد (أوشليم) وساقوا الشعب اليهودي مسياً إلى بابل وهذا ما يسمى بالسبي البابلي وانتهت بذلك دولتي إسرائيل ويهوذا<sup>(٦٢)</sup>.

ولما سقطت دولة بابل بيد الفرس سمح ملكهم لليهود بالعودة إلى القدس وبناء هيكلهم وعين عليهم حاكماً منهم من قبله. ثم زحف إلى بلاد الشام وفلسطين الإسكندر

المقدوني اليوناني واستولى عليها وازال حكم الفرس وكان ذلك نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ثم زحف بعد ذلك على البلاد الرومان وازالوا حكم اليونان في ٦٤ ق.م فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم<sup>(٦٣)</sup>.

وفي زمن سيطرة الرومان على منطقة فلسطين بُعث المسيح وكانت هذه الأحداث التاريخية التي مر بها اليهود قد هيأتهم لتقتل المسيح إذ يذهب أحد الباحثين إلى أن اليهود لما وجدوا أنفسهم ليسوا بخيرة البشر كما زعموا ولا صفوة الخلق كما أملوا ولم يجدوا أنفسهم في المكانة التي ينعم بها الآخرون وإنما كانوا هدفاً للبلاء أتجه فكرهم إلى مخلص ومنفذ يتشلهم من هذه البلاءات ويضعهم في المكانة التي أرادوها وأطلقوا على هذا المخلص (المسيح المنتظر)<sup>(٦٤)</sup>.

وكان الاعتقاد لدى اليهود أن المسيح ملكاً فاتحاً من نسل داود سيجيء ليعيد مجد إسرائيل ويجمع أشنات اليهود بفلسطين ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول، يلاحظ هنا أن فكرة الدولة لم تزل حاضرة في الذهن اليهودي فهي دولة يهودية حاكمها يهودي وتحكم بأحكام التوراة، وتهيأ الرأي العام اليهودي للمسيح وكان توقعه بتجدد كل ما نزلت باليهود البلايا والمحن وظهر عيسى بن مريم، وأعلن أنه المسيح المنتظر، الذي ينتظره اليهود، إلا أن أكثرية اليهود رفضوا هذا الادعاء وقاموا دعوته<sup>(٦٥)</sup>.

وعبر هذا التاريخ الطويل للديانة اليهودية يتبين أن اليهود لم يبقوا على اتفاق في كثير من الأمور إذ تُرنا العودة إلى التاريخ كم من التبدلات عرفتها اليهودية وكم من الوجوه اتخذتها<sup>(٦٦)</sup>. وكان نتاج هذه الخلافات أن تعددت الفرق، ففي بداية كل دين وأثناء حياة مؤسسة يكون مدرسة واحدة وتياراً واحداً أما بعد فترة من الزمان وبعد ارتحال المؤسس من الحياة الدنيا فعادة ما يحصل الاختلاف والانشقاق بين أتباع ذلك الدين وتتعدد المذاهب والفرق في الدين الواحد وفي مرحلة لاحقة يحدث الانشقاق والتعدد داخل كل مذهب أو فرقة من المذاهب والفرق المتفرعة عن الدين الرئيس<sup>(٦٧)</sup>.

وفيما يتعلق بالديانة اليهودية فقد برزت عدة فرق تباينت في موقفها من الدولة كما تباينت أفكارها الدينية وأبرز هذه الفرق هي:

أولاً: الفريسيون: وكلمة الفريسيون تعني المنعزلون أو المنشقون وقد أطلق عليهم أعدائهم هذه التسمية ولذلك هي يكرهونها ويسمون أنفسهم الأبحار أو الأخوة في الله أو الربانيون، ويعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل وكانت مدونة في ألواح مقدسة أوحى الله بها إلى موسى كما يعتقدون أن التوراة ليست كل الكتب المقدسة التي يُعتمد عليها وإنما إلى جانبها روايات شفوية ووصايا وشروح وتفسير تناقلتها الحاخامات ثم دونت فيما يُعرف بالتلمود<sup>(٦٨)</sup>.

فيما يتعلق بموقفهم من الدولة يرى الفريسيون أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح ليعيد ملكوت الله، لذا يرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكونون فرقة دينية وإنما يمكن أن يطلق عليهم حزباً سياسياً له اتجاهاته الدينية<sup>(٦٩)</sup>.

ثانياً: الصدوقيون: واسمهم هذا يختلف في نسبه الباحثون منهم من يقول أنه نسبة إلى الكاهن الأعظم (صادوق) في عهد سليمان<sup>(٧٠)</sup>. أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم في القرن الثالث قبل الميلاد وينكر البعض هذه التسمية بينما لم يدعوا اتباع هذه الفرقة ارتباطهم بهذا الاسم أو ذاك ويرى آخرون أن هذه التسمية من وضع أعدائهم الصدوقيون ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب ويرون أن جزاء الإنسان في الدنيا كما ينكرون التلمود بل وحتى التوراة لا يرون انها مقدسة<sup>(٧١)</sup>.

أما موقفهم من الدولة فيميل الصدوقيون لاحترام القوانين الموجودة على أية حالة ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما، فكانوا يكتفون من السلطة الحاكمة بالاعتراف بـ (يهوه)<sup>(٧٢)</sup> وبامتيازاتهم الخاصة ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع وكان الصدوقيون قد قبلوا بسلطات قيصر الروم<sup>(٧٣)</sup>.

ثالثاً: القراءون: وهم يمثلون القلة بين اليهود ونما شأنهم لما تدهور شأن الفريسيين، وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ويقولون بالاجتهاد الذي يُبيح لهم رفض وتغيير تعاليم السلف<sup>(٧٤)</sup>.

رابعاً: الكتبة: تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهنتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها. وقد برز الكتبة كحمله للواء الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي غيرهم

من رجال الدين الذين أصبحوا حلفاء للحكام من فرس وإغريق ورومان<sup>(٧٥)</sup>. ويتضح من ذلك أنهم يميلون إلى قطيعة الشأن السياسي والدولة والاقتصار على الجوانب الدينية.

خامساً: المتعصبون: وهي فرقة شديدة الصلة بالفريسيين متفقة معهم في أغلب عقائدهم بل حتى بعدوانهم ضد المواطنين الذين اتهموا باللا دينية أو قبول الخضوع لغير اليهودي ويعدون الجناح اليساري في فريق الفريسيين ولم يعترفوا بأي سلطان عليهم سوى الله. والموت عندهم أسهل من طاعة غير اليهود، وقد دبروا عدة ثورات ضد الرومان حتى أطلق عليهم (السفاكون) وتعد هذه الفرقة من ضمن الفرق السياسية الذين أطلقوا حركتهم في إطار ديني، لكن مواقفهم تجاه الدولة الرومانية نقلتهم إلى مجال السياسة<sup>(٧٦)</sup>. ومن هذا يتضح أن موقفهم هو أن لا حاكم سوى الله ولا حكومة لغير اليهودي على اليهود أي هم من دعاة الدولة الدينية.

ولما كان اليهود قد تشتتوا في بقاع مختلفة حول العالم عبر مسار التاريخ كما تفرقوا إلى مذاهب وفرق، ونتيجة لما يحمل اليهود من أفكار في كونهم شعب الله المختار وأن الله اختار لهم فلسطين أرضاً فقد بدأت هذه الفكرة لدى العالم الغربي في تجميع اليهود في دولة واحدة أيام حملة (نابليون بونابرت) عام (١٧٩٩م) حيث دعا يهود آسيا وأفريقيا للانضمام إلى حملته من اجل بناء مدينة القدس القديمة. إلا أن هزيمة نابليون حالت من دون اتمام هذه الفكرة والتي عادت للظهور مرة أخرى حين أصدر الزعيم الصهيوني (تيودور هرتزل) كتابه (الدولة اليهودية) في (١٨٩٦م) حيث عقد مؤتمر (بال) في سويسرا سنة (١٨٩٧م) وجاء في خطاب افتتاح هذا المؤتمر: (إننا نصنع حجر الأساس في بناء البيت الذي يأوي الأمة اليهودية)<sup>(٧٧)</sup>.

ونتيجة لمصالح بريطانيا التي كانت أكثر البلاد العربية تحت سيطرتها فقد وعد رئيس وزراءها آنذاك (بلفور) في (١٩١٧م) أن تُمنح اليهود حق إقامة وطن قومي في فلسطين فأستطاع اليهود بسبب الهجرة من تكوين دولة داخل دولة ولما ضعفت بريطانيا عن تحقيق أماني اليهود أحالت الأمر إلى الأمم المتحدة، فأرسلت الأمم المتحدة لجانها إلى

فلسطين فقسمتها بين المسلمين واليهود فأعلن اليهود في (١٩٤٨م) دولتهم التي حظيت باعتراف روسيا وأميركا على الفور<sup>(٧٨)</sup>.

كانت (إسرائيل) الدولة التي أسسها اليهود في فلسطين وما تزال متأثرة بالأيديولوجية اليهودية. فالأسباب الدينية هي التي تخلق الأزمات الحكومية لإسرائيل أكثر من أي سبب آخر والحيز الذي تخصصه الصحافة العبرية لبحث الخلافات التي تشب دائماً بين الجماعات المختلفة أو بين العلمانيين والمتدينين أكثر من الحيز الذي تخصصه لأي موضوع آخر فمثلاً موضوع إباحة القانون لاستيراد اللحوم غير المذبوحة على الطريقة اليهودية من عدمه يستحوذ على اهتمام عامة اليهود أكثر بكثير من موضوع المفاوضات مع الفلسطينيين. كما تمنع الأيديولوجية اليهودية اتخاذ موقف ينم عن الاحترام تجاه غير يهود ضمن أرض إسرائيل<sup>(٧٩)</sup>.

ويلاحظ مما سبق أن الديانة اليهودية وفقاً لآراء معتقها على كثير من فرقهم ومسارات تأريخهم تنظر إلى الدولة باعتبارها شأن ديني ولا بد للحاكم من أن يكون يهودياً وأن تعمل الدولة وفق مبادئ الديانة اليهودية وعلى هذا الأساس اجتمعوا في العصر الحديث في فلسطين لتأسيس دولة يهودية لزعهم أن لهم حقاً تاريخياً في أرض فلسطين. فالدولة اليهودية تظل مدينة للديانة اليهودية في قيامها وذلك في جميع شتات اليهود من أصقاع العالم في دولة واحدة على أساس ديني<sup>(٨٠)</sup>.

### المطلب الثاني

#### موقف الديانة المسيحية من الدولة

سبق وأن تبين لنا أن الديانة المسيحية نشأت أعقاب الديانة اليهودية واختلاف اليهود في آراءهم الدينية والسياسية وموقفهم من الدولة الرومانية التي كانت قائمة آنذاك. كما سبق وأن تبين أن عقيدة المسيح المخلص الذي يأتي بالديانة المسيحية كانت موجودة لدى بعض الفرق اليهودية حيث أن المسيح المنتظر رسول السماء والقائد المخلص والملك الفاتح من نسل داود<sup>(٨١)</sup>. ومن هذا يتضح أن الفكر السابق والممهّد للديانة

المسيحية إنما كان يقوم على تحقيق دولة دينية يحكمها المسيح الذي سيخلص اليهود من البلاءات التي حلت بهم.

وظهر عيسى بن مريم وأعلن أنه المسيح الذي ينتظره اليهود ولكن أكثرية اليهود رفضوا هذا الادعاء وقاوموا دعوة عيسى وزعموا أنهم ألقوا القبض عليه وصلبوه<sup>(٨٢)</sup>.

لم يأت المسيح بشريعة جديدة وإنما مؤكداً لما جاء به موسى إلا ما استلزم تعديله، وكانت رسالته تهدف لإصلاح أخلاق اليهود<sup>(٨٣)</sup>. كذلك لم يأت عيسى ليعزل الدين عن واقع

الحياة العامة بل ليوحد الحياة كلها إخلاصاً لله إذ كانت رسالته دعوة إلى تقويم الحياة بالدين لكن تحت وطأة وجبروت الرومان وبضغط من اليهود لخشيتهم من التجديد،

فخلف عيسى حواريوه وأتباعه وتعرضوا كذلك لاضطهاد الرومان وبتحريض من اليهود فابتدعوا الرهبانية<sup>(٨٤)</sup>. وكان لهذه الأحداث وما تلاها أثر واضح في تباين موقف

الديانة المسيحية من الدولة على مراحل التاريخ لذا سنوضح ذلك من خلال تقسيم الموقف على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة المهادنة (القرون الثلاثة الأولى)

وهي المرحلة التي بدأت بظهور المسيح والتي يُطلق عليها جانب من الفقه عنوان المسألة وأنها تنازل واضح عن شؤون الحكم والسياسة<sup>(٨٥)</sup>. معللاً ذلك بقول المسيح (أعطوا ما

لقيصر وما لله لله)<sup>(٨٦)</sup>. فيما نرى بأنه لا يُعد تنازلاً بقدر كونه مهادنة لتحين الفرصة المناسبة لإقامة دولة وفق التعاليم المسيحية وبصدد هذه المقولة فهي جزء من كل يظهر

لنا أمراً آخر حيث ورد في إنجيل مرقس ((ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيروديسيين لكي يصطادوه بكلمة. فلما جاءوا قالوا له: يا معلم، نعلم أنك صادق

ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، بل بالحق تُعلم طريق الله. أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ نعطي أم لا نعطي؟ فعلم رياءهم، وقال لهم: لماذا تجربونني؟

إيتوني بدينار لأنظره. فأتوا به، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا له: لقيصر. فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فتعجبوا منه))<sup>(٨٧)</sup>.

يظهر إذاً أن العبارة وردت في معرض السؤال عن جواز دفع الجزية لقيصر لا تنازل عن شؤون الدولة - وأن كان الواقع العملي هو عدم التدخل في شؤونها إلا أن ذلك لا يعني أن الفهم النظري للمسيح هو عدم إقامة دولة - وقد أكد ذلك المسيح من خلال طلبه أن يأتوه بدينار وسؤاله لهم عن الصورة والكتابة فيه وهذا ما نجد صداه في العصر الحديث حيث يلتزم جميع مواطني الدولة أياً كانت انتماءاتهم الدينية بدفع الضرائب وبذا يكون المسيح قد وضع واحدة من قواعد الدولة الحديثة، والتي تتسم بمشروعية دينية.

ويذهب جانب آخر من الفقه إلى القول أيضاً بتنازل المسيح عن شؤون الدولة إلا أنه يُقلل ذلك بقول المسيح بموجب قصة محاكمته ((مملكتي ليست من هذا العالم))<sup>(٨٨)</sup> ويرى أن هذه المقولة مهمة وتخالف تفسيرات الكنيسة اللاحقة لوضعها وعلاقتها بالدولة إذ أن المسيح لم يكن باحثاً عن تأسيس مملكة دنيوية ولا هو بحاجة إلى ذلك بحسب مفهوم الدين المسيحي كما يرى بأن هذا النص هو النص المهم لفهم رسالة المسيح التي لا ترمي إلى تأسيس ملكوت أرضي، وليس ((أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله))<sup>(٨٩)</sup>. والسؤال هنا هل بإمكاننا أن نحدد موقف نبي يحمل رسالة سماوية من الدولة وشؤون الحكم والسياسة من كلمة قالها في محاكمة تألب فيها الجميع ضده حتى أولئك الذين كانوا يرون فيه المخلص والحاكم الفاتح؟! ثم كيف لنا أن نقول بأن العبارة تعبر عن رأي المسيح في الدولة وهي تحمل معنى أن تكون معبرة عن إحباطه من المجتمع آنذاك الذي لم يعنيه على إيجاد مملكته أو دولته في عالم الدنيا. إضافة إلى ذلك قوله ((مملكتي ليس من هذا العالم)) لا تنفي مملكته ولكن تنفي إن يقرر وجودها من عدمه هذا العالم (العالم آنذاك) ولكن هي مملكة من الله يمكن إن يتقبلها البشر لاحقاً وذلك واضح من تكملة النص (أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم ولو كانت مملكتي من هذا العالم لكاب خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا، فقال له بيلاطس: أمأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول: إني ملك لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي)<sup>(٩٠)</sup>.

بناءً على ما تقدم يمكننا القول إن الموقف النظري للديانة المسيحية والذي يعبر عنه من خلال شخص المسيح هو القبول بالدولة القائمة وعدم الصراع معها على ألا يؤثر ذلك على الديانة أو معتقديها، ولكن لا يوجد ما يثبت أن المسيح كان سيمتنع عن إقامة دولة مسيحية لو تهيأت لها الظروف بدليل النص المتقدم.

أما الموقف العملي أو موقف معتقدي الديانة المسيحية فقد تباين من مرحلة إلى أخرى ففي هذه المرحلة وما بعد المسيح أعلن الآباء الروحانيون الأوائل أنهم لا يهتمون بالأمور الدنيوية ولا يتعرضون للشؤون السياسية، وأنهم مقتصرين على المسائل الدينية وانهم أحبوا طاعة القوانين والسلطات المحلية ما دامت هذه القوانين وهذه السلطات لا تتعارض مع تعاليمهم إلا أنهم أباحوا شق عصا الطاعة إذا تدخلت الدولة في أمور دينهم<sup>(٩١)</sup>. وبعود ذلك إلى نشأة المسيحية في كيان سياسي قائم هو الإمبراطورية الرومانية فاضطروا بذلك الحرج إلى ابتداء الرهبانية واعتزال الحياة أمنياً منهم أن يعود المسيح ويقيم ملك الله في الأرض<sup>(٩٢)</sup>. وبذا نشأ النظام الكهنوتي الذي انصبت أحكامه على دعوة الناس إلى الحق والخير وعبادة الله ولم يكن هذا النظام قد تطور بعد إلى كيان معقد يصطدم بالدولة كما حدث في القرن الرابع الميلادي وضلت المسيحية خلال القرون الثلاثة الأولى تدعوا إلى الحب وتهتم بإدخال الوثنيين واليهود في عقيدتها<sup>(٩٣)</sup>. المرحلة الثانية: مرحلة الصراع (نبدأ بالقرن الرابع وتنتهي بالنصف الثاني من القرن السادس عشر)

مع بداية القرن الرابع الميلادي ولما انتشرت المسيحية بين الرعايا رأى الأباطرة أن لا مناص من الاقتراب من الدين لتعزيز ولاء الرعية وكان أول من عمل على ذلك هو الإمبراطور (قسطنطين) الذي أعلن حماية المسيحية إلا أن هذا المنحى لم يدم على حال واحد إذا اضطرب حيناً إلى أن أصبحت المسيحية ديناً للإمبراطور<sup>(٩٤)</sup>.

كانت الكنيسة في البداية زمن (قسطنطين) وما بعده تحت حماية القوة الملكية الإمبراطورية وكان على الإمبراطور تأمين ليس حماية الكنيسة فحسب بل ضمان نقاء عقيدتها وكان هو الحكم في النزاعات اللاهوتية<sup>(٩٥)</sup>، حيث انفصل رجال الدين عن باقي

الطبقات الاجتماعية وتمتعوا بحقوق وامتيازات وانقسموا فيما بينهم على طبقات ودرجات، ولما أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية أصبح أسقف روما مستشاراً للإمبراطور في الأمور الدينية المختلفة إذ كانت ترسل للإمبراطور ليفصل فيها. واخذ الناس ينظرون إليه في مختلف الأقطار بأنه خليفة القديس بطرس الذي أسس كنيسة روما. ولما كثر عدد أتباع المسيحية وزاد عدد القائمين بنشرها والتبشير بمبادئها قضت الضرورة بتنظيم شؤونها وإقامة هيئة تشرف على أمورها إلى أن تم الاعتراف للأسقف الروماني في القرن الخامس من قبل الإمبراطور بالرياسة الدينية وانه المرجع الأعلى في جميع المسائل الدينية وبذلك أصبحت روما المركز الديني الرئيسي في العالم المسيحي ولما سقطت الإمبراطورية بإغارة الأمم عليها، حلت دولة المسيح وعلى رأسها البابا، محل الدولة الرومانية وما أن حل القرن السابع حتى تزعم البابا السلطتين الدينية والسياسية<sup>(٩٦)</sup>.

ولما أراد ملوك (اللمبردين) السيطرة على روما قاومهم البابا مستعيناً بملوك فرنسا حيث رفض قيصر بيزنطة مساعدته - إذ كان الإمبراطور قد انتقل إلى القسطنطينية مع حاشيته إثر سقوط الإمبراطورية - وتحولت مدن إيطالية عدة إلى دول بابوية بعد أن منحها ملوك فرنسا إلى البابا فأصبح البابا رئيساً سياسياً فيها وفي المقابل أعترف البابا بسلطة (بيبين) وأولاده على عرش فرنسا وفي سنة (٨٠٠ م) توج (شارلمان) - احد أولاد بيبين - إمبراطوراً على الدولة الرومانية الغربية نتيجة تحالف البابا معه فقامت ما يسمى بالإمبراطورية الرومانية المقدسة بزعامة (شارلمان)<sup>(٩٧)</sup>. فيما ضلت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تحكم قبضتها على الكنيسة البيزنطية حتى سقوطها بيد المسلمين<sup>(٩٨)</sup>.

ولما انتشر النظام الإقطاعي في ربوع الإمبراطورية وأصبحت سلطة الإمبراطور اسمية أكثر منها فعلية أطمأنت السلطة الدينية في أيدي البابا ثم تدخل رجاله في الأمور السياسية وزاد تدخلهم بسبب ازدياد ثروة الكنيسة واتساع أملاكها، وتطلع الأمراء والملوك إلى البابا ينشدون معاونته لتنفيذ مآربهم السياسية، وكان حينها الإمبراطور هو الذي يُعين رجال الدين في الوظائف الدينية الرئيسية إلى أن أصدر البابا في القرن الحادي

عشر قانوناً ببطلان هذا التعين، الأمر الذي أثار نزاعاً بين الإمبراطور والبابا خرج منه الأخير منتصراً يدعن له الملوك حتى القرن الثالث عشر<sup>(٩٩)</sup>.

ومع بزوغ القرن الرابع عشر ازداد نفوذ الملوك وتغلبوا على أمراء الإقطاعيات وحاول الملوك السيطرة على الأمور السياسية والدينية معاً الأمر الذي لاقى مقاومة لم تفلح من البابوات وفقدوا سلطانهم السياسي فتمخض عن هذه الأحداث نشوء الدولة القومية<sup>(١٠٠)</sup>.

لما أضحى حكم الأقطاع، وضعف نفوذ الأمراء الأقطاعيين وتفوت الملكيات القومية وتقدمت التجارة ونمت المدن المستقلة وتقلصت سلطة البابوية عرف الجميع أن الأحلام التي كانت تساورهم عن إقامة دولة عالمية وكنيسة عالمية أصبحت خيلاً لا يمكن تحقيقه<sup>(١٠١)</sup>.

في القرن الخامس عشر تكونت المجالس الدينية المؤلفة من كبار رجال الدين والدولة وحلت محل البابا وأصبحت سلطتها النيابية محل السلطة المطلقة، إلا أنها أسست لأرستقراطية رجال الدين التي حدت منها لاحقاً مبادئ ونظريات (نقولا كيوزانوس) الذي قال بمصدرية الجماعة البشرية في سلطة الحاكم أو البابا التي تمكنها من خلعه إذا ما استبد وهو ما نمت في أعقابه النظريات الثورية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وتحلل تلك المرحلة انتصار البابا على القائلين بسلطة المجالس وانتشار الأفكار الرجعية مرة أخرى واستمرت حتى القرن السادس عشر وكانت هذه المرحلة قد أثرت أثراً بالغاً في (ميكافيلي) وساد المرحلة الميل إلى استقلال القوميات وهبت كل قومية تقوي نفسها وتعمل على استقلالها وسلبت الملكية الوطنية العقول وحرقتها عن فكرة الإمبراطورية الموحدة إلا أن المصلحين الدينيين أثروا في انقسام المسيحيين إلى مذهبين هما (الكاثوليكية) و(البروتستانتية) مما عاق مسيرة أفكار ميكافيلي بفصل الدين عن السياسة وتلا ذلك قول الكتاب أن السلطة السياسية مستمدة من إرادة الله وعلى ذلك أن الحاكم الذي يمثلها إنما يحكم بإرادة الله لذا تجب طاعته وتنازع البابا والملك على أن كل واحد منهما هو الذي يستمد سلطته من الله دون الآخر فغلب الملك ثم استبد في ملكه وظهرت

نظرية التفويض الإلهي وساعد في تقويتها هجوم المصلحين على ثروة الكنيسة واعتراضهم على سلطان البابا<sup>(١٠٢)</sup>. وكان حصيلة هذه الأحداث الرفض للبابوية المطلقة والملكية المطلقة والقول بالنظريات العقدية في النصف الثاني من القرن السادس عشر والذي تنتهي به مرحلة الصراع بين الدولة والكنيسة. وأطلق على هذه المرحلة مرحلة العصر الوسيط.

المرحلة الثالثة: مرحلة المصالحة (تبدأ في النصف الثاني من القرن السادس عشر إلى اليوم)

لم تكن المرحلة التي تحدثنا عنها سابقاً تسمى حينها بالعصر الوسيط لأن أبناء العصر كانوا يسمون أنفسهم بالمحدثين، والتسمية هذه حديثة من منتصف القرن الثامن عشر واستندت هذه التسمية إلى أنه العصر الذي يتوسط فترتين: الحديثة والقديمة<sup>(١٠٣)</sup>.

تبلورت في هذه المرحلة النهضة فكرة الحق الطبيعي وحلت محل الحق الإلهي فظهرت نظرية سيادة الشعب ووضع الكتاب حداً فأصلاً بين الدولة والحكومة وبين مصدر السلطات وبين الأفراد الذين يوكل إليهم أمر التنفيذ وكان لهذه الأفكار الأثر في الانقلابات التي شهدتها أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر<sup>(١٠٤)</sup>، وبعد حدوث الثورة الفرنسية عادت المسيحية إلى سابق عدها وأكثر إذ أصبحت تسير الدولة وعاد رجال الدين يشتغلون بالدعوى إلى الدين دون الشأن السياسي الذي يتعدون عن مشاكله ويرضون بقوانين الدولة التي راحت هي الأخرى تعمل على الإصلاحات والنهضة لمسايرة الشعوب التي أصبحت أكثر وعياً بالشأن السياسي<sup>(١٠٥)</sup>.

وبذلك يتبين أن موقف الديانة المسيحية من الإسلام في الأساس هو مهاده الدولة القائمة، والسعي لإقامتها على تعاليم المسيح متى كان ذلك ممكناً، وهو الموقف الذي انحرف عنه رجال الدين المسيح في حقبة زمنية ليست بالقصيرة عن طريق تدخلهم بإدارة الدولة ومشاركتهم للملوك والأباطرة بذلك أو الصراع معهم للتفرد بها أحياناً وهو ما أسهم بأحداث تاريخية كبيرة انتهت برفض الشعوب للبابوية المطلقة والملكية المطلقة وإقامة الدولة الوطنية الحديثة.

## المبحث الثالث

## موقف الدين الإسلامي من الدولة

يتبادر للذهن عند الحديث عن موقف الدين الإسلامي من الدولة إلى وجود موقف محدد وواضح لدى الجميع، إلا أن الباحث في الموضوع يجد خلاف ذلك فالحديث عن موقف الدين الإسلامي إنما هو الحديث عن فهم المذاهب الفكرية الإسلامية لموقف الدين من الدولة فكل فريق يذهب في ذلك مذهباً ويدعمه بأدلة قد يفهمها الآخر فهماً مغايراً ويستدل به على موقف مختلف، وهذا ما سيتضح لنا، ولغرض الوصول إلى فهم مبسط للموضوع سنوزع البحث على مطلبين الأول للموقف القائل أن الإسلام دين فقط والمطلب الثاني للموقف القائل أن الإسلام دين ودولة.

## المطلب الأول

## الموقف القائل أن الإسلام دين فقط

يذهب البعض إلى اعتبار الإسلام دين فقط ولا يشمل على أمور دولية وشؤون سياسية، وأن هذا الرأي وأن كان قديماً قدم الحديث حول الخلافة إلا أنه لم يتناول نفي الأمر عن الرسول كما ذهب الدكتور علي عبد الرزاق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم).

يذهب الدكتور عبد الرزاق في كتابه إلى نفي الدولة الإسلامية في وجود الرسول ويسوق لذلك جملة أدلة عن أساس التجربة الإسلامية مع الشأن السياسي وهي ما كان عليه أمر الرسول (ص) حيث يذهب إلى القول أن الرسول محمد (ص) لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم من هذه الكلمة ومرادفاتها فهو لم يكن مؤسس دولة ولا داعياً إلى ملك، بيد أنه يقول بسلطة الرسول وزعامته إلا أنه يميزها عن سلطة الملوك وزعامتهم على رعيتهم، وبذا يحذر من الخلط إذ يعد هذه السلطة هي السلطة التي تستلزم للرسول في قومه وهي كما زعامة موسى وعيسى في أتباعهما<sup>(١٠٦)</sup>. ثم يذهب إلى القول إن مقام الرسالة يقتضي لصاحبه سلطاناً أوسع مما يكون بين الحاكم والمحكومين إذ قد يتناول الرسول من سياسة الأمة ما يتناوله الملوك، ولكن للرسول وحدة وظيفية لا شريك له

فيها إذ أن سلطانه ترسله به السماء وهو قوة قدسية يختص الله بها عباده المرسلون وهي ليست في شيء من معنى الملوكية ولا تشابهها قوة الملوك ولا يدانيها سلطان السلاطين إذ هي زعامة الدعوة العادلة إلى الله وإبلاغ رسالته، لا زعامة الملك. وهي رسالة ودين وحكم النبوة على حكم السلاطين - على حد تعبيره - لينتهي إلى القول إن ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب ويميزها عن ولاية الحكم المادية التي لا يرى بأنها كانت للرسول على قومه<sup>(١٠٧)</sup>.

ولغرض تعزيز رأيه يطرح الدكتور عبد الرازق عدة أسئلة محاولاً الإجابة عليها بالدليل فهو يتساءل هل كانت زعامة الرسول زعامة رسالة أم زعامة ملك؟ هل كانت مظاهر الولاية التي نراها أحياناً في سيرة النبي مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رئاسة دينية؟ هل كانت تلك الوحدة التي قام على رأسها النبي وحدة حكومة ودولة أم وحدة دينية صرفة لا سياسية؟ وأخيراً هل كان (ص) رسولاً فقط أم رسولاً وملكاً؟<sup>(١٠٨)</sup>.

وانطلاقاً من هذه التساؤلات وإجابات الدكتور عبد الرازق عليها سنبحث في تقييم هذا الرأي إذ يقول الدكتور عبد الرازق أن ظواهر القرآن الكريم تؤيد القول بأن النبي لم يكن له شأن في الملك السياسي، ويورد عدد من الآيات منها ((اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ❖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ))<sup>(١٠٩)</sup> وقوله تعالى ((أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً))<sup>(١١٠)</sup> فيقول إن القرآن يمنع منعاً صريحاً أن يكون النبي (ص) حفيظاً على الناس، ولا وكيلاً، ولا جباراً ولا مسيطراً، وأن يكون له الحق في إكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين فيرى أن من لم يكن حفيظاً ولا مسيطراً فليس بملك، لأن من لوازم الملك السيطرة العامة والجبروت سلطاناً غير محدود. ويرى بأن القرآن صريح في أن النبي (ص) لم يكن له الحق على أمته غير حق الرسالة<sup>(١١١)</sup>.

إنه من الغرابة أن يستشف الدكتور عبد الرازق أن الرسول ليس له على أمته غير حق الرسالة من نصوص أوردتها ليقول أنها تمنع الرسول من أن يكون حفيظاً على أمته أو وكيلاً عنها فينفي سلطته السياسية لأن الجبروت من لوازمها، والحال أن من يقف عند

هذه النصوص يجدها تتحدث عن الولاية الروحية - التي سبق أن تحدث عبد الرزاق بأنها التي للرسول على رعيته - وكيف أن هذه الولاية لا يمكن تحقيقها بالإجبار لأنها متعلقة بالشأن القلبي، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن نفي إمكانية السيطرة على القلوب لا ينفي فرض السلطة السياسية فكم من السلطات الحاكمة لم تفرض بالجبروت والقوة وإنما بالأغلبية والتوافقات السياسية مع عدم قناعة القاعدة الشعبية أو الشركاء السياسيين.

بالإضافة لما تقدم فإن القرآن الكريم وإن لم يشر بشكل مباشر إلى الشأن السياسي وتعلقه بالدين إلا أنه أفاد بذلك مراراً كما في مسألة الاستخلاف التي تتضمن تكليف الإنسان بأحياء الأرض وما تستلزمه من أن تكون وفق إرادة المستخلف وتشريعته وهو ما يتصدى له النبي، إضافة إلى الزام الرسل بالقسط وما يستلزمه من التصدي لقضايا السياسة والاجتماع والأمر ذاته واضح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرورة السلطة السياسية لإنفاذها<sup>(١١٢)</sup>.

ثم ينتقل عبد الرزاق إلى دعم رأيه من السنة، حيث ينقل أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال (ص): هون عليك فاني لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة، نرى أن الرواية أن صحت فيمكن حملها معنى مخالفاً لما أراده الدكتور عبد الرزاق، إذ يمكن القول أن ما أراده الرسول بذلك هو أن سلطته لا كسلطة الملوك المتعارفة من القهر والجبر وإنما سلطة تسامحية، وذلك ما يمكن أن نفهمه من الرواية الأخرى التي ينقلها والتي مفادها أن الرسول لما خير على لسان إسرافيل في أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، نظر (ص) إلى جبرئيل كالمستشير، فنظر جبرئيل إلى الأرض يشير إلى التواضع أو أشار إليه بذلك فأختار (ص) أن يكون نبياً عبداً<sup>(١١٣)</sup>. وهذه الرواية هي الأخرى أن صحت فكما سبق وأسلمنا يمكن أن يراد منها السلطة المتسامحة لا الغلبة والقهر لا نفي السلطة السياسية للرسول كما يفهم الدكتور عبد الرزاق وهذا ما يمكن أن نفهمه من قوله تعالى ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ))<sup>(١١٤)</sup>.

ذلك قوله في نفي السلطة السياسية للرسول والذي لا يقف عنده فحسب بل يزيد بقوله (التمس بين دفتي المصحف الكريم أثراً ظاهراً أو خفياً لما يريدون أن يعتقدوا من صفة سياسية للدين الإسلامي، ثم التمس ذلك الأثر مبلغ جهدك بين أحاديث النبي (ص). تلك منابع الدين الصافية متناول يديك، وعلى كذب منك، فالتمس منها دليلاً أو شبه دليل، فأنت لن تجد عليها برهاناً، إلا ظناً، وأن الظن لا يغني عن الحق شيء)<sup>(١١٥)</sup>.

لمناقشة قوله هذا نبدأ من آخر كلمات فيه نفي الظن بالنص لإثبات الرأي المخالف، فيما ذهب هو لإثبات رأيه بالظن وتأويل النصوص، ثم أن رأيه هذا مردود من ناحيتين الأولى ما سبق أن بيناه من وجود شواهد قرآنية توجه بقضايا دولية بالإضافة إلى الأدلة من السنة ومنها ((الملوك حماة الدين)) و((أن السلطان لأمين الله في الأرض ومقيم العدل في البلاد والعباد ووزعته))<sup>(١١٦)</sup>. فكيف يحمي الملك الدين إذا لم يكن من أهله، ولم يكن حريصاً عليه فيعمل بسلطته السياسية على تثبيت الدين؟ وكيف يتسنى للسلطان إقامة العدل في البلاد والعباد أن لم يكن أميناً لله في الأرض؟

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، علينا أن نتساءل هل وظيفة الدين إقامة الدولة؟ الحقيقة أن وظيفة الدين هداية الناس وهي وظيفة سائر الأنبياء ولكن مع ذلك يكشف لنا القرآن عن وجود أنبياء على رؤوس الدول كسليمان وداود ويوسف. فرسالة الأنبياء واحدة وهي إقامة نظام حياتي عام بما يريد الله انطلاقاً من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع إلى الدولة إذا تهيأت الظروف، ويلاحظ أن الظروف كانت متهيأة للرسول (ص) وكانت سمات الدولة واضحة، إلا أن الدكتور عبد الرازق يعود ليدعوا إلى عدم الاغترار بتلك السمات كالجهاد إذ يعده وسيلة لجأ إليها الرسول (ص) لتثبيت الدين<sup>(١١٧)</sup>. والتساؤل هو لماذا لا يمكن أن يكون دليلاً وسمة لدولة الرسول؟! لكنه لا يقلل من شأن الجهاد وحده بل يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يعد كل ما كان من مظاهر- كأنظمة عقوبات وجيش وأحكام أخرى - للمتأمل - ليس فيها شيء من أساليب الحكم السياسي، ولا من أنظمة الدولة المدنية ويعتبر جمعه لا يمكن أن يبلغ جزءاً يسيراً مما يلزم الدولة المدنية من أصول سياسية وقوانين. وأستغرب هنا هل كان الدكتور عبد الرازق يريد من

الرسول (ص) أن يؤسس دولة آنذاك وفق أسس الدولة التي يفهمها عبد الرازق في القرن العشرين؟!

ثم يواصل الدكتور عبد الرازق خلطه للمفاهيم ليعاود القول بنفي الوحدة السياسية التي كانت عليها العرب في زمن الرسول إذ لا يجد فيها أي معنى من معاني الدولة والحكومة ويدلل على ذلك بأن سيرة الرسول (ص) لم يعرف عنها شيء من التعرض لسياسة الأمم، ولا تغيير شيء من أساليب الحكم عندهم، أو أنظمة القبائل الإدارية أو القضائية ولم يعرف عنه عزل الولاة، أو تعيين القضاة أو وضع قواعد التجارة أو الزراعة أو الصناعة<sup>(١١٨)</sup>. وهو حديث غير دقيق كذلك لوجهتين الأولى كما سبق وأن بينا هو أن الدكتور عبد الرازق يريد إسقاط مفهوم الدولة في حينه على مفهوم الدولة في عهد الرسول (ص). والوجهة الثانية من قال أن الرسول لم يتعرض للأمور التي ذكرها الدكتور عبد الرازق فالقضاء كان من اختصاص الرسول (ص) كما ورد في قوله تعالى ((فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ))<sup>(١١٩)</sup>. وفيما يتعلق بقواعد التجارة والزراعة والصناعة فقد تعرض لها القرآن الكريم والسنة الشريفة في عدة مواطن بل أن القوانين المدنية اليوم لكثير من الدول العربية والإسلامية تستمد كثير من قواعدها من أحكام الشريعة الإسلامية بهذا الخصوص.

أما عن الحال بعد وفاة الرسول (ص) فيقول بأن الرسول (ص) لم يسمي أحداً يخلفه من بعده، ولم يشير إلى من يقوم مقامه في أمته بل لم يشر طول حياته إلى شيء يسمى دولة إسلامية. ثم ينفي ما قالت به الشيعة من تعيين الرسول (ص) علياً للخلافة على المسلمين من بعده دون مناقشة عادة ذلك الرأي ذو حظ قليل من النظر العلمي ولا ينبغي أن يلتفت إليه، وهو خلاف السياقات العلمية. كما ينفي ما ذهب إليه ابن حزم الظاهري من رأي طائفة قالت إن رسول الله (ص) نص على استخلاف أبي بكر لإجماع المهاجرين والأنصار. ويُعد الذهاب مع هذا الرأي تعسفاً لا يرى له وجهاً صحيحاً إذ يقول بعد مراجعته بإجماع الرواة على اختلاف الصحابة في بيعة ابي بكر، لذا يرى عبد

الرازق أن الزعامة بعد الرسول (ص) هي زعامة سياسية محضة، ويدل على ذلك بصراع المسلمين على الدولة وعلمهم أنهم يتنازعون في شأن سياسي<sup>(١٢٠)</sup>.

كما يذهب الدكتور عبد الرازق إلى اعتبار ما أُصطلح عليه بحروب الردة في خلافة أبي بكر، لا تعدو كونها حروباً سياسية لامتناعهم عن إداء الزكاة في حكومته التي لم يرتضوها إذ فيهم من بقي على إسلامه، ويرى في عدم معاملة علي بن أبي طالب وسعد بن عباد معاملة المرتدين رغم رفضهم البيعة دليلاً على ذلك، ثم ينتهي بحديثه إلى تبرئة الإسلام من الخلافة وإخراجها من الدين عاداً إياها من وظائف الحكم ومراكز الدولة التي ألحقت بالدين خطأ وكان من مصلحة السلاطين أن يروجوا ذلك الخطأ حتى يتخذوا من الدين دروعاً تحمي عروشهم<sup>(١٢١)</sup>.

ويبدو مما تقدم أن الدكتور علي عبد الرازق إنما بنى نظريته تلك، على الواقع العملي الذي كانت عليه الخلافة فحاول جهده نفيها ونفي أي سلطة سياسية في الدين الإسلامي في عهد الرسول وغيره مستدلاً بأدلة لا تحمل مكان من القوة.

ذلك التاريخ المليء بأحداث بعيدة كل البعد عن الخلق الإسلامي في زمن الخلافات والحكومات الدينية التي لا تمت للدين بالصلة لم تؤثر على فكر الدكتور عبد الرازق فحسب بل نجد أن خالد محمد خالد اعترف بذلك في كتابه (الدولة في الإسلام) مبرراً موقفه القديم من الحكومات الدينية بعاملين: أولهما، تأثره بما قرأه عن الحكومة الدينية المسيحية في أوروبا وثانيهما، ما رآه من سلوك المتدينين في مصر لناحية اللجوء إلى العنف في مواجهة الآخر المفارق ايديولوجياً<sup>(١٢٢)</sup>.

إذ كان خالد محمد خالد قد ذهب سابقاً وفي كتابه (من هنا نبدأ) موقفاً مشابهاً لما ذهب إليه الدكتور علي عبد الرازق في (الإسلام وأصول الحكم) إذ أشار إلى أن النبي (ص) كان يحس احساساً واضحاً بأنه هاد وبشير، وليس رئيس حكومة وجباراً في الأرض. ويشير إلى أن النصوص متضاربة على ذلك ويورد في هذا الصدد أنه عرض على الرسول (ص) يوماً أن يجعلوا له مثل الحكام والأباطرة فأجابهم بأنه رحمة مهداة كما أجاب (ص) ((مهلاً يا عمر أتظنها كسرويه؟ إنها نبوة لا ملك)) حين طلب عمر منه

(ص) أن يتخذ له فراشاً وطيداً<sup>(١٢٣)</sup>. ونجيب على هذا بما سبق واجبنا عليه في معرض الحديث عن ادلة مشابهة لهذه ساقها الدكتور عبد الرازق بأن المراد قد يكون هو السلطة المتسامحة الرحيمة لا الجبروت المتعارف عن الملوك والسلطين.

ثم يلحق خالد محمد كلامه بأن الرسول (ص) وأن مارس بعض الوظائف الدولية كعقد المعاهدات، وقيادة الجيش، وكثيراً من مظاهر السلطة إلا أن هذا لا يعني أن ثمة طرازاً خاصاً من الحكومات يعتبره الدين بعض أركانه وفرائضه بل كل حكومة تحقق الغرض من قيامها وهو تحقيق المنفعة الاجتماعية للامة يباركها الدين، ويعترف بها فيرى أن مقام النبوة أرفع من كل مقام، وأن الضرورات ألجأت الرسول (ص) إلى تلك المظاهر السلطوية لتحقيق المنفعة والسعادة لمجتمعه ويستدل على ذلك بقوله (ص) ((أنتم أعلم بشؤون دنياكم))<sup>(١٢٤)</sup>. وهي رواية لا تصمد أمام النقد لا سنداً ولا متناً وإذا تمت مناقشتها مناقشة عقلية فالنبي عاش في جزيرة العرب وبعث وعمره أربعين سنة وحديث أنتم أعلم بأمر دنياكم قيل في المدينة في حادثة تأبير النخل والتي جاء فيها أن النبي (ص) كان جالساً في مجلسه فمر عليه مسلم فسلم عليه فسأله النبي (ص): إلى أين؟ فقال: ذاهب لألحق النخلة. فقال النبي (ص): ارجع لو شاء الله أن يثمر النخل يثمر ورجع الرجل: فلما حان وقت الثمر لم يثمر نخل الرجل فقال النبي (ص): أنتم أعلم بأمر دنياكم. فهل يعقل أن رجل من جزيرة العرب وتجاوز الأربعين من عمره لا يعلم بأن النخل لا يثمر دون لقاح فيقول للرجل أرجع؟! ناهيك عن أن النبي (ص) شاء أن تجري الأمور بأسبابها وقد أعلن عن ذلك مراراً وتكراراً فلم يعلق امر على المشيئة الإلهية دون التماس الأسباب<sup>(١٢٥)</sup>. بالإضافة إلى ذلك لو صح ما تقدم من حديث فإنه إنما يدل على شأن متعلق بالزراعة فكيف يستدل به على عدم اختصاص النبي (ص) بالشأن السياسي؟!

يتبع خالد محمد رأيه عن إمكانية أن يكون الدين دولة بأن الدين وهو عبارة عن حقائق ثابتة خالدة لا تقبل التبدل ولا التغيير، على حين أن الدولة مجموعة نظم خاضعة لعوامل التطور والتبدل والتحوير والتغيير وهي نظم عرضة للنقد والتجريح وبذا تعريض للدين

للمهبات<sup>(١٢٦)</sup>. وهو كلام مردود إذ أن النظم والقوانين المعمول بها ليست جميعها خاضعة للتطور والتبدل فمنها ما هو ثابت بحكم ارتباطه بجنبة الثبات في طبيعة الإنسان كحرمة معونة الظالم والركون إليه في الإسلام وإثباته في الوضعيات البشرية، ومنها ما هو متغير لارتباطه بالجوانب المتغيرة في حياة الإنسان كالتنظيم القانوني لوسائل النقل إثر تطورها وهو تغير التنظيم المرتبط بالكيفية لا أساس حاجة الإنسان إلى وسيلة النقل وهذا يدل على استيعاب الدين لهذه القضية<sup>(١٢٧)</sup>.

ونجد لهذا الموقف من الدولة في الفكر الإسلامي جذوراً تاريخية إلا أنها كانت متعلقة بالإمامة أو الخلافة لا بالموقف من سلطة الرسول (ص) وطبيعتها كما هو شأن الدكتور عبد الرازق وخالد محمد خالد قبل عدوله عن رأيه، وتتمثل هذه الجذور ببعض أوائل الخوارج والنجداث - اتباع نجدة الحنفي زعيم فرقة من الخوارج - وفريق من المعتزلة على رأسهم أبو بكر الأصم وهشام بن عمر الفوطي وعباد بن سليمان حيث يذهبون إلى أن الدين لا ينص على وجوب الدولة وإقامتها ولا على وجوب تركها بل ترك أمرها للمسلمين، فإن استطاعوا نصب أمام عادل من دون إراقة الدماء ومن دون حروب وفتن، فذلك أفضل، وأن هم لم يفعلوا ذلك وتكفل كل واحد منهم بنفسه وأهله وطبق أحكام الشريعة كما هي منصوص عليها في الكتاب والسنة، جاز ذلك وسقطت عنهم الحاجة إلى امام<sup>(١٢٨)</sup>. وهو رأي مناقض للعقل والواقع العملي فإذا أراد أن يتعامل مجموع المسلمين مع جهة أخرى فمن يمثلهم ومن يعبر عنهم؟!

### المطلب الثاني

الموقف القائل أن الإسلام دين ودولة

خلافاً للرأي الذي بيناه في المطلب السابق يقول أصحاب هذا الرأي أننا إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن الرسول (ص) بعد أن هاجر إلى المدينة قام فعلاً بتأسيس دولة، فرغم ما كانت عليه الحكومة من البساطة في عهد الرسول بالمدينة إلا أنها كانت دولة مستوفية جميع أركانها كما كان شأن دولة مدينة روما أو دولة مدينة أثينا في الأزمنة القديمة فالمسلمون يكونون الأمة والرسول (ص) هو حاكمهم وقاضيه كما يقوم بمهام السلطة

التشريعية وقد وضع الخطوط العريضة لدولة إسلامية من نظام للضرائب ونظام قانوني وأنظمة إدارية وعسكرية. وهذه الأنظمة كانت تنطوي على نواة أو جذور يمكن تطويرها وملائمتها مع تغير الظروف. وكان ما يصدره الرسول (ص) من تعليمات وأوامر وأحكام تنطوي على جزاءات دنيوية عاجلة لا مجرد تهديدات بجزاءات الآخرة، وكان لديه أعوان وإداريون. كما أن كثير من الباحثين الغربيين ومن المستشرقين الذين بحثوا في هذا الموضوع انتهت بحوثهم إلى أن الإسلام دين ودولة، وأن الرسول (ص) لم يكن رسولاً فحسب بل حاكماً ورئيساً لدولة<sup>(١٢٩)</sup>.

في هذا السياق نجد أن الباحث (ارنولد) يقول في كتابه (الخلافة) بأن الرسول (ص) كان رئيساً لدولة ورئيساً دينياً له الهيمنة على السلطة السياسية ويقوم بتعيين جباة الضرائب والزكاة ويقوم بمهام السلطة التشريعية وبمهمة القضاء<sup>(١٣٠)</sup>.

وإذا كان لا خلاف بين أصحاب هذا الرأي في الأصل وهو أن الإسلام دين ودولة وأن الرسول (ص) كان حاكماً لهذه الدولة إلا أن الخلاف يظهر فيما بينهم في كيفية الوصول إلى السلطة أو الحكومة بعد الرسول (ص) أو مصدر مشروعية السلطة وطبيعة الحكم الإسلامي، وحدود مشاركة الشعب وغيرها من القضايا المتعلقة بالحكم والسلطة<sup>(١٣١)</sup>.

وبعد البعض هذا الأمر في غاية الأهمية حتى أن المسلمون قدموه على دفن جثمان الرسول (ص) بعد وفاته وهو الذي كان يمثل السلطة السياسية في دولة المدينة!<sup>(١٣٢)</sup>

افترقت الأمة في هذه المواضيع والقضايا فرقاً مختلفة، أهمهما الفرقتان الكبيرتان اللتان تحولتا إلى مدرستين متميزتين في جميع المجالات المعرفية: في العقائد والفقهاء والسياسة ومجالات علمية أخرى. المدرسة الأولى، وهي مدرسة الخلافة ترى أن رسول الله (ص) توفي وترك أمر السلطة ومن سيخلفه بيد الأمة تنتخب وتختار من يقودها ويُسير أمورها وهذا ما قام به المهاجرون الذين بايعوا أبا بكر وعينوه خليفة للمسلمين كافة. أما المدرسة الثانية، وهي الإمامة فأكدت وجود النص والتعيين الإلهي للوصي الذي سيخلف الرسول (ص)<sup>(١٣٣)</sup>.

ومع الاتفاق على أن الإسلام دين ودولة وتجاوز الخلاف في كون هذه الدولة تستمد مشروعياتها من الخلافة أو من الإمامة فالسؤال هنا، هل أن الخلافة أو الإمامة أصل من أصول الحكم في الإسلام أم لا وفي هذا نجد قولين الأول يقول به والآخر ينفيه وعلى النحو التالي:

أولاً: الرأي القائل أن الخلافة أو الإمامة أصل من أصول الحكم في الإسلام علماء المسلمين متفقون - إلا ما استثني - على وجود الخلافة أو الإمامة وعلى أنها من فروض الكفاية كالجهاد في سبيل الله وطلب العلم فإذا قام بتلك الواجبات من هو أهلها من الأمة الإسلامية سقط فرضها عن الكافة، إن لم يقم بها أحد كان الإثم أو الوزر واقعاً على فريقين من الأمة أحدهما أهل الاختيار أي من لهم حق انتخاب الخليفة، والثاني أهل الخلافة أو الإمامة أي من تتوافر فيهم شروط الخلافة أو الإمامة، وليس على عداهما إثم أو وزر. وهذا رأي أهل السنة جميعاً ورأي المعتزلة والخوارج إلا عدداً قليلاً من أولئك وهؤلاء، وذلك أيضاً رأي الشيعة في أن الإمامة أصل من أصول الإسلام إلا أنهم لا يعدونها من المصالح التي تفوض إلى نظر الأمة بل لا يجوز للنبي (ص) إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر<sup>(١٣٤)</sup>.

ثانياً: الرأي القائل أن الخلافة ليست من أصول الحكم في الإسلام وقد سبق وأن بينا ذلك في عرضنا للرأي القائل بأن الإسلام دين فقط وذكرنا بأن البعض ذهب لذلك فيما يتعلق بالخلافة لا أصل الدين ودولة الرسول ونعود هنا لنذكر أن هؤلاء وهم بعض علماء المعتزلة، وطائفة من الخوارج، وهم النجدات يرون أن الخلافة ليست فريضة بل الفريضة هي القيام بتنفيذ أحكام الشريعة ولهم أدلتهم في هذا والتي تُناقش في بعض الموارد<sup>(١٣٥)</sup>.

وفي نهاية المطاف بين كل تلك الآراء وبعد مناقشة لرأي القائل أن الإسلام دين فقط وما تبين من أدلة نافية له وكذلك ومع ملاحظة مراعاة الدين الإسلامي لمصالح الدنيا والآخرة فقد اعتنى الإسلام بشؤون الدنيا وأمور الدولة من خلال الأحكام القانونية

التي شرعها في الأمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصية<sup>(١٣٦)</sup>. وما سبق وتبين لنا عناية الدين الإسلامي بمسائل الحكم وأن اختلف المسلمون في فهمها وتفسيرها فذهب إلى الإسلام دين ودولة وإن إقامة الدولة أصل من أصول الحكم في الإسلام وسواء كان القول بالإمامة أو الخلافة فإن الواقع يتحدث عن فراغ من الأمرين فقط انتهت الخلافة بانتهاء الخلافة العثمانية كما تشهد ساحة القائلين بالإمامة غياب الإمام الثاني عشر وإزاء هذا كان لابد من التنظير في المجال السياسي من هذه الخلفية التاريخية.

وبشكل عام، لا يمكن للمتبع للأدبيات السياسية الإسلامية الصادرة خلال القرن العشرين إلا التأكيد على أن تطوراً مهماً قد حصل في بنية هذا الفكر، وقد توج هذا التطور بالتجارب الإسلامية القائمة الآن في الحكم - والتي سنبحثها في الفصل القادم - سواء على مستوى مشاركة الإسلاميين في العملية السياسية داخل بعض الأنظمة العلمانية القائمة، أم مع تسنم إسلاميين السلطة أو انخراطهم في العمل السياسي على نطاق واسع، وبالتالي فحجم التنظير في المجال السياسي وكثافة الأدبيات السياسية الصادرة خلال العقود الأخيرة، إضافة إلى التجارب التي يخوضها الإسلاميون الآن وهم يمارسون السلطة، ذلك كله يجعل البحث عن ملامح التطور في الفكر السياسي الإسلامي والموقف الحديث للدين من الدولة مسوغاً.

وباستقصاء تلك الأدبيات أن نستنتج أن موقف الدين اليوم من الدولة والحكم على نحوين الأول هو ولاية الأمة والآخر هو ولاية الفقيه وعلى التفصيل التالي:

١- ولاية الأمة: أو مبدأ حكومة الأمة وهو كتعبير اصطلاحى لم يرد في النصوص الإسلامية بهذا الشكل أما واقع المبدأ فهو إسلامي وهو يعني الاعتراف للإنسان بصلاحياته وحقوقه السياسية وإعطائه دوراً سياسياً في اختيار برنامج الاجتماعى والسياسى وفي حدود ما تسمح به شريعة الله. كما أنه يعني أن جميع الناس يشتركون ويساهمون في العمل السياسى وليس الفرد الواحد ولا الطبقة الواحدة ولا الحزب الواحد وإنما مجموع الناس الشعب هو الذي يختار وينتخب<sup>(١٣٧)</sup>.

وحكومة الأمة ليست مجرد حق وصلاحيات بل هي إلزام ومسؤوليات فالأمة ملزمة شرعاً بضبط شؤونها السياسية وسيرها بالشكل الذي يريده الإسلام، فالمسألة ليست مجرد حق وصلاحيية يمكن لأحد التنازل عنه، وإنما هي مسألة فريضة ومسؤولية يجب تحملها والنهوض بأعبائها، وبذا فهي تمتاز عن الديمقراطية الغربية في أن الأخيرة لا تعدو كونها تمنح الحق في المشاركة في الحكم للشعب أو الأمة واعتبارها مصدر السلطات أما أن يكون هذا الحق واجباً وملزماً لأفراد الأمة فذلك من خواص السياسة الإسلامية، وفي كل ذلك فإن الأمة لا تخرج عن حكومة الله والذي يعني أن الله الحكومة التكوينية والتشريعية وهي حكومة ليست مفصولة عن الإنسان ولا مستبدة به ولا مهملة لمصالحه إنما جنباً إلى جنب مع حكومة الإنسان وولاية الأمة إذ تخضع الأمة لشرعة الله التي تحدد للدولة أهدافها ومسؤولياتها ولا يجوز للدولة أن تتعدى أحكام هذه الشريعة وعلى الدولة أن تعمل على إظهار دين الله وتحدد مواقفها السياسية بما ينسجم مع الدين<sup>(١٣٨)</sup>.

٢- ولاية الفقيه: وهي كما سبق أن اتضح انبثقت من رحم الفكر السياسي الشيعي وتستند إلى دعامة النصب الشرعي للفقيه العادل الكفو ولياً للأمة، بوصفه نائباً عاماً للإمام الثاني عشر في غيبته، الأمر الذي يحصر الحق الشرعي في رئاسة الدولة الإسلامية به، وتأسيس الدولة الإسلامية واجب كفائي على الفقهاء العدول ولو أقامها أحدهم وجب على الفقهاء الآخرين إطاعته وعدم مزاحمته في مساحة ولايته. والفقيه الحاكم غير ملزم بالشورى في ممارسة الحكم إلا بمقدار الترجيح بين آراء المشيرين وأن تجاوزت مساحة المشيرين أهل الحل والعقد وأصحاب الاختصاص إلى الأمة. وعدالة الفقيه هي ميزان استمراره في الحكم. والفقيه هو مصدر شرعية الدولة وسلطانها<sup>(١٣٩)</sup>.

يبدو من خلال البحث المتقدم أن التطور في الفكر السياسي الإسلامي أصبح أكثر موائمة مع النظريات السياسية الحديثة والأنظمة الدستورية كما نجد أن تبني الدول ذات الغالبية الإسلامية في دساتيرها لمبدأ (الشعب مصدر السلطات) ينسجم مع نظرية ولاية الأمة وبالتالي القضاء على الفجوات بين الدين والدولة إلى أكبر قدر ممكن وبذا نرجحه على ولاية الفقيه.

هذا ولا يفوتنا أن نذكر تيار آخر في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وهو التيار الرافضي الاحتجاجي، أو ما يعرف بـ (السلفية الجهادية)، ففي مناخ مثقل بالمتناقضات وأسباب القلق والشك والحيرة والتضارب في القيم الثقافية والاجتماعية كان اللجوء إلى الدين للاحتماء به أمراً طبيعياً في الواقع الإسلامي، إذ بدا السبيل الوحيد للخلاص. وهكذا أصبح ما أصطلح عليه بـ (الأصولية الإسلامية) قوة جذب تستقطب الكثيرين وأخذت تتفاعل هذه الأفكار وتنمو في ستينات وسبعينات القرن العشرين، حتى أصبحت تيارات احتجاجية رفضية تعتمد ما تسميه (الجهاد) سبيلاً إلى تحقيق أفكارها، وعلى رأسها تطبيق الشريعة من طريق إقامة الدولة الإسلامية وإعادة إحياء الخلافة كل ذلك باعتبار أن المنهج السلمي لم يعد صالحاً بالنسبة لهم ولا مجدداً في التعامل مع السلطة<sup>(١٤٠)</sup>.

وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أن التيارات الإسلامية المتطرفة ستسحب من الساحة عندما يقوم وسط الاتجاه السلفي المعاصر رجال يقومون بمهمة إعادة بناء علم الشريعة (الفقه) بتوظيف المناهج والمفاهيم المعاصرة، مناهج ومفاهيم علوم الاقتصاد والاجتماع والسياسة التي افرزها تطور المعرفة وتطور المجتمع وذلك من خلال تأهيل الأصول وإعادة تأهيل عقل المجتهد<sup>(١٤١)</sup>. إلا إننا نرى أن استيعاب أسباب المشكلات وتحليلها يمكن أن يقودنا إلى إيجاد حلول دستورية تحد من الأزمات السياسية المتطبعة بطابع الدين وتضع مساحة واضحة لتدخل الدين في الدولة أو تدخل الدولة في الدين وذلك من خلال مؤامة موقف الدين من الدولة مع موقف الدولة من الدين وجعل الأخذ يستمد شرعيته الأولى إذا أن نظريات الحكم والدولة في الفكر الإسلامي تولى أهمية بالغة لشرعية السلطة والحكم والتنظيم لأسس ومقومات الشرعية للحكم والسلطة.

ويمكن القول بناءً على ما تقدم، أن وظيفة الأديان بشكل عام هداية الناس، وإقامة نظام حياتي عام بما يريد الله انطلاقاً من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع إلى الدولة، إذا تهيأت

الظروف، وأن اختلاف مواقف الأديان من الدولة نتيجة اختلاف هذه الظروف وكذلك اختلاف اتباع الأديان في مواقفهم والتي تلعب الاعتبارات الشخصية دوراً في تحديدها. خاتمة

لو لم تكن الأديان موجودة لابتدعها الإنسان، إنها الحقيقية التي تدل عليها النتائج التاريخية، فحاجة الإنسان إلى الانتظام تجعله يبحث عن مالك القوة والقهر ليسوده ويتسلط عليه ويخضع لقوانينه، وكانت تلك البذرة الأولى لنشوء العلاقة بين الدين والدولة، إذ عزبت السلطة إلى الآلة، فالدين ناحية من النواحي الفكرية بدأ مع الإنسانية في سداجتها وتطور معها في درج الحياة.

وقد سعينا من خلال بحثنا لتحري جذور هذه العلاقة ومتابعة تطورها، وقادنا البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي نطرحها على نقطتين متتاليتين:

#### أولاً: النتائج

١- إن وظيفة الأديان هداية الناس وإقامة نظام حياتي عام بما يريد الله انطلاقاً من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع إلى الدولة إذا تهيأت الظروف، والاختلاف في مواقف الأديان من الدولة ناتج من اتباع الدين وفهم الخاص لذا تنوع المواقف من الدولة داخل الدين الواحد وعبر تاريخ الدين الواحد.

٢- تميل اليهودية بشكل عام لاعتبار الدولة شأن ديني، ولا بد للحاكم أن يكون يهودياً يعمل وفق مبادئ الديانة اليهودية. والدولة اليهودية المتمثلة بـ (إسرائيل) مدينة للديانة اليهودية في قيامها.

٣- إن الموقف المسيحي من الدولة غير محدد وإنما اختلف تاريخياً بين مهاده وصرع ومصالحة نتج عنها فص الدين عن الدولة، أما المسيح ذاته فلم يكن شأناً إلهياً إذ صرح بمحاكمة غن مملكته ليست من هذا العالم.

٤- رغم إقامة رسول الإسلام محمد (ص) لدولته في المدينة المنورة، إلا أن المسلمون مختلفون في موقفهم من الدولة. إذ نفاها بعضهم عن الإسلام بحجج لم تعتمد أمام البحث. وأثبتت آخرون لكنهم اختلفوا من بعد الرسول في كون الدولة تقوم على النصب

الإلهي للأمام وهم أتباع مدرسة الإمامة أو اختيار الأمة وهم أتباع مدرسة الحذافة. وفي كتاب غياب الأمام البس بعض من أتباع الأمام السلطة للفقهاء وفقاً لنظرية (ولاية الفقيه) فيما ذهب بعضهم الآخر إلى جانب أتباع مدرسة الحذافة ذهبوا إلى أن اختيار الحاكم أو إقامة الدولة من مهمات الأمة وفقاً لنظرية (ولاية الأمة).

٥- كان للعلاقة بين الدين والدولة صيرورة تاريخية، انعقدت الغلبة في نهايتها للدولة لتحديد الأخيرة موقفها من الدين بوثقتها الدستورية بعد أن تطورت الدولة إلى مرحلة الدولة الدستورية الوطنية. وهي تختلف في موقفها من الدين على ثلاثة مواقف فهي أم تبني سلطتها وتقيم على أساس إلهي لتكون دولة دينية أو تفصل الدولة عن الدين وتقيم دولتها على أساس معياري وهي دولة علمانية تقف موقفاً وسطاً وتكون دولة مدينة وهي أما مدينة بمرجعية علمانية إذا كانت الأسس التي يستمد منها الدستور والقانون كينونتها معيارية إذا كانت أسس دينية فتكون دولة مدينة ذات مرجعية (إسلامية).

ثانياً- التوصيات

١- لا بد للدولة الحديثة فضلاً عن الدولة التي تسهم بالتنوع الاجتماعي من تبني الهوية المدنية للدولة لما تتسم به من بناء الدولة على أساس قانوني تخضع له جميع التنوعات على قدم المساواة وكما تكون مصدراً للسلطة دون أن تنفصل الأخيرة عن الدين الذي يشكل قدراً من المنظومة القيمية للمجتمع.

٢- نوصي بالمادة (٢/أولاً/ج) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ والتي تنص على أنه " لا يجوز سن قانون يتعارض مع الحقوق والحريات الأساسية الواردة في هذا الدستور" لكونها زائدة بحكم نص المادة (١٣/ثانياً) والتي تنص على أنه " لا يجوز سن قانون يتعارض مع هذا الدستور، ويعد باطلاً كل نص يرد في دساتير الأقاليم، أو أي نص قانوني آخر"، كما نوصي بحذف البند (ثانياً) من المادة ذاتها والتي تنص على أنه " يضمن الدستور الحفاظ على الهوية الإسلامية الغالبية الشعب العراقي، كما ويضمن كل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية كالمسيحيين والأيزيديين والصابئة المندائيين"، فالنص جاء لتقرير حرية العقيدة والحريات كما أن

النص يعدّ زائداً بوجود نص المادة (٤٢) والتي تنص على أنه " لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة".

٣- نوصي بحذف المادة (٣) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ والتي تنص على أنه " العراق بلد متعدد القوميات والاديان والمذاهب، وهو جزء من العالم الإسلامي" إذ أن النص على التنوع العراقي لا يصح في النصوص وإنما في الديباجة التي تنص عادة على الخلفيات التاريخية وقد أسهبت الديباجة في هذا المجال فما من داع للتكرار كما أن النص يعبر عن ولاءات أكثر من كونه معبراً عن هوية أو التزامات.

٤- نوصي بحذف المواد (١٠، ٤١، ٤٣) من الدستور وذلك بتضمينها للمادة (٤٢) بتعديل الأخيرة والتي ورد نصها أعلاه لتكون على النحو التالي " تكفل الدولة حرية الفكر والضمير والعقيدة وما يترتب عليها من حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية والالتزام بالأحوال الشخصية وإدارة الأوقاف والمؤسسات الدينية وبما لا يتنافى مع النظام العام والآداب العامة".

#### الملخص

تبدو مفردتا الدين والدولة للوهلة الأولى واضحتي الدلالة على معانيهما، إلا أن شيئاً من التمعن يقودنا إلى عمقهما وسعة معانيهما. وإذا كانت مفردة الدولة مستوعبة لمعانيها عندما تطرق مسامع ذوي الاختصاص القانوني فالدين ليس كذلك. فلا بد إذن من تحديد المفاهيم للوصول إلى رؤية واضحة عن موقف الدين من الدولة.

تشكل العلاقة بين الدين والدولة قيمة مهمة في الفلسفة السياسية على مدى التاريخ سواء سادت الأديان أم سادت الدولة ورغم أن لكل من الأديان موقفها من الدولة ولكل من الدول موقفها من الدين إلا أن العلاقة بين الدين والدولة يمكن أن تتمحور في ثلاثة اتجاهات على مر العصور وهي: علاقة خلط: وتقوم على الخلط بين الدين والدولة إذ تقوم السلطة على أساس إلهي، أو علاقة فصل: وتقوم على فصل الدين عن الدولة تقوم السلطة فيها على أساس معياري علمي عقلاني، أو علاقة وحدة وتمييز: وتقوم على أن علاقة الدين بالدولة علاقة وحدة لأن السلطة مقيدة بالقواعد القانونية.

ما اختلف فقهاء القانون وأرباب الفكر السياسي على شيء اختلافهم في تعريف الدولة وترجع هذه الخلافات إلى الغموض والالتباس الذي يحيط بالظاهرة موضوع التعريف نفسها فالدولة في الواقع، ظاهرة متعددة الصورة والعناصر وأن أكثر التعاريف التي وضعت تقتصر على بعض صور الدولة وعناصرها من دون البعض الآخر. على أن التعريف الصحيح للدولة يجب أن يتضمن جميع العناصر اللازمة لوجود الدولة والمعيار القانوني الذي يميزها عن غيرها من الوحدات السياسية والقانونية ذلك لأن الدولة هي في الوقت ذاته ظاهرة سياسية اجتماعية فاذا قصرنا التعريف على بعض هذه المظاهر كان التعريف ناقصاً، فيمكن تعريف الدولة بأنها شخص معنوي يتكون من شعب يقطن إقليم تحكمه سلطة سياسية تتمتع بسيادة.

وهكذا نجد أن الفقهاء وأن كانوا يختلفون في تعريف الدولة، فإنهم متفقون على العناصر الجوهرية أو الأركان الأساسية للدولة بوصفها مجتمعاً قانونياً وهي عندهم ثلاثة: الجماعة البشرية (الشعب)، والإقليم، والهيئة الحاكمة (السلطة السياسية)، فيما يضيف لها جانب من الفقه ركن الاعتراف إلا أننا لا نجد فيه ركناً فالدولة تنشأ باجتماع أركانها الثلاثة وإذا ما نشأت ثبتت لها السيادة على إقليمها إلا أن الاعتراف يمكنها من بناء العلاقات مع الدول الأخرى.

وإذا كان مؤرخو الفكر السياسي يجمعون على ظهور الدولة بالمعنى المتقدم كان في القرن السادس عشر، فالسؤال ما هي الدولة التي يمكن أن نبحت موقف الدين منها خصوصاً إذا علمنا أن الأديان أقدم بكثير من مفهوم الدولة؟ والاجابة على ذلك هي أننا نبحت موقف الدين من السلطة السياسية، أو الهيئة الحاكمة التي اكتسبت صفة الدولة، قبل أن يتوسع مفهوم الدولة إلى ما هو متعارف عليه اليوم.

الهوامش:

- (١) د. علي سامي النشار، نشأة الدين النظريات التطويرية والمؤهلة، بلا طبعة، دار نشر الثقافة الاسكندرية، ١٩٤٩، ص ٩ - ١٠.
- (٢) البوذية نسبة إلى بوذا وهو إنسان وليس إله يلتزم المؤمنون بأخلاقه عادينها ديناً لهم وهي تقوم على أربع قضايا يسميها المؤمنون بها الحقائق الأربعة النبيلة وهي ١- يوجد الألم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأشياء كلها. ٢- الشهوة تبدو في كل شيء وهي علة الألم. ٣- القضاء على الشهوة الوسيلة الوحيدة للتخلص من الألم. ٣- خطوات ثلاث للقضاء على هذه الشهوة الاستقامة، التأمل، والحكمة وهي غاية الغايات. أما الحانية فلا تعترف بإله والعالم عندهم قديم وينكرون بصراحة وجود موجود خالد كل الخلود. ينظر: د. علي سامي النشار، مصدر سابق، ص ٢٣ - ٢٤.
- (٣) د. علي سامي النشار، مصدر سابق، ص ١٢.
- (٤) عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، بلا طبعة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧. أشار إليه: د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ١، ط ٢، المركز العربي للأبحاث وحرية السياسات، بيروت، ٢٠١٣، ص ٥٢.
- (٥) د. علي سامي النشار، نشأة الدين النظريات التطويرية والمؤهلة، مصدر سابق، ص ٥.
- (٦) حاتم إسماعيل، الأديان الكبرى قبل الإسلام المسيحية- اليهودية- الأديان الهندية، ط ١، المجاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٢ - ١٥.
- (٧) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (٨) حاتم إسماعيل، مصدر سابق، ص ١٦. وأيضاً: د. محمد شامة، في علم الأديان مفهوم العقيدة وتطورها، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان شر، بلا سنة نشر، ص ١٠٨.
- (٩) سورة الشورى، آية (١٣).
- (١٠) د. محمد شامة، في علم الأديان، مصدر سابق، ص ١٠٨.
- (١١) سورة آل عمران، آية (١٩).
- (١٢) د. محمد شامة، في علم الأديان، مصدر سابق، ص ١٠٨.
- (١٣) سورة آل عمران، آية (٦٧).
- (١٤) سورة الحج، آية (٧٨).
- (١٥) حاتم إسماعيل، الأديان الكبرى قبل الإسلام، مصدر سابق، ص ١٧. وأيضاً: د. محمد شامة، في علم الأديان، مصدر سابق، ص ١٠٩.
- (١٦) سورة الحجر، آية (٩).

- (١٧) د. جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، ط ٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٩.
- (١٨) سورة المائدة، آية (٤٨).
- (١٩) د. جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، مصدر سابق، ص ١٩.
- (٢٠) د. عادل عبد العال خراشي، جريمة التعدي على حرمة الأديان وازدراؤها في التشريعات، الجنائية الوضعية والتشريع الجنائي الإسلامي، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، بلا سنة طبع، ص ١٧.
- (٢١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط ١، مطبوعات دار الاندلس، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٤٤. وينظر أيضاً: عادل العلوي، عقائد المؤمنين، ط ٢، المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ٢٠٠٢، ص ١١.
- (٢٢) محمد حسين الطباطبائي، مصدر سابق، ص ١٤٤.
- (٢٣) مرتضى مطهري، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، مراجعة وتصحيح عبد الكريم الزهيري ومحمد هاني الثامر، ج ١، ط ١، قلم مكنون، ١٤٢٧هـ، ص ١٤٠-١٤٣.
- وأيضاً: حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، ط ٤، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤٤.
- (٢٤) مرتضى مطهري، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٤٣-١٤٤.
- (٢٥) سورة الروم، آية (٣٠).
- (٢٦) مرتضى مطهري، مصدر سابق، ص ١٤٥.
- (٢٧) أبو الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ٢، ط ٢، الدار الإسلامية، بلا مكان طبع، ١٩٩٠، ص ٣١٩.
- (٢٨) أبو الحسن بن فارس بن زكريا، مصدر سابق، ص ٣١٩. وأيضاً: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تنسيق علي شيري، مج ٤، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٤١٦. وأيضاً: كتاب العين للفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٣.
- (٢٩) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢١٨. وأيضاً: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦٢. وأيضاً: كتاب العين للفراهيدي، مصدر سابق، ص ٧٣. وأيضاً: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، رتبه وصححه إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٤٦٧.

- (٣٠) محمد بن أبي بكر الرازي، مصدر سابق، ص ٤١٨. وأيضاً: أبو الحسن بن فارس بن زكريا، مصدر سابق، ص ٣٢٠. وأيضاً: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦٠. وأيضاً: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص ٤٦٧.
- (٣١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦٠.
- (٣٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص ٤٦٧. وأيضاً: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦١.
- (٣٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص ٤٦٧. وأيضاً: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦٠.
- (٣٤) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، مصدر سابق، ص ٤٦١.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.
- (٣٦) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص ٤٦٧.
- (٣٧) الفراهيدي، مصدر سابق، ص ٧٣.
- (٣٨) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، مصدر سابق، ص ٤٦٧.
- (٣٩) أبو الحسن بن فارس بن زكريا، مصدر سابق، ص ٣١٩.
- (٤٠) د. محمد شامة، في علم الأديان، مصدر سابق، ص ٤١-٤٢.
- (٤١) براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣٥.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٦-٣٨.
- (٤٣) يذهب د. علي سامي النشار في تعريف الدين إلى توزيعه على ثلاثة مناهج هي: النفسي الذي يُعد الدين أمراً فردياً يستشعره الفرد في اعماقه ولا يتجه إلى عمومية الظاهرة الدينية، والحدسي يُعرف الدين على أنه مجموعة العقائد الميتافيزيقية التي ينغلق عليها مجتمع ما ويسيطر بطقوسها على أفرادها، والمقارن الذي = يُعرف الدين بكونه اعتقاد بموجودات روحانية منحت سيطرةً علياً على من يؤمنون بها. للمزيد ينظر: د. علي سامي النشار، نشأة الدين، مصدر سابق، ص ٢١-٢٣. وهو ما يتبعه كذلك براق زكريا في تباينه لمناهج التعريف الاجتماعي للدين. براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٣٩-٤٠. ينظر أيضاً: جان - بول وليم، الأديان في علم الاجتماع، ترجمة بسمة علي بدران، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٧٦-١٨٥ حيث يُصنف إلى تعريف الدين إلى تعريفات وظيفية تُعرف الدين بنظام مؤسسات ومعتقدات، وتعريفات مادية = تُعرف الدين بمؤسسة أو جماعة معنوية، وتعريفات توفيقية

تجد الدين عبارة عن مجموعة من المعتقدات والممارسات المنظمة والتي تُمارس في مجتمع معين. في حين يذهب هو إلى تعريف الدين بـ ((نشاط اجتماعي يتضمن علاقة مع سلطة جاذبة شعبياً)).

(٤٤) براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٣٦-٤٠.

(٤٥) د. عبد الرزاق السنهوري، اصول الفقه، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان نشر، ١٩٣٦، ص ٦٥.

نقالا عن د. عادل عبد العال خراشي، جريمة التعدي على حرمة الأديان وازدراءها في التشريعات

الجنائية الوضعية والتشريع الجنائي الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٠. أشار إليه فريد فتیان، مقدمة

القانون المدني، بلا طبعة، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥٤، ص ٤٣.

(٤٦) د. محمد حسام لطفي، المدخل لدراسة القانون في ضوء آراء الفقه واحكام القضاء، ط ٤، دار

النهضة العربية، بلا مكان نشر، ١٩٩٩، ص ١٦٩. أشار إليه د. عبد العال خراشي، جريمة التعدي

على حرمة الأديان وازدراءها ..، مصدر سابق، ص ١١

(٤٧) د. عبد العال خراشي، مصدر سابق، ص ١١.

(٤٨) عبد المحسن فضل، الإسلام وأسس التشريع، ط ٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٦٩.

(٤٩) فريد فتیان، مقدمة القانون المدني، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٥٠) د. يوسف حاشي، في النظرية الدستورية، بلا طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية وابن النديم للنشر

والتوزيع، بلا مكان طبع، بلا سنة طبع، ص ٢٧٨. واستمر الدين دافعاً للحرب وهو ما يلاحظه في

فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيد السيستاني، فقد جاء في خطبة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

في كربلاء المقدسة في يوم الجمعة ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤/٦/١٣ ((... إن طبيعة المخاطر

المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا

الدفاع واجب على المواطنين بالواجب الكفائي، بمعنى أنه اذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق

الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين...)) ينظر: موقع مكتب سماحة المرجع

الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، بلا تاريخ نشر، تاريخ الزيارة، ٢٠١٩/٩/١ وعلى

الرابط: <http://www.sistan.org/>

(٥١) د. يوسف حاشي، في النظرية الدستورية، مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٥٢) مصطفى كريمي، الدين حدوده ومدياته، تعريب محمد عبد الرزاق، ط ١، مركز الحضارة لتنمية

الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤٦.

(٥٣) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، تحقيق عبد الكريم الكرمانی، ط ١، مؤسسة الرافد

للمطبوعات، قم، ٢٠١١، ص ٦١.

(٥٤) د. محمد شامة، في علم الأديان، مصدر سابق، ص ١٩ و ص ٢٢.

- (٥٥) حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢٠٤.
- (٥٦) فيصل العوامي، قاعدة الشعائر الدينية، تقارير بحث آية الله الشيخ محمد سند، ط ١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٣٩.
- (٥٧) حسن عز الدين بحر العلوم، جدلية الثيوقراطية والديمقراطية، ط ١، بلا دار نشر، ٢٠٠٦، ص ٢٥.
- (٥٨) د. عدنان عاجل عبيد، القانون الدستوري النظرية العامة والنظام الدستوري في العراق، ط ٢، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، النجف، ٢٠١٢، ص ١٨.
- (٥٩) عادل تيودور خوري، مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى، ط ١، المكتبة البوليسية، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٢٠.
- (٦٠) د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط ١، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٧، ص ٣٩-٤٤.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٤٤-٤٥.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ٤٦-٤٧.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (٦٤) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، ط ١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٠٩-٢٢٠.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٠-٢٢١.
- (٦٦) د. عادل تيودور خوري، مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى، مصدر سابق، ص ١١٩.
- (٦٧) حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٩٣.
- (٦٨) د. أحمد شلبي، المصدر نفسه، ص ٢٢٧. وأيضاً: حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٩٣.
- (٦٩) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، مصدر سابق، ص ٢٢٨.
- (٧٠) حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٩٤. وأيضاً: د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، مصدر سابق، ص ٢٣٠.
- (٧١) د. أحمد شلبي، مصدر سابق، ص ٢٣٢. وأيضاً: حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٩٤.
- (٧٢) يهوه: هو احد اسماء الله المذكورة في التوراة.
- (٧٣) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، مصدر سابق، ص ٢٣١.

- (٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٣١ – ص ٢٣٢. وأيضاً: حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٩٤.
- (٧٥) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان – اليهودية، مصدر سابق، ص ٢٣٢.
- (٧٦) د. أحمد شلبي، مصدر سابق، ص ١٣٣ – ١٣٤.
- (٧٧) د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مصدر سابق، ص ٥١.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ٥٣.
- (٧٩) إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتأريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة رضا سلمان، ط ١٠، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص ١٧٣ – ١٧٩.
- (٨٠) د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج ٩، العددان ١-٢/٢٠٠٦، ص ٢٣٢.
- (٨١) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان – اليهودية، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٢٢١.
- (٨٣) د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٣٣.
- (٨٤) حسن الترابي، السياسة والحكم النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، ط ٢، دار الساقية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٩.
- (٨٥) د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٢٣.
- (٨٦) انجيل مرقس، الإصحاح (١٢) و الآية (١٧)، متوفر على موقع: <http://www.st.TaklaHaymanoutCopticorthodoxwebsite/> بلا تاريخ نشر، تاريخ الزيارة، ٢٠١٩/٨/٣٠، وعلى الرابط <http://www.st-takla.org/>.
- (٨٧) انجيل مرقس، الإصحاح (١٢)، الآيات (١٣-١٧).
- (٨٨) انجيل يوحنا، الإصحاح (١٨)، الآية (٣٦).
- (٨٩) د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ٢، مج ١، ط ١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٢٧.
- (٩٠) انجيل يوحنا، الإصحاح (١٨)، الآيات (٣٦ – ٣٧).
- (٩١) حسن خليفة، تاريخ النظريات السياسية وتطورها، ط ١، المطبعة الحديثة، شارع خيرت بالقاهرة، القاهرة، ١٩٢٩، ص ٥٤. وأيضاً: د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ٢، مج ١، مصدر سابق، ص ١٠٥.
- (٩٢) د. حسن الترابي، السياسة والحكم، مصدر سابق، ص ٢٩.

- (٩٣) د. عدنان عاجل، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٣٣.
- (٩٤) د. حسن الترابي، السياسة والحكم، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠. وأيضاً: د. عدنان عاجل، مصدر سابق، ص ٢٣٣.
- (٩٥) د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ٢، مج ١، مصدر سابق، ص ١٠٧.
- (٩٦) حسن خليفة، تاريخ النظريات السياسية، مصدر سابق، ص ٥٢-٥٣.
- (٩٧) حسن خليفة، مصدر سابق، ص ٥٣-٥٤. وأيضاً: د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ج ٢، مج ١، مصدر سابق، ص ١٠٧.
- (٩٨) د. عزمي بشارة، مصدر سابق، ص ١٠٧.
- (٩٩) حسن خليفة، تاريخ النظريات السياسية، مصدر سابق، ص ٦٤-٦٥. وأيضاً: د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي ج ٢، مج ١، ص ١٠٩ ص ١٢٠ ص ١٣٠.
- (١٠٠) حسن خليفة، مصدر سابق، ص ٦٥. وأيضاً: د. عزمي بشارة، مصدر سابق، ص ١٣٨.
- (١٠١) المصدر نفسه، ص ٨٢.
- (١٠٢) حسن خليفة، مصدر سابق، ص ٨٧-٨٨ و ص ٩٠-٩١.
- (١٠٣) عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج ٢، مج ١، ص ١٦٣.
- (١٠٤) د. عزمي بشارة، مصدر سابق، ص ١٦٤. وأيضاً: حسن خليفة، تاريخ النظريات السياسية، مصدر سابق، ص ٨٨-٨٩.
- (١٠٥) د. عدنان عاجل، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٣٥.
- (١٠٦) د. علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ط ٣، مطبعة مصر، بلا مكان طباعة، ١٩٢٥، ص ٦٥.
- (١٠٧) د. علي عبد الرازق، مصدر سابق، ص ٦٦-٦٩.
- (١٠٨) المصدر نفسه، ص ٧١.
- (١٠٩) سورة الإنعام، الآيات (١٠٦ و ١٠٧).
- (١١٠) سورة الفرقان، الآية (٤٣).
- (١١١) د. علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، مصدر سابق، ص ٧٢.
- (١١٢) د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي (ولاية الفقيه أمودجاً)، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان طباعة، بلا سنة طباعة، ص ٣٠-٣٢.
- (١١٣) د. علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، مصدر سابق، ص ٧٦.
- (١١٤) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

- (١١٥) د. علي عبد الرازق، مصدر سابق، ص ٧٦.
- (١١٦) ورد في د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي، مصدر سابق، ص ٣٣.
- (١١٧) د. علي عبد الرازق، الإسلام واصل الحكم، مصدر سابق، ص ٧٩.
- (١١٨) المصدر نفسه، ص ٨٣ – ص ٨٤.
- (١١٩) سورة المائدة، الآية (٤٨).
- (١٢٠) د. علي عبد الرازق، مصدر سابق، ص ٨٧ – ٩٤.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ١٠٢ – ص ١٠٣.
- (١٢٢) براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٢٠٦.
- (١٢٣) خالد محمد خالد، من هنا نبدأ، ط ١١، مكتبة الانجلو المصرية، بلا مكان طباعة، ١٩٦٩، ص ١٥٧.
- أشار إليه: براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ١٩٨.
- (١٢٤) خالد محمد خالد، من هنا نبدأ، مصدر سابق، ص ١٥٧، أشار إليه: براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ١٩٩.
- (١٢٥) د. وليد فرج الله، الدولة في الفكر القانوني الإسلامي، مصدر سابق.
- (١٢٦) خالد محمد خالد، من هنا نبدأ، مصدر سابق، ص ١٥٤ – ١٥٩ أشار إليه: براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٢٠٠.
- (١٢٧) د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي، مصدر سابق، ص ٤٢ – ٤٥.
- (١٢٨) د. محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٥. وأيضاً: براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ١٩٤.
- (١٢٩) د. عبد الحميد متولي، مبادئ الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، بلا طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ١٠٧ – ١٠٨.
- (١٣٠) د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٣٦.
- (١٣١) محمد دكير، تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر من الاستبداد إلى ولاية الفقيه، منشور ضمن (الدين والسياسة) نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، كتاب المنهاج (١٠) سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج، ط ٢، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ص ٨
- (١٣٢) د. داود الباز، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، بلا طبعة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٦٣ – ٦٤.

- (١٣٣) محمد دكير، مصدر سابق، ص ٨.
- (١٣٤) د. عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٤١ و ص ١٤٧.
- (١٣٥) المصدر نفسه، ص ١٥٣ - ١٥٥.
- (١٣٦) د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مصدر سابق، ص ٢٣٦.
- (١٣٧) محمد عطا المتوكل، المذهب السياسي في الإسلام، ط ٢، مؤسسة الإرشاد الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٧٩.
- (١٣٨) المصدر نفسه، ص ١٧٢ - ١٨١.
- (١٣٩) علي المؤمن، نظريات الدولة الإسلامية الحديثة، كتاب المنهاج. منشور ضمن (الدين والسياسة) نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، كتاب المنهاج (١٠) سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج، ط ٢، مصدر سابق، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.
- (١٤٠) براق زكريا، الدولة التشريعية في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٣٨١ - ٣٨٤.
- (١٤١) محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مصدر سابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

## المصادر

## - القرآن الكريم

## أولاً. المعاجم اللغوية:

- ١- أبو الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ٢، ط ٢، الدار الإسلامية، بلا مكان طبع، ١٩٩٠.
- ٢- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨.
- ٣- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تنسيق علي شيري، مج ٤، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت،
- ٤- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، رتبه وصححه إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢.
- ٥- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣.

ثانياً. الكتب:

- ١- د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان - اليهودية، ط ١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٢- براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٣.
- ٣- د. جورج قرم، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، ط ٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨.
- ٤- حاتم إسماعيل، الأديان الكبرى قبل الإسلام المسيحية- اليهودية- الأديان الهندية، ط ١، مجاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٥- حسن الترابي، السياسة والحكم النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، ط ٢، دار الساقى، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٦- حسن بن موسى الصفار، التعددية والحرية في الإسلام، ط ٤، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠.
- ٧- حسن خليفة، تاريخ النظريات السياسية وتطورها، ط ١، المطبعة الحديثة، شارع خيرت بالقاهرة، القاهرة، ١٩٢٩.
- ٨- حسن عز الدين بحر العلوم، جدلية الشيوعية والديمقراطية، ط ١، بلا دار نشر، ٢٠٠٦.
- ٩- خالد محمد خالد، من هنا نبدأ، ط ١١، مكتبة الانجلو المصرية، بلا مكان طباعة، ١٩٦٩.
- ١٠- د. داود الباز، النظم السياسية الدولة والحكومة في ضوء الشريعة الإسلامية، بلا طبعة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
- ١١- د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط ١، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٧.
- ١٢- عادل العلوي، عقائد المؤمنين، ط ٢، المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ٢٠٠٢.

- ١٣- عادل تيودور خوري، مدخل إلى الأديان الخمسة الكبرى، ط١، المكتبة البوليسية، لبنان، ٢٠٠٥.
- ١٤- د. عادل عبد العال خراشي، جريمة التعدي على حرمة الأديان وازدراءها في التشريعات، الجنائية الوضعية والتشريع الجنائي الإسلامي، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، بلا سنة طبع.
- ١٥- عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، بلا طبعة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١٦- د. عبد الحميد متولي، مبادئ الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، بلا طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- ١٧- د. عبد الرزاق السنهوري، اصول الفقه، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان نشر، ١٩٣٦.
- ١٨- عبد المحسن فضل، الإسلام وأسس التشريع، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٩- د. عدنان عاجل عبيد، القانون الدستوري النظرية العامة والنظام الدستوري في العراق، ط٢، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، النجف، ٢٠١٢.
- ٢٠- د. عدنان عاجل عبيد، علاقة الدين بالدولة في الدساتير المقارنة، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج٩، العددان ١-٢/٢٠٠٦.
- ٢١- د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج٢، مج١، ط١، المركز العربي للأبحاث وحرية السياسات، بيروت، ٢٠١٥.
- ٢٢- د. علي سامي النشار، نشأة الدين النظريات التطويرية والمؤلمة، بلا طبعة، دار نشر الثقافة الاسكندرية، ١٩٤٩.
- ٢٣- د. علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، ط٣، مطبعة مصر، بلا مكان طباعة، ١٩٢٥.

- ٢٤- فريد فتیان، مقدمة القانون المدني، بلا طبعة، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥٤.
- ٢٥- فيصل العوامي، قاعدة الشعائر الدينية، تقارير بحث آية الله الشيخ محمد سند، ط ١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٢٦- د. محمد حسام لطفي، المدخل لدراسة القانون في ضوء آراء الفقه واحكام القضاء، ط ٤، دار النهضة العربية، بلا مكان نشر، ١٩٩٩.
- ٢٧- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط ١، مطبوعات دار الاندلس، بيروت، ٢٠٠٨.
- ٢٨- محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، تحقيق عبد الكريم الكرمانی، ط ١، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم، ٢٠١١.
- ٢٩- د. محمد شامة، في علم الأديان مفهوم العقيدة وتطورها، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان نشر، بلا سنة نشر.
- ٣٠- د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي (ولاية الفقيه أنموذجاً)، بلا طبعة، بلا دار نشر، بلا مكان طباعة، بلا سنة طباعة.
- ٣١- د. محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٣٢- محمد عطا المتوكل، المذهب السياسي في الإسلام، ط ٢، مؤسسة الإرشاد الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.
- ٣٣- مرتضى مطهري، رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، مراجعة وتصحيح عبد الكريم الزهيري ومحمد هاني الثامر، ج ١، ط ١، قلم مكنون، ١٤٢٧هـ.
- ٣٤- مصطفى كریمی، الدين حدوده ومدياته، تعريب محمد عبد الرزاق، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٠.
- ٣٥- د. يوسف حاشي، في النظرية الدستورية، بلا طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية وابن النديم للنشر والتوزيع، بلا مكان طبع، بلا سنة طبع.

ثالثاً. البحوث والدراسات:

١- علي المؤمن، نظريات الدولة الإسلامية الحديثة، منشور ضمن (الدين والسياسة) نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، كتاب المنهاج (١٠) سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج، ط٢، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.

٢- محمد دكير، تطور الفكر السياسي الإسلامي المعاصر من الاستبداد إلى ولاية الفقيه، منشور ضمن (الدين والسياسة) نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، كتاب المنهاج (١٠) سلسلة بحوث ثقافية تصدرها مجلة المنهاج، ط٢، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١.

رابعاً. الكتب المعربة:

١- إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام، ترجمة رضا سلمان، ط١٠، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١١.

٢- جان - بول وليم، الأديان في علم الاجتماع، ترجمة بسمة علي بدران، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.

خامساً. مواقع الانترنت:

١- موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، على الرابط: <http://www.sistan.org/>

٢- موقع: <http://www.st-takla.org/>

## مبادئ التعايش الاجتماعي السلمي وفق مبادئ المرجعية الدينية العليا في

### النجف الأشرف

م.د. يوسف البيومي /الرضوي  
صيدا - لبنان

المقدمة:

إن المجتمعات في جميع أصقاع الأرض وعلى مر التاريخ وقعت في صراعات فكرية وعقائدية ولم يتوقف الحال عند هذا الحد بل تخطاه بمراحل إلى أن وصلت للصراعات الدموية والمعارك الطاحنة التي لم يسلم منها أي مجتمع يوجد بين فئات شعبه اختلاف عرقي أو ديني، مذهبي أو طائفي الخ...

من هذا المنطلق حاول الدين الإسلامي على و منذ نواته الأولى في مجتمعه المكون حديثاً في يثرب (المدينة المنورة) والذي كان متعدد وينقسم إلى عدة مكونات، وكانت على الشكل التالي:

الاختلاف العرقي: الأبيض، والأسود.

الاختلاف الطبقي: الحر، والعبد.

الاختلاف الديني: المسلم، اليهودي، والمشرك.

الاختلاف القبائلي: الأوس، والخزرج وغيرها من القبائل المتحالفة مع كل من هاتين العشيرتين.

الاختلاف المناطقي: المهاجرون من أهل مكة، والأنصار من أهل يثرب.

وما قام به النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» من جهود استثنائي وجبار لكي يحفظ السلم الاجتماعي بين كل هذه الاختلافات والتعدد الذي تكون منه المجتمع الاسلامي الأول.

وإن هذه القواعد التي أرساها الإسلام من خلال سيرته على مر التاريخ من النواة الأولى التي أسسها النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ومن بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» والتوصيات الكثيرة التي وضعها أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وإلى يومنا الحاضر في كافة المجتمعات الإسلامية التي تتميز بهذه التعددات

والاختلافات على عدة اشكال وكما فصلنا أعلاه والتي تأخذ تارة الشكل الديني أو المذهبي أو الطائفي أو العرقي أو الأثني الخ...

ومن هذه المجتمعات الإسلامي، الذي يوجد فيه مثل هذه التعددات والاختلافات هو المجتمع العراقي، وبما أن للمرجعية الدينية العليا في العراق تأثير واضح وظاهر ولا يخفى على أحد، فقامت هذه المرجعية الدينية ومن موقعها المؤثر وعلى خطى آثار النبي وأهل بيته (عليهم صلوات الله أجمعين) قامت بوضع مبادئ وآليات لحفظ السلام في المجتمع العراقي لكي لا يقع في مأزق التناحر والتنافر والتصادم، ويتحول هذا الاختلاف إلى خلاف وينشأ عنه صراع دموي وربما يذهب ببلاد والعباد إلى مستقبل مجهول لا يعلم به إلا الله عز وجل.

وحيث أن المؤامرات التي حيكت على العراق كانت كثيرة وعديدة منذ عقود ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا. فإن المرجعية الدينية العليا قامت وتقوم بجهود جبارة لحفظ الواقع العراقي من خلال ارشاداتها وحكمتها لمنع وقوع الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد، وعملت جاهدة على ارساء قواعد ومبادئ وخطوط عريضة من أجل سلامة عرى الوطن، والحفاظ على أراضيه من الغزوات الفكرية أو العسكرية على حد سواء..

فمن الجهة الفكرية فإن المؤسسات التابعة للمرجعية الدينية تعمل على أكثر من صعيد لدرء الخطر من عدة جهات فكرية، ومن هذه الهجمات الفكرية، على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

أولاً: الهجوم الفكري و الاعلامي من الجهة العقائدية على المذهب الشيعي الاثني عشري بهدف التشويه.

ثانياً: ازكاء الروح التعصبية لدى الطوائف والديانات والعرقيات المختلفة ضمن المجتمع الواحد بهدف تمزيق الوطن إلى عدة مناطق.

أما من الجهة العسكرية، فكان الغزو البربري لداعش والذي طال عدة مناطق في العراق وأدى إلى شرذمة وتهجير الناس من أراضيتها تحت ذرائع الاختلاف الديني أو المذهبي أو الطائفي والعرقي.

وهذا ما دفع بالمرجعية الدينية للتصدي لهذه الهجومات بشكل المناسب إن من الناحية الفكرية والعقائدية والثقافية، أو من خلال التصدي للهجوم العسكري من خلال فتوى الدفاع المقدس بهدف الحفاظ على سلامة البلاد والعباد في وجه الأفعال والاعمال الوحشية التي قامت بها داعش، والتي دفع الشعب العراقي الأثمان الغالية من أجل استرداد الأرض والعودة المهجرين إلى أراضيهم وبيوتهم آمنين وسالمين.

وبالتالي قامت إلى تأسيس ووضع المبادئ التي تحفظ التعايش الاجتماعي السلمي بين أبناء الوطن الواحد، لذلك فإن هذا البحث المتواضع الذي بين يدي القارئ الكريم موسوم بالعنوان التالي:

«مبادئ التعايش الاجتماعي السلمي وفق مبادئ المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف»

وسينقسم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: المبادئ العقائدية والفكرية لحفظ السلم الاجتماعي.

الفصل الثاني: المبادئ النفسية والاخلاقية للتعايش الاجتماعي السلمي.

ومن ثم الخاتمة.

الفصل الأول: المبادئ العقائدية والفكرية لحفظ السلم الاجتماعي:

إن الاجتماع هو ضرورة ملحة لأي إنسان بشري وهي الفطرة التي فطر الله خلقه عليها، من أجل التكامل والارتقاء بذاته، ومما يؤدي إلى ارتقاء المجتمع بأكمله، ومما لا يختلف فيه أحد أن النفس الإنسانية ذات ميل فطري إلى الاجتماع، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يستغني عن المجتمع بحال، فوجود الإنسان في الوسط الاجتماعي حاجة نفيسة، وخاصة ذاتية متأصلة في ذاته، وقد قيل: إن الاجتماع الإنساني ضروري. وعبر علماء الاجتماع عن ذلك بما معناه: «أن الإنسان مدني بالطبع» مما يعني أنه لا بد له من الاجتماع الذي يتكون منه النواة الأولى لأي مدينة حسب اصطلاحهم.

ويقول العلامة الطباطبائي: «كون النوع الإنساني نوعاً اجتماعياً لا يحتاج في إثباته إلى كثير بحث، فكل فرد من هذا النوع مفطور على ذلك، ولم يزل الإنسان يعيش في حال

الاجتماع على ما يحكيه التاريخ والآثار المشهودة الحاكية لأقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها ويحكم على هذه الأرض»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما عبرت عنه المرجعية الدينية من خلال خطبة الجمعة ومما جاء فيها: «إن كل فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الآخرين لأنه لا يمكن لكل فرد أو مجتمع ان ينهض بمقومات وجوده إلا من خلال التعايش الاجتماعي وفق مبادئ وأسس وقواعد تنظن هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيداً عن تسلط الأنانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الأمور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعي وتهدد استقرار المجتمع»<sup>(٢)</sup>.

إلا أن هناك كثير من المجتمعات تحتوي على خليط واسع من البشر الذين قد يتفقون معهم باللون والدين واللغة وتارة اخرى «الانسان يعيش مع آخرين يختلفون معه في الرأي والدين واللغة وغير ذلك من الأمور ما هي المبادئ والأسس التي وضعها الإسلام التي تتفق مع الفطرة وسيرة العقلاء والحاجة الانسانية التي وضعها للتعايش الصحيح والسلمي مع الآخرين، لدينا مبادئ إن فهمناها واستطعنا تطبيقها أمكن أن نضمن علاقات صحيحة، ونضمن الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع»<sup>(٣)</sup>.

من هنا فإن المرجعية الدينية العليا وبما تمثل من امتداد للشريعة الإسلامية فقد بحثت في تلك القوانين والتشريعات ومن سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» والأئمة الأطهار لتضع قواعد وتأسيسات يمكن أن تحفظ الفرد والمجتمع مع وجود الاختلاف والتعدد بحيث تكون نتيجة ذلك التعايش السلمي بين مكونات المجتمع المتعددة. وانقسمت تلك المبادئ إلى قسمين سنتكلم في هذا القسم عن المبادئ والقواعد العقائدية والفكرية التي تحدثت عنها المرجعية الدينية.

المبدأ الأول: طبيعة النظرة العقائدية تجاه الآخرين:

لقد سلطت المرجعية الدينية العليا الضوء من خلال خطابها على القواعد والاسس التي وضعها الاسلام لتحقيق الاستقرار والامن والازدهار في المجتمع، وذلك يعود إلى أن

«وحدة الأصل الإنساني تعد أولى تلك الاسس المهمة، فالقران الكريم بين من خلال الكثير من اياته النظرة العقائدية الصحيحة التي يجب ان يتم تبنيها تجاه الاخرين من اتباع الديانات الاخرى، مستشهدا بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، موضحا ان الاية الكريمة تؤكد ان الجميع بما فيهم المسلم وغير المسلم يعود الى اب واحد واصل انساني واحد ومن عائلة انسانية واحدة»<sup>(٤)</sup>.

ويجب ملاحظة أمور مهمة، وهي أن بعض البشر قد مارسوا التمييز العنصري منذ العصور القديمة وإلى يومنا هذا تحت عناوين ومسميات مختلفة، ومنهم من أراد أن يجعل مسوغه لهذا التمييز هو بأصل الخلق حيث أن برأي هؤلاء أن الله عز وجل حين خلق البشر جعلهم على هذه الشاكلة لكي يجعل عرق في مصافي السيادة والعرق الآخر في مصافي العبودية وهذا ما جعل البعض يستند إلى في أسس التمييز العنصري ما بين الجبر والاختيار، ونقول:

لابد من الالتفات إلى أنه لو كان المراد من «التمييز العنصري هو: أن يجعل العرق، أو اللون، أو الطبقة، أو نحوها أساساً للتمييز والتفاضل بين البشر، فبملاحظته يستحق هذا امتيازاً؛ فيعطى له، ولا يستحقه ذلك، فيحرم منه - إذا كان كذلك...»<sup>(٥)</sup>.

ويصبح الأمر واضحاً جلياً أن هذه أمر ياباه العقل، وترفضه الفطرة، ويدينه الوجدان، لأن الإنسان أغلى من كل شيء في الوجود، لأن كل شيء مخلوق من أجله ومسخر له، فلا يصح أن نضحى بإنسانية الإنسان وبكرامته من أجل أي شيء آخر مهما غلا فكيف إذا كان تافهاً وحقيقراً، من قبيل اللون، والعرق، والجغرافيا، وما إلى ذلك ..

أضف إلى ذلك: أن اللون، أو العرق، ليسا من الامور الاختيارية، التي تساهم إرادة الإنسان في صنعها، وإيجادها. كي تدفعه في حركته الدائبة نحو الحصول على خصائصه، وكمالاته الإنسانية، وباتجاه هدفه الاسمي، الذي وجد من أجله..

كما أنهما لا يحلان للإنسان آية مشكلة، ولا دور لهما في تغلبه على المصاعب والمتاعب، ولا في إزالة العوائق، التي تعترض طريق تقدمه، نحو هدفه المشود.. وكذلك فإنهما لا يساهمان في سعادة الإنسان بالحياة، فلا يجعلانه يلتذ بها، ويأنس، أو يتعب من أجلها ويضحى، أو يأمل بها ويطمح.. وما إلى ذلك.. ومن هنا.. فمن البديهي أن يرفض الدين الإسلامي اعطاء مثل تلك الامتيازات، وتفضيل الناس، بعضهم على بعض على اساس العرق أو اللون، أو غير ذلك مما لا خيار فيه للإنسان، ولا هو خاضع لارادته.

ولكنه جعل التفاضل بين الناس في أمر يمكن أن يكون له دور رئيس في تكاملهم، وفي تحقيق سعادتهم، ويؤثر في حركتهم الدائبة نحو هدفهم الاسمى.. وهو في نفس الوقت أمر اختياري للإنسان، يمكنه، أن يحصل عليه، ويمكنه أن لا يحصل عليه.. ألا وهو التقوى، والأعمال الصالحة، والصفات الحميدة، والعلوم النافعة؛ وما يلي بعض الآيات التي تؤكد على ذلك نعرض بعضها للقارئ الكريم:

فقال عز وجل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (٦).

وقال: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٧).

وقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} (٨).

قال: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} (٩).

وقال تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (١٠).

وقال: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} (١١).

إلى غير تلك الآيات العديدة، التي لا مجال لعددها وحصرها..

ومما عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى» (١٢).

وبعدما تقدم من أن المنطلق للتفاضل، والحصول على الامتيازات والاوزمة من شأنه: أولاً: أن يقود الإنسان نحو الكمال.

ثانياً: يجعل التسابق باتجاه كل ما هو خير، وصالح، وفلاح: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (١٣).  
 {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} (١٣).  
 {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (١٤).

فهذه هي الحركة الطبيعية المطلوبة والممدوحة، التي تنسجم مع فطرة الإنسان السليمة والصفية، ومع الطموحات الإنسانية الواقعية، وأمانه الواسعة، وآماله الآتية.. ولا يخفى على اللبيب أن مثل هذه السياسات العنصرية والتي تتسم بالتمييز لها جوانب سلبية قد تؤدي إلى أشع أنواع الاضطهاد، ونقول:  
 سلبات ظاهرة التمييز العنصري أو الفئوي:

ويصبح من الواضح والجلي من وراء اتباع مثل هذه السياسات التي يقاس بها البشر على أساس: الطبقة، والدم واللون، والعرق، واللغة، والبلد، وو.. إلخ..  
 ظهور السلبات التالية:

- أ - نزعات الكراهية بين الناس.
  - ب - سحق كراماتهم بلا مبرر معقول.
  - ج - تضييع حقوقهم الإنسانية، دون أي سبب أو مبرر.
  - د - معاملتهم بطريقة شاذة، لا يقرها عقل، ولا شرع، ولا ضمير.
- وبدلاً من أن يكون هناك جامع بين البشر يدفعهم إلى أن يتعاونوا على الخير، وتسود فيما بينهم روح المحبة، والمودة والوثام، ويشد بعضهم أزر بعض في مجال التغلب على مصاعب الحياة، وتجنب شوائدها، ويكون كل منهم مكماً للآخر، ومن أسباب قوته، وعزه، وسعاده ..
- ولكن البديل عن ذلك؛ أنهم يتحولون إلى أعداء متدابرين ومتنافرين، يعمل كل منهم على هدم الآخرين، واستغلال طاقاتهم، وامكاناتهم، والاستئثار بها، وتقويض سعادتهم، وتبديد قدراتهم. تسودهم روح الضغينة والحقد، بأسهم بينهم شديد، ومخيف.

ويصبح اللون، والعرق، واللغة، والطبقة وو.. إلخ الوسيلة المثلى في سبيل تجزئة البشرية وتمزيقها إلى أرب متناحرة، بدلاً من جمعهم وتوحيدهم، وذلك بالتركيز على الفوارق والمميزات التافهة، والعقيمة، وتجاهل موارد الاشتراك، والوفاق، وهي الاجدر والاجدى، واللاحق بالاهتمام والعناية، لأنها الأسمى، والأنفع، والأصح، والأكثر أصالة، والأبعد أثراً في تكامل الإنسان وسموه، وتذليل كل العقبات، التي تعترض طريقه في حياته.

فمن الضروري أن «تكون النظرة العقائدية تجاه الآخر في انه انسان مماثل وان الاختلاف في اللون واللغات والجنس من آيات قدرة الله العظيمة، ومن غير الصحيح النظر الى الانسان الاسود او الانسان الاقل تطوراً نظرة استعلاء او احتقار او ازدراء»<sup>(١٦)</sup>.

وبالتالي يكون من اللازم على جميع الأطياف المجتمع الواحد «الاعتراف والاقرار بوجود الآخر، ولا بد من التفريق بين شيئين؛ بين كون الآخر في عقيدته ودينه على حق صحيح او لا، وبين حقه في الوجود والعيش بسلام مع الآخرين، موضحة تارة يكون للآخر دين ومعتقد حق صحيح او لا هذا شيء، والشيء الآخر ان هذا الانسان الذي يخالفني في المعتقد والدين له الحق في ان يوجد ويعيش معي بسلام وفق قواعد ومبادئ العدالة»<sup>(١٧)</sup>.

المبدأ الثاني: طبيعة النظرة الفكرية تجاه الآخر والحاجة إليه:

ومما سلطت المرجعية الدينية العليا الضوء عليه أن كل «مجتمع بشري لا يمكن أن يحقق مقومات عيشه وتطوره وديمومته إلا من خلال تلبية احتياجاته من الآخر، فهو لا يملك القدرة مهما عمل وكان له من الامكانيات البشرية والمادية أن يحقق أغراضه وأهدافه ومقومات حياته. فلا بد للإنسان من الاجتماع والتعايش مع الآخر ضمن قوانين تنظيم عملية التبادل المنفعي بصورة تحفظ حقوق الجميع ولا تجعل البعض يتجاوز على الآخرين سالباً منه حقه ومنافعه..

قال الإمام الصادق «عليه السلام»: «إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ، إِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَعْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ، وَالنَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ».

إن شعور الإنسان بوجود حاجة ضرورية له للآخرين يجعله يحاول الاتساق معهم ضمن نظام اجتماعي صحيح يحفظ للجميع حقوقهم»<sup>(١٨)</sup>.

وبالتدقيق إلى ما أشارت إليه المرجعية فإنها أسست قاعدتها الفكرية لمخاطبة العقل بشكل منطقي مقبول وذلك استناداً إلى للقاعدة الفكرية التي وضعها الإمام الصادق «عليه السلام» في معاشرته الناس، فإن من الواضح والبديهي انه لا بد لكل إنسان لغيره من الناس «أي من مخالطتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ثم أكد ذلك - أي الإمام الصادق «عليه السلام» - بقوله: (إِنَّ أَحَدًا لَّا يَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ) أي في حال حياته وبقائه في الدنيا .

(وَالنَّاسُ لَّا يَبْدُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ) ومن ثمة قيل: الناس ﴿مدنين﴾ بالطبع يحتاج بعضهم إلى بعض في التمدن والتعيش والبقاء، إذا لا يقدر أحد على إصلاح جميع ما يحتاج إليه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وغيرها وفيه دلالة على أفضلية الاجتماع والتآلف.

من رجح العزلة مطلقاً فقد أخطأ وما دلّ على رجحانها ينبغي حمله على الاعتزال من شرار الناس وأهل البدعة تحرزاً عن الدخول فيما هم فيه وصرح بعضهم بأن العزلة أفضل بشرط رجاء

السلامة بتحصيل منافع الاختلاط... الخ»<sup>(١٩)</sup>.

وأفضل خطاب يمكن أن توجهه لأي كائن بشري هو أن تخاطب وجدانه وفكره وعقله، وتجعله يشعر بخطورة الانعزال وعدم الاختلاط والتقوقع على ذات والمخاطرة الناجمة عن مثل هذه السلوكيات وأضرارها، ولأن الإنسان بطبعه محب لنفسه، يهمله جداً دفع كل بلاء محتمل عنها، وجلب كل نفع يقدر عليه لها وفي الاجتماع والجماعة الكثير الكثير مما يرغب فيه الراغبون، ويتطلع إليه المتطلعون، سواء بالنسبة لشخص الإنسان وذاته، أو بالنسبة لعلاقاته بالآخرين من بني جنسه، فيصبح من الضرورة بمكان في المحافظة على العلاقة مع الآخرين لما فيه من ملازمة للحفاظ على نفسه وذاته.

فإن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» لم يغفلوا عن الآثار السلبية للعزلة ولذلك «وضعوا لأتباعهم في العلاقات الاجتماعية سياسة الاختلاط والتعايش والانسجام مع بقية اركان المجتمع، وذلك لأنهم كانوا يدركون بأن أتباعهم بحاجة إلى الناس، وحيث يكون التزام هذا الخيار وهو «العزلة» نقضاً لهذه السياسة وتضييعاً للهدف منها، حيث تحاصر الجماعة، ويضيق عليها وتحرم من جميع الفوائد والخدمات العامة الدينية والاجتماعية والثقافية التي يحصل عليها الانسان المسلم من خلال المجتمع الاسلامي والجماعة المسلمة...» ولا يمكن لأي الجماعة أن تقوم بمسؤولياتها هذه إلا من خلال التعايش مع الآخرين والحضور في مجتمعاتهم حتى يمكنها القيام بهذا الدور الريادي المهم... الخ

ومن أجل هذه الأسباب وغيرها رفض أهل البيت عملياً هذا الخيار «أي العزلة والانعزال» (٢٠).

وبكلام آخر، فإن الإسلام الحنيف يدعو الإنسان إلى نبذ العزلة ويريد أن يخرج من حالة الانعزال والانفصال إلى حالة التواصل والتعاون والمشاركة، والفهم العميق لهذه العلاقة المشاركة مع الآخرين.

وانطلاقاً من هنا فإن للمتابع والمطلع على تشريعات الإسلام وأحكامه يجد بأن الدين الاسلامي يصوغ الفرد بطريقة تجعله صالحاً لأن يكون لبنة في بناء المجتمع الكبير، ولا بد لأجل تحقيق هذا الهدف من تحقيق حالة التناسق والانسجام مع سائر اللبنة التي لا بد لكل منها بحسب موقعها، وما يتطلبه الوضع الهندسي للبناء ككل من أن تتخلى هي وتفرض على مشاركتها أن تتخلى أيضاً عن كثير من المزايا الفردية التي لولا ذلك لُتركت على طبيعتها.

ويكون التعويض غير المباشر عن تلك الخصائص والمزايا الفردية هو اكتساب كل المزايا والاستفادة من كل القدرات والطاقات الجماعية، التي تنعكس قوة للفرد، وطاقة له، ولكن بطريقة أخرى، وبأسلوب آخر، وهذا ما يؤكد أن للعبادة التي لها دور رئيس في صياغة مزايا الفرد، لا بد أن توضع في القالب الجماعي، لتصوغ تلك المزايا في حالة من

التوازن والانسجام، لتنشأ متخذة بصورة عفوية الشكل الهندسي المطلوب. وليس من الضروري، بل ليس من الحكمة أن تنشأ هذه المزايا بصورة مستقلة ومنفصلة، ثم يصار إلى عملية تقليص وتطعيم، وتهذيب وتشذيب قسرية لها، لأن ذلك لن يكون في منأى عن إحداث أضرار وندوب، وآثار تبقى وتظهر بصورة أو بأخرى. كان بالإمكان أن لا تكون وأن لا تراها القلوب والعيون. من هنا، فإن للاجتماع والاختلاط مع المكونات الأخرى ما يساعد على تلافي الأضرار التي قد يقع فيها الفرد منفصلاً أو جماعة منفصلة، ويصير لازماً على الأفراد والمكونات من باب الحفاظ على أنفسهم ولكي لا تكثر أخطائهم أن يسعوا جادين إلى الاجتماع والتبادل مع غيرهم من المكونات وذلك من باب أولى للحفاظ على أنفسهم وذواتهم.

سلبيات ظاهرة العزلة والانعزال بين الناس:

لقد حاولت الكثير من الاتجاهات الفكرية المادية إلى تسليط الاهتمام على الأنا الفردية وجعل الإنسان لا يهتم بأي شيء سوى بذاته وهذه الأفكار التي تحول البشر إلى وحوش ضارية، تتربص ببعضها البعض، لا يريد الفرد الخير لمن هو يشاكله أو يشابهه في الخليقة، وذلك يعود إلى أن محور اهتماماته هو نفسه فقط ولا غيرها..

وإن مثل هذه التيارات الفكرية لم تُطرح من الهباء بل للأهداف لا تخف على اللبيب، والعاقل الأريب، فمن أجل السيطرة على المجتمعات وأفرادها لا بد أن تفرق فيما بينها لكي تسود عليها، والمقولة المشهورة هي: «فرق تسد».

ويمكن لأي سائل أن يتوجه بالاستفسار عن كيفية تأثير مثل هذه التيارات والنظريات الفكرية المادية بالمجتمعات وينتج عنها التفكك الاجتماعي؟! ونجيب:

أولاً: لا يستطيع أن يعيش الإنسان خلاف أطباعه وفطرته، فهو بفطرته وطبعه مخلوق اجتماعي لا يمكن له أن يتكامل بشكل فردي، والتركيز على الأنا الهدف منها سلخه عن محيطه والتفكير في ذاته بغض النظر عن هم حوله.

ثانياً: إن الإنسان حين تبرز وتتعاظم عنده الأنا يصبح شخصاً فاسداً لا يهتم بغيره ولا يفكر إلا بشخصه والمنافع التي يمكن له الاستفادة منها ولو على حساب الآخرين، وهذا ما يسبب بالتفكك المجتمعي حيث يتحول أفرادهم متنازعين ومتناحرين في سبيل تحقيق خير ذواتهم.

ثالثاً: حين تتعاظم نزعة الأنا في داخل أي إنسان فإنه لن يفكر في خير من هم حوله، ولن يهتم بشؤونهم، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى تراجع المجتمعات لأن عماد التفكير بين أفرادها هو المصلحة الذاتية والشخصية، وستؤول الأمور إلى عدم تطورها، والسبب الرئيسي في ذلك هو التفكير المادي الذي عماده هو تعظيم الانا.

رابعاً: مع بروز حالة الأنا عند الأفراد ستزيد الانتهازية والاستغلال سيزيد، مما يجعل أفراد المجتمع الواحد كل واحد يعيش ضمن قوقعة خاصة فيه لا يتشارك مع الآخرين، وبالتالي فإن للظالمين والمتسلطين والمتحكمين أن يفرضوا ما يريدون على أفراد هذا المجتمع ولن يهب أحد للمعارضة أو الاعتراض لأنهم لا يهتمون بما يحصل للآخرين ما دام الخطر بعيد عنهم، وهذه أعظم المخاطر حيث أنه لا يعلم أن هذه الأحكام الجائرة ستؤثر عليه بشكل أو بآخر، ولكن الانا تجعل منه انسان غير مبالي وفرد غير منتج.

وبخلاف «المذاهب المادية تعمل على تأكيد خصوصية الفرد، وإثارة كوامن الأنانية، فتنتج عجباً وغروراً وجبروتاً إلخ.. فإن الإسلام يعمل على استبدال محورية الفرد والأنا؛ ويسقط هذه التفاريق عن أن تكون سبباً في التفريق، ويصوغها من جديد، لتصبح وسيلة وسبباً في الجمع والتوحيد، ويحوّل الخصوصيات الفردية إلى روافد للخير، وحوافز للنمو والتكامل في الشخصية الإنسانية الجامعة، بعد تزكيتهما وشحنها بالهدى والخير، وبالطاقات الكبيرة والمؤثرة، حتى تصبح في قبضة إرادة الإنسان، ولتكون الرصيد الذي يعتمد عليه، ويستفيد منه في سعيه وكدحه إلى الله - ليصبح - من ثم - تجسيداً للإنسان الإلهي الذي هو في أحسن تقويم، ويكون الله بالنسبة إليه هو المآل والنهاية، كما كان سبحانه هو المنطلق والبداية.

وبهذه المحورية الإلهية، والبديلة عن محورية الأنا، يصبح الإنسان جامعاً لكل معاني الخير والصدقية، والواقعية، التي تستشرف كل هذا الوجود، وتهيمن عليه، من موقع الحكمة والمعرفة، والرعاية، والهدى والخير، والقوة .. وتتكون له من ثم - حياة جديدة، وهوية جديدة، ولون وطعم جديدين، وتنشأ لديه رغبات، ونزعات، وطموحات، وخصوصيات، ومزايا جديدة وفريدة أيضاً.

وبذلك فقط يُحفظُ هذا الإنسان من الضياع، إذ بدون ذلك سيضطر لو أنه فقد معالم شخصيته الفردية، وواجه الصراع مع نزعات وخصوصيات الآخرين الفردية المتناقضة والمتناحرة - نعم سيضطر - للانكفاء من جديد إلى أحضان الأنا، وإلى آفاق الفردية، ويصبح سجينها وضحيته، وما أشقاه من سجين، وما أغلاه من ضحية»<sup>(٢١)</sup>.

الفصل الثاني: المبادئ النفسية والاخلاقية للتعايش الاجتماعي السلمي:

كما أن هناك منطلقات تستند إلى العقل والمنطق السليم والعقيدة الغراء، فإن هناك أسس ومنطلقات للتعايش مع الآخرين مبنية على قواعد واسس نفسية واخلاقية تساهم في تعزيز العيش المشترك دون الوقوع في الخلافات والنزاعات على شتى أنواعها وأشكالها وأصنافها.

وهذا ما دعت إليه المرجعية الدينية من خلال مخاطبة المجتمعات بالنظر إلى المبادئ النفسية التي يتشارك فيها جميع البشر والأخلاق الانسانية التي تعتبر القاسم المشترك بينهم جميعاً.

المبدأ الأول: حب الآخرين:

لقد شددت المرجعية الدينية على أسس النفسية والاخلاقية في آن معاً، والتي تعتبر ضماناً للتعايش فيما بين أفراد المجتمع المتعدد في اشكاله وأصنافه وانتماءاته العرقية والدينية وركزت على أن «الدين الإسلامي وضع الأسس والمبادئ لأصول المعاشرة بين الناس بما يضمن حسن العلاقات فيما بينهم ويؤسس لمجتمع بعيد عن الأحقاد والتناحر والصراع، وقد وضع أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده الحسن «عليه السلام» الموازين الصحيحة للتعايش والتعامل مع الآخرين فيقول: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا

فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لغيرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَأَفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لغيرِكَ» (٢٢) « (٢٣).

وفيما سبق من خطاب المرجعية الدينية بما استشهدت به من وصية أمير المؤمنين لأبنيه الإمام الحسن المجتبي «عليهما السلام» من أسس التعاطي مع الآخرين يوسع دائرة الاستيعاب لهم بشكل كبير وهذه التوصيات تحتوي على الكثير من النقاط والمفاصل ولكن نسلط الضوء على ما يمكننا تقريب الصورة قدر المستطاع إلى القارئ الكريم في هذه العجالة، ومن تلك الأمور:

أولاً: لقد طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصيته بإصلاح المعاملة مع خلق الله، إذ طلب منه أن يكون كالميزان بينه وبين غيره، ووجه الاستعارة من لفظة «الميزان» المحافظة على العدل بين نفسه وبين الناس كما الميزان فكما يوزن الأشياء فيعرف تساويها وقيمتها، كذلك يلزم على الإنسان ان يجعل ذاته كمحايد بين شخصين أحدهما نفسه، والآخرى غيره، فيعطى ككفتي الميزان بالتساوي.

ثانياً: المحبة للآخر ما يحبه المرء لنفسه، والكراهية للآخر ما يكرهه المرء لنفسه، ففي ذلك كمال فضيلة العدالة والتي بها يكتمل إيمان الإنسان.

ثالثاً: الابتعاد الظلم كما أن أي أحد يكره وقوع الظلم عليه، وبذلك يتعد عن الوقوع في الظلم والانظلام.

رابعاً: الاحسان إلى الآخرين، فالمطلوب من الفرد هو الاحسان في العمل، وإحسانه في عمله يكون برفده بالمعاني الإنسانية والإيمانية، وإعطائه صفة الخلود والبقاء بربطه بالله سبحانه، فلربما قد يفعل الإنسان عملاً صالحاً لمعالجة مشكلة ما وملاءمتها بطريقة أو باخرى، إلا أن كمال الإحسان في العمل له «خصوصية أخرى تزيد على مجرد الملاءمة، ومعالجة المشكلات، لتبلغ إلى حد إضافة صفة إلى الفعل جمالية أيضاً.

فمثلاً: المال الذي يبذل لشخص محتاج تارة يلاحظ به حال المحتاج، فيقال: قد وقع في محله، لأنه حل مشكلته، وقضى حاجته، فهو أمر صالح من هذه الجهة .. وتارة تلاحظ فيه بالإضافة إلى ذلك الجهة الجمالية فيه، فإن كان المعطي قد أعطاه بهدف استبعاد المحتاج، أو شراء ولائه، أو تمهيداً لشراء ضميره عند الحاجة، فهذا العطاء ليس فقط يفقد صفة الحسن، بل هو متصف بالقبح أيضاً ..

وأما إن كان قد أعطاه إياه لشعوره الإنساني معه أو تجاهه، فإنه يكون حسناً، ويزيد حسنه إذا كان الإعطاء تقرباً إلى الله سبحانه.

وقس هذا على ثغرة في سقف المنزل، فإن البناء قد يسدها بحيث يمنع من تسرب ماء المطر، أو غيره منها، مما يريد التحرز منه .. ولكنه قد لا يهتم بجمالياتها وبمظهرها الخارجي، بل يبقئها على حالة من البشاعة والقبح، وقد يهتم بالناحية الجمالية، ويضيف إلى ظاهرها أشكالاً هندسية رائعة، وأصباغاً زاهية، وجميلة»<sup>(٢٤)</sup>.

خامساً: استقباح المرء للناس ما يستقبحه لنفسه، والرضا منهم بما يرضى لنفسه، فحين يتعود المرء على استقباح بهذه الطريقة فإنه سوف ينزجر «عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروءة، ولذلك قال أحنف إذ سئل عن المروءة: هي أن تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك»<sup>(٢٥)</sup>.

وحينما يرضى لنفسه ما يرضاه للآخرين فإن في ذلك مانعاً ذاتياً للإنسان كي يساعدهم، ويحن عليهم، ويكرمهم، ويتبسط لهم، كما يرضى لنفسه تلك الأخلاق في تعاطي الغير معه.

وبعد التدقيق في بعض ما أشارت إليه تلك الوصايا فلا بد أن يستشعر الإنسان في قلبه محبة الآخرين مهما كان هو الآخر وهذا ما يجعلنا نتقل إلى المبدأ التالي من مبادئ وأسس الاخلاقية والنفسية التي دعت لها المرجعية الدينية.

المبدأ الثاني: تحري قواعد العدل والانصاف:

فمن أجمل الصور في التعايش هو تعاطي الانسان بالعدل اتجاهاً الآخرين في مجتمعه من خلال رعاية حقوق أفرادهم، وكف الأذى والإساءة عنهم، وسياستهم بكرم الأخلاق،

وحسن الإدارة وحب الخير لهم، والعطف على بؤسائهم ومعوزيهم، ونحو ذلك من محققات العدل الاجتماعي.

ولأن طبيعة الحياة بظروفها وتفصيلها تدفع بالانسان والمجتمع لكي يكونا عرضة لأسباب «الصراع المختلفة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للتناحر والتحارب والصراع والعداوات والأحقاد، ولم يغفل الإسلام عن وضع قيود وكوابح للنفس الامارة بالسوء وتسويلات الشيطان عند حصول هذه الظروف بين الانسان وأخيه وبين المجتمعات، فجعل قواعد العدل والقسط والانصاف والعتو والتسامح منظمة لطبيعة التعامل مع الآخرين عند حصول هذا النمط من العلاقة.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا، تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ إِذَنْظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»<sup>(٢٦)</sup>. فالانسان الاخر اذا اختلف معك في الدين فانه لا يحق لك ان تتعامل معه بالقسر والاكراه والظلم بل لا بد ان تعيش وتتعامل معه بالاحترام والانسانية»<sup>(٢٧)</sup>.

ويبدو من خلال هذا الخطاب الذي أشارت إليه المرجعية الدينية العليا ألا وهو مبدأ تحري العدل والانصاف اتجاه الآخرين، فإن في بعض المجتمعات تكون فيه أكثرية الشعب من لون واحد أو دين واحد أو عرقية واحدة، وباقي الاديان والالوان والعرقيات هم من الاقليات، وبطبيعة الحال أن الأكثرية سيكون له النصيب الأكبر في تولي السلطة وتصرف بزمام هذه الدولة، لأنهم يمثلون السواد الأعظم منها، ولكن المرجعية الدينية أشارت في خطابها وشددت على عدم الاغفال عن قواعد العدل التي نادى بها الإسلام والتي أوضحها الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» في عهده إلى مالك الأشتر الذي ولاه على مصر، وإن المقطع المؤخوذ من هذا العهد والذي تم الاستشهاد به في خطاب المرجعية الدينية يحمل في طياته الكثير من الاشارات المهمة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وسوف نأتي على أهم تلك الاشارات التي تظهر أهمية العدل والانصاف كمنظومة متبعة بين جميع أطراف المجتمع الواحد.

ونقول:

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم قد مرت بأشكال مختلفة ومتعددة وكثيراً ما كانت هذه العلاقة في تلك العصور على مر الأزمنة ما تتصف بالهيمنة، والقهر، والتسلط، والفرض. إلا أن التوجيهات التي أطلقت من على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهل البيت «عليهم السلام» جاءت لتقرر: أن هذه العلاقة هجينة، وغير منسجمة مع الأهداف الإلهية، والتي تريد إسعاد البشر في الدنيا والآخرة، ففرضت على المجتمعات الإسلامية مفهوماً آخر للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهذه العلاقة تمر في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تحسس القلب محبة الرعية:

والتي تتمثل في قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وَأَشْعِرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ»، ويمكن أن نستنبط من هذه العبارات عدة اشارات، وهي على شكل الآتي:

أولاً: نفهم من كلمة «أشعر» أي أجعل الرحمة ملازمة لقلبك، والمطلوب أن يكون شديد الشعور وتلمس لأحوال الناس فتصبح الرحمة شعاراً للقلب وكما جاء أن الشعار هو «ما ولي الجسد من الثياب لأنه يمس الشعر الذي على البشرة»<sup>(٢٨)</sup>.

وما ولي الجسد من الثياب يقال له الدثار «ما يتدثر به الإنسان ملاصقاً لجسده وكان موالياً لجسده، وهو ما يلقيه عليه من كساء أو غيره فوق الشعار، وتدثر بالدفار: تلفف به، فهو متدثر ومدثر بالإدغام»<sup>(٢٩)</sup>.

فالرحمة يجب أن تلامس القلب، وتلتصق به كما يلتصق الثوب الداخلي بشعر البدن. وهذا يدل على أن الرحمة يجب أن تكون واقعية، وليست مجرد حركات مصنعة، وخاوية وليس وراءها أي مضمون إنساني واقعي.

ويؤيد ذلك ما ورد عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال:

- ورع يحجزه عن معاصي الله،

- وحلم يملك به غضبه،

- وحسن الولاية على من يلي،

حتى يكون لهم كالوالد الرحيم»<sup>(٣٠)</sup>.

ثانياً: إن منشأ الرحمة هو انفعال نفسي ناتج عن معاينة ومشاهدة لبعض الحالات التي ظهرت على بعض الناس كالعجز، أو الضعف، أو القصور، أو الفقد لما يفترض أن يكون واجداً، كافتقار القوة، أو الجهل، أو الحاجة، أو الفقر، أو المرض، أو الشلل، أو نقص عضو يوجب نقصه حرجاً، أو غير ذلك..

ثالثاً: إن إيجاد الرحمة وادخالها إلى القلب، وجعلها ملتصقة به، وجعل هذا القلب يتحسسها على الدوام ليس بالمهمة السهلة، بل يحتاج منه إلى إيقاظ وجدانه، وصحوة في ضميره، وإلى بعث الحياة في الملكات النفسانية، وتجديد نشاطها، وحيائها من جديد، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا بالابتعاد عن مسببات التي تؤدي إلى قسوة القلب، والعمل على ما يوجب الرقة في القلب..

وهناك جملة من الروايات التي عبرت عن الأمور التي تقسي القلب ويجب اجتنابها وعن الأمور التي توجب رفته والعمل بها، ونذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر: وقال تعالى في وصفهم التي قست قلوبهم: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} <sup>(٣١)</sup>.

وجاء في الروايات الشريفة عن مسببات قسوة القلوب:

- ١ - عن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، ثلاثة يقسّين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان»<sup>(٣٢)</sup>.
- ٣ - وفي مناجاة موسى «عليه السلام»: «وإن ترك ذكرني يقسي القلوب»<sup>(٣٣)</sup>.
- ٤ - عن ابن نباته، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»<sup>(٣٤)</sup>.
- ٥ - وعن المسيح «عليه السلام» - كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» - ذكر: أن مما يقسي القلوب: إكثار الكلام<sup>(٣٥)</sup>.

٦ - وفي مناجاة موسى «عليه السلام»: يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد<sup>(٣٦)</sup>.

٧ - وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «أنهاكم من أن تطرحوا التراب على ذوي أرحامكم، فإن ذلك يورث القسوة في القلب، ومن قسا قلبه بعد من ربه»<sup>(٣٧)</sup>.

٨ - وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «من أكل اللحم أربعين صباحاً قسا قلبه»<sup>(٣٨)</sup>. وفي قوله تعالى عن الذين اطمأنت قلوبهم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} <sup>(٣٩)</sup>.

وجاء في الروايات الشريفة عن الأمور التي توجب لين القلوب:

١ - عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لَمَتَانِ: لَمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ .. فَلَمَةُ الْمَلِكِ: الرِّقَّةُ وَالْفَهْمُ .. وَلَمَةُ الشَّيْطَانِ: السَّهُوُ وَالْقَسْوَةُ»<sup>(٤٠)</sup>.

وجاء في بحار الأنوار بيان: «اللمة: الهمة والخطرة، تقع في القلب. الرقة والفهم: هما ثمرة اللمة، أو علامتها»<sup>(٤١)</sup>.

٢ - وفي الحديث: «من أراد أن يرق قلبه، فليدمن أكل البلس، وهو التين»<sup>(٤٢)</sup>.

٣ - عن الإمام الرضا «عليه السلام»: «عليكم بالعدس، فإنه مبارك مقدس، يرق القلب، ويكثر الدمعة»<sup>(٤٣)</sup>.

ولا يتسع المجال في بحثنا هذا لكي نستقصي في هذا المجال، ولكن أصبح واضحاً أن هناك أمور تساعد على ترقيق القلب، وتبعده عن القسوة واسبابها، يستطيع الإنسان الاستفادة منها بشكل أو بآخر.

المرحلة الثانية: المحبة للرعية:

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى ذلك المعنى بقوله: «وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ»، إن الرحمة التي تعتبر المرحلة التي تؤسس للمرحلة الثانية، وهي: «أن يشعر قلبه المحبة للرعية، فإن الرحمة التي هي انفعال نفساني، ورقة لحال الضعيف، والعاجز والمحتاج،

من شأنها أن تحدث أنساً في نفسه، وألفة، وراحة، فيندمج في أجوائه، وهذه هي مبادئ الحب الذي أمر «عليه السلام» مالكا بأن يشعره قلبه، ويجعله يلامسه.

فإذا قدم له العون، ورفع عنه ثقل المعاناة، فيعلمه إن كان جاهلاً، ويعالجه إن كان مريضاً، ويخرجه من ورطته، إن كان متورطاً، ويسد حاجته، إن كان محتاجاً.. إلى آخر ما هنالك من حالات ضعف، أو نقص أو عجز وسواها»<sup>(٤٤)</sup>.

ومن خلال ذلك يتجلى معنى الحب لهؤلاء الناس وتلك الرعاية، ويبدأ بالتبلور شيئاً فشيئاً بالعمل والتطبيق الميداني، على شكل اعانات، وتدابير، وإيصال ما يحبه الناس إليهم برفق ولين..

فإشعار القلب محبة الرعاية، وجعل هذا الحب ملتصقاً به، وجعل القلب يستشعر اللطف بهم، كل ذلك مرهون بوسائله التي يملك المتولي على البلاد والعباد في أكثرها، لأنها تحت يده، ويمكنه تحريكها في أي جهة يشاءها.

المرحلة الثالثة: المجال التطبيقي:

والمرحلة الثالثة تكون بالانتقال إلى المجال التطبيقي، فيتلطف بالناس، وليس المقصود به المجاملة، أو الرفق بهم، بل من الواضح أن القصد هو: إيصال المنفعة إليهم من دون أي ضرر أو أذى لهم، وبذلك ينشأ في قلبه شعور يدعو إلى التلطف بهم بصورة طبيعية، واندفاع بعفوية وتلقائية.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ». وهذه العبارة تدعو الحاكم «لأن يهيئ نفسه لسياسة الرفق واللطف بالرعية، والمحبة لها، نهاه عن أن يكون سبعا ضارياً على الرعية، يغتنم أكلهم.

وهذه أيضاً دعوة منه «عليه السلام» لعامله إلى تطهير نفسه من النوازع السيئة التي ربما يكون لها تغلغات غير مرئية في داخل نفسه»<sup>(٤٥)</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الإسلام يحترم خصوصيات الآخرين حتى ولو كان الفاعلون من أبناء جلدته وينتمون إلى نفس ديانته، ولكن أفعالهم مناقضة لتعاليم

الإسلام الحقيقية، التي ينبذها ويرفضها، ولا يقبلها بأي شكل من الأشكال، وتحت أي ذريعة مدعاة.

فحقوق الناس على وجهين:

أ: ما يثبت للإنسان بمجرد تشبته بالحياة، وبملاحظة خصوصية الخلق والتكوين.  
ب: ما يثبت له بسبب ميزة حصل عليها بجهد، وباختياره، فلا يجوز حرمانه منها، أو تضييعها، لأن عمل الإنسان الإختياري محترم، ومحفوظ له، وقد قال تعالى: {أَنْي لَأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} (٤٦).

وقال سبحانه: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (٤٧).

وإضافة إلى ذلك فإن هذه العبارة تحتوي على اشارات مهمة، نذكر منها ما يلي:  
أولاً: إن النظر إلى الآخرين على أنهم أخوة فهذا يتطلب المساواة حيث يتساوي أي فرد مع أخيه الذي يشاركه في نفس المجتمع، وهذا يتطلب من الجميع تأدية فروض الأخوة الواجبة لأخوانه من حيث الواجبات والحقوق.

ثانياً: إن الأخوة فيما بين أفراد المجتمع تؤدي إلى ثلاثة أمور:

١ - الرفق فيما بين الناس.

٢ - التماس المحبة بينهم.

٣ - التلطف بين أفراد المجتمع بالاحسان فيما بينهم.

ثالثاً: إن المبدئ الذي يجب مراعاته أن البش كلهم يشتركون من حيث الحلقة بعناصر مشتركة لا يمكن نفيها عن أي أحد منهم وهذا يقتضي أن تكون علاقة الرعاية والمشاركة، من ناحية المشاركة ناشئة عن التشابه في الحلقة البشرية، وإن دواعي تزيد بحسب مستويات التشارك في المعاني المشار إليها، كما هو الحال بين الإخوة التي تقتضي التشارك في أكثر مجالات الحياة، فسيكون نصيب كل الناس ان كانوا أخوة في الدين أو نظراء في الحلقة من الرفق والمحبة، واللطف بالاحسان أعظم وأجزل، وأفخم وأفضل.  
رابعاً: أن أتباع الديانات الأخرى، بل كل من لا يدين بدين الإسلام، لهم الحق بالحياة الكريمة في كنف الدولة التي يكون معظمها من أتباع الإسلام، فلهم حقوق على الحاكم،

ليس له أن يبخسهم إياها، ولا يجوز لأحد أن يكرههم على التخلي عن أديانهم لصالح الدين الإسلامي، فقد قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (٤٨).

ويجب ايضاح حرية الديانة بغير الإسلام لأن هناك من يدعي «أن دين الإسلام لا يعترف بحق الحياة في المجتمع الإسلامي لغير المسلمين، وأن من لم يسلم يقتل.. ما هو إلا باطل، من مغرض أو من جاهل.. وقد أصبحت هذه المزاعم من مفردات الإعلام الخبيث والمسموم، الهادف إلى تنفير الناس من الإسلام والمسلمين.

ولعل ما نشاهده في بلاد غير المسلمين من التمييز العنصري بذريعة اللون، أو العرق، أو غيره، يشهد على أن مزاعمهم عن الإسلام، وممارساتهم العنصرية قد جاءت على قاعدة: «رمتني بدائها وانسلت».

وعلى قاعدة: اكذب، اكذب حتى يصدقك الناس.. ثم اكذب، اكذب حتى تصدق نفسك» (٤٩).

المبدأ الثالث: تطهير النفس من النظرة الاستعلائية والازدراء للآخرين:

إن الاستعلاء والازدراء لهو من الأخلاق المذمومة حيث أن «بعض الأفراد والمجتمعات ترى نفسها أعلى مرتبة ورقياً وتنظر لغيرها بازدراء واحتقار واستعلاء، ويتبع ذلك لما تراه - بحسب نظرها - تفوق وتميز على الآخرين ولكن ليس وفق المعايير الصحيحة للتمييز كنظرة تفوق في الجنس والقومية والديانة والمعتقد والقبلية أو القوة أو التقنيات ونحو ذلك، مما يؤسس لنمط علاقات تثير التنافر والأزمات والصراع وتولد مشاعر الكراهية والبغض وعدم قبول الآخر للتعايش معه» (٥٠).

وكما قال أهل اللغة عن كلمة «العلو: العظمة والتجبر» (٥١).

انطلاقاً من هنا نستطيع أن ندرك الفرق بين العلو وبين الإستعلاء، فإن الاستعلاء هو طلب العلو، ممن هو في موقع الضعة، وبكلام آخر هو أن يضع الإنسان نفسه في موقع لا يستحقه، لا في علمه ووعيه، ولا في ذهنه وعقليته، ولا في سياساته ولا في علاقاته، ولا يملك أيأ من مقوماته، ولا يستطيع تلبية ما يدعيه لنفسه فيه من قدرة على التصرف، فيتوثب له بغير حق، ويتكلف للوصول إليه بكل حيلة ووسيلة.

وللمستعلي وجهان:

الأول: أنه يعلم بقصوره وبهذه الصورة فإن الوضع أشفى حالاً لأنه إذا اصطدم بواقع الحال فلربما يتراجع عن استعلائه.

الثاني: أن يكون جاهلاً مركباً وهو الجاهل الذي يظن نفسه عالماً مع جهله بواقع الحال ولا يعرف أنه قاصر، في إمكاناته وقدراته، وكل ما يحتاج إليه. وهذا هو الوجه الأصعب، والأقسى، لأن صاحب هذه الحالة معاند ولا يرضخ لدليل ولا للأخلاق. والمستعلي في نظره لنفسه فإن المعايير والمبادئ ليست ذات قيمة حقيقية، فهو لا يرى للقيم ولا للأخلاق أثراً في حياة البشر، ولا يعيرها أي اهتمام، بل قد يسخر من أهلها، ويضحك عليهم.

وأصحاب هذه النظرية «يرون أن القيمة هي للقوة الغاشمة، وللمقادير والتكدرات المالية، وللمكر والحيلة، والظلم والفجور، والتعدي والتمرد على الله، والاستكبار والتكبر، والتجبر والطغيان، واستبعاد الناس وإذلالهم، وكل ما يدخل في هذا السياق. ويرون أن العلو والسمو، والنجح والفوز يكون بهذه الصفات، وليس بالقيم والأخلاق والدين، وطاعة الله، والتواضع، وخدمة الفقراء، ونصرة المظلومين .. وما إلى ذلك. ليس هذا من موارد الجهل المركب، لأن الجهل المركب إنما هو فيما ظن أنه عارف بالواقع والحق، مع أنه جاهل به، فمن ظن أنه يحوي الصفات الإنسانية والأخلاقية الحميدة، وهو فاقد لها. ويظن أنه مطيع لله، وهو عاص له .. فهو جاهل مركب. وليس من قسم الجاهل المركب من يرى أن الطاعة لله، والإلتزام بالأخلاق والدين و .. و .. سفه وسقوط، لأن هذه الأمور لا قيمة لها بنظره، ولا يريد أن يكون لها أي دور في حياته، ولا في حياة غيره.

نعم .. إن هذا لا يقال له جاهل مركب .. بل هو عالٍ على الله، مبارز له، معترض عليه من منطلق مفاهيمه التي يقيس بها شخصيته، ويحدد بها قيمة أعماله وممارساته .. التي هي نتيجة هذا الفكر، وهذا الفهم للأمور، ويرى أنه واجد للصفات التي تحوله قتل وظلم الناس، وارتكاب سائر الجرائم»<sup>(٥٢)</sup>.

أما الازدراء فهو «افتعال من زرى عليه إذا عاب عليه فعله، وزرى عليه زريا: من باب رمى، وزراية بالكسر: عابه واستهزأ به»<sup>(٥٣)</sup>.

والازدراء هو مظهر من مظاهر الذل والمهانة، ودليلاً على ضعف الطرف الآخر وانكساره، ومما يؤدي بالمزدرى به إلى التبعية والوهن، والنظر إليه بعين الاستحقار، والاستضعاف.

ومن موجبات غرور المزدرى، وتعالیه، وشموخه بأنفه، ونظره في عطفه، وتبرئته نفسه من أعظم الجرائم وأفطعها.

بينما الإسلام المحمدي الأصيل قد دعى إلى خلاف تلك الأخلاق المذمومة بل وأكد على حسن الخلق ففيه اعتدال المزاج واستواء أجزائه، وهذا ما يعطي صورة من الصفاء والخلوص النية تجاه الله وعباده فلا يقدم على ارتكاب الأعمال الدنيئة التي فيها استعلاء وازدراء لخلق الله وعباده.

وحين يكون الإنسان على درجة من الخلوص والصفاء، فيه ما فيه من الخصال الحميدة، والمزايا الفريدة، وقد استفاد من التربية الصالحة، وحصل على أفضل المزايا الأخلاقية والإنسانية، وكان على درجة عالية من التعقل والوعي، والمعرفة بالله، وبشرائعه وأحكامه، مع سلامة في الفطرة، وتوازن في المزايا، ومع قوة في الإرادة، فإنه سوف يختار - على ارجح - الخير والهدى، ولا يقدم على أي قبيح.

بل هو سوف ينفر من ذلك، ويتأذى منه، مع أن له تمام الاختيار والحرية، والقدرة على أن يفعل أو لا يفعل. ولكنه حيث يراه منافياً لإنسانيته، وموجباً للنقص والتلاشي لكمالاته وخصائص شخصيته؛ فإنه لا يقدم على ارتكاب ذلك الأمر القبيح مهما كانت الظروف، وأياً كانت الأحوال.

وهذا ما مدحه الأئمة الأطهار من حسن الخلق فعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «عليكم بتقوى الله، والورع والاجتهاد، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زينا ولا تكونوا شينا علينا»<sup>(٥٤)</sup>.

فإن هذه الدعوة للناس إلى طريق الأمثل حتى يتخلقوا بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، فإن الآخرين إذا لاحظوا تلك السيرة الحسنة والهدى جميل نازعتهم أنفسهم إلى التمثل بهذه الأفعال وبالأخلاق السامية.

وإن تطهير النفس لا يأتي إلا بمجاهدة كبيرة للنفس، واعتياد التواضع للآخرين، والنظر إليهم بعين المساواة، وأن يبتعد المرء عن الفوقية والمكابرة فكل تلك الأعمال تؤدي إلى النزاع والتنازع بين أفراد المجتمع الواحد، وتذهب بهم إلى الحضيض.  
الخاتمة:

إن المرجعية الدينية العليا لما لها من موقع مهم في وجدان الأمة، فإن الدور الذي تقوم به في إرشاد الناس والسعي إلى الوصول إلى خيرهم وما فيه ارتقاؤهم، والابتعاد عن التناحر والتباغض، والاختلاف على أمور سخيفة ليس لها أي قيمة في المعايير الإلهية والسماوية.

إضافة إلى أن البشر أنفسهم هم من خلقوا وأسسوا لتلك الخلافات فيما بينهم، إلا أن الله عز وجل قد جعلهم ساوسية كأسنان المشط، لا أفضلية لواحد على آخر إلى بالتقوى.

وهذه الاختلافات التي أنشأها البعض ما هي إلا من أفعال الشر التي يمقتها الله، ولا يريد لها لعباده، وليست هي المقاييس التي ينظر بها اتجاه الناس والعباد. إنما المعايير الإلهية ما هي إلا أفضلها وأحسنها وأقومها وأرشدتها لما فيها من القيم الإنسانية العالية التي أمر بها الله تعالى ورسوله وأهل بيته «صلوات الله عليهم أجمعين».

وبما أن المرجعية الدينية العليا قد انبثقت من هذا الدين الحنيف وتعمل به وتحاول أن تنقل للناس جميعاً خير هذا الدين وجمال ما أتى به لخير البشرية جمعاء وضعت على كاهلها نشر تلك المبادئ والأسس من أجل القيام والارتفاع بهم من الأفعال المشينة والخلافات الدنيئة، لتبني مجتمعاً راقياً يتجمل بالأخلاق الرفيعة السامية، التي لا يوجد فيها لا شحناء ولا بغضاء.

فإن تلك الأسس والمبادئ التي دعت إليها المرجعية الدينية العليا تؤدي إلى «تعايش اجتماعي مبني على قبول الآخر والاعتراف بوجوده ضمن مبادئ اعطاء الحقوق واداء الواجبات ليضمن للعراق من خلال تطبيق هذه المبادئ والاسس التي وضعها الاسلام الوصول الى حالة الامن والاستقرار والتطور والازدهار وتحقيق الامن الاجتماعي»<sup>(٥٥)</sup>.

وهذه الزبدة المستقاة من تلك المبادئ والارشادات ممكن أن تبني الأوطان والمجتمعات بعيداً عن الاضغان والأحقاد التي يبثها أهل الحقد والشر في المجتمعات بهدف أن يسيطروا عليها وبهدف السيادة والتحكم بمصير شعوبها، فإنهم ما يفعلونه من دعم طرف على طرف آخر وتأليب الناس بعضهم على بعض فقط للوصول إلى مصالحهم الخاصة.

وهذا ما تنبته له المرجعية الدينية العليا انطلاقاً من موقعها المؤثر لكي تحذر الناس من الوقوع في اتون الخلافات والنزاعات عارضة لهم المبادئ المثلى للتعايش الاجتماعي السلمي الذي فيه خلاصهم، ونجاتهم مما تخطط له النفوس الحاكمة وأصحاب المصالح. فإن كانت نظرة المجتمعات مبنية «على هذه المبادئ العامة وإن حفظناها وفهمناها ونحاول تطبيقها في مجال العلاقات الاجتماعية مع الآخرين امكن أن ينتظم أمر المجتمع ويزدهر ويستقر وتنشأ منه السعادة والاستقرار»<sup>(٥٦)</sup>.

وأخيراً، فإننا نسأل الباري عز وجل أن يمن على مجتمعاتنا بالسعادة والاستقرار بما أراد الله لنا من مهمة في هذه المعمورة وهي أن نعمر هذه الأرض، وأن نكون فيها خلفاء عاملين بالاصلاح والاحسان لنصل للغاية المتوخاة من الخلق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على عباده المصطفين محمد وآله الطاهرين.

الملخص:

فإنني أضع بين يدي اللجنة المشرفة على مؤتمر (المرجعية ودورها في بناء الدولة) هذا البحث المتواضع والذي يتناول في مفاصله المحور السادس من المحاور المقررة لهذا المؤتمر، وقد وقع هذا المحور تحت عنوان: التعايش السلمي في المجتمع الإسلامي.

وهذا البحث إنقسم على عدة أقسام، وتمت فيه مناقشة بعد مفاسل الخطاب التي تصدر من منبر الجمعة في الصحن الحسيني المقدس، والعمل على تحليل تلك الخطاب والتي طرحت أفكاراً ومبادئاً وأسساً للتعايش السلمي في المجتمع الإسلامي. ولأن الخطاب الصادرة عن المرجعية الدينية العليا في هذا المجال عديدة ومتنوعة، لذلك تم اختيار خطبتان من تلك الخطاب قد خصص لمناقشة تلك المبادئ والأسس والأفكار التي طرحت من على منبر الجمعة والتي القاها ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي.

وقد وضعت المرجعية الدينية العليا فيها الخطوات المبدئية التي يمكن الانطلاق منها لمعالجة شؤون وأحوال المجتمع الذي يتصف بالتعددية الدينية أو العرقية وغيرها من الاختلاف الموجودة في جميع المجتمعات.

ومما جاء في هذا البحث الأقسام التالية:

المقدمة: حيث تم القاء نظرة مقتضبة عن أنواع الاختلافات والمفارقات التي يمكن أن تكون موجودة في أي مجتمع، انطلاقاً من الانقسامات الاختلافات التي كانت موجودة منذ نشوء الإسلام وكيفية التعاطي معها ومعالجتها بالشكل المناسب.

وحيث أن خطاب المرجعية الدينية العليا قام بتقسيم المبادئ والأسس على قسمين الأول يخاطب الناس من منطلق عقائدي وآخر فكري، والقسم الآخر يخاطب فيه الاخلاق والمبادئ الانسانية العامة، فجاء تقسيم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: المبادئ العقائدية والفكرية لحفظ السلم الاجتماعي.

وهذا الفصل قوامه على مبدئين:

المبدأ الأول: طبيعة النظرة العقائدية اتجاه الآخرين: حيث ناقش فكرة وحدة الأصل الإنساني تعد أولى تلك الاسس المهمة، فالقران الكريم بين من خلال الكثير من آياته النظرة العقائدية الصحيحة التي يجب ان يتم تبنيها اتجاه الآخرين من اتباع الديانات الاخرى.

المبدأ الثاني: طبيعة النظرة الفكرية اتجاه الآخر والحاجة إليه: فالمجتمع البشري لا يمكن أن يحقق مقومات عيشه وتطوره وديمومته إلا من خلال تلبية احتياجاته من الآخر، فهو لا يملك القدرة مهما عمل وكان له من الامكانيات البشرية والمادية أن يحقق أغراضه وأهدافه ومقومات حياته. فلا بد للإنسان من الاجتماع والتعايش مع الآخر ضمن قوانين تنظيم عملية التبادل المنفعي بصورة تحفظ حقوق الجميع ولا تجعل البعض يتجاوز على الآخرين سالباً منه حقه ومنافعه.

الفصل الثاني: المبادئ النفسية والاخلاقية للتعايش الاجتماعي السلمي: كما أن هناك منطلقات تستند إلى العقل والمنطق السليم والعقيدة الغراء، فإن هناك أسس ومنطلقات للتعايش مع الآخرين مبنية على قواعد واسس نفسية و اخلاقية. وأيضاً وحسب التقسيم المتبع من قبل المرجعية الدينية العليا هناك مبادئ اخلاقية ونفسية يجب أن تتوفر لكي يقوم التعايش السلمي على أسس سليمة، ومن هذه المبادئ: المبدأ الأول: حب الآخرين: إن الدين الإسلامي وضع الأسس والمبادئ لأصول المعاشرة بين الناس بما يضمن حسن العلاقات فيما بينهم ويؤسس لمجتمع بعيد عن الأحقاد والتناحر والصراع.

المبدأ الثاني: تحري قواعد العدل والانصاف: إن طبيعة الحياة بظروفها وتفصيلها تدفع بالانسان والمجتمع لكي يكونا عرضة لأسباب الصراع المختلفة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للتناحر والتحارب والصراع والعداوات والأحقاد، ولم يغفل الإسلام عن وضع قيود وكوابح للنفس الامارة بالسوء وتسويلات الشيطان عند حصول هذه الظروف بين الانسان وأخيه وبين المجتمعات، فجعل قواعد العدل والقسط والانصاف والعفو والتسامح منظمة لطبيعة التعامل مع الآخرين عند حصول هذا النمط من العلاقة.

المبدأ الثالث: تطهير النفس من النظرة الاستعلائية والازدراء للآخرين: الاستعلاء والازدراء لهو من الأخلاق المذمومة حيث أن بعض الأفراد والمجتمعات ترى نفسها أعلى مرتبة ورقياً وتنظر لغيرها بازدراء واحتقار واستعلاء، ويتبع ذلك لما تراه - بحسب

نظرها - تفوق وتتميز على الآخرين ولكن ليس وفق المعايير الصحيحة للتمييز كنظرة تفوق في الجنس والقومية والديانة والمعتقد والقبلية أو القوة أو التقنيات ونحو ذلك، مما يؤسس لنمط علاقات تثير التناحر والأزمات والصراع وتولد مشاعر الكراهية والبغض وعدم قبول الآخر للتعايش معه.

وأخيراً، الخاتمة: التي تحدثت عن أهم الاستنتاجات التي أتت بها المرجعية الدينية العليا وناقشتها من خلال ما استنبطته من الأحكام الإسلامية. وأرجو من اللجنة العلمية قبول هذا البحث مع خالص الشكر والامتنان.

### الهوامش:

(١): تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٤، ص ٩٢، تحقيق ومنشورات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم المشرفة، إيران.

(٢): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ٢٠١٧/٥/١٩ م.

(٣): المصدر السابق.

(٤): الخطبة الثانية لصلوة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١ / ٨ / ٢٠١٧ م.

(٥): سلمان في مواجهة التحدي «دراسة وتحليل»، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٥٣، المركز الإسلامي للدراسات،

الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

(٦): الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٧): الآية ٩ من سورة الزمر.

(٨): الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

(٩): الآية ٢٦ من سورة إبراهيم.

(١٠): الآية ٩٥ من سورة النساء.

(١١): الآية ١٠٠ من سورة المائدة.

(١٢): مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٦٦ و ٢٧٢ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨

والغددير ج ٦ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن عدد من المصادر.

(١٣): الآية ١٤٨ من سورة البقرة.

(١٤): الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

(١٥): الآية ٣٢ من سورة فاطر.

(١٦): الخطبة الثانية لصلاة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١/ ٨/ ٢٠١٧م.

(١٧): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩/٥/٢٠١٧م.

(١٨): المصدر السابق.

(١٩): شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١١ ص ٩٠، تحقيق: (الميرزا أبو الحسن الشعرائي والسيد علي عاشور)، الطبعة الأولى، منشورات: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ. ق، ٢٠٠٠م.

(٢٠): دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، ج ١ ص ٣٢١ (بالتصرف)، الطبعة الثانية، منشورات: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٥ هـ. ق.

(٢١): مقالات والدراسات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ١٥، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م.

(٢٢): نهج البلاغة من خطب الإمام علي «عليه السلام»، تحقيق: (صبحي الصالح)، الطبعة الأولى، مطبعة الصالح، بيروت، لبنان، ١٣٨ هـ، ١٩٦٧م.

(٢٣): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩/٥/٢٠١٧م.

(٢٤): إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٨٧، منشورات: (المركز الإسلامي للدراسات)، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ١٤٣٣ هـ. ق.

(٢٥): شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٥ ص ٢٨، الطبعة الأولى، منشورات: (مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي)، قم المقدسة، ايران، ١٣٦٢ هـ. ش.

(٢٦): تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص ١٢٧، الطبعة الثانية، تحقيق: (علي أكبر الغفاري)، منشورات: (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة)، إيران، ١٤٠٤ هـ. ق، ١٣٦٣ هـ. ش.

(٢٧): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩/٥/٢٠١٧م.

(٢٨): التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ج ٦ ص ٧٣، مؤسسة الطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، طهران، إيران، ١٤١٧ هـ. ق.

- (٢٩): المصدر السابق، ج ٣ ص ١٧٦.
- (٣٠): الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٣ ص ٦٥٣، تحقيق: ضياء الدين الحسيني «العلامة الأصفهاني»، الطبعة الأولى، منشورات: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي «عليه السلام» العامة، أصفهان، إيران، ١٤٠٦ هـ. ق.
- (٣١): الآية ٧٤ من سورة البقرة.
- (٣٢): بحار الأنوار، ج ٦٢ ص ٢٨٢ وج ٧٦ ص ٢٥٢ وج ٧٢ ص ٣٧٠ وج ٧٤ ص ٥٦ عن الخصال.
- (٣٣): المصدر السابق، ج ٦٧ ص ٥٥.
- (٣٤): المصدر السابق، ج ٦٧ ص ٥٥.
- (٣٥): بحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٣١.
- (٣٦): بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ عن الكافي.
- (٣٧): المصدر السابق، ج ٧٣ ص ٣٥.
- (٣٨): بحار الأنوار، ج ٥٩ ص ٢٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٦.
- (٣٩): الآية ٢٨ من سورة الرعد.
- (٤٠): الكافي ج ٢ ص ٣٣٠ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٦ ص ٤٤ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٣٣٦ ومراة العقول ج ١٠ ص ٢٩٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٢٧ وج ٩ ص ٢٧٧.
- (٤١): بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٨.
- (٤٢): بحار الأنوار ج ٦٣ ص ١٨٦ عن مكارم الأخلاق.
- (٤٣): صحيفة الرضا ص ٢٤٤ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٥ ومستدرك الوسائل ج ١٦ ص ٣٧٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٥ ص ٢٦ و (الإسلامية) ج ١٧ ص ١٥ ومستدرك الوسائل ج ١٦ ص ٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ٦٣ ص ٢٥٧ و ٢٥٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١١٤ ... وسنن النبي (مع ملحقات) للطباطبائي ص ٢٣٢ ومسنند الإمام الرضا للعطاردي ج ٢ ص ٣٤٢.
- (٤٤): عهد الأشرم مضامين ودلالات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦١، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٦ م.
- (٤٥): المصدر نفسه.
- (٤٦): سورة آل عمران الآية ١٩٥.
- (٤٧): سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٤٨): الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٤٩): عهد الأشرم مضامين ودلالات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٤.

(٥٠): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ٢٠١٧/٥/١٩ م.

(٥١): كتاب العين، الخليل الفراهدي، ج ٢ ص ٢٤٥، تحقيق: (الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي)، الطبعة الثانية، منشورات: مؤسسة دار الهجرة، ايران، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ. ق.

(٥٢): إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٢.

(٥٣): مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ج ١ ص ٢٠٣، الطبعة الثانية، منشورات: مكتبة مرتضوي، طهران، ايران، ١٣٦٣ هـ. ش.

(٥٤): الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ ص ٧٧، تحقيق: (علي أكبر الغفاري)، الطبعة الرابعة، منشورات: دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران، ١٣٦٥ ش.

(٥٥): الخطبة الثانية لصلاة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١/ ٨/ ٢٠١٧ م.

(٥٦): خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ٢٠١٧/٥/١٩ م.

## دور علماء الشيعة في تأسيس الحركة الفكرية والتجديدية ”دراسة أنموذجية وصفية“

م.د فارس فضيل عطوي

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام / قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المقدمة:

يتمثل الدور الأساسي للمعصوم عليه السلام في هداية بني البشر وتهذيبهم وتقويمهم والمحافظة عليهم وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح من خلال إدارتهم الحكيمة للمجتمع الإنساني ، وبالفعل ، تم ذلك وعلى أتم وجه فوجود المعصوم عليه السلام بين ظهراني الأمة الإسلامية يمثل صمام الأمان لها والقلب النابض في جسدها .

فكان وجود المعصوم عليه السلام له الأثر الأكبر في حياة الأمة الإسلامية وقيادتها حتى في زمن الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر عليه السلام عن طريق سفرائه الأربعة ، لكن بعد وقوع الغيبة الكبرى للإمام المعصوم عليه السلام بدأت مرحلة جديدة في تاريخ مذهب أهل البيت عليهم السلام تمثلت بقيام فقهاء الشيعة الإمامية في التصدي لمختلف الجوانب المرتبطة بالأمة الإسلامية في سبيل المحافظة على حضارتها وارثها العظيم وديمومتها واستمرارها للأجيال القادمة .

وبالفعل استطاعت نخب الفقهاء للأمة الإسلامية وبالخصوص فقهاء الإمامية في دفع عجلة الحضارة ومواكبة التغيرات الموضوعية التي تستتبع تغيرات حكمية كثيرة فضلاً عن التطورات العلمية ، وسد الفراغ والمستجدات في مجالات مختلفة سواء أكانت على مستوى الفكر والتجديد المنهجي أم على المستوى الدرايتي والفقهي أم على مستوى الجانب السياسي والاقتصادي .

ولأهمية هذه المستويات بشتى صنوفها الذي عاشته الأمة الإسلامية ينبغي دراستها وتوضيحها وبيانها بالشكل الذي يسهم في إظهارها وتوثيقها للأجيال القادمة لذا انعقد البحث والدراسة .

وقبل البدء ينبغي الإشارة إلى عدد من المسائل المهمة التي تُبين الإطار العام للدراسة والتي من خلالها تتوضح العديد من الأمور المرتبطة بالبحث والتي بُنيت هيكله الدراسة ومفاصل البحث عليها وكما يأتي :

١ - أعتد الباحث في منهجه على اختيار العنوانات الأساسية للدراسة التي تُشكّل أساساً في حضارة الأمة الإسلامية وتوضح ريادتها في ذلك .

٢ - أتقى الباحث العنوانات البحثية للدراسة من حيث الترتيب المنهجي للتفكير العلمي الرصين ومن ثم إدراج مطالبه ضمن تسلسلها الزمني .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى عرض ذلك بالصورة التي تبين هذه المكانة الكبيرة لعلمائنا وما قدموه لنا طوال تلك الحقب المضنية .

قال تعالى :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران / ١٠٤

المطلب الأول : الشيخ المفيد ( ت : ٤١٣ هـ ) وأثره في تأسيس الحركة الفكرية في عصر الغيبة الكبرى

يعدّ الشيخ المفيد من علماء الشيعة المؤسسين في المجال الفكري والمعرفي ، وهذا ما يدعوننا للوقوف على أعتاب هذا الجبل الشامخ وأهم الإنجازات التي أسسها ، وتوضيح ذلك يتوزع المطلب على ثلاثة مقاصد وكما يأتي :

المقصد الأول : لمحة عامة عن حياة الشيخ المفيد ( قدّه )

أولاً : اسمه ونسبه وولادته

هو محمد بن محمد بن النعمان ، يكنى بأبي عبد الله ويلقب بالمفيد وبأبن المعلم ، وتقرن بأسمه ألقاب أخرى منسوبة إلى مدن ومواقع وقبائل وغيرها ، كالبغدادي والكرخي والعكبري والعربي والحارثي<sup>(١)</sup> .

وولد الشيخ المفيد عام ( ٣٣٨ هـ ) وقيل أن ولد في الحادي عشر من ذي القعدة عام ( ٣٣٦ هـ ) في عكبرا من أعمال بغداد على عشرة فراسخ منه في محلة سويقة ابن البصري

، ثم انتقل الى بغداد وأخذ من علمائها ثم أصبح شيخ الإمامية وزعيمها الذي لا ينازع وكل من تأخر عنه استفاد منه<sup>(٢)</sup> .

وتلحق بالشيخ المفيد ألقاب وكنى تدلّ على مكانته العلمية والفكرية كالمفيد وابن المعلم أو يكتفى بلفظ ( أبو عبد الله ) أو ( ابن النعمان ) ويستفاد من تلك الألقاب عروبه وعلميته وسكناه كالبغدادي والكرخي والحارثي وهو الجد السادس عشر للشيخ المفيد<sup>(٣)</sup> .

وكان لوالده أثر في تربيته لأنه كان معلماً في واسط ثم هجرها إلى عكبرا ومنها إلى بغداد ولهذا لقب بأبن المعلم حتى صار عدلاً للقبه في الشهرة .

ثانياً : حياته العلمية

للشيخ المفيد مكانة علمية جليّة ، إذ أحرز مرجعية الناس إليه في العديد من البلدان حتى جلس إليه طلاب درسوا على يديه في مدرسة الفقه والأصول والعقائد وعلوم القرآن والحديث والأدب .

ويعدّ الشيخ المفيد موسوعة زمانه في العلوم الدينية ، فقد قصده السائلون يستجوبونه فيقف علماً بارزاً بعقله ولسانه وذكائه للإجابة على مسائلهم ودحض شبهة البعض منهم ، فكانت أفكاره تفتح كتباً موسّعة ورسائل موجزة في مختلف علوم الدين<sup>(٤)</sup> .  
وأشار الشيخ الطوسي ( ت : ٤٦٠ هـ ) وهو من تلامذته البارزين بأن مؤلفات الشيخ المفيد ناهزت المائتي مؤلف<sup>(٥)</sup> .

ومن يتابع المكتبة الإسلامية يجد الشيخ المفيد بين سطورها ، فلقد ترك أثر واضح في حقول المعرفة الدينية المختلفة .

ثالثاً : جهوده الفقهية

يعدّ الشيخ المفيد أول فقيه إمامي وصلت إلينا كتبه في الفقه والأصول بعد حصول الغيبة الكبرى للإمام المعصوم عليه السلام ؛ إذ الفقهاء كانوا يعتمدون في زمان حضور المعصوم عليه السلام عليه في كل صغيرة وكبيرة .

وقد حقق الشيخ المفيد في هذا المضمار جهوداً واضحة في مسيرة الفقه الإسلامي الإمامي ، فالحيوية المعرفية تمنح لكل عصر حاجته وكفايته من التنظيم والتشريع، إذ من مميزات التشريع الإسلامي المرونة والواقعية وصلوحه كل زمان ومكان.

المقصد الثاني : جهود الشيخ المفيد في علم الكلام

للشيخ المفيد ( ره ) جهود كبيرة في توضيح وإظهار الجهد الكلامي في مدرسة أهل البيت ( عليهم السلام ) وصياغته صياغة فنية تبعاً للتراكم المعرفي الموجود عنده .

إن الشيخ المفيد ورث في مجتمعه تراثاً كلامياً مضاعفاً بالإمكان حصره في أمرين : الأمر الأول : ترات متكلمي الإمامية وبالأخص النوبختيين الذين كانوا على اتصال بالفكر الاعتزالي منذ نهاية القرن الثالث الهجري .

وقد ساعدهم هذا الإتصال على تطوير الجانب الفني والصياغي في طرح النظريات الكلامية المتعلقة بجوانب متعددة .

الأمر الثاني : تراث أصحاب مدرسة الحديث في قم وفي مقدمتهم ابن بابويه القمي الذي كان يترأس مدرسة قم .

وفي ضوء ذلك فإنه بالإمكان الإشارة الى بعض تلك الجهود بما يأتي :

١ - استعمل الشيخ المفيد الأدلة العقلية في الدفاع عن تعاليم النبي الأكرم ( صلى الله عليه وآله ) وأهل بيته الأطهار ( عليهم السلام ) ، وعلى الرغم من أن المفيد كان يرفض الاعتقاد الذي يتوكأ على التقليد الصرف إلا إنه يرى أن الوحي ضرورة مطلقة لبلوغ معرفة الله والمبادئ الإسلامية .

٢ - تقترب الصياغة الفنية للطرح الكلامي عند الشيخ المفيد ( ره ) مما طرحه الكلاميون من المعتزلة على مستوى الصناعة ، لكن يبقى الجوهر الكلامي والبعد العلمي فيها معتمداً على ما ورد عن طريق أهل بيت العصمة والطهارة ( عليهم السلام ) .

وفي ضوء هذه الملاحظة فالشيخ المفيد ( ره ) يعدّ خطأً وسطاً بين طرح علم الكلام حديثاً وبين طرح علم الكلام عقلياً صرفاً ، فقد كان برزخ بينهما ، مستفيد من تراث

المعصومين ( عليهم السلام ) من ناحية المادة الكلامية ومستفيد من المعتزلة الصياغة الفنية .

٣ - استطاع الشيخ المفيد ( ره ) ايقاف النمو المطرد لحركة الغلاة التي تنامت بشكل كبير القرن الرابع الهجري مما حدى بالمفيد من بذل جهود كبيرة في إعادة المادة الكلامية الإمامية والصياغة الفنية للطرح الكلامي .

٤ - قام الشيخ المفيد ( ره ) بقيادة حركة علمية كبيرة في الدفاع عن عقائد أهل البيت ( عليهم السلام ) التي أراد بعض ضعيفي النفوس تلويثها ببعض الترهات أو تسويقها بالشكل الضعيف أو المختزل<sup>(٦)</sup> .

ومن هنا يُعد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان شخصية استثنائية في تاريخ الفقه الشيعي الامامي واليه تنسب الكثير من الأصول الكلامية والفقهية عند الشيعة الإمامية ، حتى نظر اليه من قبل بعض الباحثين المخالفين للشيعة الإمامية بأنه مؤسس مذهب الامامية في الكلام والفقه.. لاسيما وأن مرجعيته الدينية والفقهية جاءت في البدايات الاولى لعصر الغيبة الكبرى التي بدأت في نهاية النصف الاول من القرن الرابع الهجري في العام ٣٣٩ هـ ..

وقد عرفت باسم مدينة مدرسة بغداد في تاريخ الفقه الامامي في قبال مدرسة قم، مدرسة المحدثين والاخباريين ، وكان الجدل الفقهي بينهما قائماً بالمحاججات الروائية والعقلية . وقد أسهمت مناخات بغداد الفكرية والثقافية في توسيع آفاق النظر الكلامي والفقهي عند الشيخ المفيد فقد كانت بغداد في عصر الشيخ المفيد في القرن الرابع تزخر بالمدارس الفكرية - الدينية من معتزلة الى اشعرية الى صوفية ، بينما كان يغيب فيها الاثر الامامي في هذا الجدل الفكري والديني، حتى قالوا في فقهاء الامامية إنهم يفتقرون إلى التفريع في المسائل الأصولية والفقهية ، وقد نقل هذا الكلام الشيخ الطوسي في توصيف المذهب الامامي في هذا العصر من الفقهاء الآخرين من المذاهب الإسلامية الأخرى ، وذلك لان المحدثين وفقهاء الخبر والنقل كانت لهم هيمنة بادية على الوسط الفقهي الامامي، وكان الجدل والكلام ينظرون اليهما بارتياب من جانبهم.

وقد أكسب هذا الجدل الفكري والتطور الكلامي في بغداد في القرن الرابع الهجري الذي وصف بأنه قرن العقل الإسلامي أو القرن الحضاري الإسلامي، اكسب الشيخ المفيد ذلك التنوع في المعرفة الدينية، وإطلاعه على كل مدارس الفكر الإسلامي، وآراء علم الكلام في المذاهب الإسلامية، لاسيما وأنه درس على شيوخ من المعتزلة والاشاعرة والامامية. وقد تمكن من خلال ذلك على الدخول باسم الفكر والكلام الإمامي إلى هذا الجدل البغدادي والإسلامي، يخوض مناظراته مع المخالفين لمذهبه من المعتزلة والاشعرية، بل وحتى من الإمامية، ويفاجئون بغزارة علمه وقوة حجته، حتى أقروا له بالفضل العلمي مبكراً، ويقال ان لقبه المفيد قد أطلقه عليه أستاذه المعتزلي أبي علي الرماني.

لقد سعى الشيخ المفيد، إلى تثبيت موطأ قدم راسخ للمذهب في بغداد بل وفي ميادين السياسة، وهي على الأقل ضماناً لقوة ونفوذ المذهب في زحمة صراعه التاريخي مع الاتجاهات الفكرية المذهبية والسياسية التي سادت المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)

يعدّ الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الملقب بـ (الطوسي) من أجلّ علماء الامامية على مدى تاريخها الطويل والحافل بكبار العلماء والفقهاء، وتدلنا آثاره العلمية ومؤلفاته وتلامذته على علمية واسعة وثقافة موسوعية شاملة، فلم يترك باباً من أبواب العلم إلا وطرقه وحاز فيه على قصب السبق، فقد ألف الطوسي في التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد وعلم الكلام والتراجم والسير والعبادات والفقه المقارن وغيرها وقد امتاز بسعة الأطلاع في كل باب ألف فيه فكان ذا أفق واسع وعقلية متفتحة على آفاق العلم المتباينة ومصادره المتنوعة.

أولاً: ولادته ونشأته

ولد الشيخ الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥ هـ في مدينة طوس بخراسان التي اشتهرت بكونها مركزاً علمياً مرموقاً ففيها قبر الإمام علي بن موسى الرضا (ع) وقد تخرج فيها من أئمة العلم والفقه (ما لا يسعهم الحصر)<sup>(٧)</sup>.

ومن المصادفات تسمية اثنين من أبرز العلماء الذين انجبتهم طوس بالطوسي ، إذ قد شاركنا شيخنا الطوسي في إسمه ولقبه وهما محمد بن الحسن الطوسي والد نصير الدين الفيلسوف المعروف بـ(الخواجه) والمتوفي سنة ٦٧٢ هـ والمدفون بجوار الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) ومحمد بن الحسن الطوسي الخراساني الفقيه صاحب كتاب ( الفيروزجة الطوسية في شرح الدرّة الغروية) في فروع الفقه.

نشأ الشيخ الطوسي في مسقط رأسه طوس ردياً من شبابه وتلقى دروسه الأولى بها، ولم تذكر المصادر شيئاً عن دراسته المبكرة أنه درس أوليات العلوم النقلية والعقلية التي كانت دراستها لازمة لمن هو في مثل مرحلته وسنه ، ولم يطل به المقام في طوس فقد كان تواقاً لطلب العلم أينما حل فهاجر وهو ابن الثالثة والعشرين من عمره الى بغداد التي كانت حاضرة العالم الاسلامي حيث مدراس العلم ومجالسه توج بالعلماء والفقهاء والمتعلمين وتعجّ بالوافدين من كل حذب وصوب فوجد فيها شيخنا ما يطمع إليه.

ثانياً : حياته العلمية

وصل الطوسي الى بغداد عام ( ٤٠٨ هـ ) وما إن استقر به المقام بها حتى بدأ ينهل من علوم مجالسها وكانت فاتحة تعلمه في عاصمة العلم آنذاك على يد الشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بـ ( المفيد ) والمعروف بـ ( ابن المعلم ) فقيه الإمامية واستاذهم ورئيسهم في ذلك الوقت والذي كان مجلسه في الفقه والكلام وغيرهما من العلوم والمعلومات يحضره كثير من أهل العلم كما كانت له مناظرات في علم الكلام مع أبي بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار المعتزلي والرماني حفظتها المصادر الإسلامية والعربية .

وكان حضوره لمجلس استاذه المفيد ممهداً لتبحره في العلوم وقد لازم الطوسي الشيخ المفيد خمس سنوات أي من عام ٤٠٨ هـ وهي السنة التي ورد فيها الى بغداد حتى عام ٤١٣ هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ المفيد .

ويتبين أثر دراسة الطوسي على يد المفيد وما تلقاه عنه من العلم فيما رواه عنه في كتابه (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) .

ثم انتقل شيخنا الطوسي الى مجلس علي بن الحسين الموسوي المعروف بـ ( الشريف المرتضى / ت : ٤٣٦ هـ) الذي آلت إليه رئاسة الإمامية بعد وفاة الشيخ المفيد فكانت داره في الكرخ يؤمها الكثير من طلبة العلم وكان شيخنا من ابرز هؤلاء الطلبة وقد لازم الطوسي استاذة المرتضى مدة طويلة بلغت ثلاثة وعشرين عاماً حيث لقي منه رعاية واهتماماً بالغين اذ جعل له داراً في الكرخ وأجرى له عطاءً شهرياً مقداره اثنا عشر ديناراً، وقد نهل شيخنا في مجلس المرتضى علوماً مختلفة حيث كان مجلس المرتضى يحوي دراسات متنوعة في الفقه والأصول والتفسير والكلام والعقائد واللغة والأدب وغيرها. وازضافة الى هذين العَلمين الكبيرين الذين تتلمذ عليهما الطوسي فقد اخذ العلم كذلك على يد علماء كبار آخرين منهم : ابو عبد الله احمد بن عبد الواحد البزار المعروف بـ (ابن عبدون) و (ابن الحاشر) الذي وصفه الطوسي بأنه كثير السماع والرواية وبين أنه أجاز له بجميع ما رواه وقد روى عنه في كتابيه (الامالي) و (الاستبصار) ومنهم ابو عبد الله الحسين بن عبد الله الغضائري الذي ذكره في (الفهرست) و (الرجال) وروى عنه في (الامالي) كثيراً من الاخبار وقد وصفه بأنه كثير السماع عارف بالرجال له تصانيف ثم قال (سمعنا منه و اجاز لنا بجميع رواياته) ومنهم ايضاً ابو الحسين علي بن أحمد بن ابي جيد القمي وقد ذكره الطوسي في مواضع عديدة من (الفهرست) مشيراً الى أنه روى عنه مصنفات بعض الإمامية كما روى عنه في (الاستبصار) عدة اخبار وهناك شيوخ كثيرون أخذ عنهم الطوسي وذكرهم في كتبه وروى عنهم في أماليه منهم ابو عبد الله الحسين بن ابراهيم القزويني وابو طالب بن عزور وابو القاسم علي ابن شبلي الوكيل وغيرهم<sup>(٨)</sup> .

ولسنا بصدد حصرهم فهم كثيرون وإنما نحن بصدد الإشارة فقط الى ما يلقي الضوء على مصادر دراسته وثقافته الواسعة. فقد نهل الطوسي من معين العلم وجنى ثماره على يد أساطين العلماء وهذا ما جعله موسوعياً في تأليفه، كثير العناية بالموازات في

كتبه، مجدداً في أسلوبه الدراسي والعلمي تجديداً فاق من سبقه ومن لحقه، فقد بدأ بهذا الشيخ الرائد عصر العلم الجديد الذي أصبح الأصول فيه علماً له دقته وصناعته وذهنيته العلمية الخاصة، وتشعرنا مؤلفاته العلمية والفقهية بهذه الثقافة الواسعة فهي بحر زاخر يوج بمختلف العلوم فكانت ثقافته الواسعة في علم الكلام - وله فيه أكثر من مؤلف - هي التي حدثت بالخليفة القائم بأمر الله أن يمنحه منصباً علمياً ممتازاً هو كرسي علم الكلام وهو أرفع منصب في هذا العلم ولا يحظى به إلا من أوتي علماً جماً ومملكة فائقة على المناظرة والحجاج .

وانتقلت الرئاسة العلمية والأستاذية المطلقة إلى شيخنا الطوسي بعد وفاة السيد المرتضى عام ٤٣٦ هـ وصار الإمامية يرجعون إليه فكانت داره التي تقع في الكرخ يؤمها طلبة العلم من البلاد الإسلامية كافة.

ثالثاً : دور الشيخ الطوسي في مجال الفكر

استطاع الشيخ الطوسي وبكل جدارة أن يرسي قواعد الفكر الصحيح على أسسه ، فاضطلع بمهمة التغيير على أوسع نطاق ، خصوصاً وقد شاهد خطورة الموقف الإسلامي إزاء تلوث المجتمع بالمفاهيم الدخيلة الوافدة إليه عن طريق الفلسفات الأجنبية التي تسللت رويداً إلى ساحته عبر القنوات الكثيرة التي شقتها فتوحات العصر الأموي ( ٤٠ - ١٣٢ هـ ) وأوائل العصر العباسي ( ١٣٢ - ٢٣٤ هـ ) ، وما نتج عن ذلك من نشوء التيارات الفكرية الخطيرة ، مع بروز حركة الزندقة بفعل تلك الرواسب الثقافية الدخيلة ، فضلاً عن استشراء الفساد الخلقي في عاصمة الخلافة - دمشق ثم بغداد - على أثر تصدير الانحراف إلى شرائح المجتمع من قصور الخلفاء أنفسهم ، ويشهد على ذلك الكثير مما وصل إلينا من أدب البلاط في ذينك العصرين من المجون والترف .

لقد استمرت مدرسة الإمام الصادق ( عليه السلام ) في أداء رسالتها ممثلة بأعلامها الكبار ، يغذيها الأئمة من ولده ( عليهم السلام ) من بعده بفيض من علم النبوة ونور الولاية ، ولم يخب ضوءها بتعاقب الأزمان وتجدد الملوان<sup>(٩)</sup> .

وما الشيخ الطوسي ( رحمه الله ) إلا واحد من أولئك الأقطاب الذين كان دورهم مميّزا فيها على صعيد العلوم الإسلامية بأسرها . وهو كما يقول أحد أبرز علماء العصر واصفا جانبا من دوره العظيم :

(( إن الشيخ الطوسي لم يكن وجوده ودوره على الخط العلمي تعبيرا عن مجرد إضافة عددية إلى العلماء الذين سبقوه ، وإنما كان منطلق رحلة جديدة من تطور الفكر الفقهي والأصولي في الإطار الشيعي . وبالرغم من أن طاقات علمية تدريجية - مهدت لهذا المنطلق - اندمجت فيه من قبيل العطاءات العلمية التي تعاقبت من ابن أبي عقيل ، وابن الجنيد ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى قدس الله أرواحهم ، فإن نبوغ الشيخ الطوسي هو الذي استطاع أن يصب كل تلك الطاقات في بناء علمي واحد ، ويضيف إليها من عطائه وإبداعه ما هيا للعلم أسباب الانتقال إلى مرحلة جديدة من مراحل النمو والتطور))<sup>(١٠)</sup> .

المطلب الثالث : أثر العلامة الحلي ( ت : ٧٢٦ هـ ) في تطوّر الحركة الفكرية  
لم يعرف التاريخ مثيلاً للعلامة الحلي ، رجل أنعم الله عليه بالموهبة المتميزة والعبقرية الفذة ، فامتلك شجاعة كبيرة وذكاءً مفرطاً وعقلاً واعياً مدركاً ، وتفجرت في أعماقه طاقة هائلة من الفكر والمعرفة والعلوم ، واكبها عمل دائم وجهد مستمر...  
موهبة لا تزال في قمتها العلمية حتى الآن ، وشخصية لا تزال عبقريتها تسيطر على أجيال العلماء المتعاقبين بعده ، وكان لها التأثير الفعال على مفكري الإسلام قاطبة ، المعاصرين له والمتأخرين عنه ، فقد تلاقت فيه شخصيات علمية عديدة ، كل منها شامخة بارزة ، فكما كان من أعلام الفقه والشريعة ، يؤخذ قوله حجة ويعول عليه ، كذلك كان من ابرز مفكري عصره في الكلام والفلسفة ، عالم دفع قافلة المعرفة الإسلامية وشارك في بناء الحضارة وفي رفع صرحها عالياً ، رائد من رواد الحق وحامي من حماته ، ومدافع قوي عن مبدأ أهل البيت الذي تظاهرت عليه قوى الظلام وحاربت أتباعه ، بكل سلاح ، بالافتراءات والدعايات الكاذبة ، وبكل أنواع العذاب والتنكيل .. بالقتل والسجن والتشريد<sup>(١١)</sup> .

أولاً : ولادته ونشأته

ولد الحسن بن يوسف بن (زين الدين) علي بن محمد بن المطهر ، الملقب بالشيخ (جمال الدين أبو منصور) والشهير بـ(العلامة الحلي) و(آية الله) في ليلة الجمعة (٢٨ رمضان ٦٤٨هـ) في الحلة الفيحاء ، المدينة التي بناها أمير العرب سيف الدولة صدفة بن منصور بن مزيد الأسدي ، ونشأ رضوان الله عليه في دار المؤمنين (الحلة) في بيت عريق ، هو بيت الزعامة الدينية والعلمية ، وفي جو ذي حركة علمية رصينة ، سارت عليه أسرته العربية الصحيحة ، وحظي بعناية كبيرة من أبيه سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي الذي كان من كبار علماء عصره ، وعد من أعلم أهل زمانه في الفقه والأصول ، فتلقى منه الفقه والأصول العربية والعلوم الشرعية وبدراسة فقهية مقارنة ، ومن خاله فقيه أهل البيت الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد بن يحيى الهذلي المعروف بالمحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ) صاحب الكتب الفقهية الشهيرة (شرائع الإسلام - المختصر النافع - المعبر) ، كبير الفقهاء ورئيس المذهب ، الذي كان يقود زعامة العلم والشريعة في العراق ، ويشرف على إدارة الجامعة الشيعية التي كانت الحلة يوم ذاك مركزها الرئيسي ، فيغذيها بعقله وروحه ويبدل في سبيلها ما في وسعه من جهد وطاقة<sup>(١٢)</sup> .

١ - تربيته

مع عنايتهما بالعلامة الحلي ، خصصا له منذ صغره معلماً يلقنه الكتابة والعربية والقرآن ، ثم صحبهما صبياً ، فدرس عليهما الكلام والمنطق وغيرهما ، فتقدم وبرع وأفتى وسبق الأعلام ولم يزل في عنفوان الصبا مما لفت إليه الأنظار ، ثم درس على يد المحقق نصير الدين الطوسي الطوسي (العقليات والرياضيات) وعلى كمال الدين ميثم البحراني شارح نهج البلاغة (الحكمة) و(البلاغة) ، كما تتلمذ على يد عمر بن علي الكاتب القزويني صاحب (مجالس المؤمنين) ، و محمد بن أحمد الكشي وغيرهم من علماء المذاهب الإسلامية كافة.

عاش العلامة الحلي أواسط القرن السابع الهجري وعقدين من القرن الثامن ، يوم اجتاحت الجيش المغولي البلدان الإسلامية ، وشهد وهو ابن السابعة فرار أهل المدينة ذعراً

و خوفاً من الغزو التتري بعد أن ذاعت أخبار ما ارتكبه من فظائع في بغداد ، دون أن يأبهوا بنصيحة والده سديد الدين ، الذي مضى وحده مع رسل هولاء القادمين لاستحضار وجهاء البلدة بين يديه ، فعاد بعد أيام يحمل كتاب الأمان لأهل الحلة والمراد الشريفة في النجف الأشرف وكربلاء ، فحال بذلك دون استكمال الكارثة التي حلت بالعالم الإسلامي ، وما هي إلا سنوات حتى اتبع الابن طريق والده ، فبقدرته الفائقة وعلميته الرصينة وبما وهبه الله من طاقات فكرية عملاقة ومن قوة علمية قادرة تبدد الظلام إلى نور ضد الموجة الطاغية التترية ، واستطاع التأثير على قادة المغول باعتراف الدين الإسلامي والتشيع ، ومن ثم رغبوا في العلم وقربوا العلماء .

٢ - نبوغه :

نبغ العلامة الحلي ، وبرزت فيه سيماء الزعامة والإمامة الدينية منذ صباه ، وتقدم في بداية شبابه على كبار العلماء والفقهاء وكان آية في الذكاء وأحد النوابغ الأفاذا وأبرز شخصية علمية ، نبغ في الأصول والحكمة والكلام والمنطق والطبيعات وعلوم الشريعة والعربية .

ولا نجازف إذا قلنا : إنه أكبر عالم شيعي أخذ بأسباب المعرفة الإسلامية في نضج واستيعاب ظهر حتى الآن ، فقد انتهت إليه زعامة الشيعة الإمامية في عصره في المنقول والمعقول والفروع والأصول ، وله في ترويج مذهب أهل البيت مساع حميدة ، واشتهرت تصانيفه التي ساعدت في هبوط اسهم التعصب الطائفي وساهمت في التبليغ لمذهب آل البيت ( عليهم السلام ) والجهر بأرائهم ، والتأثير على قطاعات واسعة من العلماء والمفكرين والقادة .

ثانياً : شخصيته

لقد تمثلت شخصية العلامة الحلي القوية ، بمواقفه المبدئية فهو يحذو في تفكيره حذو أستاذه الفيلسوف الطوسي ولكن بحرية وتجرد ، محتفظاً بأفكاره المستقلة ، التي ظهرت في معارضته لكثير من آرائه ونقدها والتنظير فيها ، وذلك في مواضع كثيرة عديدة من ( شرح التجديد ) و ( كشف الفوائد ) ، وبالإمكان توضيح ما يرتبط بشخصيته بما يأتي :

١- شهرته :

ترتكز شهرة العلامة الحلبي في الأكثر على الحكمة والكلام والفقه والرجال ، وعلى كثرة إنتاجه وغزارة مؤلفاته التي لا تزال حتى اليوم مصدراً للثقافة الإسلامية وفي أكثر فروع المعرفة في جامعات الشيعة العلمية ، فهو صاحب مدرسة علمية وفكرية عاشت طويلاً ولا تزال ظلالها بارزة على تفكير الكثير من العلماء إلى اليوم ، وبخاصة في التشريع والكلام ، وإن شطراً من آثاره ولا سيما في الفقه والفلسفة الإسلامية لا يزال مرجعاً كبيراً في هذه الجامعات .

وجاء في سفينة البحار ما نصه : (( اشتهر العلامة بذكائه المفرط وفطنته المرهفة ، وحضور جوابه ، وقوة حجته ، وسعة أفقه ووعيه ، كما اشتهر في زهده وعبادته وإخلاصه ، ويروى عنه في ذلك ما يشبه الأساطير ))<sup>(١٣)</sup> ، أما في التصنيف فكان أعجوبة في القدرة على التأليف واستحضار المحفوظ من العلوم ، أعجوبة في كثرة التأليف ، وصفه مترجموه فقالوا ( كان في أسفاره يؤلف وهو راكب ) .

وليس عبثاً أن يطلق لقب (علامة) عليه بعد أن بلغ القمة في العلوم وفاق علماء عصره على الإطلاق ولم يسبق لأحد من علماء الشيعة أن لقب بهذا اللقب غيره ، فكان (شيخ الطائفة) و (آية الله) و (صاحب التحقيق والتدقيق) و (العلامة ذو الفنون) و (صاحب التصانيف) التي اشتهرت في حياته ، وكان إماماً في الكلام والمعقولات ، كما اشتهر بحسن الأخلاق والذكاء المفرط ، وبعلمه الموسوعي وغزارة تأليفه وتنوعه وسرعته وتصنيفه المنهجي لسائر المراحل الدراسية في شتى أبواب العلوم الإسلامية .

٢- تنوع آثاره

وقد مثل ابن المطهر أيضاً مرحلة هامة وبارزة في تاريخ الفكر الشيعي على ثلاثة أصعدة: الأول : الحديث وعلومه .

الثاني : أصول الفقه .

الثالث : الإصلاح الديني ونشر مذهب أهل البيت ( عليهم السلام ) .

لقد برع ابن المطهر في المعقول والمنقول ، وتقدم في شبابه على علماء عصره ، وقد فرغ من تصنيفاته الحكمية والكلامية ، وأخذ في تحرير الفقه قبل أن يبلغ ٢٦ سنة ، كما سبق غيره في فقه الشريعة وألف فيه المؤلفات المتنوعة من مطولات ومتوسطات ومختصرات ، فكانت محط أنظار العلماء في عصره إلى اليوم تدريساً وشرحاً وتعليقاً ، وفاق أقرانه في علم أصول الفقه وألف فيه المؤلفات المتنوعة فكانت برؤى مختلفة من حيث الاجتهاد والاستنباط ، كما برع في الحكمة العقلية حتى أنه باحث الحكماء السابقين في مؤلفاته وفاقته كتبه على ما نشره وأورد عليهم ، ومثلما ناقش الطوسي فقد باحث الرئيس ابن سينا في كتبه وخطأه ، وحاكم مؤلفه ( بين شراح الإشارات أو الأحاديث ) وألف كتباً كثيرة في الحكمة وفي علم الأصول وفن المناظرة والجدل ، وعلم الكلام من الطبيعيات والإلهيات والمنطق وألف في الرد على الخصوم والاحتجاج المؤلفات القيمة ، ويعود سر نجاحه وخلود آثاره ، وإن كتبه كانت وما تزال مرجعاً هاماً في الجامعات الدينية ومصدراً من مصادر الثقافة الإسلامية ولها الأثر البالغ عند علماء الإسلام ، وترتكز مدرسته الفكرية على الاستقلال في الرأي وإعمال العقل والنظر ، ولأنه من الصعوبة بمكان تدوين كل مؤلفاته ، إذ لا يتسع أي كتاب لذكر علومه وتصانيفه وفوائده ومحامده كلها ، فندرج بعضاً منها ، دون التطرق إلى كتبه الأخرى في المنطق وعلم الأخلاق وفي الأدعية المأثورة .

ثالثاً : دور العلامة الحلي في تطوير الفكر الشيعي واتساعه

دافع العلامة الحلي عن الحق بمنطق العقل لا بقوة السلاح ، وأخرس كل مبطل ومعاند وأحدث انقلاباً في الآراء والمعتقدات ، وتحدى كبار علماء المذاهب وأفحمهم بالحجج القاطعة فلم يسعهم إلا الإذعان له والتسليم ، وملخص الحكاية أن ملوك المغول بعد أن دخلوا الإسلام اتخذوا لهم أعواناً وأنصاراً من علماء المسلمين وأمرائهم على اختلاف مذاهبهم ، فكان علماء كل مذهب يغرون الحاكم المغولي بالدخول في مذهبهم وينفرونه من المذاهب الأخرى ، فاعتنق قازان خان مذهب التشيع وبقي عليه إلى أن توفي ، فقام مقامه أخوه السلطان (الجايغو محمد) الملقب بالشاه (خداينده) ، المغولي فمال إلى

مذهب الحنفية حتى جاء نظام الدين عبد الملك من مراغة إلى السلطان وكان عالماً شافعيًا ماهراً في المعقول والمنقول ، فعينه قاضي القضاة ، فاغتنم هذه الفرصة مستغلاً منصبه واستمال السلطان إلى الشافعية ، وأخذ يناظر علماء الحنفية في مجلس السلطان بحججه وأدلته مما اقنع السلطان فاعتنق مذهبه<sup>(١٤)</sup> .

وسأل قطب الدين الرازي : إذا أراد الحنفي أن يصير شافعيًا فماذا يصنع ؟

فقال له: (يكفي أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ..) .

وفي سنة (٧٠٩هـ) جاء عالم حنفي من بخارى إلى خدمة السلطان ، فشكا له الحنفية من نظام الدين قاضي القضاة وقالوا له : لقد أذلنا عند السلطان ، فأضمر هذا الشيخ أن يفحم القاضي أمام السلطان ، وصادف أن اجتمع الشيخان بحضوره يوم الجمعة وأخذوا بالمناظرة والجدال وبين كل منهما ما في المذهب الآخر من مساوئ فكانت النتيجة نفور السلطان من المذهبين واحترار في الأمر ، أي مذهب من المذاهب يختار .

ظهور الحق :

وفي تلك الأثناء وقع السلطان في مشكلة لم يجد لها حلاً ، إذ غضب على إحدى زوجاته فقال لها : (أنت طالق ثلاثاً) ، ثم ندم فسأل العلماء ، فقالوا : لا بد من (المحلل) فرفض وقال لهم : لكم في كل مسألة أقوال ، فهل يوجد هنا اختلاف؟ .

فقالوا : لا.. وعندئذ تدخل أحد وزرائه قائلاً : في الحلة عالم يفتي ببطلان هذا الطلاق. فامتعض العلماء وقالوا : إن مذهبه باطل ولا عقل له ولا لأصحابه ولا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله والاستماع إليه ، فقال السلطان: أمهلوا حتى يحضر ونرى كلامه .

فبعث السلطان وفداً وأحضر العلامة الحلبي ، وحدد له موعد اللقاء وجمع علماء المذاهب لحضور المجلس ، وكان من مراسم البلاط أن الداخل على السلطان ينحني له أو يقبل الأرض بين يديه ، إلا أن العلامة الحلبي لم يفعل ذلك ، فحين قدم ودخل البلاط أخذ نعليه بيده ورفع يده بالتحية قائلاً (السلام عليكم) ، ثم جلس إلى جانب السلطان ، ولم يكن هذا قد رآه قبل الآن ، مما أثار عجبه واستغراب الآخرين ، فاستغل علماء المذاهب ذلك وقالوا للسلطان: ألم نقل لك أنهم ضعفاء العقول

فقال السلطان: اسألوه عن كل ما فعل.

فقالوا للعلامة الحلبي: لماذا لم تخضع للسلطان بهيئة الركوع وتركت الآداب . فأجابهم: إن رسول الله (ص) كان سلطاناً وكان يسلم عليه ولم يكن يركع له أحد. والله تعالى يقول: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾<sup>(١٥)</sup> ولا خلاف بيننا وبينكم: إنه لا يجوز الركوع والسجود لغير الله سبحانه وتعالى.

قالوا: فلم جلست عند السلطان؟!.

أجاب: لأنه لم يكن مكان خال غيره..

قالوا: فلم أخذت نعليك بيدك وهو أمر مناف للآداب؟.

أجاب: خفت أن يسرقه بعض أهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله (ص). قالوا: إن أهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله (ص) بل ولدوا بعد المائة فما فوق من وفاته(ص)!.  
فالتفت العلامة الحلبي إلى السلطان وقال له: قد سمعت اعترافهم هذا.. ولد أئمتهم بعد

مائة عام فما فوق من رحيل الرسول (ص)، فمن أين جلبوا مذاهبهم؟. ولماذا الاجتهاد فيهم ولم يجوزوا الأخذ من غيرهم ولو فرض أنه اعلم؟!.  
فتساءل السلطان بدهشة كبيرة: ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النبي (ص)؟!.

قال: لا.. ولم يكونوا حتى في زمن الصحابة.. ونحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب نفس رسول الله (ص) وأخيه وابن عمه ووصيه وعن أولاده من بعده.. فسأل السلطان عن مسأله (الطلاق).

فقال العلامة: باطل لعدم وجود الشهود العدول.

هذه الإجابة المطلقة أفرحت السلطان وعظمت شأن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في نفسه.

وحتى لا يتسرع في اتخاذ القرار المناسب أشار عليه وزيره أن يجمع العلماء من جميع المذاهب ويتناظروا في حضوره.. فأمر السلطان بذلك..

وتقرر أن يحضر من قبل علماء السنة الخواجة نظام الدين عبد الملك المراغي الذي كان أفضل علماء الشافعية وأفضل علماء السنة مطلقاً فحضر وتناظر مع العلامة الحلبي. وكانت المسألة الأولى موضوع الإمامة.. فأثبت لهم العلامة مدعوماً بالبراهين والأدلة القاطعة خلافة الإمام علي (ع) بعد الرسول (ص) بالأفضل.. وبطلان تقليد الأئمة الأربعة وأظهر ذلك للحاضرين جلياً لا لبس فيه بحيث لم يبق أمامهم موضوع للشك وجرى البحث بين العلامة وعلماء المذاهب الأخرى حتى ألزمهم جميعاً وأفحمهم وأثبت الحقائق الناصعة لعقيدته.

فلم يجدوا إلا التسليم له، وشهد له نظام الدين بفضل العلامة واعترف بصواب رأيه وقوة حجته وقال: قوة هذه الأدلة في غاية الظهور أما من حيث السلف سلكوا طريقاً والخلف لأجل إجماع العوام ودفع تفرقة الإسلام أسبلوا السكوت عن زلل أولئك ومن المناسب عدم هتك ذلك الستر، وأعجب السلطان بما سمع من العلامة فأعلن تشييعه في ذلك المجلس واعتنق هو وجميع أمرائه ورجاله مذهب الإمامية، وأقام مذهب أهل البيت في البلاد وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر في جميع أنحاء مملكته التي تمتد في إيران والعراق وأمر بضرب السكة بأسماء الأئمة وأمر بكتابتها على المساجد والمشاهد.. وتعززت مكانة العلامة الحلبي عند السلطان وأجرى بخدمته (المدرسة السيارة) تنتقل معه في أنحاء البلاد، فراح يخطب ويعلم ويدرس ويؤلف.. وكان رائده الإصلاح الديني في عصر كثرت فيه البدع الضالة والفتن والدسائس ضد دين محمد (صلى الله عليه وآله) ومع ذلك لم يدفع السلطان إلى إنكار علماء المذاهب الأخرى ولم ينس أحدهم أو يبخسهم حقوقهم احتراماً للدين.

وقد شهد المؤرخون للسلطان بالعدل وحسن السيرة واستقرار بلاد الإسلام مدة حكمه بفضل العلامة الحلبي وتوجيهاته، ولأجل هذا السلطان صنف العلامة الحلبي كتاب (كشف اليقين) و(تاج الكرامة).

## الخاتمة ونتائج البحث

من الطبيعي أن يكون لكل بحث ودراسة مجموعة من النتائج التي توصل لها الباحث وأفرزتها معايير البحث العلمي الرصين والتي بالإمكان إجمالها بما يأتي:

١ - لعلماء العراق دور كبير في المحافظة على الحضارة العلمية الإسلامية على مر التاريخ الاجتهادي والذي يصعب فيه إختزال ذلك الكم المعرفي الكبير بعدد من الصفحات إلا إن طبيعة البحث تقتضي ذلك.

٢ - استطاع فقهاء الشيعة من تقديم العديد من الخدمات للإمة الإسلامية وحضارتها العلمية من خلال تغيير المناهج العلمية في مدرسة النجف وحوزتها وتأسيس العديد من المراكز البحثية التي لا زال العديد من العلماء يفتخر بذلك، وكان في مقدمتهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ الحلي .

الملخص:

يتمثل الدور الأساسي للمعصوم عليه السلام في هداية بني البشر وتهذيبهم وتقويمهم والمحافظة عليهم وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح من خلال إدارتهم الحكيمة للمجتمع الإنساني ، وبالفعل ، تم ذلك وعلى أتم وجه فوجود المعصوم عليه السلام بين ظهراني الأمة الإسلامية يمثل صمام الأمان لها والقلب النابض في جسدها .

فكان وجود المعصوم عليه السلام له الأثر الأكبر في حياة الأمة الإسلامية وقيادتها حتى في زمن الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر عليه السلام عن طريق سفرائه الأربعة ، لكن بعد وقوع الغيبة الكبرى للإمام المعصوم عليه السلام بدأت مرحلة جديدة في تاريخ مذهب أهل البيت عليهم السلام تمثلت بقيام فقهاء الشيعة الإمامية في التصدي لمختلف الجوانب المرتبطة بالأمة الإسلامية في سبيل المحافظة على حضارتها وارثها العظيم وديمومتها واستمرارها للأجيال القادمة .

وبالفعل استطاعت نخب الفقهاء للأمة الإسلامية وبالخصوص فقهاء الإمامية في دفع عجلة الحضارة ومواكبة التغيرات الموضوعية التي تستتبع تغيرات حكمية كثيرة فضلاً عن التطورات العلمية ، وسد الفراغ والمستجدات في مجالات مختلفة سواء أكانت على

مستوى الفكر والتجديد المنهجي أم على المستوى الدرايتي والفقهي أم على مستوى الجانب السياسي والاقتصادي .

ولأهمية هذه المستويات بشتى صنوفها الذي عاشته الأمة الإسلامية ينبغي دراستها وتوضيحها وبيانها بالشكل الذي يسهم في إظهارها وتوثيقها للأجيال القادمة لذا انعقد البحث والدراسة .

وقبل البدء ينبغي الإشارة إلى عدد من المسائل المهمة التي تُبين الاطار العام للدراسة والتي من خلالها تتوضح العديد من الأمور المرتبطة بالبحث والتي بُنيت هيكله الدراسة ومفاصل البحث عليها وكما يأتي :

١ - أعتمد الباحث في منهجه على اختيار العنوانات الأساسية للدراسة التي تُشكّل أساساً في حضارة الأمة الإسلامية وتُوضح ريادتها في ذلك .

٢ - أنتقى الباحث العنوانات البحثية للدراسة من حيث الترتيب المنهجي للتفكير العلمي الرصين ومن ثم إدراج مطالبه ضمن تسلسلها الزمني ، فقد يجد القارئ الكريم ضمن المبحث الواحد عدداً من الفقهاء الأعلام سواء من المتقدمين أم المتأخرين أم من متأخري المتأخرين فالجامع لهم هو السمة البحثية البارزة لدى الأعلام والعنوان المبحوث مع المحافظة على المسار التاريخي في ما بينهم .

٣ - يختار الباحث لكل محور ثلاثة علماء أعلام فقط لبيان الخصائص المبحوثة وإلا فإن الفقهاء الذين أسهموا لا يمكن حصرهم بهذه العجالة الزمنية والمساحة البحثية للدراسة ، واختيار البعض منهم كنماذج تطبيقية لا يعني إهمال الآخرين فكلهم نجوم لامعة في سماء العلم المعرفة .

ونظراً لتشعب الموضوع سيقصر الباحث على ( دور علماء الشيعة الإمامية في تأسيس الحركة الفكرية والتجديدية في منهج البحث العلمي ) أملين البحث عن الاتجاهات الأخرى في مناسبات أخرى .

وقد انتظم البحث عن ذلك بمقدمة ومبحثين وخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث وكما يأتي :

أولاً : المقدمة

اشتملت المقدمة على بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره وطريقة البحث التي اختطها الباحث لنفسه ، ومن ثم استعراض المنهجية العامة للبحث والدراسة .

ثانياً : دور علماء الشيعة في تطوير الحركة الفكرية

كان لعلماء الشيعة دور كبير في تطوير الجانب الفكري ، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على مختلف الجوانب الحياتية والمعرفية ، ولأهمية هذا الجانب ينبغي دراسته وبيانه وتوضيحه من خلال دراسة بعض المصاديق المنتخبة لمكانتها الفكرية والعلمية وقد تم انتقاء نماذج لبعض الشخصيات الفاعلة في هذا المجال وكان في مقدمتها الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي .

المطلب الأول : الشيخ المفيد ( ت : ٤١٣ هـ ) وأثره في تأسيس الحركة الفكرية في عصر الغيبة الكبرى

يعدّ الشيخ المفيد من علماء الشيعة المؤسسين في المجال الفكري والمعرفي ، وهذا ما يدعونا للوقوف على أعتاب هذا الجبل الشامخ وأهم الإنجازات التي أسسها<sup>(١٦)</sup> .

المطلب الثاني : الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ( ت : ٤٦٠ هـ )

يعتبر الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الملقب بـ (الطوسي) من أجل علماء الامامية على مدى تاريخها الطويل والحافل بكبار العلماء والفقهاء ، وتدلنا آثاره العلمية ومؤلفاته وتلامذته على علمية واسعة وثقافة موسوعية شاملة ، فلم يترك باباً من أبواب العلم إلا وطرقه وحاز فيه على قصب السبق ، فقد ألف الطوسي في التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد وعلم الكلام والتراجم والسير والعبادات والفقه المقارن وغيرها<sup>(١٧)</sup> . وقد امتاز بسعة الأطلاع في كل باب ألف فيه فكان ذا أفق واسع وعقلية متفتحة على آفاق العلم المتباينة ومصادره المتنوعة.

المطلب الثالث : أثر العلامة الحلي ( ت : ٧٢٦ هـ ) في تطوّر الحركة الفكرية

لم يعرف التاريخ مثيلاً للعلامة الحلي ، رجل أنعم الله عليه بالموهبة المتميزة والعبقرية الفذة ، فامتلك شجاعة كبيرة وذكاءً مفرطاً وعقلاً واعياً مدركاً ، وتفجرت في أعماقه طاقة هائلة من الفكر والمعرفة والعلوم ، واكبها عمل دائب وجهد مستمر... موهبة لا تزال في قمتها العلمية حتى الآن ، وشخصية لا تزال عبقريتها تسيطر على أجيال العلماء المتعاقبين بعده ، وكان لها التأثير الفعال على مفكري الإسلام قاطبة ، المعاصرين له والمتأخرين عنه ، فقد تلاقت فيه شخصيات علمية عديدة ، كل منها شامخة بارزة ، فكما كان من أعلام الفقه والشريعة ، يؤخذ قوله حجة ويعول عليه ، كذلك كان من ابرز مفكري عصره في الكلام والفلسفة ، عالم دفع قافلة المعرفة الإسلامية وشارك في بناء الحضارة وفي رفع صرحها عالياً ، رائد من رواد الحق وحامي من حماته ، ومدافع قوي عن مبدأ أهل البيت الذي تظاهرت عليه قوى الظلام وحاربت أتباعه بكل سلاح ، بالافتراءات والدعايات الكاذبة ، وبكل أنواع العذاب والتنكيل.. بالقتل والسجن والتشريد<sup>(١٨)</sup> .

ثالثاً : دور علماء الشيعة في تطوير الحركة التجديدية في منهج البحث العلمي ينطلق الشيعة في تبنيهم لمفهوم التجديد المنهجي على مجموعة من الاسس العقائدية التاريخية التي شكلت عنصراً رئيسياً في تميز المذهب الجعفري والذي يمثل مدرسة فقه وفكر الإسلام الأصيل المتمثل بالنبي الأكرم واله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) عن باقي المدارس الإسلامية ومذاهبها الأخرى ، وتتجلى أوضاع المصاديق لذلك في فتح باب الاجتهاد لفقهاء المذهب للتعامل مع النصوص الفقهية الواردة في كتب مصادر أصول الحديث الأربعة المعتمدة لديهم .

ويحاول الباحث تسليط الضوء على الجانب التجديدي في منهج البحث العلمي المتبع عند فقهاء الشيعة العراقيين وأعلامهم ، وذلك من خلال اختيار بعض الشخصيات التي كان لها الدور الكبير في هذا المجال كالشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد الهادي الفضلي كنموذج تطبيقي وإلا فإن الفقهاء الذين أسهموا في هذا المجال أكثر من أن يُحصون في هذه العجالة .

المطلب الأول: الشيخ محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م) وحركته التجديدية من الفقهاء الذي كان لهم قصب السبق في المجال التجديدي على مستوى الفكر والمنهج والمعرفة هو الشيخ المجدد محمد رضا المظفر والذي أضفى شيء من الجدة على الحركة الفكرية والثقافية في الأوساط العلمانية<sup>(١٩)</sup>، إذ أدى ذلك إلى قفزة واضحة في المناهج الحوزوية والأكاديمية، فقد استطاع التأثير في كلا المجالين.

المطلب الثاني: السيد محمد تقي الحكيم (ت: ١٤٢٣ هـ) والدراسات المقارنة من الشخصيات العلمية والتي كان لها دور كبير في الساحة المعرفية هو السيد محمد تقي الحكيم، إذ استطاع أن يؤسس ويشيد العديد من المشاريع العلمية وكان في مقدمتها مسألة المقارنة بين المذاهب الإسلامية وآليات الاستنباط وغيرها من القضايا الهامة<sup>(٢٠)</sup>، ولأجل بيان ذلك ينبغي بداية معرفة شيء من شخصيته وحياته العلمية.

المطلب الثالث: الشيخ عبد الهادي الفضلي (ت: ١٤٣٤ هـ) وأثره في تجديد المناهج الدينية

الشيخ عبد الهادي الفضلي أحد أشهر علماء الإحساء المعاصرين له دور علمي بارز، وهو بالإضافة إلى ذلك متنوع المعرفة، فضلاً عن توفره على البعد التوفيقي بين الموروث المعرفي الذي يبدو في دراساته وأبحاثه ومساهماته في ما يعرف بـ (حوزة النجف الأشرف)، وبين دراساته الأكاديمية والجامعية.

وإذ انتمى الشيخ الفضلي لمنطقة الإحساء تلك المنطقة الزاخرة بالعلماء والأدباء، فإنه ينتمي - أيضاً - إلى مدرسة النجف الأشرف، وهو ابن العراق ولادة ونشأة وقد نمته هذه المدرسة بما زخرت به من أعلام المعرفة ورواد العلم، وتلمذ على أشهر الفقهاء والعلماء من أمثال السيد محسن الحكيم والسيد أبي القاسم الخوئي والشهيد السيد محمد باقر الصدر.

رابعاً: الخاتمة ونتائج البحث

من الطبيعي أن يكون لكل بحث ودراسة مجموعة من النتائج التي توصل لها الباحث وأفرزتها معايير البحث العلمي الرصين والتي بالإمكان إجمالها بما يأتي:

١ - لعلماء العراق دور كبير في المحافظة على الحضارة العلمية الإسلامية على مر التاريخ الاجتهادي والذي يصعب فيه إختزال ذلك الكم المعرفي الكبير بعدد من الصفحات إلا إن طبيعة البحث تقتضي ذلك.

٢ - استطاع فقهاء الشيعة من تقديم العديد من الخدمات للإمة الإسلامية وحضارتها العلمية من خلال تغيير المناهج العلمية في مدرسة النجف وحوزتها وتأسيس العديد من المراكز البحثية التي لا زال العديد من العلماء يفتخر بذلك، وكان في مقدمتهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ الحلي .

٤ - أستطاع فقهاء الشيعة من التأثير بصورة كبيرة في بلورة المناهج العلمية الرصينة، ولم يتأت ذلك ما لم تتظافر الجهود الكبيرة لفقهاءنا أمثال الشيخ المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد الهادي الفضلي .

خامساً : أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم خير ما نبتدئ به .

التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، محمد بن علي بن عثمان الكراجكي ، تح : فارس حسون ، الناشر : دار الغدير ، ط ١ ، ت : ط ١ ، ت : ١٤٢٤ هـ .

تقريرات آية الله المجدد الشيرازي ، تقرير بحث المجدد الشيرازي للروزدري ، الناشر : مؤسسة آل البيت ( عليهم السلام ) لإحياء التراث - قم المشرفة ، تح : مؤسسة آل البيت ( عليهم السلام ) لإحياء التراث ، المطبعة : مهر - قم ، ط : ١ ، ت : ١٤٠٩ هـ .

تنقيح المقال في علم الرجال ، عبد الله المامقاني ، تح : محي الدين المامقاني ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١ ، ت : ١٥٤٢٣ هـ .

الجهد الأصولي ، بلاسم عزيز شبيب ، الناشر : العتبة العلوية المقدسة ، ط ١ ، ت : ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

جهود الشيخ المفيد ومصادر استنباطه ، صاحب محمد حسين نصار ، طبع ونشر : مركز العلوم والثقافة - قم ، ط ٢ ، ت : ١٩٩٢ م .

- دور العلامة الحلبي في تطوير الدراسات الفقهية المقارنة ، د . صاحب محمد حسين نصّار ، مقال منشور في مجلة الولاية العدد ٨٠ ت : ٢٠١٥ م – ١٤٣٤ هـ .
- الذريعة ، الطهراني ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١ ، ت : ١٤٢١ هـ .
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، محمد تقي المجلسي ، المطبعة : العلمية – قم ، ط ١ ، ت : ١٣٩٨ هـ .
- سفينة البحار ومدينة الحكمة والأسفار ، عباس القمي ، طبع ونشر : مجمع البحوث الإسلامية – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٧ هـ .
- شرائع الإسلام ، المحقق الحلبي ، تح : عبد الحسين البقال ، دار زنكن – قم ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٧ هـ .
- شعراء الغري ( النجفيات ) ، علي الخاقاني ، المطبعة الحيدرية – العراق ، ط ١ ، ت : ١٩٥٤ م .
- الشيخ محمد رضا المظفر ، الشيخ عبد النبي عبد المجيد النشابية ، بحث منشور في منشورات النشابية ( قبسات من هنا وهناك رقم ٢٧٣ ) .
- الفهرست ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح : محمد صادق بحر العلوم ، منشورات الشريف الرضي ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٦ هـ .
- المحقق الحلبي ، المطبعة : أمير المؤمنين – قم ، بلا ط ، ت : ١٣٦٤ ش .
- مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، محمد مهدي الآصفي ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، ط ١ ، ت : ١٩٦٣ م .
- معارج الأصول ، المحقق الحلبي ، تح : محمد حسين الرضوي ، المطبعة : سيد الشهداء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٣ هـ .
- موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الكفيل للطباعة والنشر – كربلاء المقدسة ، ط ١ ، ت : ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م .

النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب ، الشيخ حسين الطبرسي النوري، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق : السيد ياسين الموسوي ، الناشر : انتشارات لساق الصدق - قم المقدسة ، المطبعة : وفا ، ط : ١ ، ت : ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ ش نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد ، مارتن مكدرموت ، تعريب : علي هاشم، المراجعة : محمود البستاني ، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية - مشهد ، ط : ١ ، ت : ١٤١٣ هـ - ١٣٧١ ش .

نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي ، حيدر حب الله ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١ ، ت : ٢٠٠٦ م .

هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي ، المطبعة : شريعت - قم ، ط : ١ ، ت : ١٣٨٤ ش - ١٤٢٦ هـ .

الهوامش:

- (١) ينظر : جهود الشيخ المفيد الفقهية ومصادر استنباطه ، صاحب محمد حسين نصّار ، بلاط ، بلاط : ٢٩ .
- (٢) ينظر : تنقيح المقال في علم الرجال ، عبد الله المامقاني ، تح : محي الدين المامقاني ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط : ١ ، ت : ١٥٤٢٣ هـ : ٣ / ١٣٧ .
- (٣) ينظر : لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط : ١ ، ت : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م : ٥ / ٣٦٨ .
- (٤) ينظر : التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، تح : فارس حسون ، الناشر : دار الغدير ، ط : ١ ، ت : ١ ، ت : ١٤٢٤ هـ : ٣ .
- (٥) ينظر : الفهرست ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح : محمد صادق بحر العلوم ، منشورات الشريف الرضي ، ط : ٢ ، ت : ١٤٢٦ هـ : ١٨٦ - ١٨٧ .
- (٦) ينظر : نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد ، مارتن مكدرموت ، تعريب : علي هاشم، المراجعة : محمود البستاني ، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية - مشهد ، ط : ١ ، ت : ١٤١٣ هـ - ١٣٧١ ش : ٤٩١ - ٤٩٣ .
- (٧) ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي : ٤٩ - ٥٠ .

- (٨) ينظر: الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، حسن عيسى الحكيم، المطبعة: الآداب – النجف الأشرف، ط ١، ت: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م: ١٤٥ – ١٤٩.
- (٩) ينظر: مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت / حياة الشيخ الطوسي، المطبعة: ستاره – قم، بلاط، ت: ١٤١٨ هـ: ٣٩ / ٥٢.
- (١٠) من رسالة السيد الخوئي (قدس سره) إلى المؤتمر الألفي الذي عقد في مشهد المقدسة سنة ١٣٨٥ هـ، بمناسبة الذكرى الألفية لولادة الشيخ الطوسي (قدس سره)، والرسالة مطبوعة في بداية الجزء الثاني من أعمال المؤتمر.
- (١١) ينظر: دور العلامة الحلي في تطوير الدراسات الفقهية المقارنة، د. صاحب محمد حسين نصّار، مقال منشور في مجلة الولاية العدد ٨٠ ت: ٢٠١٥ م – ١٤٣٤ هـ.
- (١٢) ينظر: الجهد الأصولي، بلاسم عزيز شبيب، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ت: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م: ٢٩ وما بعدها.
- (١٣) سفينة البحار ومدينة الحكمة والأسفار، عباس القمي، طبع ونشر: مجمع البحوث الإسلامية – قم، ط ١، ت: ١٤٢٧ هـ: ٢ / ٢٧٣.
- (١٤) ينظر: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، المطبعة: العلمية – قم، ط ١، ت: ١٣٩٨ هـ: ٩ / ٣٠.
- (١٥) النور / ٦١.
- (١٦) ينظر: جهود الشيخ المفيد الفقهية ومصادر استنباطه، صاحب محمد حسين نصّار، بلاط، بلا ت: ٢٩.
- (١٧) ينظر: الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن، حسن عيسى الحكيم، المطبعة: الآداب – النجف الأشرف، ط ١، ت: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م: ١٤٥ – ١٤٩.
- (١٨) ينظر: الجهد الأصولي، بلاسم عزيز شبيب، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ت: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م: ٢٩ وما بعدها.
- (١٩) ينظر: الشيخ محمد رضا المظفر، الشيخ عبد النبي عبد المجيد النشابة، بحث منشور في منشورات النشابة (قبسات من هنا وهناك رقم ٢٧٣).
- (٢٠) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، دار القلم – بيروت، ط ١، ت: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م: ١ / ١٥٦.

## أهم المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم خير ما نبتدئ به .
٢. التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، محمد بن علي بن عثمان الكراجكي ،  
تح : فارس حسون ، الناشر : دار الغدير ، ط ١ ، ت : ط ١ ، ت : ١٤٢٤ هـ .
٣. تقريرات آية الله المجدد الشيرازي ، تقرير بحث المجدد الشيرازي للروزدري ، الناشر :  
مؤسسة آل البيت ( عليهم السلام ) لإحياء التراث – قم المشرفة ، تح : مؤسسة آل  
البيت ( عليهم السلام ) لإحياء التراث ، المطبعة : مهر – قم ، ط : ١ ، ت : ١٤٠٩ هـ .
٤. تنقيح المقال في علم الرجال ، عبد الله المامقاني ، تح : محي الدين المامقاني ، طبع  
ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١ ، ت : ١٥٤٢٣ هـ .
٥. الجهد الأصولي ، بلاسم عزيز شبيب ، الناشر : العتبة العلوية المقدسة ، ط ١ ، ت  
: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
٦. جهود الشيخ المفيد ومصادر استنباطه ، صاحب محمد حسين نصار ، طبع ونشر:  
مركز العلوم والثقافة – قم ، ط ٢ ، ت : ١٩٩٢ م .
٧. دور العلامة الحلي في تطوير الدراسات الفقهية المقارنة ، د . صاحب محمد حسين  
نصار ، مقال منشور في مجلة الولاية العدد ٨٠ ت : ٢٠١٥ م - ١٤٣٤ هـ .
٨. الذريعة ، الطهراني ، طبع ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١ ، ت :  
١٤٢١ هـ .
٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، محمد تقي المجلسي ، المطبعة : العلمية -  
قم ، ط ١ ، ت : ١٣٩٨ هـ .
١٠. سفينة البحار ومدينة الحكمة والأسفار ، عباس القمي ، طبع ونشر : مجمع البحوث  
الإسلامية - قم ، ط ١ ، ت : ١٤٢٧ هـ .
١١. شرائع الإسلام ، المحقق الحلي ، تح : عبد الحسين البقال ، دار زكنن - قم ، ط  
٢ ، ت : ١٤٢٧ هـ .

١٢. شعراء الغري ( النجفيات ) ، علي الخاقاني ، المطبعة الحيدرية – العراق ، ط ١ ، ت : ١٩٥٤ م .
١٣. الشيخ محمد رضا المظفر ، الشيخ عبد النبي عبد المجيد النشابة ، بحث منشور في منشورات النشابة ( قبسات من هنا وهناك رقم ٢٧٣ ) .
١٤. الفهرست ، محمد بن الحسن الطوسي ، تح : محمد صادق بحر العلوم ، منشورات الشريف الرضي ، ط ٢ ، ت : ١٤٢٦ هـ .
١٥. المحقق الحلبي ، المطبعة : أمير المؤمنين – قم ، بلا ط ، ت : ١٣٦٤ ش .
١٦. مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، محمد مهدي الآصفي ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، ط ١ ، ت : ١٩٦٣ م .
١٧. معارج الأصول ، المحقق الحلبي ، تح : محمد حسين الرضوي ، المطبعة : سيد الشهداء – قم ، ط ١ ، ت : ١٤٠٣ هـ .
١٨. موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الكفيل للطباعة والنشر – كربلاء المقدسة ، ط ١ ، ت : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م .
١٩. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب ، الشيخ حسين الطبرسي النوري ، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق : السيد ياسين الموسوي ، الناشر : انتشارات لساق الصدق – قم المقدسة ، المطبعة : وفا ، ط : ١ ، ت : ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ ش
٢٠. نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد ، مارتن مكدرموت ، تعريب : علي هاشم ، المراجعة : محمود البستاني ، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية – مشهد ، ط ١ ، ت : ١٤١٣ هـ - ١٣٧١ ش .
٢١. نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي ، حيدر حب الله ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١ ، ت : ٢٠٠٦ م .
٢٢. هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي ، المطبعة : شريعت – قم ، ط ١ ، ت : ١٣٨٤ ش - ١٤٢٦ هـ .

## جهود العلامة الحلي+ في التقريب بين المذاهب الإسلامية

### اصول الفقه المقارن انموذجاً

م.د جبار محارب عبدالله الفريجي  
جامعة الكوفة/ كلية التربية الاساسية

المقدمة:

إنّ العلاقة بين علماء الشيعة والسنة كانت وطيدة وراسخة عبر القرون، ولم تمنع الاختلافات الفكرية على مستوى الاصول والفروع بينهم من حصول الزمالة والتلمذ والتواصل العلمي في مجالات العلم والفكر والأدب، ويعود السبب في ذلك الى وجود مشتركات كثيرة بينهم، فكان العمل على ضوئها موجباً لنشر الثقافة الاسلامية وإرساء دعائمها.

ويحدثنا التأريخ عن تبادل الحديث والبحث والتحقيق بينهم وتلمذ لفيف من علماء السنة لدى الشيعة وبالعكس في شتى مجالات المعارف والعلوم الاسلامية، الأمر الذي كان عاملاً من عوامل التقريب بين المذاهب الاسلامية.

ومن العلوم التي كان التواصل بين علماء الشيعة والسنة فيها، والتي كان لها أثرها في التقريب بين المذاهب الاسلامية، هو اصول الفقه المقارن، وكان من رواد هذا الحقل المعرفي هو العلامة الحلي+، ت: ٧٢٦هـ، فكان من فرسان هذا الميدان، وترك لنا كتابات مهمة في هذا المجال، فضلاً عن جهوده الاخرى في مجال المناظرة والرسائل والتلمذة.

وفي هذا البحث سوف نسلط الاضواء على جهود العلامة الحلي+ في التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال بوابة من بوابات التقريب وهو اصول الفقه المقارن.

وقد انتظم البحث في هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

الأول: تحديد موضوع البحث، وقد اشتمل على مطلبين، احدهما في بيان المراد من اصول الفقه المقارن، ومنهج البحث فيه، وموضوعه، والثاني في المراد من التقريب بين المذاهب الاسلامي.

المبحث الثاني: في سيرة العلامة الحلي+.

المبحث الثالث: جهوده في التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال التواصل المعرفي في مجال اصول الفقه المقارن.

المبحث الأول: تحديد موضوع البحث.

والحديث في هذا المبحث يقع تارة بلحاظ تحديد بعض المفردات، وبيان موضوع اصول الفقه المقارن والغاية منه، واخرى بلحاظ توضيح فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية، وأثر علم اصول الفقه المقارن فيها، على هذا الاساس فاستيفاء الحديث عن ذلك يقع في مطلبين: المطلب الأول: في تحديد اصول الفقه المقارن.

ينبغي علينا أن نحدد مدلول مفردات هذا التركيب الاضافي (أصول، الفقه، المقارن) ليسهل الانطلاق من هذا التحديد إلى التماس تعريفه تعريفاً مستوفياً للشرائط المنطقية من حيث كونه جامعاً مانعاً.

١- تعريف كلمة الاصول لغة واصطلاحاً:

الاصل لغة: الأصول جمع (أصل)، والأصل في اللغة: أسفل الشيء، واساس الحائط اصله، واستأصل الشيء: ثبت اصله وقوي ثم كثر، حتى قيل: اصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالأصل اصل للولد، والنهر اصل للجدول<sup>(١)</sup>.

والأصل في عرف العلماء ولا سيما الأصوليين منهم والفُقهاء يُستعمل في عدة معانٍ، منها: (أ) الاصل بمعنى الراجح، كقولهم: الأصل في الكلام الحقيقة، أي حينما يتردد الأمر بين حمل الكلام على الحقيقة وحمله على المجاز، فالحمل على الحقيقة هو الراجح. (ب) الاصل بمعنى ما يتفرع عليه غيره، كقولهم: حكم الخمر أصل لحكم النبيذ، أي أن حكم النبيذ من حيث حرمة شربه أو نجاسته - بناءً على القول بهما - مُستفاد من حكم الخمر ومتفرع عليه.

(ج) الاصل بمعنى القاعدة الكلية، كما فيما يُقال في علم النحو مثلاً: الأصل في الفاعل أن يكون مرفوعاً؛ أي القاعدة العامة في إعرابه أن يكون كذلك.

(د) الاصل بمعنى الدليل، كقولهم: الأصل في هذه المسألة هو الإجماع، أي الكاشف عن حكم هذه المسألة والمرشد إليه والدال عليه هو الإجماع.

(هـ) ما يثبت وظيفة عملية عند الجهل بالحكم، كالبراءة والاستصحاب، فيقال: الأصل براءة الذمة من التكليف ما لم يدل عليه دليل، ويقال: الأصل استصحاب حياة الغائب ما لم تثبت وفاته<sup>(٢)</sup>.

ولدى التأمل في هذه المعاني يمكن أن يقال إنها بأجمعها مصاديق لمفهوم واحد، وهو: (ما يبتني عليه غيره ويرتكز)، فالمجاز يبتني على الحقيقة، وحكم النيذ يقاس ويرتكز على حكم الخمر، وحكم المسألة المعنية يبتني على الإجماع، وهكذا في جميع المعاني التي تُذكر للأصل تحت عنوان معانٍ اصطلاحية مغايرة للمعنى اللغوي، فهي لا تخرج عن إطار المعنى اللغوي لكلمة (اصل).

وأما بناءً على القول بتعدد هذه المعاني فالأنسب منها لعلم الأصول هو المعنى الثالث (القاعدة)؛ لأن علم الأصول هو مجموعة قواعد يبتني عليها استنباط الأحكام الشرعية، فتسمية هذا العلم باصول الفقه نشأت من المعنى اللغوي.

٢- تعريف كلمة الفقه لغة واصطلاحاً:

الفقه لغة: وهو بكسر الفاء: العلم بالشيء، والفهم له، والفتنة<sup>(٣)</sup>، والفقه: فهم الشيء، وكل علم فهو فقه، والفقه على لسان حملة الشرع: علم خاص<sup>(٤)</sup>.

الفقه اصطلاحاً: «العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية»<sup>(٥)</sup>، وتوسع بعضهم في تعريفه بأنه <مجموع الاحكام الشرعية الفرعية الكلية أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع، أو العقل عند عدمها><sup>(٦)</sup>.

٣- الفقه المقارن: يطلق الفقه المقارن على <جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض><sup>(٧)</sup>.

ومن خلال عرض هذه المفردات يتضح تعريف (اصول الفقه المقارن)، فهو القواعد التي يرتكز عليها قياس استنباط الفقهاء للأحكام الشرعية الفرعية الكلية، أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع أو العقل عند اليأس من تحصيلها من حيث الموازنة

والتقييم<sup>(٨)</sup>، أو <هو القواعد التي تقع في طريق استنباط الأحكام الشرعية الفرعية الكلية أو الوظيفة العملية من حيث المقارنة بين الآراء المذهبية المختلفة مع ترجيح أقربها الى الحجية وأقواها دليلاً على غيره><sup>(٩)</sup>.  
الغاية من أصول الفقه المقارن:

إن الغاية من أصول الفقه المقارن هي الفصل بين آراء المجتهدين بتقديم أمثلها وأقربها إلى الدليلية، وربما كانت رتبة الاصولي المقارن متأخرة عن رتبة الباحث في الاصول، لأن الفصل بين الآراء لا يكون إلا بعد تحصيل القدرة على معرفة الامثل من الادلة، وهي لا تكون إلا للمجتهدين عادة في الاصول<sup>(١٠)</sup>.

موضوع أصول الفقه المقارن:

هو كل ما يصلح للدليلية من أدلته، وحصره إنما يكون بالاستقراء والتتبع، ولا معنى لتخصيصه بالادلة الاربعة لا بما هي أدلة كما ذهب إلى ذلك المحقق القمي، ولا بما هي هي كما ذهب إليه صاحب الفصول، ليرد عليهما خروج كثير من المباحث الاصولية، أمثال الاستصحاب والقياس وخبر الواحد، لبدها أنها ليست من الكتاب أو السنة أو الاجماع، أو دليل العقل وإن كانت أدلة حجيتها مما ترجع إليها<sup>(١١)</sup>.

الفارق بينه وبين أصول الفقه:

على الرغم من أن طبيعة مسائل العلمين متحدة كما يدل على ذلك تقارب تعريفيهما إلا أن هناك فوارق بينه وبين أصول الفقه، وهي:

١- منهج البحث، فإن البحث لا يكون مقارناً فيما إذا كان المعتمد هو آراء مذهب خاص في البحث والتدوين، أما إذا لم يعتمد مذهب محدد بل يضمّن مجمل المذاهب في البحث والدراسة فيكون مقارناً.

وبعبارة اخرى: إن مهمة الاصولي أن يلتمس ما يصلح أن يكون قاعدة لقياس الاستنباط، ثم يلتمس البراهين عليها، أما مهمة القارن في الاصول فهي أن يضم إلى ذلك استعراض آراء الآخرين، ويوازن بينها على أساس من القرب من الادلة والبعد عنها.

٢- غاية البحث، فإنّ الغاية من علم الاصول تحصيل القدرة على استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، أمّا غاية علم الاصول المقارن فهي الفصل بين آراء المجتهدين بتقديم أمثلها وأقربها إلى الدليلية<sup>(١٢)</sup>.

المطلب الثاني: التقريب بين المذاهب الاسلامية.

إنّ فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية من المكونات الأساسية لأي مشروع إصلاحى ينشد التجديد الحضاري، والتمسك بالمصالح العليا والقيم والمقاصد العامة للشرعية والأمة الإسلامية، وينبغي أن لا يفهم من التقريب أو الوحدة الإسلامية هو جمع المسلمين تحت مذهب واحد، بل غاية الأمر هو تحديد الاصول الاسلامية المتفق عليها من جميع المذاهب، بغية التقريب بينها، واحترام كل فريق رأي الفريق الآخر في المسائل الفرعية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن يكون هذا الرأي مشفوعاً بالدليل العلمي.

إنّ سلوك منهج المقارنة في البحث يؤدي دون شكّ الى تحديد موارد الاختلاف والاشترك، ويكشف في نفس الوقت عن الوفاق الفكري الاسلامي والمبادئ المشتركة، ومن الواضح أن دراسة الرؤى المختلفة يصير سبباً لحسن التفاهم والتقارب.

وعليه فليس المقصود من التقريب أن يتحول السني الى شيوعي أو بالعكس، وإنما يعني التقريب إزالة التشنج الناتج عن الخلافات التاريخية والعقائدية والفقهية أولاً، وعرض المسائل العلمية الخلافية على بساط البحث العلمي الموضوعي النزيه ثانياً، والبحث عن المفاهيم والتصورات والأحكام والقواعد والأصول الفقهية والأحاديث المشتركة، لكي تكون قاعدة لالتقاء المسلمين على ارضية واحدة ثالثاً، والسعي الجاد لتوحيد الموقف السياسي من القضايا الإسلامية الأساسية رابعاً.

وقد نقل لنا التاريخ أن علماء الشيعة لهم جهود مهمة لها اثرها البارز في زرع وتنمية بذرة الفكر التقريبي بين المذاهب الاسلامية، حيث كان ولا يزال لعلماء الشيعة دور كبير في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية.

ولما كان الموضوع على هذا المستوى من الأهمية، لذا يأتي هذا البحث في إطار محاولة متواضعة من اجل تسليط بعض الأضواء على أبرز الجهود التي اضطلع بها العلامة

الحلي+، حيث كانت له خطوات بارزة ومهمة في إطار التقريب بين المذاهب الإسلامية، خدمة للدين الإسلامي الحنيف وصوناً لعزة المسلمين.

أثر اصول الفقه المقارن في التقريب بين المذاهب الإسلامية.

يعتبر الاختلاف في مسائل وقواعد اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، والاختلاف في اصول الفقه يقع بين المجتهدين في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في تكوين النظريات العامة والقواعد المشتركة للتفكير الفقهي، وبعبارة اخرى: الخلاف في الاصول والمباني العامة المعتمدة في الاستنباط الاجتهادي، كالخلاف في حجّة القياس أو العقل أو الاستصحاب.

المرحلة الثانية: في مجال تطبيق تلك القواعد والنظريات العامة على صغرياتها ومواردها الخاصة، وبعبارة اخرى: الخلاف في تعيين مصاديق تلك الكبريات وموارد انطباقها.

والمهم هو المرحلة الاولى، فهي التي ترتبط بمحلّ بحثنا، ومنشأ الاختلاف فيها إنّما هو من جهة الاختلاف في نتائج الأفكار التي تستعمل في تكوين تلك القواعد والنظريات العامة، وتحديدتها في الحدود المسموح بها وفقاً لشروطها العامة؛ فإنّ نتيجة التفكير حول حجّة النصوص التشريعية تختلف بطبيعة الحال سعة وضيقاً؛ كماً وكيفاً، تبعاً لاختلاف شروطها العامة.

وكذلك حول استفادة مداليل تلك النصوص على أساس المناسبات العرفية الارتكازية، ومطابقة تلك المداليل للواقع الموضوعي، ومستوى تلك القواعد ومداهما دقةً وشمولاً. ثمّ إنّ ذلك الاختلاف الموجود في نتائج الافكار بين المجتهدين في تحديد تلك القواعد والنظريات العامة في الأصول على صعيد البحث النظري يرجع في نهاية المطاف إلى إحدى النقاط التالية:

الأولى: الموقف النفسي لكلّ مجتهد إزاء تحديد تلك القواعد والنظريات العامة وتكوينها وفقاً لشروطها؛ فإنّه قد يؤثر في موقفه الواقعي أمام هذه القواعد والنظريات، ويغيره عن وجهه الواقعي.

الثانية: المقدرة الفكرية الذاتية؛ فإن لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة الفكرية أثراً كثيراً، لاختلافهم في تحديد تلك القواعد والنظريات العامة وتكوينها بصيغة أكثر دقة وعمقاً.

الثالثة: المقدرة العلمية بصورة مسبقة؛ فإن لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة العلمية أثراً بارزاً في كيفية تكوين تلك القواعد والنظريات العامة؛ تبعاً لشروطها.

الرابعة: غفلة المجتهد خلال دراسة تلك القواعد، وممارستها عما يفرض دخله في تكوينها، أو عدم استيعابه تمام ما يفرض دخله فيه؛ فإن ذلك يغير وجه تلك القواعد سعة وضيقاً عن واقعها.

الخامسة: اختلاف الظروف والبيئة التي يعيش المجتهد فيها مدة من عمره؛ فإنه قد يؤثر في سلوكه العملي تجاه تكوين تلك القواعد، وتحديدتها في إطار إسلامي.

السادسة: خطأ المجتهدين في الفهم والنظر؛ حيث إنه يغير وجه تكوين تلك القواعد، والنظريات العامة عن واقعها الموضوعي كما وكيفاً<sup>(١٣)</sup>.

وقد تقدم أن الغاية من أصول الفقه المقارن هي الفصل بين آراء المجتهدين بتقديم أمثلها وأقربها إلى الدليلية، بمعنى تشخيص الأدلة والقواعد العامة التي يعتمد عليها الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي، ومن الواضح أهمية هذه العملية في تقريب وجهات النظر فيما يرتبط بتشخيص الحكم الشرعي، فإن تقليل الخلاف في تلك الأدلة والقواعد يوجب تقليص دائرة الخلاف في الأحكام الشرعية، وهذا أمر مهم في مجال التقريب بين المذاهب الإسلامية.

المبحث الثاني: نبذة من حياة العلامة الحلبي +.

اسمه ونسبه:

قال العلامة+ في ذكر اسمه ونسبه: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر بالميم المضمومة والطاء غير المعجمة والهاء المشددة والراء أبو منصور الحلبي مولداً ومسكناً<sup>(١٤)</sup>، فاسمه: الحسن، كما ذكره هو بنفسه، واتفق عليه أكثر المؤرخين.

لكن بعض مؤرخي العامة ذكر أن اسمه الحسين، كالصفدي<sup>(١٥)</sup>، وابن حجر<sup>(١٦)</sup>، وهو خطأ واضح، لمخالفته لما ذكره هو بنفسه في الخلاصة وجميع كتبه الموجودة الآن بخطه أو خط تلاميذه، ولمخالفته لأكثر المؤرخين ومن ذكر اسمه، سواء في الاجازات أم غيرها. كنيته: أبو منصور، كما كناه بها والده<sup>(١٧)</sup>، وذكرها هو في خلاصته، وهي الكنية التي اقتصت بذكرها المصادر الشيعية، وله كنية أخرى ذكرها له العامة وهي: ابن المطهر، نسبة إلى جده الأعلى.

لقبه: آية الله على الإطلاق، وهو اللقب المذكور في المصادر الشيعية، وجمال الدين وهو اللقب المذكور في مصادر الفريقين، والعلامة على الإطلاق أو علامة الدهر، والامام، والفاضل.

هذا إلا أن الصفدي وهكذا ابن حجر وغيرهم وصفوه بالمعتزلي<sup>(١٨)</sup>، وقال السيد محسن الامين+ في التعليق على ذلك: <هذا مبني على موافقة المعتزلة الشيعة في بعض الأصول المعروفة، كما وقع لكثيرين في كثيرين، وإلا فأين الشيعي من المعتزلي><sup>(١٩)</sup>. والحلة التي ينتمي إليها العلامة، وفيها مولده، ومسكنه حلة بني مزيد، وهي الحلة السيفية، قال ياقوت الحموي، ت: ٦٢٦هـ: <مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسدس وعرضها اثنان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وربيع، وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي<sup>(٢٠)</sup>، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلما قوي أمره واشتد إزره وكثرت أمواله انتقل إلى الجامعين موضع في غربي الفرات ليعبد عن الطالب، وذلك في محرم سنة ٤٩٥هـ، وكانت اجمة تأوي إليها السباع، فنزل بها بأهله وعساكره، وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وتأنق أصحابه في مثل ذلك، فصارت ملجأ، وقد قصدتها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها، فهي اليوم قصبة تلك الكورة، وللشعراء فيها أشعار كثيرة><sup>(٢١)</sup>.

واشتبه الأمر على ابن كثير في البداية<sup>(٢٢)</sup>، حيث قال: ابن المطهر الحلبي، فنسبته له إلى حلب خطأ واضح، لا يحتاج إلى بيان. مولده ونشأته:

اتفقت المصدر على أن ولادته في شهر رمضان عام ٦٤٨هـ، وما ذكره السيد الامين+ في الأعيان نقلاً عن خلاصة العلامة من أنه ولد سنة ٦٤٧هـ<sup>(٢٣)</sup>، فهو خطأ بين، لمخالفته للمصادر كافة، ولجميع نسخ الخلاصة التي نقل عنها الأصحاب، فما ذكره+ إما سهو من قلمه الشريف، أو خطأ مطبعي، أو خطأ أو تصحيف في نسخة الخلاصة التي نقل عنها.

واختلفت المصادر في تحديد يوم ولادته على أقوال: فقيل ولد في يوم ١٩ شهر رمضان، كما في نسخة الخلاصة المطبوعة، قال العلامة+: <المولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمئة، ونسأل الله تعالى خاتمة الخير بمنه وكرمه><sup>(٢٤)</sup>، وكذا في نسخة الخلاصة الموجودة في مكتبة السيد حسن الصدر+، كما نقل عنها في تأسيس الشيعة<sup>(٢٥)</sup>، وكذا في نسخة الخلاصة التي اعتمد عليها الشيخ البحراني في اللؤلؤة<sup>(٢٦)</sup>.

وقيل إن ولادته يوم ٢٩ شهر رمضان، كما في نسخة الخلاصة التي اعتمد عليها الحر العاملي+<sup>(٢٧)</sup>، والمولى عبدالله الافندي+<sup>(٢٨)</sup>، والخوانساري+<sup>(٢٩)</sup>، والمامقاني+<sup>(٣٠)</sup>. وقيل ٢٧ شهر رمضان، وهو ما اختاره الشيخ الطهراني في الذريعة<sup>(٣١)</sup>، وابن كثير في البداية<sup>(٣٢)</sup>.

وقيل في ٢٤ شهر رمضان، كما نقله العلامة عبدالله الافندي+، ت: ١١٣٠هـ، عن الشهيد الثاني+، ت: ٩٦٥هـ، في بعض تعليقاته، قال: إنه وجد بخط الشهيد أنه نقل من خط العلامة هذه العبارة: وجدت بخط والدي رحمه الله ما صورته: <ولد الولد البار أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر ليلة الجمعة في الثلث الأخير من الليل رابع عشري<sup>(٣٣)</sup> رمضان من سنة ثمان وأربعين وستمئة><sup>(٣٤)</sup>.

وعلى أي حال فقد نشأ العلامة+ بين أبوين صالحين رؤوفين، فتربى في حضن المرأة الصالحة بنت الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي+، وتحت

رعاية والده الإمام الفقيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر+، وشارك في تربيته مشاركة فعالة خاله المعظم المحقق الحلبي+، ت: ٦٧٦هـ، فكان له بمنزلة الأب الشفيق من كثرة رعايته له والاهتمام به.

فكانت ولادته في محيط علمي مملوء بالتقوى وصفاء القلب، وبين أسرتين علميتين من ابرز أسر الحلة علماً وتقوى وإيماناً، ألا وهما: أسرة بني المطهر، وأسرة بني سعيد، فحظى المولود الميمون برعاية خاصة من قبل الأسرتين، لما شاهدوا استعداده الكبير لتحصيل العلم والتقوى، وذهنه الوقادة، حتى احضروا له معلماً خاصاً، ليعلمه القرآن والكتابة.

أسرته: أمّا من قبل أبيه فهي آل المطهر، أسرة عربية من بني أسد، أكثر القبائل العربية في الحلة عدة وعدداً، وفيهم الامارة ولهم السيادة، وقد نبغ من هذه القبيلة رجال لهم شأن في مجالات الحياة العلمية والعملية، وحسبك أن منهم الامراء المزيدين، وهم مؤسسو الحلة الفيحاء على انقاض بابل مهد الحضارات ذات الشأن في تاريخ الانسان، كما أن منهم الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، الذي لمع نجمه في أوائل القرن السابع فتولى عدّة مناصب، آخرها استادية الدار، وبعدها تولى الوزارة في سنة ٦٤٣هـ، فكان آخر الوزراء لآخر الخلفاء العباسيين، إلى غير هؤلاء من الامراء والعلماء وذوي النباهة والشأن<sup>(٣٥)</sup>.

وأما من قبل أمه فأسرته هي بني سعيد، أسرة عربية أيضاً، ترجع إلى هذيل في انتسابها، حازت من المفاخر أكثر مما حازته أسر أخرى علمية، لقوة نفوذها الروحي ومكانتها في عالم التأليف والتدريس<sup>(٣٦)</sup>.

فأبوه هو: سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، وقد صفه ابن داود: بأنه كان فقيهاً محققاً مدرساً عظيم الشأن<sup>(٣٧)</sup>، ووصفه الشهيد الأول+، ت: ٧٨٦هـ، في إجازته لابن الخازن بـ(الإمام السيد الحجّة)<sup>(٣٨)</sup>، ووصفه الشهيد+ أيضاً في إجازته لابن الخازن<sup>(٣٩)</sup>، كما في التحفة بـ(الإمام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين السعيد الفقيه)<sup>(٤٠)</sup>،

ووصفه المحقق الكركي+، في إجازته للشيخ علي الميسي+ بـ الشيخ الأجل الفقيه السعيد شيخ الاسلام>(٤١).

ويكفيه فخراً وعزاً وشرفاً كونه أعلم أهل زمانه بعلم الكلام وعلم أصول الفقه، كما اعترف به المحقق الحلبي+، ت: ٦٧٦هـ، حيث قال ولده العلامة أبو منصور في إجازته لبني زهره: إنَّ الشيخ الأعظم خواجه نصير الدين الطوسي+، ت: ٦٧٢هـ، لما جاء إلى العراق حضر الحلة، فاجتمع عنده فقهاء الحلة، فأشار إلى الفقيه نحم الدين جعفر بن سعيد وقال: مَنْ أعلم هؤلاء الجماعة؟، فقال له: كلَّهم فاضلون علماء، إنَّ كان واحد منهم مبرزاً في فنِّ كان الآخر مبرزاً في فنِّ آخر، فقال: مَنْ أعلمهم بالأصولين؟، فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه(٤٢).

وبفضل هذا الشيخ المعظم وتديره نجا أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل والنهب والسبي، وذلك حين غزا التتار العراق وعملوا ما عملوا، قال ولده أبو منصور+ في كشف اليقين: لما وصل السلطان هولوكو إلى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح لا القليل، فكان من جملة القليل والدي ﷺ، والسيد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العز، فاجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت إيالته، وأنفذوا به شخصاً أعجمياً، فأنفذ السلطان إليه فرماناً مع شخصين، أحدهما يقال له فلكة والآخر يقال له علاء الدين، وقال لهما: قولاً لهم: إنَّ كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا، فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي إليه الحال، فقال والدي ﷺ: إنَّ جئت وحدي كفى؟، فقالا: نعم، فاصعد معهما، فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة، قال له: كيف قدمتم على مكاتبتني والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم؟، وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه؟، فقال والدي ﷺ: إنَّما أقدمنا على ذلك لأننا روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب× أنه قال في خطبة: الزوراء وما أدراك ما الزوراء، أرض ذات اثل، يشيد فيها البنيان وتكثر فيها السكان، ويكون فيها محاذم وخزان، يتخذها ولد

العباس موطناً، ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، يكون بها الجور الجائر والخوف المخيف والأئمة الفجرة والأمراء الفسقة والوزراء الخونة، تخدمهم أبناء فارس والروم، ولا يأترون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، يكتفي الرجال منهم بالرجال، والنساء منهم بالنساء، فعند ذلك الغم العميم والبكاء الطويل والويل والعيول لأهل الزوراء من سطوات الترك، وهم قوم صغار الحدق، وجوههم كالمجان المطوقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم، جهوري الصوت، قوي الصولة، عالي الهمة، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع عليه راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر.

فلما وصف لنا ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك، فطيب قلوبهم وكتب لهم فرماناً باسم والدي ﷺ يطيب قلوب أهل الحلة وأعمالها<sup>(٤٣)</sup>.

ولا ينبغي أن يفهم أن إقدام والد العلامة+ على مثل هذه المحاولة أنه بصدد مساومة الفاتح الأجنبي، ومساعدته على تسليط الكافر على المؤمن، كما يتصوره البعض، فإن هذا العالم الجليل الورع يعرف أن الكافر لا سبيل له على المؤمن، لكن لما شهد أن الخليفة العباسي آنذاك منهمك في لهوه ولعبه لم يفكر في مصير نفسه فضلاً عن غيره، فهو على علم بعدم وجود القدرة الكافية لمواجهة الغزو المغولي، وكان يعلم أن المغول التتار إذا دخلوا بلدة فيصنعون بها من الدمار والهلاك والسبي والتعدي على الناموس ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولذا صمم هو ومن معه كخطوة أولى للحفاظ على المشهدين الشريفين والحلة وأعمالها، فذهب الشيخ سديد الدين إلى هولاءكو ونجح هذا النجاح الباهر في إتمام هذه الخطوة الأولى، والحصول على الأمان لأهل هذه المناطق.

وكخطوة ثانية أَلَّف السيد مجد الدين محمد بن طاووس+، ت:هـ، كتاب البشارة وأهداه إلى هولاءكو، فأنتجت هذه الخطوة أن ردّ هولاءكو شؤون النقابة في البلاد الفراتية إلى السيد ابن طاووس، وأمر هولاءكو بسلامة المشهدين والحلة.

وكخطوة ثالثة وهي مرحلة الاصلاح حاولوا اصلاح هذا المعتدي وردعه عن ارتكاب الجرائم، وهدايته هو ومن معه إلى الصراط المستقيم، من باب الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وأثمرت هذه الخطوة ببركة الخواجة نصير الدين الطوسي+، ت: ٦٧٢هـ، أن أسلم الملك هولاءكو وكثير من المغول، واستطاع نصير الدين الطوسي+ الحفاظ على ما تبقى من التراث بعد هلاك جلّه، وصار نصير الدين الطوسي وزير هذا السلطان، وقام بمهام كبيرة في خدمة العلم والعلماء، والحفاظ على النفوس والدماء.

وأمه هي: بنت العالم الفقيه الشيخ أبي يحيى الحسن ابن الشيخ أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي، وهي أيضاً أخت الشيخ أبي القاسم جعفر المحقق الحلبي، فمن المعلوم أن امرأة كهذه تربت ونشأت في وسط جو مملوء بالتقوى، وبين علماء أفذاذ لا تكون إلا امرأة صالحة تقية حقيق لها أن تنجب مثل العلامة الحلبي.

وجده لأبيه هو: زين الدين علي بن المطهر الحلبي، وصفه الشهيد الأول+، ت: ٧٨٦هـ، في إجازته لابن الخازن: ب(الامام) <sup>(٤٤)</sup>، ومنه يظهر أنه كان من العلماء البارزين في عصره.

وجد أمه هو: أبو زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الحلبي، وصفه الحر العاملي+، ت: ١١٠٤هـ، بأنه كان عالماً محققاً <sup>(٤٥)</sup>.

وخاله هو: نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي، المعروف بالمحقق الحلبي+، ت: ٦٧٦هـ، قال العلامة+ في إجازته لبني زهرة: <وهذا الشيخ كان أفضل أهل عصره في الفقه> <sup>(٤٦)</sup>، ووصفه المحدث البحراني+، ت: ١١٠٤هـ بأنه كان محقق الفقهاء ومدقق العلماء، وحاله في الفضل والنبالة والعلم والفقه والجلالة والفصاحة والشعر والأدب والانشاء أشهر من أن يذكر وأظهر من أن يسطر <sup>(٤٧)</sup>، وقال الخوانساري+: فقد كان المحقق رحمه الله له - أي للعلامة - بمنزلة والد رحيم ومشفق كريم، وطال اختلافه إليه في تحصيل المعارف والمعالي، وتردده لديه في تعلم أفانين الشرع والأدب العوالي، وكان تتلمذه عليه في الظاهر أكثر منه على غيره من الأساتيد الكبراء <sup>(٤٨)</sup>.

والذي يظهر من الجمع بين تاريخ ولادة العلامة ٦٤٨ ووفاته ٧٢٦، وبين تاريخ وفاة المحقق ٦٧٦، أن العلامة+ كان عند وفاة المحقق+ ابن ٢٨ سنة، وأنه بقي بعده ٥٠ سنة.

وأخوه: هو رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر، قال الحر العاملي+ عند ذكره: عالم فاضل، اخو العلامة، يروي عنه ابن أخيه فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف وابن أخته السيد عميد الدين عبد المطلب، ويروي عن أبيه عن المحقق نجم الدين الحلبي<sup>(٤٩)</sup>، ووصفه المحدث البحراني+، ت: ١١٠٤هـ: بأنه فاضل جليل<sup>(٥٠)</sup>، ووصفه المولى الافندي: بالفاضل، وقال: وهو الشيخ الفقيه<sup>(٥١)</sup>، وهذا الشيخ الجليل هو صاحب كتاب العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، الذي يعدّ من مصادر بحار الأنوار.

وابنه هو: فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي، قال الحافظ الابرو الشافعي المعاصر له: إنّ العلامة لما حضر عند السلطان كان معه ولده فخر الدين، فكان شاباً عالماً كبيراً مؤهلاً حسن الأخلاق مرضي الخصال<sup>(٥٢)</sup>، ووصفه الحر العاملي+، ت: ١١٠٤هـ: بأنه كان فاضلاً محققاً فقيهاً ثقة جليلاً، يروي عن أبيه العلامة وغيره<sup>(٥٣)</sup>.

ويدلّ على شرفه وعظمته أنّ جل مؤلفات والده كتبت بالتماسه، وأنّ والده طلب منه إكمال ما وجده ناقصاً، وإصلاح ما وجده خطأً، ولهذا الشيخ ولدان هما: الشيخ ظهير الدين محمد، والشيخ يحيى، وصفهما المولى الافندي: بأنهما عالمان كاملان<sup>(٥٤)</sup>.

قرأ العلامة+ على جم غفير من جهاذة عصره في شتى العلوم من العامة والخاصة، كما روي عنهم وعن غيرهم:

فمن الخاصة:

١- والده الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، أوّل من قرأ عليه، فأخذ منه الفقه والأصول والعربية وسائر العلوم، وروى عنه الحديث.

٢- خاله الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد الحلبي، أخذ منه الكلام والفقه والأصول والعربية وسائر العلوم وروى عنه، وكان تتلمذه عليه أكثر من غيره من مشايخه.

٣- الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي، أخذ منه العقلية والرياضيات، قال العلامة+ عند روايته عنه كما في إجازته لبني زهرة: <وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام

الشرعية على مذهب الامامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق، نور الله ضريحه، قرأت عليه الهيئات الشفلا بن سينا وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه رحمه الله، ثم أدركه الموت المحتوم قدس الله روحه<sup>(٥٥)</sup>.

وذكر الحر العاملي+، ت: ١١٠٤هـ، أن العلامة+ قرأ على المحقق الطوسي+ في الكلام وغيره من العقليات، والمحقق الطوسي+ قرأ على العلامة+ في الفقه<sup>(٥٦)</sup>.

ولا ينبغي الاستغراب من مثل قراءة العلامة+ على الطوسي+ في علم، وقراءة الطوسي+ على العلامة+ في علم آخر، حيث إن ذلك كان متعارفاً في ذلك الزمان، فإن كل عالم كان يتخصص في علم يمتاز به على بقية العلماء، فهو يدرس الآخرين بما تخصص به ويدرس عند نفس تلامذته بما تخصصوا به، والشواهد على هذا المطلب كثيرة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجود الحركة العلمية الكبيرة التي كانت في زمن العلامة+، وعلى وجود الروح الصافية المتواضعة المتعطشة إلى طلب العلم عند العلماء آنذاك.

٤- ابن عم والدته الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلبي+، صاحب الجامع للشرائع.  
٥- الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني+، صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة، قرأ عليه العقليات وروى عنه الحديث.

٦- السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس الحسيني+، صاحب كتاب البشري، أخذ عنه الفقه.

٧- السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحسيني+، ت: ٦٦٤هـ، صاحب كتاب الاقبال.

قال العلامة+ عند روايته عن السيدين المتقدمين - كما في إجازته لبني زهرة -: >وهذان السيدان زاهدان عابدان ورعان، وكان رضي الدين علي<sup>عليه السلام</sup> صاحب كرامات، حكى لي بعضها، وروى لي والدي<sup>عليه السلام</sup> عنه البعض الآخر<sup>(٥٧)</sup>.

٨- السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس+، صاحب فرحة الغري، أخذ وروى عنه.

٩- الشيخ مفيد الدين محمد بن جهيم+، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <وهذا الشيخ كان فقيهاً عارفاً بالأصولين، وكان الشيخ الأعظم الخواجه نصير الدين الطوسي+ وزير السلطان هولوكو، فأنفذه إلى العراق، فحضر الحلة، فاجتمع عنده فقهاء الحلة، فأشار إلى الفقيه نجم الدين جعفر بن سعيد وقال: مَنْ أَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةَ؟> فقال له: كلهم فاضلون علماء، إن كان واحد منهم مبرزاً في فن كان الآخر مبرزاً في فنٍ آخر، فقال: مَنْ أَعْلَمَهُم بِالْأَصُولِينَ؟، فأشار إلى والذي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه> (٥٨).

١١- الشيخ بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي، صاحب كتاب كشف الغمة.

١٢- الشيخ نجيب الدين محمد بن نما الحلبي.

١٣- السيد أحمد بن يوسف العريضي+.

وأما اساتذته من العامة فنذكر منهم:

١- الشيخ نجم الدين علي بن عمر القزويني الشافعي، ت: ٦٧٥هـ، صاحب كتاب الشمسية في المنطق<sup>(٥٩)</sup>، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <كان من فضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق، وله تصانيف كثيرة، قرأتُ عليه شرح الكشف إلا ما شذَّ، وكان له خلق حسن ومناظرات جيدة، وكان من أفضل علماء الشافعية عارفاً بالحكمة> (٦٠).

٢- الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، ابن أخت قطب الدين العلامة الشيرازي، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <وهذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من أنصف الناس في البحث، كنتُ أقرأ عليه واورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمَّ يجيب تارةً، وتارةً أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة، فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه> (٦١).

٣- الشيخ جمال الدين حسين بن أياز النحوي، ت: ٦٨١هـ، تلميذ سعد الدين أحمد بن محمد المغربي البيساني الذي هو من تلامذة ابن الحاجب البغدادي، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <وهذا الشيخ كان أعلم أهل زمانه بالنحو والتصريف، له تصانيف حسنة في الأدب> (٦٢).

٤- الشيخ ابوالبركات عبدالله بن احمد النسفي الحنفي، ت: ٧١٠هـ (٦٣)، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <وهذا الشيخ كان عظيم الشأن زاهداً مصنفاً في الجدل، استخراج مسائل مشكلة، قرأت عليه بعض مصنفاته في الجدل، وله مصنفات متعددة> (٦٤).

٥- الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري، ت: ٦٦٠هـ (٦٥).

٦- الشيخ حسن بن محمد الصنعاني، صاحب كتاب التكملة والذيل والصلة لتاج اللغة وصحاح العربية.

٧- الشيخ جمال الدين محمد البلخي، روى عنه صحاحهم.

٨- السيد شمس الدين عبد الله البخاري، روى عنه صحاحهم.

٩- الشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي بن الصباغ الحنفي الكوفي، ت: ٧٢٧هـ (٦٦)، قال العلامة+ عند روايته عنه - كما في إجازته لبني زهرة -: <وهذا الشيخ كان صالحاً من فقهاء الحنفية بالكوفة> (٦٧).

تلامذته والراوون عنه:

قرأ عليه وروى عنه جمع كثير من العلماء الأفاضل نذكر منهم:

١- ولده فخر الدين محمد+، قرأ على والده في جل العلوم وروى عنه الحديث.

٢- ابن أخته السيد عميد الدين عبد المطلب الحسيني الأعرجي الحلبي+، قرأ عليه وروى عنه.

٣- ابن أخته السيد ضياء الدين عبد الله الحسيني الأعرجي الحلبي+، قرأ عليه وروى عنه. قال العلامة الطهراني+: وأجل تلاميذه- أي: العلامة- المنتهية إليه سلسلة الاجازات

هو ولده فخر المحققين محمد، وابنا أخت العلامة السيد عميد الدين والسيد ضياء الدين<sup>(٦٨)</sup>.

٤- الشيخ رضي الدين أبو الحسن علي بن أحمد المرندي، كما استظهره صاحب الرياض من الأسانيد والاجازات، وخاصة في بعض أسانيد الشهيد الثاني+، ت: ٩٦٥هـ، إلى الصحيفة الكاملة السجادية<sup>(٦٩)</sup>.

٥- الشيخ سراج الدين حسن بن محمد بن أبي المجد السرايشوني، وله إجازة من العلامة+ على ظهر القسم الأول من الخلاصة، تاريخها آخر جمادى الأولى سنة ٧١٥<sup>(٧٠)</sup>.

٦- الشيخ تاج الدين حسن بن الحسين بن الحسن السرايشوني الكاشاني، وله إجازة من العلامة<sup>(٧١)</sup>.

٧- علاء الدين أبو الحسن علي بن زهرة.

٨- ابن علاء الدين شرف الدين أبو عبد الله الحسين.

٩- ابن علاء الدين بدر الدين أبو عبد الله محمد.

١٠- ابن بدر الدين أمين الدين أبو طالب أحمد.

١١- ابن بدر الدين عز الدين أبو محمد الحسن.

ولهؤلاء الخمسة إجازة مبسطة من العلامة+، ذكر فيها جل طرقه والذين يروي عنهم شيعة وسنة، وهي المعروفة بإجازة العلامة لبني زهرة، تاريخها سنة ٧٢٣<sup>(٧٢)</sup>.

١٢- السيد نجم الدين النسابة مهنا بن سنان المدني الحسيني، وله من العلامة إجازتان: الأولى متوسطة، ذكر فيها طرقه إلى بعض الاعلام، كتبها في الحلة في ذي الحجة سنة ٧١٩<sup>(٧٣)</sup>، والثانية ذكر فيها مؤلفاته، كتبها في الحلة في محرم سنة ٧٢٠<sup>(٧٤)</sup>.

١٣- الشيخ قطب الدين محمد بن محمد الرازي البويهبي، شارح الشمسية والمطالع، وله منه إجازة مختصرة، تاريخها سنة ٧١٣هـ، كتبها له في ناحية ورامين<sup>(٧٥)</sup>، وقال العلامة المجلسي+: <وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبائي أيضاً قال: وجدت بخط الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي على كتاب قواعد الأحكام ما صورته: من خط مصنف

الكتاب إجازة للعلامة قطب الدين محمد بن محمد الرازي، صاحب شرح المطالع والشمسية... > (٧٦).

١٤- المولى تاج الدين محمود بن المولى زين الدين محمد بن القاضي عبد الواحد الرازي، وله منه إجازة مختصرة كتبها له على ظهر شرائع الاسلام في أواخر شهر ربيع الأول سنة ٧٠٩ بالبلدة السلطانية (٧٧).

١٥- المولى زين الدين علي السروي الطبرسي، وله إجازة منه على ظهر القواعد (٧٨).

١٦- السيد جمال الدين الحسيني المرعشي الطبرسي الآملي، له إجازة منه بعد أن قرأ عليه الفقه (٧٩).

١٧- الشيخ عز الدين الحسين بن إبراهيم بن يحيى الاسترآبادي، وله منه إجازة مختصرة، كتبها له على ظهر الشرائع في الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٠٨هـ (٨٠).

١٨- الشيخ جمال الدين أبو الفتوح أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله بن أبي طالب بن علي الآوي، وله منه إجازة مختصرة تاريخها سنة ٧٠٥هـ، وله إجازة من ولده فخر المحققين أيضاً (٨١).

١٩- الخواجة رشيد الدين علي بن محمد الرشيد الآوي، وله منه إجازة مختصرة، تاريخها في شهر رجب سنة ٧٠٥هـ (٨٢).

٢٠- الشيخ محمد بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن علي الهرقلي، وله منه إجازة مختصرة، كتبها له في آخر الجزء الأول من القواعد، تاريخها سنة ٧٠٧هـ (٨٣).

٢١- الشيخ محمود بن محمد بن يار، وله منه إجازة مختصرة، كتبها له في آخر العبادات من كتاب التحرير، تاريخها في جمادى الثانية سنة ٧٢٤هـ (٨٤).

٢٢- المولى ضياء الدين أبو محمد هارون بن نجم الدين الحسن بن الأمير شمس الدين الطبري، وله إجازة منه مختصرة، وكتبها له على ظهر القواعد، تاريخها سبع عشر رجب سنة ٧٠١هـ (٨٥).

٢٣- الشيخ علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن فتوح الغروي، وله منه إجازة مختصرة على ظهر كتاب ارشاد الأذهان الذي هو بخط المجاز، تاريخها ثاني عشر رجب سنة ٧٠١هـ<sup>(٨٦)</sup>.

٢٤- السيد شرف الدين حسين بن محمد بن علي العلوي الحسيني الطوسي، وله منه إجازة مختصرة على ظهر كتاب ارشاد الأذهان، الذي هو بخط المجاز، تاريخها آخر ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ<sup>(٨٧)</sup>.

إلى غير ذلك ممن قرأ عليه وروى عنه بلا واسطة، قال السيد الصدر+: أنه خرج من عالي مجلس تدرسه ٥٠٠ مجتهد<sup>(٨٨)</sup>، وذكر المولى عبدالله الافندي+: أنه كان في عصر العلامة+ في الحلة ٤٤٠ مجتهداً<sup>(٨٩)</sup>.

عصره:

لقد أتيح للعلماء في ذلك العصر الفرصة لبث علومهم ونشرها، فاستطاع العلماء أن يأخذوا حريتهم لنشر المعارف وترويجها، وذلك لوجود السلطان محمد خدابنده، فالتاريخ يحدثنا عن هذا السلطان بأنه كان صاحب ذوق سليم وصفات جليلة وخصال حميدة، يحب العلم والعلماء بالاختصاص السادات، وكان يعتني بهم كثيراً، وكانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف، فحصل للعلم والفضل في زمان دولته رونق تام ورواج كثير<sup>(٩٠)</sup>.

ومن إنصاف هذا السلطان وحبه للواقع أن جمع علماء المسلمين للمباحثة فيما بينهم ليختار المذهب الصحيح، وبعد المناظرات الطويلة اختار مذهب الامامية بفضل العلامة الحلبي+، وبعدهما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة+، بل طلب منه أن يكون دائماً معه، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه معه.

ومن حسن سيرة هذا السلطان وإنصافه أنه بعد ما استبصر وعرف الحق لم يهمل بقية العلماء من فرق المسلمين، بل أبقى لهم منزلتهم واحترامهم، لحبه للعلم والعلماء، وأمر قسماً كبيراً من مبرزهم بالحضور معه في المدرسة السيارة.

نعم، في عصر العلامة+ أرجعت الحلة وريثة بابل مكانتها العلمية، فصارت محوراً رئيسياً للعلم والعلماء، ومركزاً للشيعة، ومنها كانت تستقي المدرسة السيارة، وازدهر العلم في زمنه، وكثر العلماء في شتى العلوم.

ويؤيد هذا أنا لو تفحصنا في كتب التراجم لوجدنا أن جل علماء الشيعة كانوا في زمن العلامة+ ما بين القرن السابع والثامن، وهذه البرهة من الزمن بها تم تثبيت قواعد التشيع أكثر من سابقها، وحتى علماء السنة، فنرى كبار علمائهم كانوا في هذه الفترة من الزمن، وقد مرّ ذكر قسم من العلماء البارزين في عصر العلامة تحت عنواني مشايخه وتلامذته، فليرجع إليهما.

كلمات العلماء المضيئة في وصفه:

إنّ العلامة الحلبي+ الذي ذاع صيته، وانتشر فضله، في غنى عن تعريف العلماء من حين نشأته وحتى يومنا هذا، ومع ذلك فقد وصفه كثير من العلماء بكلمات تدل على مكانته ومنزلته العلمية، سواء من الخاصّة والعامة، وفي هذا المجال نذكر بعض من كلمات علماء المذاهب الاسلامية في هذا المجال:

فهذا معاصره الصفدي، قال في حقه: <الإمام العلامة ذو الفنون، عالم الشيعة وفقههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته، وكان يصنف وهو راكب، وكان ابن المطهر ريض الأخلاق، مشتهر الذكر، تخرج به أقوام كثيرة، وكان إماماً في الكلام والمعقولات><sup>(٩١)</sup>.

ومعاصره الحافظ الآبرو الشافعي، قال: <وكان عالماً متبحراً، وكان مشهوراً في العلوم النقلية والعقلية، وكان الأوحدي في الكلام، وله تصانيف كثيرة><sup>(٩٢)</sup>.

وقال تلميذه محمد بن علي الجرجاني، في حقّ استاذه العلامة: <شيخنا المعظم وإمامنا الأعظم، سيد فضلاء العصر ورئيس علماء الدهر، المبرز في فني المعقول والمنقول، المطرز للواء علمي الفروع والأصول، جمال الملة والدين سديد الاسلام والمسلمين><sup>(٩٣)</sup>.

وقال ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: <عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، وكان آية في الذكاء...، وكان مشتهر الذكر حسن الاخلاق><sup>(٩٤)</sup>، وقال في الدرر الكامنة: <اشتغل

في العلوم العقلية فمهر فيها، وصنف في الاصول والحكمة، وكان رأس الشيعة بالحلة، واشتهرت تصانيفه وتخرج به جماعة، وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حل الفاظه وتقريب معانيه، وصنف في فقه الامامية وكان قيماً بذلك داعية إليه...، بلغت تصانيفه مائة وعشرين مجلداً<sup>(٩٥)</sup>.

وقال عمر رضا كحالة: <عالم مشارك في الفقه والأصول والكلام والتفسير والنحو ومعرفة الرجال والمنطق وعلم الطبيعة والحكمة الالهية><sup>(٩٦)</sup>، وقال خير الدين الزركلي: <يعرف بالعلامة، من أئمة الشيعة، واحد كبار العلماء><sup>(٩٧)</sup>.

ومما تقدم في هذه الكلمات التي قالها في حقّ العلماء وما تقدم من سيرته نستكشف أنّ العلامة+ حاز مرتبة علمية سامية تفوق بها على العلماء، وكان له ذكاء خارق للعادة، وبذكائه هذا وعلمه استطاع أن يفهم أعلم علماء السنة بمنظراته العذبة الدقيقة، وبسببه تشيع السلطان خدابنده وكثير من الامراء ثمّ كثير من الناس، وذلك لما شاهدوا لسان العلامة+ ينطق بالحقّ الذي لا ريب فيه.

وعلى اساس ذلك يمكن القول بأنّ العلامة+ قد تركت بجهوده المباركة أركان الاسلام بصورة عامة والتشيع بصورة خاصة أكثر مما كانا عليه، فالعلامة+ له حقّ كبير على المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً، لا بدّ وأنّ يقدروه.

وتجدر الاشارة الى أنّ العلامة+ نال درجة الاجتهاد في زمن الصبا، قبل أن يصل إلى سن التكليف<sup>(٩٨)</sup>، حيث قال+ في إجازته لبني زهرة عند ذكره لاستاذه نصير الدين الطوسي+: <قرأتُ عليه إلهيات الشفا لابي علي بن سينا، وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه<sup>(٩٩)</sup> ثمّ أدركه الموت المحتوم قدّس الله روحه><sup>(٩٩)</sup>، فالجمع بين ولادة العلامة+ سنة ٦٤٨هـ، ووفاة الطوسي+ سنة ٦٧٢هـ، يقتضي أن يكون العلامة+ قد أكمل هذه المرحلة من الدراسة وهو في سن ٢٤ سنة.

ومن هذا يعلم أنّ نصير الدين الطوسي+ لما وصف العلامة بـ<العالم الذي إذا جاهد فاق><sup>(١٠٠)</sup>، كان قبل وصول العلامة+ إلى سن ٢٤.

ومن طريف ما ينقل أن العلامة كان في حال طفولته يدرس عند خاله المحقق الحلبي، ت: ٦٧٦هـ، وفي بعض الاوقات يهرب من الدرس، فكان المحقق+ يلحقه ليمسك به، فإذا وصل قربه قرأ العلامة آية السجدة، فيسجد المحقق+ ويغتتم العلامة+ الفرصة للهروب<sup>(١٠١)</sup>.

ومما يدل على غزارة علمه ما ذكره+ هو في إجازته لبني زهرة عند ذكره أستاذه شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، قال: <هذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من انصف الناس في البحث، كنت أقرأ عليه وأورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثم يجيب تارة، وتارة أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة فتارة يجيب، وتارة يقول: هذا عجزت عن جوابه><sup>(١٠٢)</sup>.

والذي يظهر من الجمع بين تاريخ ولادة العلامة+ سنة ٦٤٨هـ ووفاته سنة ٧٢٦هـ وبين وفاة المحقق الحلبي+ سنة ٦٧٦هـ أن العلامة+ كان عند وفاة المحقق+ ابن ٢٦ سنة، وأنه بقي بعده ٥٠ سنة، فانتقلت إليه زعامة الشيعة، فكان هو المحور الاساسي الذي تدور حوله رحى الاسلام والتشيع.

قال السيد حسن الصدر+، ت: ١٣٥٤هـ: <وخرج من عالي مجلس تدرسه خمسمائة مجتهد><sup>(١٠٣)</sup>، وقال السيد المرعشي+: <رأيت بخط العلماء الشوافع في مجموعة وقد أطرى في الثناء على المترجم، وأنه فاق علماء الاسلام في عصره في بابي القضاء والفرائض لم ير له مثيل، ونقل عنه مسائل عويصة ومعاضل مشكلة في هذين البابين><sup>(١٠٤)</sup>. مؤلفاته:

ألّف العلامة+ كتباً كثيرة في شتى العلوم المعقول منها والمنقول، فصنف في الفقه، وأصوله، والتفسير، والرجال، والدراية، وفي الحكمة، والمنطق، والكلام، والنحو، وغير ذلك.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: <اشتغل في العلوم العقلية فمهر فيها، وصنف في الاصول والحكمة...، واشتهرت تصانيفه...، وصنف في فقه الامامية وكان قيماً بذلك داعية إليه...، بلغت تصانيفه مائة وعشرين مجلداً><sup>(١٠٥)</sup>.

وقد تصدى بعضهم لاحصاء مؤلفاته+، فذكر اسماء المؤلفات الثابتة نسبتها له، فبلغت ١٠١ مؤلف، وذكر اسماء الكتب المشكوكه نسبتها إليه فبلغت ٢٣ مؤلف<sup>(١٠٦)</sup>.  
وفاته ومدفنه:

في شهر محرم الحرام سنة ٧٢٦هـ، وبينما الشيعة في مصاب وعزاء وحزن على سيدهم أبي عبد الله الحسين×، وإذا بالناعي ينعاهم فقدان أبيهم وزعيمهم العلامة الحلي والتحاقه بالرفيق الأعلى، فازدادت آلام الشيعة وأحزانهم، ونصبوا في تلك السنة مآتمين وأقاموا عزاءين، على سيد شهداء أهل الجنة× وعلى عبده وناصره بلسانه وقلمه العلامة الحلي+، فقد اتفقت المصادر على أن وفاة العلامة+ كانت في ليلة السبت أو يومه من المحرم سنة ٧٢٦هـ.

نعم، ذكر الصفدي أن وفاته سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين وسبعمائة<sup>(١٠٧)</sup>، واليافعي ذكر أن وفاته عام ٧٢٠<sup>(١٠٨)</sup>، والعسقلاني ذكر أن وفاته كانت في شهر المحرم سنة ٧٢٦ أو في آخر سنة ٧٢٥<sup>(١٠٩)</sup>.

وهذه الأقوال لا يعتد بها، لشذوذها ومخالفتها للمؤرخين كافة، مع أن الصفدي والعسقلاني لم يجزما بأن وفاته عام ٧٢٥، بل ترددوا بينه وبين المتفق عليه عند الكل.  
هذا ولكن اختلفت المصادر في تحديد يوم وفاته على ثلاث أقوال:

١- ١١ من محرم، ذهب إليه التفرشي+ في نقده<sup>(١١٠)</sup>، والقرشي+ في نظامه<sup>(١١١)</sup>، والمامقاني+ في تنقيحه<sup>(١١٢)</sup>، والسيد الصدر+ في تأسيسه<sup>(١١٣)</sup>، والخوانساري+ في روضاته<sup>(١١٤)</sup>، والمحدث النوري+ في خاتمته<sup>(١١٥)</sup>، وغيرهم.

٢- ٢٠ من محرم، وذهب إليه الشهيد الثاني+، ت: ٩٦٥هـ، كما نقل عنه<sup>(١١٦)</sup>، وابن كثير في بدايته<sup>(١١٧)</sup>.

٣- ٢١ من محرم، ذهب إليه الشهيد+، كما نقل عنه<sup>(١١٨)</sup>، والشيخ البهائي+ في توضيحه<sup>(١١٩)</sup>، والخوانساري في روضاته<sup>(١٢٠)</sup>، والمحدث النوري في خاتمة مستدرکه<sup>(١٢١)</sup>. ولما توفي العلامة+ في الحلة حمل نعشه الشريف على الرؤوس إلى النجف الاشرف، ودفن في جوار أمير المؤمنين×، في حجرة صغيرة مختصة به على يمين الداخل من ممر للزائرين إلى الحضرة الشريفة العلوية من جهة باب مسلم بن عقيل×، فسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم بيعث حياً.

المبحث الثالث: جهود العلامة+ العلمية في التقريب بين المذاهب الاسلامية. تمهيد:

إنّ العصر الذي عاش فيه العلامة+ قد اتحت فيه الفرصة للعلماء من جميع المذاهب الاسلامية بث علومهم ونشرها، فاستطاع العلماء أن يأخذوا حريتهم في نشر المعارف وترويجها، وذلك لعدة اسباب، أهمها:

١- وجود السلطان محمد خدابنده، فالتاريخ يحدثنا عن هذا السلطان بأنه كان صاحب ذوق سليم وصفات جليلة وخصال حميدة، يحب العلم والعلماء، وكانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف، فحصل للعلم والفضل في زمان دولته رونق تام ورواج كثير<sup>(١٢٢)</sup>.

ومن إنصاف هذا السلطان وحبه للواقع جمع علماء المسلمين للمباحثة فيما بينهم ليختار المذهب الصحيح، وبعد المناظرات الطويلة اختار مذهب الامامية بفضل العلامة الحلبي+، وبعدهما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة، بل طلب منه أن يكون دائماً معه، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه معه.

٢- اريحية العلامة الحلبي+، فمع كون السلطان قد استبصر بجهود العلامة+ وكان العلامة قريب منه، لأنّ السلطان لم يرض بمفارقة العلامة إياه، بل طلب من العلامة+ أن يكون دائماً معه، إلا أنّ العلامة+ لم يوظف هذه المنزلة عند السلطان في اقضاء أو تهميش أو التنكيل بعلماء المذاهب الاسلامية الاخرى، فلم ينقل لنا التاريخ شيء من هذا القبيل لا من قريب ولا من بعيد، على خلاف ما حصل لبعض وعاظ السلاطين ممن يُعدّ من

علماء المذاهب الاخرى، كما حصل مع الفقيهين الكبيرين المظلومين: الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي+، ت: ٧٨٦هـ<sup>(١٢٣)</sup>، والشهيد الثاني زين الدين العاملي+، ت: ٩٦٥هـ<sup>(١٢٤)</sup>، حيث إن محتتهما كانت بسبب وعاظ السلاطين.

فكانت منزلة بقية العلماء من فرق المسلمين محفوظة، ولهم احترامهم وتقديرهم، حيث أمر السلطان قسماً كبيراً من مبرزيهم بالحضور معه في المدرسة السيارة. وفي عصر العلامة+ أرجعت الحلة وريثة بابل مكاتبتها العلمية، فصارت محوراً رئيسياً للعلم والعلماء، ومركزاً للشيعه، ومنها كانت تستقي المدرسة السيارة، وازدهر العلم في زمنه، وكثر العلماء في شتى العلوم.

وبعد هذا نعود للحديث عن جهود العلامة الحلي+ في مجال التقريب بين المذاهب الاسلاميه من خلال الدراسات المقارنه في حقل اصول الفقه المقارن. إن البحوث الأصولية المشتركة بين المدارس الاسلاميه كثيره، تُبحث تلك المشتركات عند المدارس الاسلاميه بشتى مذاهبها؛ إذ أبرز مصادر التشريع وهي الكتاب وسنة النبي كانت مُعتمده عند جميع المدارس الاسلاميه، وهناك موارد للخلاف، هذا الاشتراك في مادة البحث الاصولي - بالاضافة الى عوامل اخرى - فرض أن يكون هناك تواصل علمي بين تلك المدارس، وكان ذلك التواصل سائداً وموجوداً ومتعارفاً عليه في العصور المتقدمه.

وكان لمنهج العلامة الحلي+ في هذا الصنف من البحوث عدة مميزات:

١- الموضوعية: بمعنى <أن يكون المقارن مهياً من جهة نفسية للتحلل من تأثير رواسته، والخضوع لما تدعو إليه الحجّة عند المقارنة سواء وافق ما تدعو إليه ما يملكه من مسبقات أم خالفها><sup>(١٢٥)</sup>.

إن هذه الميزة لا يتصف بها الباحث عادةً إلا بعد أن يمر بدور معاناة طويلة للتجربة في أمثال هذه المجالات، ثم يضع الباحث نفسه بعد هذه المعاناة موضع اختبار، ليرى مدى قدرته على الانسجام مع واقع هذه التجربة، بحيث ينقاد الى نتيجة البحث العلمي حتى فيما لو كان على خلاف ما يؤمن به.

فاذا كان الباحث بهذا المستوى من القدرة على التحكم بعواطفه وتغليب جانب العقل عليها كان أهلاً لأن يخوض الحديث في أمثال هذه الميادين.

٢- التسلط والهيمنة على مطالب العلم الذي يروم الخوض فيه من زاوية المقارنة، وقد شهد علماء الفن بتضلع العلامة الحلبي+ في مجال علم اصول الفقه.

٣- التواصل مع علماء الفن من خلال قنوات التواصل، ليكون هناك نقاش وحوار جاد، يهدف الى تمييز الحق من الباطل.

٤- أن يكون الهدف من البحث المقارن هو الوصول الى الحق والواقع، وتمييز الحق من الباطل، من خلال الحجّة والرهان.

وكان للعلامة الحلبي+ جهوداً واضحة وبارزة في مجال التواصل الفكري، خصوصاً في الدراسات المقارنة، إذ هي التي توجب التقريب في وجهات النظر، وتقليل حدة الخلاف، وكان ذلك له اساليب متعددة، لعل من ابرزها المناضرات، والمراسلات، والتأليف في الرد والشرح والمناقشة، والحضور والتلمذ، وغير ذلك من الطرق المعهودة في مجال التواصل الفكري والعلمي.

والحديث عن هذه الطرق والاساليب يقع في مطالب:

المطلب الأول: تلمذ علماء المدارس الاسلامية بعضهم على البعض الآخر.  
 لقد كان الحضور التلمذ بين علماء المسلمين في مجال الفقه وأصوله أمراً متعارفاً، فالشيخ المفيد+، ت: ٤١٣هـ، - كما جاء في ترجمته<sup>(١٢٦)</sup>. كان تلميذاً لثلاثة من اقطاب المعتزلة، وهم: ابو عبدالله الحسين بن علي البصري، المعروف بـ(جعل)، ت: ٣٦٩هـ<sup>(١٢٧)</sup>، وعلي بن عيسى الرماني، ت: ٣٨٤هـ<sup>(١٢٨)</sup>، والقاضي عبدالجبار الهمداني، ت: ٤١٦هـ<sup>(١٢٩)</sup>، وقيل أن السيد المرتضى+، ت: ٤٣٦هـ تلمذ أيضاً على القاضي عبدالجبار<sup>(١٣٠)</sup>، وتلمذ الشيخ الطوسي+، ت: ٤٦٠هـ، على يد بعض علماء المذاهب الاسلامية الاخرى<sup>(١٣١)</sup>، وكان يحضر درس الشيخ الطوسي من العامة ما لا يمكن حصرهم وعددهم، لما رأوا فيه من شخصية علمية وقادة ونبوغاً موصوفاً، وعبقريّة ظاهرة في العلم والعمل<sup>(١٣٢)</sup>، والشهيد الأول+، ت: ٧٨٦هـ<sup>(١٣٣)</sup>، ذكر في اجازته للشيخ ابن الخازن الحائري+<sup>(١٣٤)</sup> أنه

يروى مصنفات العامة ومروياتهم عن نحو من اربعين شيخاً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل ابراهيم<sup>(١٣٥)</sup>، والشهيد الثاني+، ت: ٩٦٥هـ<sup>(١٣٦)</sup>، جاء في ترجمته أنه تلمذ على كثير من علماء المذاهب الاسلامية<sup>(١٣٧)</sup>، وكان يلقي دروسه على ضوء المذاهب الخمسة، ويفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها<sup>(١٣٨)</sup>.

وأما العلامة الحلبي+ فقد تقدم ذكر لبعض اساتذته وتلامذته من علماء المذاهب الاسلامية الاخرى، فإن العصر الذي عاشه العلامة الحلبي+ يعدّ من العصور الذهبية في مجال البحث العلمي والمناظرة، ويؤيد هذا أننا لو تفحصنا في كتب التراجم لوجدنا أن جل علماء الشيعة كانوا في زمن العلامة+ ما بين القرن السابع والثامن، وحتى علماء السنة، فنرى كبار علمائهم كانوا في هذه الفترة من الزمن، منهم ابن الحاجب، ت: ٦٤٦هـ<sup>(١٣٩)</sup>، والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ<sup>(١٤٠)</sup>، والذهبي ٧٤٨هـ<sup>(١٤١)</sup>، وابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ<sup>(١٤٢)</sup>، وابن حجر ٨٥٢هـ<sup>(١٤٣)</sup>، وابن كثير، ت: ٧٧٤هـ<sup>(١٤٤)</sup>، وابن خلكان، ت: ٦٨١هـ<sup>(١٤٥)</sup>، وغيرهم.

لقد حضر العلامة الحلبي+ عند كثير من علماء السنة لغرض الاستفادة منهم، ومن الذين حضر عندهم:

الشيخ جمال الدين حسين بن أياز النحوي، ت: ٦٨١هـ، الشيخ نجم الدين علي بن عمر القزويني الشافعي، ت: ٦٧٥هـ، الشيخ ابوالبركات عبدالله بن احمد النسفي الحنفي، ت: ٧١٠هـ، الشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي بن الصباغ الحنفي الكوفي، ت: ٧٢٧هـ<sup>(١٤٦)</sup>، والشيخ عز الدين الفاروقي الواسطي، وشمس الدين محمد بن محمد بن احمد الكيشي، وقد نال بشرف أخذ اجازة الحديث عن رضي الدين حسن بن علي الصنعاني الصنفي، وكذلك تلمذ عنده جماعة من علماء اهل السنة.

وكان للحضور والتلمذ على علماء المسلمين فوائد كثيرة، أهمها التواصل الفكري، الذي يوجد ارضية خصبة للتقارب، وبيان وجهات النظر بعيداً عن التشنج والمهاترات.

ومن الشواهد على هذه القضية ما ذكره العلامة+ في إجازته لبني زهرة عند ذكره أستاذه شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، حيث قال: <كنت أقرأ عليه وأورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثم يجيب تارة، وتارة أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه> (١٤٧).

المطلب الثاني: التواصل الفكري والعلمي من خلال المراسلة. إنَّ التواصل المعرفي كان قائماً بين المدرسة الاصولية السنية والشيعية في العصور السابقة، الى حين ظهور الاتجاه الاخباري (١٤٨)، ومن اشكال التواصل التي كانت سائدة هو النقاش عبر المراسلة.

يشهد لذلك ما ورد من نقاش عبر رسائل بين العلامة الحلبي+، ت: ٧٢٦هـ، والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ، حيث إنَّ العلامة الحلبي ذكر في مسألة توارد الحالتين - كما لو فرض أن المكلف يعلم بأنه قد توضعاً جزماً، وقد أحدث جزماً، ولكن لا يدري أنه أحدث أولاً ثم تطهر كي يكون الآن متطهراً، أو بالعكس فالعكس - أن الحالة السابقة على الحالتين المتواردتين إذا كانت مجهولة فاستصحاب بقاء الوضوء يعارض باستصحاب بقاء الحدث، فلا يجري كل من الاستصحابين لأجل المعارضة، وأما إذا كانت الحالة السابقة على الحالتين المتواردتين معلومة للمكلف فحينئذٍ يجري استصحابها.

ونصَّ عبارته+: «ولو تيقن الحدث وشكَّ في الطهارة تطهر دون العكس، ولو تيقنهما متحدين متعاقبين وشكَّ في المتأخر، فإن لم يعلم حاله قبل زمانهما تطهر، وإلا استصحبه» (١٤٩).

والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ، راسل العلامة في خصوص هذه المسألة، وكتب إليه أن الحالة الاسبق على الحالتين المتواردتين يُجزم بانتقاضها، فلو فرض أن الحالة الاسبق على الحالتين المتواردتين كانت هي الطهارة فقد انتقضت بالحدث جزماً؛ لأنَّ الحالة التي حصلت أولاً من الحالتين المتواردتين إنَّ كانت هي الحدث فقد انتقضت الطهارة

السابقة، وإن كانت هي الطهارة فقد انتقضت هذه الطهارة والظاهرة السابق بالحدث الذي هو الحالة الثانية من الحالتين المتواردتين.

ونصّ الرسالة: «يامولانا جمال الدين أدام الله فواضلك، أنت امام المجتهدين في علم الاصول، وقد تقرر في الاصول مسألة اجماعية، هي أن الاستصحاب حجة ما لم يظهر دليل على رفعه، ومعه لا يبقى حجة، بل يصير خلافه هو الحجة، لأن خلاف الظاهر إذا عضده دليل صار هو الحجة، وهو ظاهر، والحالة السابقة على حالة الشك قد انتقضت بضدها، فإن كان متطهراً فقد ظهر أنه أحدث حدثاً ينقض تلك الطهارة، ثم حصل الشك في رفع هذا الحدث، فيعمل على بقاء الحدث باصالة الاستصحاب وبطل الاستصحاب الأول، وإن كان محدثاً فقد ظهر ارتفاع حدثه بالطهارة المتأخرة عنه ثم حصل الشك في ناقض هذه الطهارة، والاصل فيها البقاء، وكان الواجب على القانون الكلي الاصولي أن يبقى على ضد ما تقدم»<sup>(١٥٠)</sup>.

وأجاب العلامة الحلّي + على ذلك برسالة ذكر فيها أن مقصوده هو ما لو علم المكلف بطرو طهارة وحدث ناقضين، فالطهارة التي حصلت رافعة لحدث، والحدث الذي حصل ناقض لطهارة، وإذا كان الأمر كذلك فعلى المكلف حينئذ أن يأخذ بالحالة السابق على الحالتين المتواردتين، باعتبار أن الحالة السابق إذا كانت هي الطهارة مثلاً فيتعين أن تكون الحالة الاولى من الحالتين المتواردتين هي الحدث وليس الطهارة، إذ لو كانت الحالة الاولى هي الطهارة لما كانت هذه الطهارة رافعة للحدث.

وعلى هذا الاساس يتعين أن تكون الحالة الاولى من الحالتين المتواردتين هي الحدث حتى يكون ناقضاً لتلك الحالة السابق التي هي الطهارة حسب الفرض، وبالتالي تكون الحالة الثانية من الحالتين المتواردتين نفس الحالة السابق، وهي الطهارة، وبذلك يثبت أن الوظيفة هي الأخذ بالحالة السابقة.

نعم، حصلت مسامحة في التعبير، حيث عبرنا بقولنا (استصحابه)، ولكن المقصود من استصحاب الحالة السابقة هو أنه يُحكم بما يمثّلها<sup>(١٥١)</sup>، فلاحظ نصّ الرسالة في رياض العلماء<sup>(١٥٢)</sup>.

المطلب الثالث: اعتماد علماء الأصول الإمامية منهج البحث المقارن وتحقيق الحال في المسائل الخلافية في مؤلفاتهم الاصولية.

إن علماء الامامية اعتمدوا في كثير من مصنفاتهم الاصولية منهج البحث المقارن، فكانوا يطرحون موارد الخلاف بينهم وبين المدارس الاصولية الأخرى ويأخذون بنقده وتمحيصه، ولهذا نجد أن المؤلفات الاصولية السابقة كانت تتعرض إلى مباحث القياس وغيره بالبحث والتحقيق، فكل ما كان يطرح من بحث أصولي عند المدارس الاصولية الأخرى يخضع للبحث والتمحيص والنقد والتقييم والتحليل والنقاش من قبل علماء الأصول الشيعة.

و«بإمكاننا الجزم بضرر قاطع بأن علم اصول الفقه الشيعي حتى قرابة الشهيدين الأول ٧٨٦هـ، والثاني ٩٦٥هـ، كان اصولاً مقارناً على المذاهب الاسلاميه كافة، فمن ذريعة المرتضى الى عدة الطوسي الى معارج المحقق الحلي ونهاية العلامة الحلي... اصول فقه مقارن على المذاهب الاسلاميه...»<sup>(١٥٣)</sup>.

ولذلك يقال إن علم الأصول عند الشيعة كان ناظراً إلى أصول أهل السنة في المنهج والبحث، فهو بمثابة الرقيب عليه والمواجه له<sup>(١٥٤)</sup>، وحيث إن علماء أهل السنة خصوصاً المعتزلة منهم أدخلوا مسائل من علم الكلام في البحث الاصولي، وأشتغلوا بها، الأمر الذي دعى علماء الأصول الشيعة الى أن يبحثوا تلك المسائل في مؤلفاتهم الاصولية<sup>(١٥٥)</sup>. وعلى هذا الأساس كان التفكير الاصولي السني يشكّل عامل إثارة للتفكير الاصولي الشيعي<sup>(١٥٦)</sup>، ويشهد لذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما ذكره السيد ابن زهرة+، ت: ٥٨٥ هـ، في الغنية من «أن لنا في الكلام في أصول الفقه غرضاً آخر سوى ما ذكرناه، وهو بيان فساد كثير من مذاهب مخالفينا فيها وكثير من طرقهم إلى تصحيح ما هو صحيح منها، وأنه لا يمكنهم تصحيح ذلك بها، واخرجهم بذلك عن كونهم عالمين بشيء منها، وذلك يخرجهم عن العلم بشيء من فروع الفقه؛ لأن العلم بالفرع من دون العلم بأصله محال، وهذا غرض كبير يدعو إلى العناية بأصول الفقه، ويبعث على الاشتغال به»<sup>(١٥٧)</sup>.

الخلاصة: إنَّ هذا العامل له الأثر الكبير في رُفد البحث الأصولي عند الشيعة الإمامية وتطوره وتوسعه، ومما يؤسف له أن هذا اللون من البحث قد اضمحل، وأصبح قليلاً إلى حدّ الندرة.

وكان للعلامة الحلبي + جهوداً واضحة في هذا المجال، ويمكن ابراز ذلك وتلمسه من خلال كتابين من كتبه في اصول الفقه، وهما:

١- نهاية الوصول إلى علم الاصول.

إنَّ هذا الكتاب يعدّ دائرة معارف في علم اصول الفقه المقارن، حيث جمع فيه العلامة + اقوال أئمة الاصول من الاشاعرة والمعتزلة والإمامية وغيرهم، ويمكن القول بأنَّ مَنْ يريد الوقوف على آراء الاصوليين من لدن عصر الشافعي إلى عصر المؤلف فهذا الكتاب بمفرده كافٍ بذلك.

وقد قام + بمناقشة الآراء مناقشة وافية، وبصدر رحب، وربما تكهن + لصاحب الآراء ببعض الأدلة التي لم تخطر حتى يخيل للقارئ كأنها آراؤه، ثم يأخذ بمناقشتها. وقد عرف المؤلف كتابه في مقدمته، بقوله: <وقد صنفنا كتباً متعددة في المختصرات والمطولات الجامعة لجميع النكات، وسأل الولد العزيز محمد أسعده الله تعالى في الدارين، وأيده بتحصيل الرئاستين، وتكميل القوتين، وجعلني الله فداه من جميع ما يخشاه، وحباه بكل ما يرجوه ويتمناه إنشاء كتاب جامع لما ذكره المتقدمون، حاوٍ لما حصله المتأخرون، مع زيادة نفيسة لم يسبقنا إليها الأولون>.

٢- غاية الوصول وايضاح السبل في شرح مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الاصول والجدل.

إنَّ هذا الكتاب هو شرح لكتاب (مختصر السؤل والأمل) لابن الحاجب، ت: ٦٤٦هـ، حيث إنَّ ابن الحاجب ألف في اصول الفقه كتاب (منهى السؤل والأمل في علمي الاصول والجدل)، ثم اختصره واطلق على المختصر اسم (مختصر السؤل والأمل). وكان هذا الكتاب مداراً للتدريس لمدة قرون، وقد اعتنى العلماء بشرحه والتعليق عليه، ومن شرحه العلامة الحلبي +. وقد ذكر ابن حجر ٨٥٢هـ هذا الشرح عند ترجمته

للعلامة+، بقوله: < وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه > (١٥٨).

وهذا الكتاب وإن كان في واقعه شرح لمختصر ابن الحاجب، إلا أنه في مواضع كثيرة سلك فيه مسلك المقارنة في البحث، منها على سبيل المثال لا الحصر: البحث عن عصمة النبي<sup>١</sup>، والبحث عن حجية اجماع المدينة، والبحث عن انعقاد اجماع بأهل البيت<sup>٢</sup>، في حدود حجية خبر الواحد، وغيرها.

المطلب الرابع: المناضرات وعقد المجالس العلمية.

أهتم العلماء الكبار منذ زمن قديم بالمناظرات والمباحث التي تقارن بين رؤى المذاهب الاسلامية في مختلف المجالات من الفقه والاصول والكلام والتفسير والحديث، وقد التفتوا الى ضرورة مثل هذه البحوث لحصول التقريب بين المذاهب، وانجاز اهداف الشريعة الاسلامية من التعاون والوحدة.

وعندما نرجع الى العصور المتقدمة نجد أنّ هناك حوارات ومناظرات بين علماء المذاهب الاسلامية في جو هادئ ودي عار عن التصلب والعصبية بكامل الاحترام واهتموا بها وجعلوها طريقاً للوصول الى التقريب بين المذاهب الاسلامية، ومن الواضح أنّ دراسة الرؤى المختلفة يصير سبباً لحسن التفاهم والتقارب بين علماء المذاهب.

قال العلامة+ عند روايته عن استاذه الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي - كما في إجازته لبني زهرة -: < وهذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من أنصف الناس في البحث، كنتُ أقرأ عليه وأورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمّ يجيب تارةً، وتارةً أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة، فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه > (١٥٩).

لقد أهتم علماء الشيعة من المتقدمين والمتأخرين بمثل هذه المباحث تبعاً لأئمة اهل البيت<sup>٣</sup>، وربما ساهموا في عقد مثل هذه المجالس، وشاركوا بجد واهتمام وحاوروا مع

الآخرين في مختلف قضايا المقارنة من الفقه والاصول والكلام، فقد ساهموا من خلال تلك الجهود في تعزيز المنهج المقارن.

وقد كان للعلامة الحلبي + شهرة ومعروفية بين كبار علماء المذاهب الاسلامية لأجل مناظراته ومناقشاته العلمية، وله مناظرات مهمة، وكان ملتزماً بأن يراعي في مقام الجدل والمناقشات اموراً منها:

١- الالتزام بأن يعقد الحوار والمناظرة في جو هادئ على اساس نيات حسنة وحصول المفاهم عار عن العصبية والتصلب.

٢- احترام الرؤى ونظريات المذاهب والمناقشة بهدوء واحترام، وإذا واجه دليلاً قوياً يقبله.

٣- وفي مقام الحوار يذكر ادلة ومستندات مقبولة لمن يحاوره وينظره، ولا يذكر ادلة ومستندات غير مقبول لدى الطرف الآخر.

ومن هنا استطاع أن يقع مورداً للقبول والاحترام من جانب الفقهاء والمتكلمين في ذلك العصر، وهذا لم يحصل إلا من جهة سلوكه واخلاقه وتعامله مع الآخرين سلوكاً حسناً، ولأجل ذلك نجد أن كباراً من علماء الاسلام يرحلون إليه من قريب أو بعيد ويحاوروه وينظروه في مختلف القضايا العلمية من الفقه والكلام، وكان مجلسه محفلاً ساخناً للابحاث الفقهية والكلامية.

اضف الى ذلك أن العصر الذي عاش فيه العلامة الحلبي + قد شهد شيئاً من الازدهار والتقدم والاشراق من ناحية العلم والحضارة والثقافة، وقد تطور المجتمع الاسلامي في هذا العصر من جهات كثيرة، وقد ظهر في تلك الفترة علماء كبار من المذاهب الاسلامية. وحاول في هذا العصر اتباع مختلف المذاهب الاسلامية الدفاع عن رؤاهم ومعتقداتهم الدينية، وكتبت كتابات ورسائل مختلفة في تلك الحقبة الزمنية لايضاح أفكار مذهب معين، أو الدفاع عن رؤى ونظريات مذهب آخر.

وقد شعر علماء المذاهب الاسلامية أن ازدهار العلم يتحقق في احضان الفكر، والفكر يحتاج الى الحرية، ومن هنا باشر علماء المذاهب الاسلامية المباحثات والمناظرات بينهم، وفي ظل هذه الحوارات وصراعات الافكار تحققت ارضية مناسبة لتنمية الفكر والثقافة. نعم، قد توجد صراعات هنا أو هناك بين ابناء المذاهب، لكن هذا المقدار من الصراعات يعتبر ضئيلاً بالنسبة الى حريات الفكر والمباحثات الحرة العلمية.

المطلب الخامس: الفقه المقارن.

الفقه المقارن يعني: «جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض»<sup>(١٦٠)</sup>، ويطلق عليه أيضاً الفقه الخلافي.

والهدف من الفقه الخلافي هو جمع آراء الفقهاء، وإقامة الأدلة والبراهين والحجج التي تؤيد المذهب الذي ينتمي إليه الفقيه الباحث في الفقه الخلافي، وتقوي رأيه الذي اعتمد عليه، فإن دراسة المسائل الفقهية مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات العلمية لآراء الفقه السني، له مردوداته الايجابية، فلأجل قرب الفقه الشيعي والسني من بعضهما، والخطوط المشتركة الكثيرة بينهما، فينبغي أن تكون هناك احاطة على وجه الدقة بوجهات نظر أهل السنة أيضاً في كل مسألة تبحث.

ويشترك الفقه الخلافي مع الفقه الاستدلالي أو الفقه المذهبي في أن كلا منهما يعتمد على علم الأصول، إلا أن الفقه الخلافي يعتمد على الأصول في تثبيته وتركيزه للمذهب المختار، وبالتالي عدم هدمها من قبل المخالف بأدلته، أما في الفقه الاستدلالي المذهبي فيعتمد على أصول الفقه لأجل استنباط الحكم الشرعي<sup>(١٦١)</sup>.

وهذا اللون من البحث العلمي نشأ عند الفريقين السنة والشيعية منذ القرن الثاني للهجرة<sup>(١٦٢)</sup>، وكان متداولاً في تلك العصور، فكان فقهاء الشيعة - في الماضي - يطرحون آراء فقهاء أهل السنة أيضاً ضمن طرح وجهات نظرهم الخاصة، وينقدون أدلتهم بشكل علمي، وإلى القرن السابع تقريباً كان نقل ودراسة فتاوى فقهاء أهل السنة أمراً شائعاً ومتعارفاً عليه بين علماء الشيعة، وكثيراً ما نصادف آراءهم في كتب الشيخ الطوسي+، ت: ٤٦٠هـ، والعلامة الحلبي+، ت: ٧٢٦هـ، وغيرهما، وربما كان الشيخ الطوسي+ أول

فقيه ألف بكفائة تامة دورة كاملة من الفقه الخلافي تحت عنوان الخلاف، أهتم فيها بدراسة وجهات نظر فقهاء أهل السنة في جميع المجالات الفقهية، ولكن في القرون التالية، ومنذ القرن الثامن وما بعد، أخذ هذا اللون من البحث العلمي بالاضمحلال، وهجر هذا الأسلوب تدريجياً، حيث لا يلاحظ في كتبنا الفقهية أثر لوجهات النظر الفقهية لأهل السنة، إلى أن أحيأ أخيراً السيد البروجردى+، ت: ١٣٨٠هـ، سنة الماضين وأولى الفقه الخلافي اهتماماً خاصاً، فمن خلال معرفته الكاملة والشاملة في الفقه وآراء فقهاء أهل السنة استطاع أن يحدث نقلة نوعية في أمر الإستنباط ويخلق أسلوباً جديداً<sup>(١٦٣)</sup>.

وعلى أي حال أن الفقه الخلافي عند الشيعة هو «عبارة عن مجموعة من المناظرات والمناقشات التي تنقض التشريعات الحادثة بعد وفاة الرسول»، اعتماداً على أصول وقواعد معينة<sup>(١٦٤)</sup>.

وكانت أهم التشريعات التي كانت مثاراً للجدل والمناظرة والتماس الأدلة والقواعد لأجل مناقشة ما استندت إليه هي تلك التشريعات التي حدثت في القوانين المالية كالغاء سهم المؤلفة قلوبهم، وسهم ذوي القربى وهو الخمس، والقول بالعول والتعصيب في الميراث، والتشريعات المتعلقة بالأمر العبادية كالغاء متعة الحج وبعض فصول الاذان، ووضع وتشرية صلاة التراويح، والتشريعات المتعلقة بالمعاملات كاشتراط صحة النكاح بحضور شاهدين وعدم اشتراط ذلك في الطلاق، وإلغاء نكاح المتعة، وغير ذلك من التشريعات التي هي محل خلاف بين المذهب الشيعي الإمامي وغيره من سائر المذاهب الإسلامية الأخرى.

وقد نقل لنا التأريخ الكثير من المناظرات التي تدور حول مسائل الفقه الخلافي والمباني التي تستند عليها تلك المسائل<sup>(١٦٥)</sup>، وقد ألفت مصنفات في هذا المجال<sup>(١٦٦)</sup>.

والمهم هو أن هذا اللون من البحث يعتمد كثيراً على علم أصول الفقه، ومن هنا كان الفقه الخلافي منطلقاً للبحث والتدقيق في علم الأصول، وبالتالي إسهامه في توسع وتطور علم الأصول، فإن التعرف على فقه أهل السنة، ودراسة وجهات نظرهم، والاطلاع

على المباني الاصولية للآراء الفقهية، ومن ثم المقارنة والموازنة بينه وبين وجهات النظر الشيعية، يمكن أن يؤدي إلى نمو علم الاصول وتطوره.

ومن أمثلة وشواهد الفقه الخلافي ما نقله الشيخ الكليني<sup>(١٦٧)</sup>، ت: ٣٢٩هـ، عن الفضل بن شاذان & من جواب في مسألة الطلاق، حيث إن السؤال المطروح هو أن الشيعة يقولون بأن من طلق لغير العدة فطلاقه باطل، استناداً إلى قوله تعالى: {فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} <sup>(١٦٨)</sup>، بينما المطلقة لو خرجت من بيت زوجها في العدة فطلاقها صحيح، في حين أن القرآن الكريم، يقول: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ} <sup>(١٦٩)</sup>، فالآيتين مفادهما واحد وهو تقييد الطلاق بالعدة، وتقييده بالبقاء في بيت الزوج.

فَكَانَ جواب الفضل بن شاذان مبنياً على أن هناك فرقاً بين لسان الآيتين، ف«إن لسان الآية الاولى لسان إرشادي للحصة الخاصة، فيفيد عدم الإمضاء للطلاق في غير تلك الحصة، بينما لسان الآية الثانية هو النهي المولوي، الذي لا يلزم من مخالفته الفساد الوضعي» <sup>(١٧٠)</sup>.

فَهَذَا فرق بين اللسان الإرشادي واللسان المولوي، فالأول يقتضي البطلان والفساد، بينما الثاني يقتضي الحرمة والمعصية <sup>(١٧١)</sup>.

إن التفاعل السلمي بين علماء المذاهب الاسلامية اوجد ارضية مناسبة للحوار والنقاش في مختلف المجالات العلمية من الفقه والكلام والاصول لذلك عقد كثير من علماء المذاهب الاسلامية مجالس الدرس والبحث في الفقه والكلام وشارك طلاب علوم الدين شيعة وسنة في محاضرات علماء مذهب آخر، فنجد أن طلاب علوم الدين من الشيعة يشاركون في مجالس علماء أهل السنة، ويشارك طلاب علوم الدين من السنة في مجالس علماء الشيعة، وهذا كان امراً متعارفاً بين الفريقين، ويعتبر نموذجاً بارزاً من الوحدة والتقارب بين اتباع المذاهب الاسلامية.

وكان للعلامة الحلبي + مساهمة فاعلة في هذا المجال، ويشهد لذلك ما تركه من مؤلفات في هذا المجال، حيث كان يتمتع بقدرات خاصة في الفقه المقارن، فكان يوضح القضايا الفقهية والكلامية ببيان رصين، ويرهن عليها ويناقش كي يصل الى الرأي الصحيح

ويختار ما قام عليه الدليل، وقد استطاع من خلال ذلك أن يطور الفقه المقارن الى مرحلة عالية.

وفي هذا المجال نذكر مؤلفاته الفقهية في حقل الدراسات المقارنة، نظراً لارتباط موضوع دراستنا بها، وهي:

١- تذكرة الفقهاء.

٢- منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

فقد تصدى+ في هذين الكتابين لبحث الفقه المقارن بين أدلة الشيعة والسنة، إلا أن عمله في الثاني كان بصورة أوسع من سابقه، حيث قال+ في وصف كتابه المنتهى أنه <لم يعمل مثله، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه، ورجحنا ما نعتقده بعد إبطال حجج من خالفنا فيه> (١٧٢).

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذا الشوط في الحديث عن جهود العلامة الحلي+ في التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال البحث والتحقيق في اصول الفقه المقارن أفرز البحث عدة نتائج، ابرزها:

١- يعتبر الاختلاف في مسائل وقواعد اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، ومن هنا تبرز أهمية البحث في اصول الفقه من زاوية مقارنة.

٢- إن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية من المكونات الأساسية لأي مشروع إصلاحى ينشد التجديد الحضاري، والتمسك بالمصالح العليا والقيم والمقاصد العامة للشريعة والأمة الإسلامية.

٣- ينبغي أن لا يفهم من التقريب أو الوحدة الإسلامية هو جمع المسلمين تحت مذهب واحد، بل غاية الأمر هو تحديد الاصول الاسلامية المتفق عليها من جميع المذاهب، بغية التقريب بينها، واحترام كل فريق رأي الفريق الآخر في المسائل الفرعية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن يكون هذا الرأي مشفوعاً بالدليل العلمي.

٤- إن علماء الشيعة لهم جهود مهمة لها اثرها البارز في زرع وتنمية بذرة الفكر التقريبي بين المذاهب الاسلامية، حيث كان ولا يزال لعلماء الشيعة دور كبير في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية.

٥- إن اساليب التواصل الفكري متعددة، ابرزها تبادل الرسائل، والحضور والتلمذ، المناضرات، الشرح والتعليق على مؤلفات الطرف الآخر، وغير ذلك.  
هوامش البحث:

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣/٣٢٨، باب اللام، فصل الهمزة. ابن منظور، لسان العرب، ١٦/١١، مادة: اصل. الفيومي، المصباح المنير، ٢٤.

(٢) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقهاء المقارن، ٣٩. احمد البهادلي، مفتاح الاصول الى علم الاصول، ٢٧/١ - ٢٨.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤/٢٨٩، باب الهاء، فصل الفاء.

(٤) الفيومي، المصباح المنير، ٣٩٠.

(٥) الجرجاني، التعريفات، ١٣٨، العاملي، معالم الدين وملاد المجتهدين، ٣٣، ابوالقاسم القمي، القوانين المحكمة، ٣٦/١.

(٦) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقهاء المقارن، ٤٠.

(٧) محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ١٣.

(٨) محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ٤١.

(٩) مير تقي الحسيني الكركاني، نبراس الازهان في اصول الفقهاء المقارن، ٨٢/١.

(١٠) محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ٤٦.

(١١) محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ٤٦ - ٤٧.

(١٢) انظر: محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ٤٦ - ٤٧، مير تقي الحسيني الكركاني، نبراس الازهان في اصول الفقهاء المقارن، ٩٧/١، موسوعة اصول الفقهاء المقارن، ٣٤/١.

(١٣) محمد اسحاق الفياض، النظرة الخاطفة في الاجتهاد، ٧١ - ٧٥.

(١٤) الخلاصة، ١٠٩.

(١٥) الوافي بالوفيات، ١٣/٥٤.

(١٦) ذكره في الدرر الكامنة، ٤٩/٢ باسم الحسن، وفي ص ٧١ باسم الحسين، وقال في ص ٧٢: (وقيل اسمه الحسن)، وذكره في لسان الميزان، ٣١٧/٢ باسم الحسن.

- (١٧) موسوعة طبقات الفقهاء، ٧٧/٨.
- (١٨) الوافي بالوفيات، ٥٤/١٣، الدرر الكامنة، ٧١/٢.
- (١٩) أعيان الشيعة، ١٦/٩ - ١٧.
- (٢٠) هو من أمراء دولة الديلمة، وهو غير سيف الدولة ابن حمدان الذي هو من جملة ملوك الشام.
- الخوانساري، روضات الجنات، ٢٦٤/٢.
- (٢١) معجم البلدان، ١٧٦/٣.
- (٢٢) البداية والنهاية، ١٢٥/١٤.
- (٢٣) أعيان الشيعة، ١٤/٩.
- (٢٤) الخلاصة، ١١٣.
- (٢٥) تأسيس الشيعة، ٣٩٩.
- (٢٦) لؤلؤة البحرين، ٢١٨.
- (٢٧) امل الامل، ٨٤/٢.
- (٢٨) رياض العلماء، ١ / ٣٦٦ و ٣٧٥.
- (٢٩) روضات الجنات، ٢٧٧/٢.
- (٣٠) تنقيح المقال، ٣١٥/١.
- (٣١) الذريعة، ٢٣٨/٥.
- (٣٢) البداية والنهاية، ١٢٥/١٤.
- (٣٣) أي: الرابع والعشرين.
- (٣٤) رياض العلماء، ٣٨١/١.
- (٣٥) انظر: محمد مهدي الخرسان، مقدّمة كتاب الالفين، ٧.
- (٣٦) انظر: محمد مهدي الخرسان، مقدّمة كتاب الالفين، ١٢.
- (٣٧) ابن داود، الرجال، ٧٨.
- (٣٨) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨٨/١٠٤.
- (٣٩) ابو الحسن علي بن الخازن الحائري، فقيه فاضل، من كبار تلامذة الشهيد الأوّل، واستاذ الشيخ احمد بن فهد الحلّي. عباس القمي، الكنى والالقباب، ٢٧٣/١.
- (٤٠) جعفر بحر العلوم، تحفة العالم، ١٨٣/١.
- (٤١) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/١٠٥.
- (٤٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٤/١٠٤.

- (٤٣) جعفر بحر العلوم، تحفة العالم، ١/١٨٣، نقلاً عن كشف اليقين.
- (٤٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٠/١٠٤.
- (٤٥) امل الامل، ٣٤٥/٢.
- (٤٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٣/١٠٤.
- (٤٧) لؤلؤة البحرين، ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (٤٨) روضات الجنات، ٢٧٢/٢.
- (٤٩) امل الامل، ٢١١/٢.
- (٥٠) لؤلؤة البحرين، ٢٦٦.
- (٥١) رياض العلماء، ٣٦٠/١.
- (٥٢) مجالس المؤمنين، ٣٦٣/٢، نقلاً عن تاريخ الحافظ الآبرو.
- (٥٣) امل الامل، ٢٦٠/٢ - ٢٦١.
- (٥٤) رياض العلماء، ٣٦٠/١.
- (٥٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٢/١٠٤.
- (٥٦) امل الامل، ٨١/٢.
- (٥٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٣/١٠٤ - ٦٤.
- (٥٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٤/١٠٤.
- (٥٩) انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى واللقاب، ٣/١٠٠.
- (٦٠) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/١٠٤.
- (٦١) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/١٠٤.
- (٦٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٥/١٠٤.
- (٦٣) انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى واللقاب، ٣/٢٤٩، موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/١١٠ - ١١١، الترجمة: ٢٧٣٧.
- (٦٤) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٧/١٠٤.
- (٦٥) انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى واللقاب، ٢/١١.
- (٦٦) انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/٥٩، الترجمة ٦٠٥٧، موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/٩٨، الترجمة: ٢٧٢٦.
- (٦٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٧/١٠٤.
- (٦٨) محمد محسن الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ٣/٥٣.

- (٦٩) رياض العلماء، ١/٣٦٠.
- (٧٠) محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٧.
- (٧١) محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٧.
- (٧٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٢/١٠٤، محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٦.
- (٧٣) المجلسي، بحار الانوار، ١٤٣/١٠٤، وذكر الشيخ الطهراني أنه كتبها في الحلة سنة ٧٠٩، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٨.
- (٧٤) المجلسي، بحار الانوار، ٢١/١٠٥. وقال العلامة الطهراني في الذريعة، ١/١٧٨ عند ذكره لهذه الاجازة أنها ليس لها تاريخ.
- (٧٥) محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٧.
- (٧٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٣٨/١٠٤ - ١٣٩.
- (٧٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٢/١٠٤.
- (٧٨) محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٧.
- (٧٩) المصدر نفسه، ١/١٧٧.
- (٨٠) المصدر نفسه، ١/١٧٧.
- (٨١) المصدر نفسه، ١/١٧٦.
- (٨٢) المصدر نفسه، ١/١٧٧.
- (٨٣) المصدر نفسه، ١/١٧٧.
- (٨٤) المصدر نفسه، ١/١٧٨.
- (٨٥) المصدر نفسه، ١/١٧٨.
- (٨٦) المصدر نفسه، ١/١٧٧.
- (٨٧) محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/١٧٧. حسن الصدر، تأسيس الشيعة، ١/١٧٨.
- (٨٨) حسن الصدر، تأسيس الشيعة، ٢٧٠.
- (٨٩) رياض العلماء ١/٣٦١.
- (٩٠) انظر تاريخ المحافظ الآبرو المعاصر للسلطان كما عنه في مجالس المؤمنين ٢/٣٦٠، الخوانساري، روضات الجنات ٢/٢٧٥، وغيرها.
- (٩١) الوافي بالوفيات، ١٣/٨٥.
- (٩٢) مجالس المؤمنين، ٢/٣٥٩، نقلاً عن تاريخ المحافظ الابرو.

- (٩٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٣٩٧/٥، نقلاً عن مقدمة شرح مبادئ الوصول للجرجاني.
- (٩٤) لسان الميزان، ٣١٧/٢.
- (٩٥) الدرر الكامنة، ٧١/٢.
- (٩٦) معجم المؤلفين، ٣٠٣/٣.
- (٩٧) الاعلام، ٢٢٧/٢.
- (٩٨) الفوائد الرضوية، ١٢٦.
- (٩٩) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٢/١٠٤.
- (١٠٠) أعيان الشيعة ٣٩٦/٥.
- (١٠١) التنكابني، قصص العلماء، ٣٥٩.
- (١٠٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/١٠٤.
- (١٠٣) تأسيس الشيعة، ٢٧٠.
- (١٠٤) اللثالي المنتظمة، ٦٢ - ٦٣.
- (١٠٥) الدرر الكامنة، ٧١/٢.
- (١٠٦) انظر مؤلفاته في مقدمة تحقيق كتاب مختلف الشيعة، ٤٧/١ - ١٠٥.
- (١٠٧) الوافي بالوفيات، ٨٥/١٣.
- (١٠٨) مجالس المؤمنين، ٥٧٤/١، نقلاً عن تاريخ اليافعي.
- (١٠٩) الدرر الكامنة، ٧٢/٢.
- (١١٠) نقد الرجال، ١٠٠.
- (١١١) عبدالله افندي، رياض العلماء، ٣٦٦/١، نقلاً عن نظام الأقوال للقرشي.
- (١١٢) تنقيح المقال، ٣١٥/١.
- (١١٣) تأسيس الشيعة، ٣٩٩.
- (١١٤) روضات الجنات، ٢٨٢/٢.
- (١١٥) خاتمة المستدرک، ٤٦٠.
- (١١٦) عبدالله افندي، رياض العلماء، ٣٨١/١، نقلاً عن الشهيد الثاني.
- (١١٧) البداية والنهاية، ١٢٥/١٤.
- (١١٨) عبدالله افندي، رياض العلماء، ٣٦٦/١، محسن الامين، أعيان الشيعة ٣٩٦/٥.
- (١١٩) محسن الامين، أعيان الشيعة ٣٩٦/٥، نقلاً عن توضيح المقاصد.
- (١٢٠) روضات الجنات، ٢٨٢/٢.

- (١٢١) خاتمة المستدرك، ٤٦٠.
- (١٢٢) انظر تاريخ الحافظ الآبرو المعاصر للسلطان، كما عنه في مجالس المؤمنين ٣٦٠/٢. ومنتخب التواريخ للنطنزي كما عنه في اللثالي المنتظمة، ٧٠، وروضات الجنات ٢٨٢/٢، وغيرها.
- (١٢٣) انظر ترجمته وقصة استشهاده+ في شهداء الفضيلة، للعلامة الشيخ عبدالحسين الاميني، ٧٩-٩٣.
- (١٢٤) انظر ترجمته وقصة استشهاده+ في شهداء الفضيلة، للعلامة عبدالحسين الاميني، ١٢١-١٢٩.
- (١٢٥) محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، ١٦.
- (١٢٦) محمد بن سليمان التنكابني، قصص العلماء، ٦٩٠-٦٩١، عبدالله افندي، رياض العلماء، ١٧٧/٥.
- (١٢٧) انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١٠٥، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٢٤/١٦.
- (١٢٨) انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٠، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٣٣/١٦.
- (١٢٩) انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢٤٤/١٧.
- (١٣٠) ذكر ذلك: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٧، عبدالرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، ٣٩٢.
- (١٣١) فلاحظ: عبدالله افندي، رياض العلماء، ٥١٥/٥، المجلسي، بحار الانوار، ١٣٦/١٠٤. ذكر العلامة الحلبي في اجازته الكبيرة الى علي بن زهرة بعض شيوخ الطوسي+ من العامة.
- (١٣٢) مجتبي العراقي، مقدمة تحقيق (كتاب الخلاف) للشيخ الطوسي، ٨/١.
- (١٣٣) انظر ترجمته: عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ٧٩-٨٨، عباس القمي، الكنى والالقب، ٢٧٧/٢-٣٨١.
- (١٣٤) ابو الحسن علي بن الخازن الحائري، فقيه فاضل، من كبار تلامذة الشهيد الأول، واستاذ الشيخ احمد بن فهد الحلبي. عباس القمي، الكنى والالقب، ٢٧٣/١.
- (١٣٥) المجلسي، بحار الانوار، ١٩٠/١٠٤.
- (١٣٦) انظر ترجمته: الحر العاملي، امل الآمل، ٨٥/١-٩١، يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ٢٨-٣٦، عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ١٢١-١٣٢، عباس القمي، الكنى والالقب، ٣٨١/٢-٣٨٦.
- (١٣٧) الحر العاملي، امل الآمل، ٨٥/١، يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ٣١، عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ١٢٢.
- (١٣٨) عباس القمي، الكنى والالقب، ٣٨٣/٢.

(١٣٩) ابو عمرو عثمان بن عمر الفقيه المالكي، من كبار العلماء في الادب والفقه والاصول، له مؤلفات كثيرة، منها: الشافية في الصرف، والكافية في النحو، ومنتهى السؤل والأمل في علمي الاصول والجدل، وغيرها، توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦هـ. عباس القمي، الكنى واللقاب، ١/٢٥٤. موسوعة طبقات الفقهاء، تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق، ٧/١٥٢.

(١٤٠) القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشافعي، له مؤلفات، منها: انوار التنزيل في التفسير، والمنهاج في أصول الفقه، وشرح المطالع في المنطق، وغيرها، توفي سنة: ٦٨٥هـ. انظر ترجمته في: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/١٥٢، الخوانساري، روضات الجنات، ٥/١٣٤، عباس القمي، الكنى والألقاب، ٢/١١٣.

(١٤١) ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، والذهبي نسبة الى صنعة الذهب المدقوق التي اتخذها مهنة له في أول أمره، له مصنفات كثيرة في الحديث، والعقائد، والفقه، والتاريخ والتراجم، وغيرها. كانت ولادته سنة ٦٧٣، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. عباس القمي، الكنى واللقاب، ٢/٢٦٦-٢٦٧.

(١٤٢) احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، له فتاوى وعقائد بسببها حكم عليه الفقهاء بضلالته، وفساد عقيدته، فحبسه عامل مصر، فتوفي في محبس مراكش، سنة ٧٢٨هـ. عباس القمي، الكنى واللقاب، ١/٢٣٦.

(١٤٣) ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، شيخ أهل الحديث، له مصنفات مشهورة في الرجال والحديث والادب، منها: التقريب، والدرر الكامنة، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ بالقاهرة. عباس القمي، الكنى واللقاب، ١/٢٦١.

(١٤٤) اسماعيل بن عمر الدمشقي الفقيه الشافعي، كانت له خصوصية بابن تيمية، وتبعه في كثير من آرائه، اهتم بعلم الحديث والاصول وحفظ المتون والتواريخ، له مؤلفات منها: البداية والنهاية، وطبقات الشافعية، وتفسير القرآن، وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ بدمشق. عباس القمي، الكنى واللقاب، ١/٣٩٣.

(١٤٥) ابو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي، صاحب كتاب (وفيات الاعيان) يشتمل على ٨٦٤ ترجمة، كان اديباً فاضلاً، كان مولده سنة ٦٠٨ بمدينة اربل، وتوفي سنة ٦٨١هـ بمدينة دمشق. عباس القمي، الكنى واللقاب، ١/٢٧٧-٢٨٠.

(١٤٦) انظر ترجمته: موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/٩٨، الترجمة: ٢٧٢٦.

(١٤٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/٦٤.

- (١٤٨) محمد مصطفوي، علم اصول الفقه وإشكالياته المنهجية، مجلة الحياة الطيبة، السنة الرابعة، شتاء ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، العدد: ١٤/١٦٨.
- (١٤٩) المحقق الكركي، جامع المقاصد في شرح القواعد، ٢٣٥/١.
- (١٥٠) عبدالله افندي، رياض العلماء، ٣٨٢/١.
- (١٥١) المحقق الكركي، جامع المقاصد، ٢٣٦/١.
- (١٥٢) عبدالله افندي، رياض العلماء، ٣٨٣/١.
- (١٥٣) حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني وفتات وملاحظات، ٣٢٢.
- (١٥٤) مهدي علي بور، المدخل الى تأريخ علم الأصول، ١٣٥.
- (١٥٥) مهدي علي بور، المدخل الى تأريخ علم الأصول: ١٢٣.
- (١٥٦) محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للأصول، ٨٩.
- (١٥٧) غنية النزوع الى علمي الأصول والفروع، ٢٦٦/٢ - ٢٦٧.
- (١٥٨) الدرر الكامنة، ٧١/٢.
- (١٥٩) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/١٠٤.
- (١٦٠) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ١٣.
- (١٦١) ابن خلدون، المقدمة، ٤٥٧.
- (١٦٢) منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، - تقرير بحث السيد علي السيستاني، - ٧٢.
- (١٦٣) المنهج الاجتهادي عند الامام البروجردي، حوار مع ثلاثة من الفقهاء (الشيخ لطف الله الصافي، الشيخ حسين النوري، الشيخ تجليل التبريزي)، مجلة الاجتهاد والتجديد، السنة السابعة، ربيع وصيف، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، العدد: ٢٦ - ٤٠/٢٧. مرتضى المطهري، الاجتهاد في الاسلام - مجموعة مؤلفاته، ١٢٤/٧، -.
- (١٦٤) منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، - تقرير بحث السيد علي السيستاني، - ٧٤.
- (١٦٥) فلاحظ: الكليني، الكافي، ٩٢/٦ - ٩٦.
- (١٦٦) منها: كتاب الخلاف للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، + ت: ٤٦٠ هـ، وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلبي، + ت: ٧٢٦ هـ.
- (١٦٧) الفروع من الكافي، ٩٣/٦.
- (١٦٨) الطلاق: ١.
- (١٦٩) الطلاق: ١.
- (١٧٠) منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، - تقرير بحث السيد السيستاني، - ٧٧.

(١٧١) المشهور عند أهل السنة أن طلاق الحائض يوجب الإثم، مع وقوع الطلاق صحيحاً. قال الدكتور يوسف القرزاوي: «...ويجزم عليه أن يطلقها في وقت الحيض، كما يجزم عليه أيضاً أن يطلقها وهي طاهر بعد أن يكون قد اتصل بها...»

ولكن هل ينفذ الطلاق ويقع أم لا يقع؟، المشهور أنه يقع ويكون المطلق آثماً. وقالت طائفة من الفقهاء: لا يقع؛ لأنه لم يشرعه الله تعالى البتة، ولا أذن فيه فليس من شرعه، فكيف يُقال بنفوذ وصحته؟». الحلال والحرام في الإسلام، ٤١٢ - ٤١٤.

بينما عند الشيعة الإمامية يشترط في صحة الطلاق وقوع الطلاق في طهر لم تحصل فيه موافقة، فإذا وقع في أيام الحيض فهو باطل. فلاحظ: المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ٥/٣. (١٧٢) الخلاصة، ١٠٩.

المصادر والمراجع:

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: ٦٨١هـ.

١- وفيات الأعيان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

أحمد البهادلي، الدكتور.

٢- مفتاح الوصول إلى علم الأصول، دار المؤرخ العربي، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، بيروت - لبنان.

أبو القاسم القمي، ت: ١٢٣١هـ.

٣- القوانين المحكمة في الأصول، شرح وتعليق: رضا حسين صبح، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ.

أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ت: ٧٧٠هـ.

٤- المصباح المنير، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ط ٣، مطبعة سرور.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ.

٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

أحمد بن يحيى بن المرتضى، ت: ٨٤٠هـ.

٦- طبقات المعتزلة، دار المنتظر، ط ٢: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، بيروت - لبنان.

- جعفر بن الحسن المحقق الحلبي، ت: ٦٧٦هـ.
- ٧- شرائع الإسلام، تحقيق: عبدالحسين محمد علي بقال، ط ١، مطبعة: إسماعيليان - قم.  
حيدر حب الله.
- ٨- مسألة المنهج في الفكر الديني ووقفات وملاحظات، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١،  
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- حسن الصدر، ت: ١٣٥٤هـ.
- ٩- تكملة أمل الآمل، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م،  
تحقيق: د. حسين علي محفوظ، عبدالكريم الدباغ، عدنان الدباغ.
- ١٠- الشيعة وفنون الاسلام، تحقيق: السيد مرتضى المير سجادي، الناشر: مؤسسة  
السبطين، العالمية، المطبعة محمد، ايران - قم، ط ١، ١٤٢٧هـ - ق. ١٣٨٥هـ. ش.
- الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر العلامة الحلبي، ت: ٧٢٦هـ.
- ١١- خلاصة الاقوال، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: نشر الفقاهة، ط ٤، ١٤٣١هـ  
ق، ايران - قم.
- عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، ت: ١٣٩٠هـ.
- ١٢- شهداء الفضيلة، تحقيق: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، بيروت - لبنان،  
الناشر: مؤسسة التاريخ العربي.
- عبدالله أفندي الأصهباني، ت: ١١٣٠هـ.
- ١٣- رياض العلماء، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، النجف، تحقيق: السيد  
أحمد الحسيني، قم - ١٤٠٣هـ.
- علي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦هـ.
- ١٤- التعريفات، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.  
عمر رضا كحالة.
- ١٥- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.  
محمد بن يعقوب الكليني، ثقة الإسلام، ت: ٣٢٩هـ.

- ١٦- الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.  
محمد تقي الحكيم، العلامة.
- ١٧- الأصول العامة للفقهاء المقارن، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط١: ١٩٦٣م، بيروت- لبنان.  
مهدي علي بور.
- ١٨- المدخل الى تاريخ علم الاصول، المطبعة: اميران، الناشر: مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، تعريب وتعليق: علي ظاهر، ط١، ١٤٣١هـ.  
محمد باقر الصدر، المحقق، ت: ١٤٠٠هـ.
- ١٩- المعالم الجديدة للاصول، شريعت - قم، ١٤٢٩هـ، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر+.  
محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ.
- ٢٠- القاموس المحيط، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت- لبنان.  
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: ٧٤٨هـ.
- ٢١- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٢- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.  
محمد صنقور علي.
- ٢٣- المعجم الأصولي، المطبعة عترت، الطبعة الثانية.  
مير تقي الحسيني الكركاني.
- ٢٤- نبراس الازهان في اصول الفقه المقارن، الناشر مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ ق.  
محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ت: ١١١١هـ.
- ٢٥- بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، ط٣: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، بيروت- لبنان.  
محمد بن سليمان التنكابني.

- ٢٦- قصص العلماء، المطبعة: ستارة، ايران - قم، ط٢، ١٤٢٩هـ، الناشر: ذوي القربى،  
ترجمة: الشيخ مالك وهبي.  
نور الله المرعشي التستري، ت: ١٠١٩هـ.
- ٢٦- مجالس المؤمنين، تعريب وتحقيق: محمد شعاع فاخر، المطبعة: شريعت، الناشر:  
المكتبة الحيدرية.

## الشيخ محمد جواد الجزائري (١٨٨٢-١٩٥٩) وأثره الاجتماعي والسياسي

م.د. محمد جواد جاسم الجزائري

جامعة الكوفة – كلية الآداب

المقدمة:

برز في مدينة النجف الأشرف خلال العقود الأولى من القرن العشرين عدد من العلماء ورجال الدين ، الذين كانت لهم إسهامات فاعلة ليس في الحياة العامة لمدينة النجف الأشرف فحسب ، بل في العراق عامة ، حيث شهد هذا البلد أحداثاً داخلية وخارجية أثرت تأثيراً مباشراً في واقعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي في ابان تلك العقود ، وكان الشيخ محمد جواد الجزائري أحد اولئك الاعلام الذين كانت لهم مواقف ورؤى ازاء قضايا فرضها الواقع السياسي وتطوراته في العراق ، ولاسيما في سنوات الحرب العالمية الاولى وبعدها بعقود .

احتوى نتاجه الفكري أموراً تجديدية وافتاحاً على مستجدات العصر يومئذ، في مرحلة أقل ما يقال عنها مرحلة انبثاق الأيدولوجيات المعاصرة و الصراعات المحتمدة بين التيارات المتناقضة من ليبرالية وأخرى يسارية وثالثة قومية ورابعة دينية، فورة فكرية سياسية أثرت بعمق واضح في الساحتين العراقية والعربية ، وكان حجم وسعة المهمة المعرفية والعلمية والدور الإصلاحي الذي اضطلع فيه الشيخ آنف الذكر خلال سني حياته، ولاسيما فيما يتعلق بمواقفه السياسية الى جانب مواقف غيره من الاعلام في مدينة النجف الأشرف ، هي التي دفعت هذه المدينة ان تتخذ موقفاً وطنياً مضاداً من الاحتلال البريطاني .

المبحث الأول : لمحات من حياة الشيخ محمد جواد الجزائري

ولد الشيخ محمد جواد بن علي بن كاظم بن جعفر بن حسين أبن محمد بن العلامة الشيخ أحمد الجزائري الاسدي<sup>(١)</sup> ، في محلة العمارة في النجف الأشرف عام ١٢٩٩ هجرية الموافق ١٨٨٢ للسنة الميلادية<sup>(٢)</sup>، تلقى الشيخ محمد جواد الجزائري تعليمه الأولي في الحلقات الدراسية والكتاتيب في مدينته النجف الأشرف ، حيث درس العلوم العربية – كالنحو والصرف والبلاغة فضلاً عن الرياضيات والحساب والهيئة والهندسة

والمنطق والكلام والفلسفة وقد أتمّ دراسته الأولية بنجاح وتفوق وكان أخوه الأكبر الشيخ عبد الكريم الجزائري معلمه الأول ، درس على يديه الفقه وبعض العلوم الدينية ، واجتاز مراحل الدراسة الأولية وأظهر تفوقه ونبوغه فيها، واهتم بدراسة الأدب والتاريخ العربي إلى جانب دراسته للفقه والأصول والرياضات والمنطق والكلام ، وقد خصص قسماً من وقته للمطالعة ودراسة اللغة العربية ، فضلاً عن حضوره مجالس الشعر والأدب المقامة في مدينة النجف الأشرف والتي فتحت له أجواء جديدة من العلم والمعرفة<sup>(٣)</sup> .

لم يكتف الشيخ الجزائري بما ناله من حلقات الدرس بل تتلمذ على أيدي علماء أفذاذ من حوزة النجف الأشرف في الفقه وأصوله ، فقد درس عند الشيخ عبد الكريم كاشف الغطاء مبادئ النحو والصرف والمعاني والبيان ، وقرأ المنطق على السيد مهدي آل إبراهيم العاملي ، وقرأ الأصول سطحاً على الشيخ محمد حسين الحلبي ، كما حضر درس الكفاية على الملا محمد كاظم الآخوند والشيخ عبد الهادي شليلة ، أما الدروس العالية فقد حضرها على الشيخ على رفيش والسيد أبو الحسن الأصفهاني وأخيه الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ نعمة الله الدامغاني والشيخ عبد الحسين الرشتي والشيخ ضياء الدين العراقي<sup>(٤)</sup> .

سافر الشيخ محمد جواد الجزائري الى مدينة الكاظمية المقدسة في آذار عام ١٩٠٥ وبقي في المدينة لمدة سنة تقريباً للتدريس في حلقاتها الدينية ، وخلال إقامته أتصل بعدد من علماء الدين في مدينتي الكاظمية وبغداد، والقى دروساً في الفقه على طلاب العلم والمعرفة في الكاظمية، وفي شهر نيسان ١٩٠٦، عاد الشيخ الجزائري إلى مدينته النجف الأشرف<sup>(٥)</sup> .

وبعد انتهاء ثورة العشرين وملاحقته من قبل القوات البريطانية هاجر الشيخ محمد جواد الجزائري متخفياً عن طريق ديالى الى ايران ، فاستغل وجوده هناك فالتحق بالحوزة العلمية الفلسفية في طهران لدراسة الفلسفة ، فاخذ دروساً فيها عند الميرزا محمد حسن

الاشتيياقي ، والميرزا ابراهيم الرياضي الحكمي الزنجاني ، وبعد اكماله الدرس واصدار العفو عن الثوار المشاركين في ثورة العشرين ، عاد إلى مدينته النجف الأشرف<sup>(٦)</sup> . أصبح الشيخ محمد جواد الجزائري من بين أبرز علماء حوزة النجف الأشرف ممن برعوا في علم الكلام ، إلى جانب دروس الفقه والأصول والفلسفة ، فالتف حوله عدد كبير من طلبة العلم ، وكان اسلوبه يتميز بالتحدث باللغة العربية الفصحى حتى في حوارهِ الاعتيادي ، فضلاً عن جمعه بين الحكمة والبلاغة والأدب الرفيع والتاريخ العربي في التدريس<sup>(٧)</sup> .

وقد وصفه السيد حسين كمال الدين بانه " من المجتهدين والأساتذة المعروفين بالعلم والفهم والادب ، محترماً بين الناس لما يعرفون من اخلاقه وصدقه ، عزيز النفس ، مات بعيداً عن المال ، مع انه كعالم من حقه ان يحصل على المعيشة الطيبة ، ولكنه كان يؤثر على نفسه طلاب العلوم والكادحين والمعوزين ، عاش كعيشة اقل من الوسط ... ولم ار مثله في الكرم ، حيث يسخو بنفسه ، ويؤثر عليها ويبقى جائعاً ، وكان يتحلى بالظرافة واللفظ في مجالسه " <sup>(٨)</sup> .

أصبح الشيخ محمد جواد الجزائري معلماً بارزاً في الوسط الحوزوي النجفي ، وقد أقبل عليه الكثير من طلاب العلم والمعرفة للارتواء من علمه وفكره الإصلاحية ، وكان من بين أبرز تلامذته علي الخاقاني ومحمد حسن الصوري والدكتور عبد الرزاق محي الدين والسيد محمد علي كمال الدين والشاعر محمد مهدي الجواهري والشيخ باقر شريف القرشي والشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ محمد رضا الشيبلي والشيخ محمد كاظم الطريحي والشيخ عبد المولى الطريحي<sup>(٩)</sup> .

وعلى الرغم من انشغالاته الاجتماعية والدينية والسياسية ، عزز الشيخ الجزائري جهوده التربوية والاصلاحية بنتاج فكري ضم عدداً من المؤلفات ، منها ما هو مخطوط ، ومنها مطبوعة ، ابرزها كتاب وفلسفة الإمام الصادق<sup>(٤)</sup> ونقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية وهي سلسلة من المقالات كتبها الشيخ محمد جواد الجزائري رداً على اللجنة المصرية التي كتبت تلك الاقتراحات .

واكب الشيخ محمد جواد الجزائري النشاطات الثقافية والسياسية ، وذاع صيته بين رجال الفكر والأدب والصحافة والمؤلفين والناشرين ، فرأى ضرورة تجديد الحياة العلمية وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وقد قام بإلقاء المحاضرات الارتجالية، وساهم في تزويد المجلات والصحف العراقية والعربية بنتاجه العلمي والأدبي والسياسي ، مقالة وقصيدة وبمجتاً<sup>(١٠)</sup>.

اصيب الشيخ الجزائري بالمرض المعروف (بعرق النسا) ودخل مستشفى الكرخ ببغداد في ١٧ تشرين الأول ١٩٥٧ ، واستعمل له انواع العلاجات ، وقد تأخرت صحته بسبب أخطاء في المعالجة واشتباهاات في الفحوص والتشخيص والتغذية ، وقد اثار الفحوص المخبرية خارج المستشفى الشك والظنون بتقصده ذلك ، وفي آذار ١٩٥٨ خرج من المستشفى وعاد الى النجف الاشرف ومكث في داره عليلاً بين البيت والمدرسة<sup>(١١)</sup>.

اشتد عليه المرض فاعتلت صحته ، فانتقل إلى جوار ربه يوم الخميس ٢٣ نيسان ١٩٥٩<sup>(١٢)</sup> ، بعد حياة حافلة بالمآثر الجليلة والمواقف الكريمة الزاخرة بالمثل الاسلامية الرفيعة ، وفي صباح اليوم التالي أقيم تشييع لجثمانه اشترك فيه عدد من فقهاء الحوزة وجمع غفير من عامة الناس ، واغلقت الاسواق وخرجت المواكب امام نعشه وصلى على جثمانه في الصحن العلوي الشريف شقيقه العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائري ، ثم وري الثرى في مقبرة آل الجزائري الخاصة في محلة العمارة ، وأقيمت له مجالس التأبين في العديد من مدن العراق ، وقد نعاه عدداً من علماء الدين والأدباء والفضلاء لتطوى بذلك صفحة من صفحات حياته المعطاء الزاخرة بفكره<sup>(١٣)</sup>.

أقيم حفل جماهيري تأبيني بمناسبة مرور أربعون يوماً على وفاته في جامع الجزائري في ٢ حزيران ١٩٥٩ ، اشترك فيه رجال ثورة العشرين وجمع من العلماء والادباء ، وتركز الحديث عن استقلال العراق وعن الحرية وحقوق الشعب والمثل والقيم التي ناضل من اجلها الشيخ الجزائري بكل صدق وإخلاص ، والقى الشيخ عبد الكريم الجزائري بالمناسبة كلمة هذا نصها :

"أخي الجواد : أذكرك اليوم كما ذكرتك سابقا طوال حياتك ، فقد كنت لي باراً وفاقياً استأنس برأيك ، وأطمئن لعزمك ونحن في ميدان الحياة العامة وخدمة البلاد ، أخي: لقد ادبت ما عليك ، فتم قرير العين ، رافقتني حياتي فما رأيتك الا صادقاً مستقيماً ، تتعالى نفسك الأبية عن الدنيا ، لا تعرف النفاق والمخاتلة، مشورتك ثمينة لأنها تخرج من قلب صاف ، وقولك سند حيث لا كذب ولا خوف ، لم اسمع منك مطمعاً في دنيا ، بل عشت في نكران ذات لمصلحة المجموع، تهب وقتك وما تملك يداك لأخوتك من أبناء شعبك وتجهد نفسك في سبيل قضاء حوائج المظلومين وانت في ذلك فرح مسرور ، لا تجد مشقة في واجب ولا تكاسل في معروف ، ولهذا كنت اراك مطمئناً كأنك في حصن أمين لسلامة نيتك وبراءة اعمالك لوجه الله تعالى ، أخي الجواد : لا أقول هذا فيك لأنك اخ عزيز فقدتكم بل هي نفثة من موجع شأني بذلك شأن محبيك وعارفيك وزيادتي اني كنت اراك صفحة مشرقة وانا على قرب دائم منك فأرى الامل والرجاء ، واليوم وقد غبت عن عيني فحسبي الله تعالى وفي سبيل الله تعالى نموت ونحيا ..."<sup>(١٤)</sup>.

قام الشيخ داود حبيب الجزائري سبط الشيخ محمد جواد الجزائري بنقل رفاته في ٤ نيسان ١٩٩٠ من مقبرة الجزائري الى مقبرة وادي السلام ، بعد قيام الحكومة العراقية بهدم محلة العمارة بكاملها والتي تكثر فيها المدارس الدينية والبيوتات العلمية ، فشمّل ذلك الهدم تلك المقبرة<sup>(١٥)</sup>.

المبحث الثاني : اثر الشيخ محمد جواد الجزائري الاجتماعي

اتخذ الشيخ محمد جواد الجزائري من المدرسة الأحمدية في مدينة النجف الأشرف العائدة في ملكيتها إلى جده الشيخ احمد الجزائري (ت ١٧٣٨ م) ، مكاناً ليتسع لكل طلابه، حيث كانت تعقد فيها حلقات الدرس والندوات الموسمية ، فضلاً عن دروس الأدب والفلسفة التي كانت ضمن مناهج تلك المدرسة ، والتي تحولت مع الزمن إلى نادي فكري تلقى فيه الخطب والأمسيات الدينية والأدبية ويجتمع فيه الكثير من علماء ورواد وطلاب العلم والمعرفة ، وكان الشيخ الجزائري عميداً للمدرسة الاحمدية ، فيما كان الشيخ محمد مهدي شمس الدين والشيخ احمد عبد الكريم الجزائري والأستاذ

الدكتور صالح الظالمي والسيد محمد علي الأمين والشيخ باقر شريف القرشي أعضاء اللجنة الخطابية في المدرسة<sup>(١٦)</sup>.

وتعد فرع المدرسة الاحمدية في مدينة الحيرة فرع من المدرسة الاحمدية في النجف الاشرف ، وقد اسست عام ١٩٤٢ ، وكان نظام التدريس فيها لا يختلف عن المدارس الدينية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة ، وكانت لها استقلالية عن مديرية المعارف في لواء الديوانية<sup>(١٧)</sup> من حيث نظام الإدارة والمناهج الدراسية وشهادات تخرج الطلبة<sup>(١٨)</sup> ، وقد عين الشيخ يوسف الازدي عميداً لمدرسة الحيرة والشيخ علي النجار معاوناً له ، وكان السيد محمد علي المرعبي قد خلف الشيخ يوسف في إدارة المدرسة ، والتحق عدد من أهالي مدينة الحيرة للدراسة فيها<sup>(١٩)</sup> ، وقد أرخ الشيخ علي النجار افتتاح المدرسة بأبيات شعرية هي:

مدرسة دينية أسست [ في الحيرة البيضا لدرس العلوم  
عميدها شيخ لها يوسف من فاق بالعلم مناط النجوم  
وانني وكلني نائباً أرخ (سقى ناديه هطل الغيوم)<sup>(٢٠)</sup>

وقدم الشيخ محمد جواد الجزائري عريضة الى مديرية المعارف العامة في ١١ تشرين الثاني ١٩٥٧ ، طلب فيها التنازل عن الاجازة الممنوحة لفرع المدرسة الاحمدية الدينية في الحيرة الى ولده الشيخ عز الدين الجزائري ، ونقل المدرسة من مدينة الحيرة الى مدينة النجف الاشرف لقلّة الاقبال عليها ، وتغيير اسمها الى (مدرسة النجف الدينية) ، وقد وافقت المديرية أعلاه على العريضة بموجب كتابها المرقم ٥٤٤٦٥ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ ، وبدورها أرسلت مديرية معارف لواء الديوانية كتاباً في ٨ كانون الأول ١٩٥٧ الى إدارة مدرسة الحيرة الدينية بموافقتها على نقل المدرسة الاحمدية في الحيرة الى مدينة النجف الاشرف ، وطلبت منها اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ ذلك الامر<sup>(٢١)</sup>.

طلب الشيخ عز الدين الجزائري عميد مدرسة النجف الدينية في ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٨ من متصرفية لواء كربلاء اصدار نشرة مدرسية ، وقد وافقت المتصرفية على اصدار النشرة بموجب كتابها المرقم ١٧٢٨١ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، على ان لا يتعدى ما

ينشر فيها عن الشؤون الدينية والثقافية ، وبعد اطلاق المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم على برامج الدروس التي تدرسها مدرسة النجف الدينية قدم مباركته وتشجيعه للمدرسة بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٠ بعد ان "رأى فيها مشروعاً خيراً يساعد على نشر الثقافة الدينية" (٢٢) .

ويبدو ان هناك دعماً كبيراً من لدن المرجعية العليا لهذه المدرسة، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على نهج ومنهج المدرسة ومؤسسها يسيران على نهج ومنهج الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، ذلك المنهج الإصلاحى والتجديدي ، الذي ساهم في نشر المعارف الإسلامية ، لاسيما في الفقه واصوله .

وقد زار مفتش المعارف في وزارة المعارف العراقية في ١٣ كانون الأول ١٩٦٠ مدرسة النجف الدينية للاطلاع على سير التدريسات فيها ، وكتب تقريراً لزيارته ذكر فيه بانه وجد المدرسة "سائرة بشكل يدعو الى الاعجاب والتقدير من حيث التنظيم والدوام" وطلب من الإدارة والهيئة التعليمية الاستمرار على بذل المزيد من الجهود في خدمة الدين الحنيف (٢٣) .

وقدم الشيخ محمد جواد الجزائري طلب الى وزارة المعارف العراقية في ٧ كانون الثاني ١٩٥٣ لغرض فتح فرع للمدرسة الاحمدية في مدينة كربلاء المقدسة ، وقد وافق مجلس المعارف في الوزارة على فتح المدرسة بجلسته الرابعة المنعقدة في ١٤ شباط ١٩٥٣ ، وصدرت الأوامر من مديرية المعارف العامة الى مديرية معارف لواء كربلاء بفتح فرع للمدرسة الاحمدية في المدينة بموجب كتابهم المرقم ٨٣٥١ في ٤ آذار ١٩٥٣ وسميت (مدرسة الامام الحسين الدينية ) ، وقد وافقت مديرية المعارف العامة في وزارة المعارف على تعيين الشيخ عز الدين الجزائري مديراً لفرع المدرسة الاحمدية في مدينة كربلاء المقدسة بموجب كتابها المرقم ١٦٢٩٠ في ١٠ آيار ١٩٥٣ (٢٤) .

اما مدرسة الجزائري فهي بالأصل مدرسة الخليلي الصغرى في محلة العمارة وبعد وفاة متوليها الشيخ محمد بن الميرزا حسين الخليلي اصبح متوليها الشيخ محمد جواد الجزائري بعد موافقة المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني ، وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩

أكد الشيخ عبد الكريم الجزائري تولية الشيخ محمد جواد الجزائري على تلك المدرسة<sup>(٢٥)</sup>.

اصبح هناك ثلاثة مدارس في مدينة النجف الاشرف هي المدرسة الاحمدية وعميدها الشيخ محمد جواد الجزائري ومدرسة النجف الدينية وعميدها الشيخ عز الدين الجزائري ومدرسة الجزائري (الخليلي الصغرى) ومتوليها الشيخ محمد جواد الجزائري ، ووجد المؤلف ان هناك اختلاف حول تسمية تلك المدارس في عدد من المصادر التي كتبت عن المدارس الدينية في النجف الاشرف وتاريخ تأسيسها ومؤسسها .

أسس الشيخ الجزائري نقابة الاصلاح العلمي عام ١٩٠٥ ، إذ لم تكن فكرة التأسيس النقابي بعد منتشرة في العراق ، وكان التأسيس نتيجة سعة اطلاعه وجديته في إنجاز مشاريعه الاصلاحية التي أراد تحقيقها للنهوض بالواقع الديني والاجتماعي للمجتمع الاسلامي ، فكان رائد التأسيس النقابي في العراق ، فقد كتب الجزائري عند تأسيسه النقابة ما نصه :

"... فقد تنكرت الاخلاق واستفحل سير اللادينية في المناطق الاسلامية ، واهمل الكثير من قوانين الدين الحنيف ، فلم يرع لها إلا ولا ذمة ، وضاعت على رجال الدين والاصلاح طرق الرشاد الى الشريعة الاسلامية ، واختل نظام سيرهم للمعاش والمعاد وتحقيق وظائفهم المفروضة عليهم من نشر الاحكام الشرعية وتطبيقها على المجتمع الاسلامي ، والتبشير امام الاجانب ... رأينا من الواجب الديني والاخلاقي والانساني ان ننظم لنا طريقاً نسلكه لحفظ المعاد والمعاش والمجتمع ، ولتدارك الناشئة التي شبت على غير ما اراد الله ... " (٢٦) .

ويبدو ان الشيخ الجزائري قد استفزته حالة الابتعاد عن الدين الحنيف بسبب تأثيرات الافكار المادية وتنامي النشاط التبشيري الديني مع بداية القرن العشرين ، فضلاً عن انشغال الناس وراء مصالحهم الشخصية والدنيوية الضيقة ، مما قد يؤثر على المجتمع ويؤدي الى ابتعاده عن التعاليم الاسلامية والانجرار وراء الالهواء الغربية ، وهذا ما دعاه الى تأسيس النقابة.

- كانت أبرز الاهداف التي تسيير عليها نقابة الإصلاح العلمي :
١. ضمانها الاقتصادي لطلاب العلم والخروج من الفوضى المعاشية .
  ٢. تنظيم الدراسة وسير طالب العلم على احسن واقصر الطرق المؤدية الى غايته المقدسة .
  ٣. التسلسل الهرمي في تنظيم النقابة .
  ٤. تسمى الهيئة العلمية التي تسيير على الأصول (نقابة الإصلاح العلمي).
  ٥. يكون مقر المركز الرئيسي لجمعية النقابة (النجف الاشرف).
  ٦. على كل عضو مركزي ان يشكل شعبة للمركز لا يقل عددها عن السبعة ولا يتجاوز العشرين .
  ٧. يحدد العضو المنتسب ببلوغه عمر عشرون سنة ومن طلبة العلوم وحسن الاخلاق وان يجري يمين المحافظة على العمل بأصول جمعية النقابة.
  ٨. تكون اجتماعات الجمعية أسبوعيا ويتحقق الاجتماع بحضور نصف عدد الأعضاء<sup>(٢٧)</sup>.
- وبدعوة من الشيخ عبد الله النعمة مفتي الموصل زار الشيخ محمد جواد الجزائري مناطق الشبك وتلعفر من الموصل عام ١٩٣٣ ، حيث كان لبعض سكانها مسحة صوفية (الطريقة البكتاشية)، وليس لديهم وضوح رؤية بكيفية الاخذ بأحكام الاسلام ، وعدم تمييز الصواب مما اوقعهم في الشبهات ، بسبب العزلة التي فرضتها الظروف البيئية وعدم اختلاطهم بالمدن الاخرى ولصعوبة المواصلات بينهم وبين النجف الاشرف ، فأقام الجزائري عندهم وتنقل بين قراهم موضحاً لهم أهم جوانب الاحكام الدينية ومقتضياتها الصحيحة ، فتجاوبوا معه بحماس بالغ ، ودعا عدد منهم للحضور الى النجف الاشرف لمتابعة تعليمهم الحوزوي ، وترك عندهم منهجا بأحكام الاسلام وتعاليمه السامية ، وكتب في اول المنهج " ان لا دخل لهذا التعليم بالسياسة " ، لحماية الاهالي من ملاحقة الدولة آنذاك<sup>(٢٨)</sup>.

ويبدو ان دعوة مفتي الموصل للشيخ الجزائري جاءت بعد عجزه عن القيام بمهامه الشرعية في تلك المناطق لعدم استجابة اغلب سكان تلك المناطق له ، مما قد يؤدي الى حدوث بعض المشاكل الطائفية في المنطقة ، الامر الذي دفع المفتي لدعوة الشيخ الجزائري في توجيههم وحثهم على التعايش مع اهالي المناطق الاخرى من الموصل ، وفي الوقت نفسه تعد هذه الدعوة دلالة واضحة على وجود علاقات طيبة بين علماء المسلمين في العراق آنذاك وتواصلهم مع حوزة النجف الاشرف مما اسهم في تأخي العراقيين جميعاً .

سافر الشيخ الجزائري الى سوريا في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٦ فاحتف به عدد من العلماء والادباء والشخصيات السورية ، وقد اقام في دمشق قرابة ستة اشهر ، وخلال هذه المدة زار لبنان اربع مرات ، الأولى في الأول من آذار ١٩٤٦ و اقام فيها حتى ١٨ آذار ١٩٤٦ ، والثانية في ١٢ نيسان ١٩٤٦ الى ٣٠ نيسان ١٩٤٦ ، والثالثة في ٢١ آيار ١٩٤٦ الى ٣١ آيار ١٩٤٦ ، والرابعة في ١٣ حزيران ١٩٤٦ الى ٢٥ تموز ١٩٤٦ ، والتقى خلالها بعدد من العلماء والمثقفين اللبنانيين ، ورحبت به الصحافة اللبنانية ، وكان مجلسه اليومي هناك يضم رواد العلوم والآداب وقد انشد كثيرا من القصائد والقى عدة محاضرات بمناسبة عديدة ، وكان يقرع الحكام بالنصائح ويطالبهم بحقوق الشعب المسلوبة ، وقد عاد الى العراق في ٢٦ تموز ١٩٤٦ عن طريق دمشق (٢٩) .

في اثناء مرضه وفي أيامه الأخيرة زاره السيد محمد صادق الصدر وطلب منه كلمة موجهة الى الشعب العراقي الكريم ، فقال الجزائري: " اخوتي أيها العراقيون يا ابطال الرافدين طالما جاهدت فيمن جاهد لأجل سعادتكم ، لبناء حياة افضل لكم وللعالم البشري ، واليوم اذ يقعدني المرض عن مواصلة السعي لتحقيق مُثلكم والاستمرار بجهاد اعدائكم ... ارجو ان لا يبعد يومٌ اشارككم الالتماس المسرة والجهاد المقدس في سبيل خيركم ورفاهيتكم ... وانتم أيها النجفيون الاشاوس حافظوا على سمعتكم ، فبالنسبة اليكم رفعة وعلاء ، وما ذلك الا بسبقكم الى التضحية ، وشعوركم بالمسؤولية ازاء الصالح

العام فحافظوا على خصائصكم في طليعة موكب الشعب ، كان الله في عون العاملين بالمعروف والخير والسلام عليكم " (٣٠).

المبحث الثالث : اثر الشيخ محمد جواد الجزائري السياسي \_ دراسة في نماذج

١. ثورة النجف ١٩١٨

كان لتداعيات الأحداث التي مرت على العراق والتي كانت مرتبطة بالسيطرة العثمانية ومن ثم الاحتلال البريطاني للعراق ، فضلا عن تنامي فكرة الجهاد ، قد ولدت ثقافة ووعياً سياسياً في مدينة النجف الأشرف ، أدى ذلك إلى بروز اتجاه يؤمن بالعمل من خلال الجمعيات والحركات الاسلامية ، فكان مشروع جمعية النهضة الاسلامية نتاجاً لتلك التداعيات (٣١).

وضع هذا المشروع علماء ومجتهدون ، وأسسوا تنظيماً حزبياً عرف بـ " جمعية النهضة الاسلامية " في ١١ آذار ١٩١٧ ، وهو نفس اليوم الذي دخلت فيه القوات البريطانية الى بغداد ، وقد انضم اليه معظم رؤساء النجف الاشرف وزعمائها المحليون وبعض رؤساء العشائر ، وتشكلت هيئتها الادارية من الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم وهما اللذان وضعوا الاسس الفكرية والسياسية للجمعية وحددا خطواتها العامة في التحرك والعمل ، وضمت الجمعية محمد علي الدمشقي عضواً وعباس الخليلي سكرتيراً عاماً ، وكانت اجتماعاتهم تعقد تارة في مدرسة الخليلي ، وفي ديوان السيد محمد علي بحر العلوم تارة أخرى (٣٢).

وضعت جمعية النهضة الإسلامية منهاجاً دقيقاً ، واشتمل على احدى وعشرين مادة (٣٣) ، أكدت فيها على ضرورة العمل من اجل تحكيم وتطبيق المفاهيم الإسلامية في المجتمع ، والسعي لإعلاء كلمة الإسلام ، فضلاً عن تأييدها الاستقلال المطلق للحكومات الإسلامية بوجه عام والعراق على وجه الخصوص (٣٤) ، وقد اشارت الوثائق البريطانية ان جمعية النهضة الإسلامية ابلغت الحكومة العثمانية برسالة في ١٢ كانون الاول ١٩١٧ ، عن تشكيل الجمعية واسماء اعضائها ، وان هدفها وعملها يتفق

معهم، وسيكونون على اتصالات مع الضباط العثمانيين حين الضرورة وطلب المساعدة على حد ما ورد في الوثيقة<sup>(٣٥)</sup>.

قام أعضاء جمعية النهضة الإسلامية بتوزيع منشور وتعليق الإعلانات المنددة بالسياسة البريطانية في العراق، وقد أرسلت رسائل تحريرية بخط الشيخ محمد جواد الجزائري الى رئيس قلم الاستخبارات العسكري الألماني الكابتن برسيل المقيم في مدينة عانة غربي الانبار بوساطة الشيخ عجمي السعدون قائد العشائر في الجيش العثماني، وكان مقره على بعد ٩٠ ميل شمال غربي مدينة النجف الاشرف<sup>(٣٦)</sup>.

ويبدو ان هناك توجه إسلامي واضح في فكر جمعية النهضة، ويعد أول عمل حزبي إسلامي عرفته مدينة النجف الاشرف في قرنها العشرين، فمن هنا يمكننا القول بان علماء الدين في النجف الاشرف سبقوا المثقفين الى التنظيم الحزبي الذي يهدف الى مقاومة الاحتلال البريطاني في العراق.

نشط عمل اعضاء جمعية النهضة الاسلامية واخذوا بتنظيم اجتماعاتهم بصورة سرية، واتخذت الجمعية من عبارة (الله ينصرنا) شعاراً لها<sup>(٣٧)</sup>، واعتمدت اسلوباً تنظيمياً دقيقاً اذ شكلت جناحين، الاول جماعة أهل العلم والوجهاء، ويتداولون بينهم في الدعوة الى كشف نوايا الحكومة البريطانية ومفاتيح زعماء العشائر غير المرتبطين بالبريطانيين بالتعاون معهم، والثاني الجناح العسكري، الذي تالف من ثلاثة مجاميع قتالية الاول بقيادة كاظم صبي زعيم محلة البراق والثاني بقيادة نجم البقال والثالثة بقيادة كريم سعد الحاج راضي نجل زعيم محلة المشراق، وكل ما يقوم به الجناح الثاني يعرض على الجناح الاول لمناقشته والموافقة عليه، وقد بعثت الجمعية رسالة الى الشيخ محمد تقي الشيرازي واطلعه على اعمالها وتأسيسها<sup>(٣٨)</sup>.

أدرك البريطانيون حساسية الموقف من المراكز الدينية المقدسة لاسيما مدينتي النجف الأشرف، لذا اتخذوا قراراً في بادئ الأمر بالابتعاد عن التواجد العسكري فيها والاستعانة بالموظفين المدنيين كوكلاء وممثلين لهم، وكان حميد خان حاكماً لمدينة النجف الاشرف، وفي آب عام ١٩١٧ عينت الحكومة البريطانية الكابتن بلفور حاكماً

سياسياً لمنطقة الشامية والنجف ولم يجعل مقره في النجف الأشرف بل جعله في مدينة الكوفة وأن يبقى حميد خان معاوناً له في المدينة<sup>(٣٩)</sup>.

حدثت مواجهة بين الإدارة البريطانية والسكان المحليين في النجف الأشرف أواخر تشرين الأول عام ١٩١٧ ، عندما جاء افراد من قبائل عنزة إلى المدينة مع قافلة من الإبل للتزود بالحبوب بناءً على أوامر صادرة من السلطات البريطانية، لكن قلة المؤن في المدينة بسبب سوء الموسم الزراعي ، أدت إلى إثارة السخط والاضطراب لدى أهالي النجف الأمر الذي أدى إلى قيام بعض الأهالي بالشجار معهم والاستيلاء على بعض إبلهم ، فأسرع الكابتن بلفور وزار مدينة النجف الأشرف واجتمع مع رؤساء البلدة وطلب منهم ارجاع الأمتعة للقافلة فلم ينفذوا الطلب<sup>(٤٠)</sup>.

ويبدو ان عدم تنفيذ طلب القائد البريطاني من قبل رؤساء المحلات في النجف الأشرف، مثل أول رد من قبل اهالي النجف الأشرف للبريطانيين وعدم تنفيذ اوامرههم أو الاكتراث بقوتهم ، وفي الوقت نفسه يُعد تحدياً لسلطة الاحتلال وهي في اوج قوتها . وقام الكابتن بلفور بزيارة المدينة مرة أخرى في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧ وطلب الاجتماع مع رؤساء المحلات في البلدة فلم يحضر سوى عطية أبو كلل زعيم محلة العمارة وكاظم صبي زعيم محلة البراق وكان اللقاء متوتراً بين الطرفين فحدثت مشادة كلامية بينهما أدت إلى قيام بلفور بصفع كاظم صبي والذي بدوره ردّ عليه الصفعة ، الامر الذي ادى الى قيام اتباع عطية أبو كلل والأهالي بالهجوم على مقر الحاكم ونهبوا محتوياته وأشعلوا فيه النار، مما اضطر بلفور اللجوء إلى السيد كاظم اليزدي المرجع الاعلى ليخلصه من هذا المأزق ، وقام الأخير بالتدخل وانهى الأزمة وطلب من بلفور مغادرة المدينة والعفو عن عطية أبو كلل وكاظم صبي وشأنهما ، فما كان من بلفور إلا الاستجابة لهذا الطلب<sup>(٤١)</sup>، ويبدو ان تراجع البريطانيين هذا يأتي لتعزيز سيطرتهم بعد ما لاقوه من النجفيين .

تراجعت السلطات البريطانية في بغداد عن موقفها المتشنج وقررت تزويد مدينة النجف الأشرف بالحبوب ومنع نقلها من منطقة الفرات الأوسط إلى بغداد ، وفي الاول من

شباط عام ١٩١٨ تم تعيين الكابتن مارشال معاوناً للحاكم العسكري في مدينة النجف الاشرف بدلا من حميد خان (٤٢).

عقدت جمعية النهضة الإسلامية اجتماعا موسعا لها في دار محمد حسن شليلة يوم ١٨ آذار ١٩١٨ لتدارس أمور اعلان الثورة ، وكان القسم الأكبر من المجتمعين ومن ضمنهم الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم يؤيد تأجيل اعلان الثورة حتى تنضج أكثر ، وتهيئة الراي العام حولها ، وإقناع باقي عشائر العراق بالانضمام لها ، في حين كان القسم الاخر يرى الإسراع في إعلانها قبل ان ينكشف امرهم من قبل الإنكليز ، وقبل خروج الاتراك من العراق للاستعانة بهم ، وبعد مناقشات بينهما أجل الاجتماع لليوم التالي (٤٣).

دفع الحماس المتزايد الفريق الثاني من فروع جمعية النهضة الاسلامية الى اضرام نار الثورة في النجف الاشرف دون علم الجناح الاول وكان اشدهم حماساً الحاج نجم البقال ، فقد اجتمعوا في محلة الحويش في ليلة ١٩ آذار دون علم قادة الجمعية واقسموا بالقرآن الكريم على ان يهجموا على مقر الحكومة وان يقتلوا كل من فيه من البريطانيين ليكون ذلك اول مشروع في سبيل مقاصد الجمعية ، مستغلين تجمع الوافدين من ابناء العشائر الى المدينة لزيارة مرقد الامام علي عليه السلام بمناسبة عيد النوروز لنقل اخبار الثورة الى مختلف مدن العراق ، وتم تعيين ساعة الصفر (٤٤).

أقتحم الثوار خان عطية ابو كلل في فجر يوم الثلاثاء ١٩ آذار ١٩١٨ ، الذي كان مقرا للحاكم البريطاني الكابتن مارشال وافراد القوة من الجيش ، وبعد خديعة فتح الحرس باب الخان ودخل الثوار وقتلوا الحارس فنهض الكابتن مارشال من نومه شاهراً مسدسه فعاجله نجم البقال بطلقة اردته قتيلا واصيب الطيب الذي كان معه واشتبكوا مع القوة الموجودة في الخان قبل انسحابهم الى المدينة (٤٥).

ويبدو ان الجناح العسكري بقيادة نجم البقال قد استعجل في اتخاذ قرار الهجوم على مقر الحكومة وبدون علم الجناح الاول في الجمعية ، فبعد انسحاب الثوار من مقر الحكومة ورجوعهم الى المدينة ، عاتب السيد محمد علي بحر العلوم نجم البقال على

استعجاله بالهجوم وقال له " هذا ما كنت اخشاه وسنذهب ضحية قبل ادائنا كامل الخدمة والحصول على ما كنا نامل تحصيله " (٤٦) اذ ان الجناح الاول كان يخطط باستنفار القبائل العراقية في مدن العراق المختلفة والحصول على فتاوى بالجهاد من العلماء قبل الهجوم على مقر الحكومة .

لم يعرف البريطانيون بادئ الامر ان مصدر هذا العمل من النجف او غيرها، وبعد مضي ساعتين من نهار ذلك اليوم دخل رجال الخفر على عادتهم فوجدوا في سوقها افراداً من الجمعية حاملين سلاحهم ، فحاولوا اخذ بنادقهم فرمى احدهم رجال الخفر فقتل اثنين منهم ، ووضح عند ذلك لدى الحكومة المحتملة ان الثائرين عليهم هم النجفيون (٤٧).

اجتمع في ذلك اليوم اعضاء جمعية النهضة الاسلامية وقد بلغهم ان القوات البريطانية عززت مراكزها حول المدينة بجنود ارسلت من الحلة ، واتفقوا على محاربة الانكليز ومكافحتهم مهما كلفتهم الظروف ، وحسبوا للحرب حسابها وحددوا الاعمال الواجبة عليهم ، وقاموا بحفر الخنادق واعدوا الحصون وعينوا لكل ليلة عدداً من الرجال للحراسة والرصد، وكان للشيخ محمد جواد الجزائري دور بارز في توفير الذخائر الحربية، فقد أنشأ مصنع صغير لصناعة الذخائر الحربية في سرداب داره الواقعة في محلة العمارة ، وقد اشرف بنفسه على ادارته وعلى صنع الذخائر ، وبسبب خطأ في عمله بترت أصابع يده اليسرى نتيجة انفجار صاعق (٤٨).

قررت القوات البريطانية حصار المدينة في ٢٥ آذار ١٩١٨ وضمها الى الادارة العسكرية ، ووضعت شروطاً لفك الحصار منها تسليم الثوار ودفع غرامة الف بندقية وخمسين الف ربية وتسليم مئة شخص من المحلات الثائرة لإبعادهم عن النجف بصفة اسرى حرب ، وقد حاول الثوار فك الحصار عن المدينة ولكنهم لم يفلحوا ، وقد استمر الحصار (٤٥) يوماً وتم قطع الماء والغذاء عن المدينة ومنع الدخول والخروج منها (٤٩).

عززت بريطانيا قواتها العسكرية في النجف الاشراف بقيادة الكابتن بلفور ، فطوّق المدينة بالجنود والخنادق والاسلاك الشائكة ووقف رجال جمعية النهضة الاسلامية ومعهم

رجال المدينة مدافعين عن مدينتهم، واشتد القتال بين الطرفين، الامر الذي دعا قادتها الى توجيه مدافعها ورشاشاتها وقواتها المدرعة نحو التل الجنوبي المطل على المدينة، ثم قامت بالهجوم عليه، وقام الثوار بهجمة معاكسة لهجوم الانكليز، فارجعوا القوات المحتلة على اعقابها، وفي الوقت نفسه كتبت جمعية النهضة في اليوم السادس لنشوب الحرب عددا من الكتب الى القبائل القريبة من النجف تطالبها فيها بواجبها الديني والوطني، وطالبتهم بالهجوم على مدينة ابي صخير فيكون الافراج عن النجف، ولكن الحكومة المحتلة قامت بإجراءات مشددة ونشرت قواتها هناك وحالت دون مساعدة القبائل<sup>(٥٠)</sup>.

وقد ارتأى الشيخ الجزائري ان تستعين جمعية النهضة بالعثمانيين الموجودين في الرمادي، فارسل مع عباس نجم البقال رسائل الى القائد العسكري العثماني في مدينة عانة من اجل الحصول على السلاح والعتاد، وبعد تسليم الرسائل ترجمت الى اللغة الالمانية ليطلع عليها القائد الالمانى المرابط مع العثمانيين، ولكن احتلال الانكليز لمدينة عانة في ٢٨ آذار ١٩١٨ واستيلائهم على الرسائل حال دون وصول المساعدة<sup>(٥١)</sup>، وقد اكد الحاكم السياسي في الشامية بان الشيخ محمد جواد الجزائري هو من قام بكتابة المراسلات مع الاتراك والتنسيق معهم في طلب المساعدة لدعم ثورة النجف، واصفاً اياه بانه " مؤلف وثائق الفتنة " بحسب تعبيره<sup>(٥٢)</sup>.

شرعت المدفعية البريطانية بقصف مدينة النجف الاشراف صباح يوم الاحد ٧ نيسان ١٩١٨، ودام القصف لمدة ساعة، ودخلت القوات المحتلة المدينة من جهة التل الجنوبي وتمت السيطرة عليها، ووزعت قائمة بأسماء المطلوبين للقوات البريطانية، الامر الذي ادى الى اعتقال عددا من الثوار، وفي ٢٨ نيسان ١٩١٨ توجه بلفور الى مدينة النجف الاشراف والتقى بالمرجع الأعلى السيد كاظم اليزدي، حيث فاتحه في أمر أسماء علماء الدين التي وجدت في الوثائق التي حصلت عليها القوات البريطانية عند احتلالها لمدينة عانة، ومنهم الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم، فطلب منه السيد اليزدي العفو عن الثوار، لكن الإنكليز لم يستجيبوا لمطالبه<sup>(٥٣)</sup>.

تشكلت محكمة عسكرية خاصة في ٥ آيار ١٩١٨ في الكوفة لمحاكمتهم ، واستمرت المحاكمات حتى يوم ٢٥ آيار ١٩١٨ ، وتألقت من الكولونيل لجمن رئيساً وعضوية كل من الميجر أيدي والميجر روث ، وقد مثل الادعاء العام الكابتن بلفور واصدرت قرارها بالحكم بالنفي على (١٢٣) ثائراً الى الهند واعدام (١٣) شخصاً من الثوار وتم تنفيذ اعدام (١١) شخصاً منهم<sup>(٥٤)</sup> في خان محسن شلاش في الكوفة في ٣٠ آيار ١٩١٨ ، اما الباقون فهم عباس الخليلي الذي استطاع الهروب الى ايران فحكم عليه غيابياً<sup>(٥٥)</sup> ، والسيد محمد علي بحر العلوم الذي ابدل الحكم فيه من الاعدام الى النفي بعد وساطة العلماء له .

وبعد مضايقات السلطة وملاحقة المطلوبين قام الشيخ محمد جواد الجزائري بتسليم نفسه في ٣٠ نيسان ١٩١٨ الى (السراي) مقر الحاكم في النجف بعد فشل جميع وساطات العلماء واودع في سجن الكوفة ، وأمر الحاكم السياسي في الشامية بترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري من سجن الكوفة الى سجن الحلة في اليوم نفسه بواسطة اللواء (٥٣) البريطاني المتجفل في مدينة الكوفة ، وأوصى بالإسراع في ترحيله من النجف بحكم منزلته الاجتماعية والدينية في المدينة التي قد تثير غضب الناس وامتعاضهم، وان يكون الشيخ الجزائري تحت طائلة الاعتقال ، وفي سجن خاص ، لحين احالة أمره الى الحاكم المدني في بغداد واتخاذ القرار بشأنه بأقرب وقت ممكن<sup>(٥٦)</sup>.

وبعد وصوله الى سجن الحلة أرسل الحاكم السياسي في الحلة برقية الى الحاكم السياسي في بغداد في الاول من آيار ١٩١٨ ، أبلغه فيها بوصول الجزائري الى سجن الحلة وتم توقيفه ، وسيتم ترحيله الى بغداد بعد وضع ترتيبات عملية نقله ومرافقته ، وطلب منه القيام باستلامه وارسال وصل استلامه بيد الحرس المرافقين للشيخ الجزائري للاطمئنان على وصوله الى بغداد<sup>(٥٧)</sup>.

وفي تمام الساعة السادسة والنصف من صباح ٢ آيار ١٩١٨ تم ترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري من سجن الحلة الى السجن المدني في بغداد بموجب كتاب الحاكم السياسي في الحلة المرقم ١٤٤ في ٢ آيار ١٩١٨ ، وقد أبلغ الحاكم السياسي في بغداد بوصول

الشيخ الجزائري الى بغداد في صباح يوم ٣ أيار ١٩١٨ وأودع في السجن المدني ، وفي الوقت نفسه أكد ارنولد ولسن بتاريخ ٥ أيار ١٩١٨ على رئيس السجن المدني في بغداد بالتحفظ والابقاء على الشيخ محمد جواد الجزائري في السجن والحيطرة والحذر منه (٥٨). وقد ارسل الحاكم السياسي في بغداد برقية الى الحاكم السياسي في الشامية في ٧ أيار ١٩١٨ ، طلب فيها ابداء رأيه والموافقة على ارسال الشيخ الجزائري كأسير حرب ونفيه الى الهند ، وقد اجابه الحاكم السياسي في الشامية ببرقية بتاريخ ٨ أيار ١٩١٨ برغبته وموافقته على ذلك (٥٩).

ويبدو ان الحاكم السياسي في بغداد اراد من الحاكم السياسي في الشامية بيان رأيه في قرار نفي الشيخ الجزائري ، وذلك لان الحاكم السياسي في الشامية على علم بالمكانة الاجتماعية للشيخ الجزائري ، ومعرفته بالموقف العام وبرود الافعال المتوقعة من أهالي النجف فيما لو اتخذ قرارا آخر بحقه ، ومن ثم ابلاغ ارنولد ولسن الحاكم المدني في العراق بالموقف ليتسنى له اتخاذ القرار المناسب بحق الشيخ الجزائري .

أصدر الحاكم المدني في بغداد أوامره في ٩ أيار ١٩١٨ على ترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري الموجود في السجن المدني في بغداد الى الهند مع بقية سجناء الحرب من أهالي النجف الاخرين كأسير حرب من الصنف (B) (٦٠)، كونه من "مثيري الفتن بالمدينة وقد قام بكتابة الرسائل الى القادة الاتراك والالمان في مدينة عانه " بحسب تعبيره ، وعلى أثر ذلك ارسل الشيخ محمد تقي الشيرازي رسالة الى ارنولد ولسن الحاكم المدني في العراق في ١٣ أيار ١٩١٨ ، طلب فيها العفو عن الشيخ الجزائري كونه من العلماء الاعلام وله المنزلة الرفيعة في المجتمع ، وان ذلك يوجب الامتنان والشكر عند العلماء خاصة والمجتمع النجفي على وجه العموم (٦١) .

لم يكثر ارنولد ولسن الى رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي ، بل قام بإرسال كتاب في ٢٣ أيار ١٩١٨ الى قائد قوات بلاد ما بين النهرين في الجيش البريطاني في العراق يأمره باتخاذ الاجراءات اللازمة بترحيل الشيخ الجزائري من سجنه في بغداد الى الهند كأسير حرب من الصنف (B) وبالسرعة الممكنة ، وقام قائد قوات بلاد ما بين النهرين في

بغداد في ٢٥ آيار ١٩١٨ بإجراءات إرسال الشيخ الجزائري كأسير حرب من الصنف (B) الى الهند بعد مخاطبة قائد القوات البريطانية في الهند بكتابه المرقم ١٧٨٩ في ٢٥ آيار ١٩١٨ ، وقد أكد في الكتاب على ان الشيخ الجزائري من مثيري الفتنة في النجف وقد ألقى القبض عليه من قبل شرطة النجف في ٣٠ نيسان ١٩١٨ (٦٢).

وصل الشيخ الجزائري الى البصرة في ٩ حزيران ١٩١٨ ، وطلب القائد العسكري البريطاني في البصرة من مكتب الحاكم المدني ببغداد ، الاضبارة الشخصية للشيخ محمد جواد الجزائري والتقارير المفصلة عن شخصيته ومنزلته الاجتماعية، لكي يتخذ الاجراءات اللازمة بخصوصه (٦٣).

أستغل الشيخ خزعل الكعبي أمير المحمرة مقامه الحسن وعلاقته الطيبة مع البريطانيين ، فبذل قصارى جهوده للحيلولة دون نفي الشيخ الجزائري الى الهند، وطلب من البريطانيين ان يكون مكان نفيه الى المحمرة ، وتعهد لهم بعدم ارجاعه الى النجف الاشراف إلا بموافقتهم ، ولم يكن بوسع البريطانيين رد طلبه ، وما قام به الشيخ خزعل كان ارضاء لشقيقه الشيخ عبد الكريم الجزائري لعلاقة الود والاحترام السابقة بينهما ولأجل عودتها ، وقد ارسل الشيخ محمد تقي الشيرازي برسالة اخرى الى ارنولد ولسن في ٩ حزيران ١٩١٨ طلب فيها مراعاة الشيخ محمد جواد الجزائري واعطاء الاوامر بالرفق والمعاملة بالاحترام التي لا تقلل من اعتباره ، مؤكداً له بان العلماء لديهم مكانة عالية عند الاعتقال ، وسيكون العلماء الكبار وما دونهم ممتنون له (٦٤).

وعلى اثر رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي ، واستجابة لطلب شيخ الشريعة الاصفهاني ، ارسل مدير مكتب الحاكم المدني كتاباً في ١٤ حزيران ١٩١٨ الى الحاكم السياسي في بغداد أشار فيه الى أن ارنولد ولسن سوف يقوم بزيارة الى مدينة النجف الاشراف وسوف يقوم بتصنيف الشيخ محمد جواد الجزائري وحسب صلاحيته من اسير حرب من الصنف (B) الى اسير حرب من الصنف (C) واخراجه الى المحمرة واقامته فيها تحت رقابة الشيخ خزعل الكعبي (٦٥).

أرسل شيخ الشريعة الاصفهاني رسالة الى ارنولد ولسن الحاكم المدني في العراق في ٢٢ حزيران ١٩١٨ ، طلب فيها الرعاية الكاملة من قبله للشيخ محمد جواد الجزائري وجعل اقامته في العراق بدلا عن منفاه في الهند ، ومما جاء في نصها :

"... وقد أقرع مسامعي ما كان من استقامتكم وعدالتكم ورأفتكم على من تحت قدرتكم ... قبل مدة من الزمن أرسلت برقية لسماحتكم بواسطة الحاكم السياسي في النجف تضمنت توصية في حق الفاضل سماحة الشيخ محمد جواد الجزائري على رعاية جلالته وعظمته بتوقيع اقامته في العراق وتهيئة أسباب راحته كي لا يصل قدح بهذه الصفة الفريدة التي تحملها الدولة الفخيمة البريطانية العظمى من احترام شأن أهل العلم ...إني بانتظار جوابكم وبشارتكم المطلوبة" (٦٦).

وفي ٢٣ حزيران ١٩١٨ صدرت الاوامر من مكتب الحاكم المدني في بغداد الى القائد العسكري البريطاني في البصرة ، بتغيير صنف الشيخ محمد جواد الجزائري كأسير حرب من الصنف (B) الى أسير حرب من الصنف (C) وترحيله الى المحمرة (٦٧) ، التي وصلها في ٦ تموز ١٩١٨ ، وأقام في قصر للشيخ خزعل الكعبي امير عربستان في المحمرة ، بعد ان هيا له مكاناً لإقامته (٦٨).

أرسل رئيس مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق برسالة جوايية الى شيخ الشريعة الاصفهاني في ٢١ تموز ١٩١٨ ، وقدم له تحيات ارنولد ولسن الحاكم المدني في العراق واطلاعه على رسالته ، واستجابة لطلبه أمر الحاكم المدني بان يُبلغ سماحة شيخ الشريعة الاصفهاني بان الشيخ الجزائري ستوقع اقامته في مدينة المحمرة الى نهاية الحرب (٦٩).

وصدرت الأوامر من مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق في حزيران ١٩١٩ الى الضابط التنفيذي في الجيش البريطاني في المحمرة بإطلاق سراح الشيخ محمد جواد الجزائري والسماح له بالعودة الى مدينته النجف الاشراف بعد قرابة سنة وشهرين من السجن والنفي ، وعند سماعه خبر اطلاق سراحه ، ارسل الشيخ محمد جواد الجزائري برقية الى الشيخ محمد تقي الشيرازي يخبره بإطلاق سراحه وعودته الى النجف الاشراف (٧٠).

## ٢. الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠

بعد انطلاق الشرارة الأولى لثورة العشرين في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ في مدينة الرميثة ، اجتمع رؤساء عشائر الفرات الاوسط مع علماء الدين في النجف الاشرف في ١٥ تموز ١٩٢٠ وأعلنوا الجهاد المقدس على القوات البريطانية ، وقد ساهم الشيخ محمد جواد الجزائري في التحضير للثورة والمشاركة الفعلية عن طريق اتصاله بالتجمعات الشعبية وتوعيتهم، كما شارك في معارك الفرات الأوسط ، وكان الشيخ الجزائري قائداً لجهة الحلة ومعه السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد محمود كمال الدين والسيد عبد المطلب الحلبي والسيد كاطع العوادي والسيد أبو القاسم الكاشاني ، وعمل مع القوى المحاربة في جبهة الكصبة (والتي تقع بين مدينتي الحلة والهندية) على ضرب الحصار على البريطانيين في الحلة ، وكان الشيخ الجزائري آنذاك يفكر بوضع خطة من أجل الهجوم على بغداد بعد اتفائه مع زعماء عشائر كعب وزوبع ، وكان ينشد الشعر في معسكرات المجاهدين يشجعهم من اجل الجهاد في الحرب<sup>(٧١)</sup>.

وبعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي في ١٨ اب ١٩٢٠ ، اجتمعت هيئة الشباب النجفي في الصحن الحيدري الشريف ، والقى الشيخ محمد جواد الجزائري كلمة حماسية بالمجتمعين ، ومما قال فيها: "... فان مات المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي فان الروح التي في رجال العراق لم تمت حتى تنال ما اراده الله تعالى ... " (٧٢).

وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة من قبل الثوار، ولكن سرعان ما بدأت الانكسارات تتوالى عليهم ، إذ بدأ الضعف يتسرب إليهم وأخذوا ينسحبون من مواقعهم مما اضطر الشيخ محمد جواد الجزائري أن يرجع إلى المعسكرات التدريبية مرة أخرى في مناطق الحيرة والدسم والشفافية والدغارة والسماعة والاشراف عليها ، وبعد سقوط المدن العراقية المحررة الواحدة تلو الأخرى اضطر قادة الثورة إلى الانسحاب ، وحكم على الشيخ محمد جواد الجزائري بالإعدام غيابياً ، الامر الذي جعل الشيخ الجزائري وزميله السيد كاطع العوادي بالمسير والتوجه نحو جبال حمرين ، واقام الجزائري وزميله في دار السيد هاشم الراجوج قاصدا عبور نهر دجلة الى جبال حمرين

فمدينة حلوان (سربيل زهاب)، وصل الى رام هرمز في ايران ، وبقي هناك حتى صدور العفو عن الثوار ، ولما أصدر برسي كوكس العفو العام في ٣٠ أيار ١٩٢١ عن جميع المحكومين الذين اشتركوا في الثورة العراقية ١٩٢٠ ، عاد الشيخ الجزائري من رام هرمز عن طريق الاهواز والمحمرة الى مدينة البصرة في ٢٠ حزيران ١٩٢١ وعاد الى مدينته وأهله وإلى نشاطه السياسي والعمل على استقلال العراق<sup>(٧٣)</sup>.

٣. انتفاضة مايس ١٩٤١

توالت الأحداث على المسرح السياسي العراقي عند اندلاع انتفاضة مايس ١٩٤١ ليصبح مصير البلاد بيد الجيش الذي قام قاده بتشكيل حكومة الدفاع الوطني ، وكانت بريطانيا تحاول إدارة الأحداث في العراق لصالحها ، ولخوفها من سيطرة الجيش على الأمور العامة ، وخشية من مساعدة الألمان لحكومة رشيد عالي الكيلاني ، لاسيما وأن ألمانيا أيدت استعدادها لدعم العراق وتسليحه<sup>(٧٤)</sup>.

بدأت بريطانيا بالتخطيط للهجوم على بغداد خوفاً من فقدانهم السيطرة على العراق ، بعد ان دفعت قوات اضافية لقواعدها في الحبانية والبصرة ، مما ترتب عليه اندلاع حرب بين العراق وبريطانيا بأوامر من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل ، وفي صباح ٢ أيار ١٩٤١ قامت الطائرات البريطانية بإلقاء قنبلة فوق الهضبة جوار قاعدة الحبانية حيث تواجد القوات العراقية وردت القوات العراقية عليها واستمرت المعركة حول الحبانية أربعة أيام بعدها انسحب الجيش العراقي وتم احتلال الفلوجة ، واستمرت القوات البريطانية بالتقدم نحو مدينة بغداد<sup>(٧٥)</sup>.

قام عدد من علماء النجف الاشرف بإصدار فتاوى تدعو الشعب العراقي إلى مساندة القوات المسلحة العراقية في قتالها ضد الانكليز وكان في طليعتهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والسيد محمد الحسن البغدادي<sup>(٧٦)</sup>.

وقد اصدر الشيخ محمد جواد الجزائري فتواه بعنوان "نداء النجف العام إلى العالم الإسلامي" أذاعه علي الخاقاني من دار الإذاعة في بغداد بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٤١ ، ومما جاء في نص النداء :

" ... أيها المسلمون ان الحرب العراقية البريطانية قد سجلت سطورها النارية على صفحات العالم ودوى صوتها في آفاق الشرق والغرب ... فلا يفوتكم أداء ما حتمه الإسلام عليكم من جهاد الإنكليز خصوم الإسلام والعرب ودفاعهم عن بيضة الإسلام وحوزة المسلمين ... أيها المسلمون ان الامة العراقية التي أسست دولتها الإسلامية عام ١٣٣٩ هـ بين مخلب الأسد ونابه وفي اشد الظروف حراجة قد قامت اليوم بواجبها الديني والوطني ... وبرزت الى ميدان النضال ... فانفروا خفافا وثقالا الى ما افترضه الله سبحانه عليكم من الجهاد في سبيله وانصرفوا الى صفوف الجيش العراقي ومدوا له يد المساعدة والنجدة على حسب استطاعتكم ... ان بريطانيا كانت ولا تزال شاهرة سيف نقيتها على المسلمين منذ عرف كيانها وعاملة جهدها في تفريق كلمتهم وتشيت شملهم ... (٧٧) .

كانت فتوى الجزائري واضحة وصريحة وجريئة في الوقت نفسه ، وهي دعوة إلى كل الوطنيين ليعلمهم بمدى طمع البريطانيين بالعراق ومحاولتهم السيطرة على مقدراته وقد أوضح الجزائري أن كل الحروب التي حدثت سببها سوء تصرف البريطانيين لذا فان فتواه هي نداء إلى الشعب العراقي لينهض بهممه وعزيمة للتخلص من الاستعمار، والحفاظ على الإسلام والوحدة العراقية عن طريق تعاون الشعب العراقي بعضه مع بعض .

وعلى الرغم من فشل الانتفاضة والقضاء عليها ، يبدو ان بريطانيا ادركت ان العراق لا يمكن السيطرة عليه وحكمه بسهولة مع وجود علماء الدين والشخصيات الوطنية المخلصة أمثال الشيخ الجزائري وغيره ، وقد شاهدت بريطانيا قوة ترابط أبناء الشعب العراقي حول هذه الانتفاضة ومساعدة بعضهم للبعث الاخر، وأن السياسة البريطانية في العراق لا يمكنها أن تستمر طويلاً ، لأن العراق قادراً أن يحكم نفسه بنفسه .

## الخاتمة

- لم يكن الشيخ الجزائري عالماً مجتهداً ومرجعاً من مراجع الفتيا فحسب ، بل كان مجاهداً صلباً شهدت له ميادين الجهاد والكفاح الوطني ، فضلاً عن مواقفه البطولية التي اتسمت بالجرأة والشجاعة وتحمل التضحيات وصلابة العقيدة في مواجهة الأخطار الخارجية التي شهدها العراق .

- غيرت ثورة النجف اتجاه البريطانيين في تعيين الحكام ، فبعدما كانوا يعملون على اساس ان يكون جميع الحكام من الانجليز كما هو الحال في الهند أصبحوا يعتقدون بضرورة تعيين الحكام من العرب والعراقيين مع اجراء اصلاحات ادارية ، فضلاً عن تغيير خططهم في اساليب الادارة .

- تميزت ثورة النجف عام ١٩١٨ بانها اول مواجهة وطنية ثورية ضد الاحتلال البريطاني ، على الرغم من عدم انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وكان البريطانيون يدركون خطورة هذه الثورة لما تمثله مدينة النجف الاشرف من بعد كبير في العالم الاسلامي عامة وعند الشيعة على وجه الخصوص ، فهي مركز المرجعية ومقر الحوزة العلمية التاريخي في العالم الشيعي ، وقد اعقب ثورة النجف تطورات سياسية هامة على الساحة العراقية تمثلت بثورة العشرين .

- تعد ثورة النجف حدثاً مهماً من الناحية الاجتماعية والسياسية ، فهي تعطي صورة واضحة من صور المجتمع النجفي في رفضه للاحتلال والوقوف بوجهه ، وتعد أول ثورة في العراق تعلن ضد الوجود البريطاني ، ولم تستمر طويلاً فسرعان ما قام البريطانيون وبما لديهم من قوة عسكرية من القضاء عليها .

الملخص:

برز عدد من العلماء ورجال الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف خلال العقود الاولى من القرن العشرين ، الذين كانت لهم إسهامات فاعلة ليس في الحياة العامة لمدينة النجف الاشرف فحسب ، بل في كافة أنحاء العراق ، حيث شهد هذا البلد أحداثاً داخلية وخارجية أثرت تأثيراً مباشراً في واقعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي

والسياسي خلال تلك العقود وما تلاها ، وكان الشيخ محمد جواد الجزائري أحد اولئك الاعلام الذين كانت لهم مواقف ورؤى ازاء قضايا فرضها الواقعين الاجتماعي والسياسي وتطوراتها في العراق ، ولاسيما في سنوات الحرب العالمية الاولى وبعدها بعقود .

احتوى نتاج الشيخ الجزائري الفكري أموراً تجديدية وانفتاحاً على مستجدات العصر يومئذ، في مرحلة أقل ما يقال عنها مرحلة انبثاق الأيدولوجيات المعاصرة والصراعات المحتمدة بين التيارات المتناقضة من ليبرالية وأخرى يسارية وثالثة قومية ورابعة دينية ، فورة فكرية سياسية أثرت بعمق واضح في الساحتين العراقية والعربية ، وكان حجم وسعة المهمة المعرفية والعلمية والدور الإصلاحي الذي اضطلع فيه الشيخ آنف الذكر خلال سني حياته ولاسيما فيما يتعلق بمواقفه السياسية الى جانب مواقف غيره من الاعلام في مدينة النجف الاشرف ، هي التي دفعت هذه المدينة ان تتخذ موقفاً وطنياً مضاداً من الاحتلال البريطاني للعراق ، وقد ادرك البريطانيون ما تمثله مدينة النجف الاشرف من بعد كبير في العالم الاسلامي عامة وعند الشيعة على وجه الخصوص ، فهي مركز المرجعية ومقر الحوزة العلمية التاريخي في العالم الشيعي .

وكانت باكورة اعمال الشيخ الجزائري الإصلاحية تأسيسه نقابة الاصلاح العلمي عام ١٩٠٥ ، إذ لم تكن فكرة التأسيس النقابي بعد منتشرة في العراق ، وكان التأسيس نتيجة سعة اطلاعه وجديته في إنجاز مشاريعه الإصلاحية التي أراد تحقيقها للنهوض بالواقع الديني والاجتماعي للمجتمع الاسلامي ، فكان رائد التأسيس النقابي في العراق .  
الهوامش:

(١) تنتسب اسرة آل الجزائري الى منطقة الجزائر ، وهي منطقة كبيرة في جنوب العراق ، ويعود نسبها الى قبيلة بني أسد وتعرف بأسد خزيمية ، وقد اشتهر جدهم سعد الدين بن محمد المتوفى حوالي عام ١٥٨٥م (والذي كتب بخطه كتاب الرهن للعلامة الحلبي) بلقب النجفي مرة ولقب الغروي مرة أخرى ، وبرز من هذه الأسرة عدد من أهل العلم ، كالشيخ عبد النبي بن سعد الدين المتوفى عام ١٦١٢م ، صاحب كتاب حاوي الاقوال في معرفة الرجال ، وحفيده الشيخ أحمد بن اسماعيل بن عبد النبي الجزائري (ت ١٧٣٦م) صاحب كتاب قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر ، وعرفت اسرة آل

الجزائري في مدينة النجف الاشرف في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وعرفوا اليوم في النجف الاشرف بآل الجزائري، ولهم بها منطقة خاصة وهي جزء من محلة العمارة. للتفاصيل انظر: عبد النبي الجزائري (ت ١٦١٢م)، حاوي الاقوال في معرفة الرجال، تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث، (قم: مطبعة امير، ١٩٩٧)، ج ١، ص ١٨-١٩؛ عماد عبد السلام رؤوف، الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق، (بغداد: دار الحكمة للطباعة، ١٩٩٢)، ص ٤٣٠.

(٢) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية))، جنسية الشيخ محمد جواد الجزائري الصادرة من وزارة الداخلية العثمانية، بتاريخ ١١ حزيران ١٩٠٥.

(٣) حسين باقر مرزه، الشيخ محمد جواد الجزائري ونشاطه السياسي، بحث ضمن، محسن محمد محسن، البطل الثائر محمد الجواد الجزائري مؤسس النهضة الإسلامية، (بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٠)، ص ٤١-٤٢.

(٤) محسن الأمين العاملي، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف، ١٩٨٣)، ج ٩، ص ٤٣٤؛ جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، (بيروت: دار الأضواء للطباعة، ٢٠٠٠)، ج ١٩، ص ٢٩٠.

(٥) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية))، الأوراق الخاصة بالشيخ عزالدين الجزائري.

(٦) منو جهر صدوقي سها، تاريخ حكماء و عرفاى متأخر، (طهران: نور حكمت، ١٣٥٩ش)، ص ٣٩١.

(٧) علي محمد سماحة، محمد جواد الجزائري بطل عاش للشعب ودافع عن حقوق الكادحين، (بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٢)، ص ٩٦-٩٧.

(٨) حسين كمال الدين، الشيخ محمد جواد الجزائري، ((آفاق نجفية)) (مجلة)، النجف الأشرف، ٢٠٠٧، العدد ٥، ص ٢٦٦.

(٩) كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب من اعلام الفكر والادب، (بيروت: المواهب، ١٩٩٩)، ص ٧٩، ٣٠١؛ علي سميسم، المجاهد الجزائري على صفحات الأدب، (النجف الأشرف: د. م، ٢٠٠٨)، ص ٢٢-٢٣.

(١٠) علي محمد سماحة، المصدر السابق، ص ٩٧.

(١١) كاتب الطريحي، البطل الثائر محمد الجواد الجزائري مؤسس النهضة الإسلامية، ((الموسم))، ٢٠٠١، العدد ٤٧-٤٨، ص ١٩٣.

(١٢) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية))، القسم الشرعي الصادر من المحكمة الشرعية في النجف، العدد ٦٢، بتاريخ ١١ أيار ١٩٥٩.

(١٣) عبد الجبار الساعدي ، الشيخ محمد جواد الجزائري في الميزان الحوزوي ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٠) ، ص ٦٣ .

(١٤) حسين كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(١٥) الشيخ داود حبيب الجزائري ، ((مقابلة شخصية )) ، مواليد ١٩٥٧ ، سبط المترجم ، بتاريخ ٩ نيسان ٢٠١٩ .

(١٦) لجنة الخطابة في مدرسة الجزائري الاحمدية ، المبعث النبوي الكريم ، (النجف الاشرف: مطبعة دار النشر ، ١٩٥١) .

(١٧) كانت مدينة الحيرة تابعة ادارياً الى لواء الديوانية ، وفي عام ١٩٧٦ تبعت الى محافظة النجف الاشرف .

(١٨) ((مؤسسة كاشف الغطاء العامة)) ، رسالة من الشيخ محمد جواد الجزائري الى الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي يطلب منه ابلاغ دائرة المعارف في الديوانية عن نظام المدرسة الاحمدية في الحيرة ، د.د .

(١٩) اتخذت مدرسة الحيرة من بيت الحاج محمود الحمداني مقراً لها ، وكان من بين طلبتها ، السيد خضر عزيز الموسوي والسيد حسين أبو شامة والسيد علي أبو شامة والسيد نوري هادي زوين والسيد هادي عباس زوين والسيد عبد الأمير علي زوين والسيد إبراهيم حسين أبو سعيدة والحاج جعفر حسن اليعقوبي والحاج محسن حسن اليعقوبي والحاج عبيد كزار اللهبي والحاج رزاق راضي عبود النجار والسيد محمد صالح أبو شامة والحاج فيصل رزاق كبه والحاج حسين عبد علي زيني والحاج سعدون مصطفى الخزاعي . انظر : السيد إبراهيم حسين أبو سعيدة ((مقابلة شخصية)) ، مواليد ١٩٣٤ ، احد طلاب المدرسة الاحمدية في الحيرة ، النجف الاشرف ، بتاريخ ٢٤ نيسان ٢٠١٩ .

(٢٠) عبد الزهرة تركي الفتلاوي ، حضارة الحيرة ، (بيروت : دار الحجة ، ٢٠١٦) ، ص ٣٨٣ .

(٢١) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ٥٤٤٦٥ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ الى مديرية معارف لواء الديوانية ؛ كتاب مديرية معارف لواء الديوانية المرقم ٤٦٥٥ في ٨ كانون الأول ١٩٥٧ الى إدارة مدرسة الحيرة الدينية .

(٢٢) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، كتاب قائممقامية قضاء النجف المرقم ١١٣٦٦ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، الى معاوية شرطة النجف ؛ نص مباركة السيد محسن الحكيم ، بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٠ .

(٢٣) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، تقرير مفتش وزارة المعارف ، بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٦٠ .

(٢٤) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية))، كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ٨٣٥١ في ٣ آذار ١٩٥٣ الى مديرية معارف لواء كربلاء ؛ كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ١٦٢٩٠ في ١٠ ايار ١٩٥٣ الى مديرية معارف لواء كربلاء .

(٢٥) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، تولية الشيخ عبد الكريم الجزائري ، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

(٢٦) أوراق مخطوطة للمترجم عند نجله الشيخ عز الدين الجزائري ، نقلا عن ، كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٢٧) كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

(٢٩) ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، جواز سفر الشيخ محمد جواد الجزائري الصادر من لواء كربلاء ، بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٤٥ ؛ علي البهادلي ، الامام المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري ، ((آفاق نجفية)) ، ٢٠٠٧ ، العدد ٥ ، ص ٣٤٢ .

(٣٠) كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٣١) عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، (بغداد: مطبعة وادي السلام ، ١٩٧٥) ، ص ١٩٢ .

(٣٢) عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي ، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحية ١٩٠٨-١٩٣٢ ، (بيروت : دار القارئ للطباعة ، ٢٠٠٥) ، ص ٢٤٨ .

(٣٣) للتفاصيل عن منهاج جمعية النهضة الاسلامية ، انظر : حسن عيسى الحكيم ، الفصل في تاريخ النجف الاشرف ، (قم : مطبعة شريعت ، ٢٠١٠) ، ج ٢٠ ، ص ١٩١ - ١٩٥ .

(٣٤) علي البهادلي ، الامام المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري ، ((الموسم)) (مجلة) ، لاهي ، ١٩٩٠ ، العدد ٨ ، ص ١٥٢٢ .

(٣٥) د.ك.و ، الوحدة الوثائقية ، الاحتلال البريطاني ، الادارة الملكية المركزية ، رقم الملف ٩٣٦ ، رسالة الجمعية الى الحكومة العثمانية في ١٢ كانون الاول ١٩١٧ ، من وثائق الجمعية التي استولت عليها القوات البريطانية ، ترجمت الى الانجليزية ورفعت الى الحاكم المدني بتاريخ ٢٠ ايار ١٩١٨ .

(٣٦) محمد علي كمال الدين ، النجف في ربيع قرن منذ ١٩٠٨ ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : دار القارئ للطباعة ، ٢٠٠٥) ، ص ٢٠٤ .

(٣٧) د.ك.و ، الوحدة الوثائقية ، الاحتلال البريطاني ، الادارة الملكية المركزية ، رقم الملف ٩٣٦ ، من وثائق الجمعية التي استولت عليها القوات البريطانية ، ترجمت الى الانجليزية ورفعت الى الحاكم المدني بتاريخ ١١ نيسان ١٩١٨ .

- (٣٨) سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، ط ٢ ، (قم : مطبعة محمد ، ٢٠٠٤) ، ص ١٤٦ ؛ ضياء الدين بحر العلوم ، مذكرات السيد محمد علي بحر العلوم ، ((مخطوط)) ، مكتبة معهد العلمين للدراسات العليا ، و ٥٩ .
- (٣٩) عبد الرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٧٨) ، ص ١٥ - ١٧ .
- (٤٠) محسن أبو طيخ ، مذكرات محسن أبو طيخ (١٩١٠-١٩٦٠) ، تحقيق جميل محسن أبو طيخ ، (بيروت : مطبعة سيكو ، ٢٠٠١) ، ص ٦٢ .
- (٤١) سليم الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٣٧-١٣٨ .
- (٤٢) منذر جواد مرزة ، تاريخ العراق في عقدين ١٩٠٠ - ١٩٢٠ ، (النجف الأشرف : مؤسسة النبراس للطباعة والنشر ، ٢٠٠٩) ، ص ٣٤٢ - ٣٤٧ .
- (٤٣) حسين باقر مرزه ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- (٤٤) سليم الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٤٥) حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز ، (بغداد: وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) ، ص ٢٤٧-٢٥١ .
- (٤٦) ضياء الدين بحر العلوم ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .
- (٤٧) كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٤٨) حسين باقر مرزه ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
- (٤٩) محمد باقر البهادلي ، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ، (قم : مطبعة ستاره ، ٢٠٠٤) ، ص ٥٠ .
- (٥٠) كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
- (٥١) كامل سلمان الجبوري ، النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ، (بيروت : دار القارئ للطباعة ، ٢٠٠٥) ، ص ١١٧ .
- (٥٢) د.ك.و ، الوحدة الوثائقية ، الاحتلال البريطاني ، الادارة الملكية المركزية ، رقم الملف ٩٥٠ ، برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٧٢ ، بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٨ .
- (٥٣) سليم الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٧٧-١٨٠ .
- (٥٤) نفذ حكم الإعدام على كل من : عباس علي الرماحي ، علوان علي الرماحي ، كريم الحاج سعد ، محسن الحاج سعد ، احمد الحاج سعد ، سعيد العبد الحاج سعد ، نجم البقال ، مجيد دعبيل ، محسن أبو غنيم ، كاظم صبي ، وجودي آل ناجي . انظر : ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية)) ، أوراق الشيخ محمد جواد الجزائري بخطه .

(٥٥) عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ط٢، (بيروت: دار النهار، ١٩٨٦)، ص ٦٠.

(٥٦) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٧٢، بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٨. (٥٧) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٣٥، بتاريخ الاول من آيار ١٩١٨؛ برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٤١، بتاريخ الاول من آيار ١٩١٨.

(٥٨) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٤٤، بتاريخ ٢ آيار ١٩١٨؛ برقية من الحاكم السياسي في بغداد الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٨١٩، بتاريخ ٣ آيار ١٩١٨؛ برقية من الحاكم المدني في بغداد الى رئيس السجن المدني المرقمة ٣٩٧٨، بتاريخ ٥ آيار ١٩١٨.

(٥٩) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من الحاكم السياسي في بغداد الى الحاكم السياسي في الشامية المرقمة ٣٩٦٠، بتاريخ ٧ آيار ١٩١٨؛ برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ٣٩٥٠، بتاريخ ٨ آيار ١٩١٨.

(٦٠) يصنف السجناء في بريطانيا الى أربع فئات، بحسب شدة الجريمة والخطر الذي يشكله في حال هروبه من السجن، فالصنف (A) وهم الاشخاص الذين يتطلب وجودهم في السجن مراقبة شديدة ويشكل هروبهم خطر كبير جدا على المجتمع، الصنف (B) السجناء الذين لا يتطلب وجودهم في السجن مراقبة شديدة ولكن هروبهم يشكل خطرا على المجتمع، الصنف (C) أولئك الذين لا يمكن الوثوق لوضعهم ولكن من غير المحتمل أن يحاولون الهرب، والفئات الثلاثة يوضعون في سجون مغلقة، أما الصنف (D) أولئك الذين يمكن الوثوق بهم بعدم محاولة الهرب، ويتم وضعهم في سجون مفتوحة. للتفاصيل، انظر: ((شبكة الانترنت))، فئات السجناء في المملكة المتحدة، الموقع، <https://en.wikipedia.org>.

(٦١) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، كتاب صادر من مكتب الحاكم المدني في بغداد المرقم ٩١٨١، بتاريخ ٩ آيار ١٩١٨؛ رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي الى الحاكم المدني في بغداد، بتاريخ ١٣ آيار ١٩١٨.

(٦٢) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، كتاب مكتب الحاكم المدني في بغداد الى قائد قوات بلاد ما بين النهرين في الجيش البريطاني في العراق المرقم ١٠١٩٧، بتاريخ ٢٣ آيار ١٩١٨؛ كتاب من قائد قوات بلاد ما بين النهرين الى قائد الجيوش البريطانية في الهند المرقم ١٧٨٩، بتاريخ ٢٥ آيار ١٩١٨.

(٦٣) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، كتاب القائد العسكري البريطاني في البصرة، المرقم ٢٣١٣ في ٩ حزيران ١٩١٨.

(٦٤) كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ص ٢٤٤؛ رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي الى ارنولد ولسن، بتاريخ ٩ حزيران ١٩١٨، نقلا عن عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٦٥) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٣٦، البرقية الصادرة من مكتب الحاكم المدني المرقمة ٦٨٧٠، بتاريخ ٢٩ آيار ١٩١٨؛ د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، كتاب مكتب الحاكم المدني الى الحاكم السياسي في بغداد، المرقم ٤٧٧، بتاريخ ١٤ حزيران ١٩١٨.

(٦٦) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، رسالة من شيخ الشريعة الاصفهاني الى ارنولد ولسن، بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩١٨.

(٦٧) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من مكتب الحاكم المدني المرقمة ٥٢٨٦، بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٨.

(٦٨) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، خلاصة تقرير القنصل البريطاني في عربستان، بتاريخ ٣ اب ١٩١٨.

(٦٩) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، رسالة من مكتب الحاكم المدني الى شيخ الشريعة الاصفهاني، بتاريخ ٢١ تموز ١٩١٨.

(٧٠) د.ك.و، الوحدة الوثائقية، الاحتلال البريطاني، الادارة الملكية المركزية، رقم الملف ٩٥٠، برقية من مكتب الحاكم المدني المرقمة ١٣٧٤٨، بتاريخ حزيران ١٩١٩؛ برقية من الشيخ محمد جواد الجزائري الى الشيخ محمد تقي الشيرازي، بتاريخ حزيران ١٩١٩، نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، (بيروت: دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٩)، ج ٥، ص ٢٤٥.

(٧١) حسين باقر مرزه، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٧٢) فريق مزهر ال فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، (بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٥٢)، ص ٣٥٤.

- (٧٣) كاتب الطريحي ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
- (٧٤) للتفاصيل عن انتفاضة مايس ١٩٤١ ، انظر : يونس بحري ، أسرار ٢ مايس ١٩٤١ ، (بغداد: مطبعة الحرية ، ١٩٦٨) .
- (٧٥) جعفر عباس حميدي ، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٦٨ ، (بغداد : دار عدنان للطباعة ، ٢٠١٥) ، ص ١٧٤ .
- (٧٦) ((اليوم)) (جريدة) ، بغداد ، العدد ٩٣٢ ، بتاريخ ١١ أيار ١٩٤١ .
- (٧٧) يونس بحري ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- قائمة المصادر
- أولاً: الوثائق غير المنشورة
١. ((مكتبة داود حبيب الجزائري الشخصية )) ، تولية الشيخ عبد الكريم الجزائري ، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩ .
  ٢. ——— ، الأوراق الخاصة بالشيخ عزالدين الجزائري .
  ٣. ——— ، القسام الشرعي الصادر من المحكمة الشرعية في النجف ، العدد ٦٢ ، بتاريخ ١١ أيار ١٩٥٩ .
  ٤. ——— ، أوراق الشيخ محمد جواد الجزائري بخطه .
  ٥. ——— ، جنسية الشيخ محمد جواد الجزائري الصادرة من وزارة الداخلية العثمانية ، بتاريخ ١١ حزيران ١٩٠٥ .
  ٦. ——— ، جواز سفر الشيخ محمد جواد الجزائري الصادر من لواء كربلاء ، بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٤٥ .
  ٧. ——— ، تقرير مفتش وزارة المعارف ، بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٦٠ .
  ٨. ——— ، كتاب قائممقامية قضاء النجف المرقم ١١٣٦٦ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، الى معاونة شرطة النجف ؛ نص مباركة السيد محسن الحكيم ، بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٠ .

٩. — ، كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ٥٤٤٦٥ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ الى مديرية معارف لواء الديوانية ؛ كتاب مديرية معارف لواء الديوانية المرقم ١٤٦٥٥ في ٨ كانون الأول ١٩٥٧ الى إدارة مدرسة الحيرة الدينية .
١٠. — ، كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ٨٣٥١ في ٣ آذار ١٩٥٣ الى مديرية معارف لواء كربلاء .
١١. — ، كتاب مديرية المعارف العامة المرقم ١٦٢٩٠ في ١٠ ايار ١٩٥٣ الى مديرية معارف لواء كربلاء .
١٢. ((مؤسسة كاشف الغطاء العامة)) ، رسالة من الشيخ محمد جواد الجزائري الى الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي يطلب منه ابلاغ دائرة المعارف في الديوانية عن نظام المدرسة الاحمدية في الحيرة ، د.ت .
١٣. د.ك.و ، الوحدة الوثائقية ، الاحتلال البريطاني ، الادارة الملكية المركزية ، رقم الملف ٩٣٦ ، من وثائق الجمعية التي استولت عليها القوات البريطانية ، ترجمت الى الانجليزية ورفعت الى الحاكم المدني بتاريخ ١١ نيسان ١٩١٨ .
١٤. — ، رسالة الجمعية الى الحكومة العثمانية في ١٢ كانون الاول ١٩١٧ ، من وثائق الجمعية التي استولت عليها القوات البريطانية ، ترجمت الى الانجليزية ورفعت الى الحاكم المدني بتاريخ ٢٠ ايار ١٩١٨ .
١٥. — ، البرقية الصادرة من مكتب الحاكم المدني المرقمة ٦٨٧٠ ، بتاريخ ٢٩ ايار ١٩١٨ .
١٦. د.ك.و ، الوحدة الوثائقية ، الاحتلال البريطاني ، الادارة الملكية المركزية ، رقم الملف ٩٥٠ ، برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٧٢ ، بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٨ .
١٧. — ، برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٧٢ ، بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٨ .

١٨. — ، برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٣٥، بتاريخ الاول من آيار ١٩١٨
١٩. — ، برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٤١ ، بتاريخ الاول من آيار ١٩١٨ .
٢٠. — ، برقية من الحاكم السياسي في الحلة الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ١٤٤ ، بتاريخ ٢ آيار ١٩١٨ .
٢١. — ، برقية من الحاكم السياسي في بغداد الى الحاكم السياسي في الحلة المرقمة ٣٨١٩ ، بتاريخ ٣ آيار ١٩١٨ .
٢٢. — ، برقية من الحاكم المدني في بغداد الى رئيس السجن المدني المرقمة ٣٩٧٨ ، بتاريخ ٥ آيار ١٩١٨ .
٢٣. — ، برقية من الحاكم السياسي في بغداد الى الحاكم السياسي في الشامية المرقمة ٣٩٦٠ ، بتاريخ ٧ آيار ١٩١٨
٢٤. — ، برقية من الحاكم السياسي في الشامية الى الحاكم السياسي في بغداد المرقمة ٣٩٥٠ ، بتاريخ ٨ آيار ١٩١٨ .
٢٥. — ، كتاب صادر من مكتب الحاكم المدني في بغداد المرقم ٩١٨١ ، بتاريخ ٩ آيار ١٩١٨ .
٢٦. — ، رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي الى الحاكم المدني في بغداد ، بتاريخ ١٣ آيار ١٩١٨ .
٢٧. — ، كتاب مكتب الحاكم المدني في بغداد الى قائد قوات بلاد ما بين النهرين في الجيش البريطاني في العراق المرقم ١٠١٩٧ ، بتاريخ ٢٣ آيار ١٩١٨ .
٢٨. — ، كتاب من قائد قوات بلاد ما بين النهرين الى قائد الجيوش البريطانية في الهند المرقم ١٧٨٩ ، بتاريخ ٢٥ آيار ١٩١٨ .
٢٩. — ، كتاب القائد العسكري البريطاني في البصرة ، المرقم ٢٣١٣ في ٩ حزيران ١٩١٨ .

٣٠. ——— ، كتاب مكتب الحاكم المدني الى الحاكم السياسي في بغداد، المرقم ٤٧٧ ، بتاريخ ١٤ حزيران ١٩١٨ .
٣١. ——— ، رسالة من شيخ الشريعة الاصفهاني الى ارنولد ولسن ، بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩١٨ .
٣٢. ——— ، برقية من مكتب الحاكم المدني المرقمة ٥٢٨٦ ، بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٨ .
٣٣. ——— ، خلاصة تقرير القنصل البريطاني في عربستان ، بتاريخ ٣ اب ١٩١٨ .
٣٤. ——— ، رسالة من مكتب الحاكم المدني الى شيخ الشريعة الاصفهاني ، بتاريخ ٢١ تموز ١٩١٨ .
٣٥. ——— ، من مكتب الحاكم المدني المرقمة ١٣٧٤٨ ، بتاريخ حزيران ١٩١٩ .  
ثانيا: المخطوطات
٣٦. ضياء الدين بحر العلوم ، مذكرات السيد محمد علي بحر العلوم ، ((مخطوط)) ، مكتبة معهد العلمين للدراسات العليا .  
ثالثا: الكتب العربية والمعربة
٣٧. جعفر الدجيلي ، موسوعة النجف الأشرف ، (بيروت : دار الأضواء للطباعة ، ٢٠٠٠) ، ج ١٩ .
٣٨. جعفر عباس حميدي ، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٦٨ ، (بغداد : دار عدنان للطباعة ، ٢٠١٥) .
٣٩. حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز ، (بغداد: وزارة الاعلام ، ١٩٧٥) .
٤٠. حسن عيسى الحكيم ، المفصل في تاريخ النجف الاشرف ، (قم : مطبعة شريعت ، ٢٠١٠) ، ج ٢٠ .

٤١. حسين باقر مرزه ، الشيخ محمد جواد الجزائري ونشاطه السياسي ، بحث ضمن ، محسن محمد محسن ، البطل الثائر محمد الجواد الجزائري مؤسس النهضة الإسلامية ، (بيروت : دار التعارف ، ٢٠٠٠) .
٤٢. سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، ط ٢ ، (قم : مطبعة محمد ، ٢٠٠٤) .
٤٣. عبد الجبار الساعدي ، الشيخ محمد جواد الجزائري في الميزان الحوزوي ، (بيروت : العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٠) .
٤٤. عبد الرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتب ، ١٩٧٨) .
٤٥. عبد الزهرة تركي الفتلاوي ، حضارة الحيرة ، (بيروت : دار الحجّة ، ٢٠١٦) .
٤٦. عبد الله النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، ط ٢ ، (بيروت : دار النهار ، ١٩٨٦) .
٤٧. عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، (بغداد : مطبعة وادي السلام ، ١٩٧٥) .
٤٨. عبد النبي الجزائري (ت ١٦١٢م) ، حاوي الاقوال في معرفة الرجال ، تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث ، (قم : مطبعة امير ، ١٩٩٧) ، ج ١ .
٤٩. عدي حاتم عبد الزهرة المبرجي ، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحية ١٩٠٨-١٩٣٢ ، (بيروت : دار القارئ للطباعة ، ٢٠٠٥) .
٥٠. علي سميسم ، المجاهد الجزائري على صفحات الأدب ، (النجف الأشرف : د. م ، ٢٠٠٨) .
٥١. علي محمد سماحة ، محمد جواد الجزائري بطل عاش للشعب ودافع عن حقوق الكادحين ، (بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٢) .
٥٢. عماد عبد السلام رؤوف ، الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق ، (بغداد : دار الحكمة للطباعة ، ١٩٩٢) ، ص ٤٣٠ .

٥٣. فريق مزهر ال فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها ، (بغداد : مطبعة النجاح ، ١٩٥٢).
٥٤. كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب من اعلام الفكر والادب ،(بيروت : المواهب ، ١٩٩٩).
٥٥. كامل سلمان الجبوري ، النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ، (بيروت : دار القارئ للطباعة، ٢٠٠٥).
٥٦. ——— ، وثائق الثورة العراقية الكبرى ، (بيروت : دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠٩)، ج ٥ ، ص ٢٤٥.
٥٧. لجنة الخطابة في مدرسة الجزائري الاحمدية ، المبعث النبوي الكريم ، (النجف الاشرف : مطبعة دار النشر ، ١٩٥١).
٥٨. محسن أبو طبيخ ، مذكرات محسن أبو طبيخ (١٩١٠-١٩٦٠) ، تحقيق جميل محسن أبو طبيخ ، (بيروت : مطبعة سيكو ، ٢٠٠١).
٥٩. محسن الأمين العاملي، اعيان الشيعة ، تحقيق حسن الأمين ، (بيروت : دار التعارف ، ١٩٨٣) ، ج ٩.
٦٠. محمد باقر البهادلي ، الحياة الفكرية في النجف الاشرف ، (قم : مطبعة ستاره، ٢٠٠٤).
٦١. محمد علي كمال الدين ، النجف في ربيع قرن منذ ١٩٠٨ ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : دار القارئ للطباعة ، ٢٠٠٥).
٦٢. منذر جواد مرزة ، تاريخ العراق في عقدين ١٩٠٠ - ١٩٢٠ ، (النجف الأشرف : مؤسسة النبراس للطباعة والنشر ، ٢٠٠٩).
٦٣. يونس بحري ، أسرار ٢ مايس ١٩٤١ ، (بغداد: مطبعة الحرية ، ١٩٦٨).
- رابعا : الكتب الفارسية
٦٤. منو جهر صدوقي سها ، تاريخ حكماء و عرفاى متأخر ، (طهران : نور حكمت ، ١٣٥٩ ش).

خامسا: المقالات

٦٥. حسين كمال الدين ، الشيخ محمد جواد الجزائري ، ((آفاق نجفية)) (مجلة) ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٧ ، العدد ٥.

٦٦. علي البهادلي ، الامام المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري ، ((الموسم)) (مجلة) ، لاهاي ، ١٩٩٠ ، العدد ٨.

٦٧. علي البهادلي ، الامام المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري ، ((آفاق نجفية)) ، ٢٠٠٧ ، العدد ٥.

٦٨. كاتب الطريحي ، البطل الثائر محمد الجواد الجزائري مؤسس النهضة الإسلامية ، ((الموسم)) ، ٢٠٠١ ، العدد ٤٧-٤٨.

سادسا : الصحف

٦٩. ((اليوم)) (جريدة) ، بغداد ، العدد ٩٣٢ ، بتاريخ ١١ آيار ١٩٤١ .

سابعا : المقابلات الشخصية

٧٠. السيد إبراهيم حسين أبو سعيدة ، مواليد ١٩٣٤ ، احد طلاب المدرسة الاحمدية في الحيرة ، النجف الاشرف ، بتاريخ ٢٤ نيسان ٢٠١٩ .

٧١. الشيخ داود حبيب الجزائري ، ((مقابلة شخصية)) ، مواليد ١٩٥٧ ، سبط المترجم ، بتاريخ ٩ نيسان ٢٠١٩ .

ثامنا: شبكة الانترنت

٧٢. فئات السجناء في المملكة المتحدة ، الموقع ، <https://en.wikipedia.org> .

## مقترحات مراجعنا العظام حول نهضة المسلمين

م.م. نجاة نجم عبد الله  
كلية الطوسي الجامعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله والائمة الميامين من آله وسلم تسليماً،  
الحمد لله على تمام النعمة

وبعد:

فإن الله - تعالى - أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وهو دين البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم؛ ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ﴿آل عمران: ٨٥﴾، فلا دين حقاً بعده كما لا نبي بعد خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والمسلمون مأمورون بنشر هذا الدين وتعاليمه بين الناس؛ مسلمين كانوا أو غير المسلمين، ومكفونون بإبلاغ هذه الدعوة إلى البشر أجمعين حتى يخرجوا من الظلمات إلى النور، فالقيام بهذا الواجب يستلزم من المسلم أن يختلط بغيره؛ سواء كان هذا الغير مسلماً أو غير مسلم؛ إذ الدعوة لا تتم إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ وعليه: فإن الاختلاط بغير المسلمين قد يكون ضرورة شرعية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن مقتضيات الحياة تفرض على الإنسان أن يكون على علاقة وصلة دائمة بآخرين؛ إذ الإنسان وحده لا يقدر على تحقيق كل ما يحتاج إليه ويلزمه لقوام حياته، بل هو بحاجة إلى التعاون والتساند مع آخرين.

ومن خلال هذه العلاقات البشرية الضرورية فالمسلم قد يلتقي بأناس دينهم يخالف دينه، فإن المجتمع الإسلامي لم يخل قط من غير المسلمين في عصر من العصور؛ لأن الإسلام لم يكرههم أن يكونوا مسلمين، ولا أمر المسلمين أن يعتزلوهم، بل أذن لهم أن يعيشوا مع المسلمين في بلاد الإسلام بصفة أهل الذمة آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم بما بذلوه من الجزية ما لم ينقضوا العهد، فهذه المعية والمجاورة وغيرها من الأسباب تقتضي

نشوء العلاقات ودوامها بين المسلمين وغير المسلمين؛ كما نراه في عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن المسلمين كانوا يتعاملون مع اليهود قبل إجلائهم من المدينة المنورة ثم إن تلك العلاقات قد تكون بين دولتين: دولة إسلامية ودولة كافرة، التي ذكر الفقهاء إحكامها في أبواب الجهاد والسير، واستوفيت الكتابة عنها قديماً وحديثاً.

وقد تكون بين أفراد من غير المسلمين وبين دولة إسلامية التي يذكر تفاصيلها في أبواب وأحكام أهل الذمة والمستأمنين، وكذلك استوفيت الكتابة عنها قديماً وحديثاً.

وقد تكون بين أفراد من المسلمين وغير المسلمين من بيع وشراء وإجارة ووكالة وشركة وشهادة ومناكحات وعبادة كافر وتعزيتة، وأمثال ذلك من العلاقات التي تقع بين اثنين، مسائلها متناثرة ومتفرقة في أبواب الفقه المختلفة.

فهذا النوع الأخير هو الذي أعنيه بالعلاقات الفردية بين المسلم وغير المسلم، وهو الذي سأورده بالتفصيل في هذا البحث على شكل مسائل فقهية متفرقة تدور حول آراء المرجعية الرشيدة في نهضة المسلمين وهي سبيل الخلاص والنجاة من الصعوبات التي نتعرض لها في وقتنا الحاضر ولما له من أهمية في حياة المسلمين بعامّة، وواقعنا المعاصر بخاصّة.

من الضروري ذكر بعض المقترحات الهامة التي ترتبط بعلو المسلمين ورفع هيمنة الكفار عنهم، وربما تعد من المقدمات القريبة وبعضها من البعيدة، وأذكرها على شكل مسائل:

المسألة الأولى: السعي لعلو الاسلام

إن إقامة الدين الإسلامي من اختصاصات الدولة، وهي المسؤولة عن ذلك الدين الكامل الذي يكون مقوماً لجميع مفاصل الدولة وحياة المجتمع، والذي يكون الجميع يعمل فيه؛ لتحقيق العبودية الإلهية، وهو الدين التوحيدي. فالدولة مسؤولة عن إقامة دين التوحيد، وإحياء المجتمع الموحد<sup>(١)</sup>.

كما إن على الدولة أن تسعى لتطبيق القوانين الإسلامية، وخصوصاً تلك الموجبة لعزة المسلمين ونفي سبيل الكفار عنهم، ويتحقق علو الاسلام بالأخوة الإسلامية، حيث

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، فلا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى<sup>(٣)</sup>.

إن الحكومات التي تقوم على اساس النظرة الكونية المادية هدفها التسلط والاستكبار وارضاء غريزة حب السلطة وتحقيق رغباتهم وزيادة في الفساد، والقرآن الكريم يوضح حكومة فرعون والأصول العامة لسياسته ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالحكومات التي تكون اهدافها مادية قد اتسعت تبعاً لأزدياد أفراد البشر ووسائل الانتاج وحصول التطور المادي وتوسع البلدان وانتشار الافكار المادية إلى درجة ان السياسة الراهنة في العالم ، أصبحت أكثر ظلماً مما كانت عليه في عصر الفراعنة نتيجة الاستكبار العالمي<sup>(٥)</sup>، ومن مصاديقها قوات الاحتلال في العراق.

إن الحكومات التي تشرع القوانين المخالفة للإسلام تضع اغلالاً لتكبييل المسلمين، وقد أوضح الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) في خطبته السعي لعلو الاسلام بقوله (عليه السلام): " اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان أو إلتماساً من فضول الحطام ولكن لنري المعالم من دينك ونظر الصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك و احكامك ، فإنكم إن تنصرونا قوي الظلمة عليكم و علموا في أطفاء نور نبيكم "<sup>(٦)</sup>.

المسألة الثانية: رد الشبهات عن الاسلام

يجب ردّ الشبهات التي يوردها الأعداء والجهال على الإسلام في أصوله وفروعه أو على المسلمين لانتقاص كرامتهم وإذلالهم ؛ لأنه من مصاديق الدفاع والعلو، مضافاً إلى النهي عن المنكر وتنبية الغافل وإرشاد الجاهل.

أما المسلم المغترب وجب عليه الدفاع حسب شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان قادراً وإلا فبالوسائط، و إذا أشكل عليه بما لم يتمكن من جوابه لزم عليه الرجوع إلى العالين القادرين لتحصيل الجواب؛ لأن الدفاع عن الإسلام واجب على

كلّ مسلم ، كما أنّ هذا من مصاديق العمل بعلو الإسلام ، وهكذا حال التبليغ إلى الإسلام فإنه واجب كفائي على كل مسلم ، والمقام من مصاديقها .  
والظاهر أن التكليف في مثل هذه الموارد وغيرها كظهور البدع يتوجه إلى العلماء أولاً ؛ لأنهم القادرون ، فيجب عليهم إنكارها وإظهار فسادها وإن علموا أن إظهارهم وردهم لا يوجب دفعاً ولا رفعاً؛ وذلك للنص والسيرة القائمة ، روي عن رسول الله (صلى) : " إذا ظهرت البدعة في أمّتي فليظهر العالم علمه ، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله " (٧) ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) قال : قال علي (عليه السلام) : " إنّ العالم الكاتم علمه يبعث أتّن أهل القيامة ريحاً ، يلعنه كل دابة حتى دواب الأرض الصغار " (٨)

وكذلك يروى عن الصادقين (عليهما السلام) إنها قالوا : " إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان " (٩) .

لذا يرى البحث إنه من الواجب على العالم في هذه الظروف التكلم والبيان وبذل الوسع حتى إذا علم بعدم فائدة الكلام دفع المنكر أو رفعه أو التقليل من أضراره للملاكات المتقدمة ، هذا إن لم يكن في بعض الأحيان من مصاديق الحرام ؛ لدخوله في صغريات الإعانة على الإثم ، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المسألة الثالثة: نقل الأخبار المقوية للكفر

لا يجوز لوسائل الاعلام نقل أخبار الكفار والمستعمرين ونحوهم إذا كانت تسبب قوة شوكتهم في عيون المسلمين ، وتسبب إضعاف المسلمين وإذلالهم أمام الأعداء ، كما لا يجوز نقل أخبار ضعف المسلمين إذا كان من أسباب علوهم على المسلمين ، أو كان من أسباب ضعف الإسلام أو إهانة المسلمين .

بالإضافة إلى ذلك تتعرض بلدان العالم عموماً خصوصاً لتأثير البث بالأقمار الاصطناعية ، وبالأخص البث الغربي و الأمريكي ، وهو البث الذي يجتاز الحواجز والحدود ، ويصل إلى منزله مباشرة ، وبدون تحكم من قبل دولته في الغالب .

والاشكالية التي تطرحها نظام الاتصال الفضائي هي الاحداث التوازن الموضوعي بين الانفتاح الثقافي على الآخر دون خطر الاجتياح والاستلاب.

وبالرغم من التسليم بأن هذا البث الوافد والمفروض علينا غزواً ثقافياً يعكس موقف وتوجه الثقافة الغربية، إلا أن مصطلح " الغزو الثقافي " يمكن أن يكون مضللاً في تحليل إشكالية الصراع الثقافي بين الشمال والجنوب، والصراع الحضاري؛ لأنه يبتنى نظرية " المؤامرة " من ناحية، ويضخم قوة الآخر، مقابل تعمية الخلل في البنى للعالم، ويبالغ في دونية " الأنا "، إلا أن هذا التحفظ لا يعنى أن المسألة الثقافية والسيطرة في العالم لا يحكمها سعي (الآخر) المستعمر للهيمنة على الأنا الثقافي في العالم، وأن الهيمنة حلقة من حلقات الصراع الحضاري المستمر بين المركز والأطراف منذ الثورة والتي قامت في أحد مرتكزاتها على استلاب ثروات المستعمرات<sup>(١٠)</sup>.

ويمثل زرع الكيان الصهيوني في منطقتنا أداة من أدوات هذه الهيمنة والتي تعتمد بشكل أسرع سعيها لإفقار الجنوب على عملية الاختراق الثقافي، التي عززتها العولمة. ومن هنا يتبادر لي سؤال من خلال البحث، ونقول ماهي التحديات الثقافية والتربوية التي تفرضها الهيمنة الاتصالية الفضائية والتي تتجسد في ظاهرة البث التلفازي المباشر؟ فيرى البحث إن دراسة تطور نظام الاتصال التي تجتاح العالم، بجوانبها المختلفة الايجابية والسلبية، وتحاول حفز الأنا الثقافية على مواجهة التطور والتفاعل معه واستيعابه، والحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي في صورتها ومما يضاعف من خطورة الظاهرة واقع التخلف والتجزئة والامية التي يعاني منها المجتمع، وحيث يتخوف الكثيرون من تأثير هذا البث على الاطفال والأميين بشكل خاص والذين ينشرون من نصف تعداد الشعوب العربية.

والملاحظ أن هذا التطور والتحدي، يأتي في ظل الاحتلال البين في الخريطة الدولية، من الدعوة إلى نظام عالمي جديد مضمونه الهيمنة الامريكية، ويفتقد شروط التكافؤ بين الشمال والجنوب، والقائم على أشلاء تحلل الكتلة الاشتراكية السابقة، وفي ظل دخول الأقطار العربية في انعدام الوزن والتمزق والتخبط واليأس، وكأن الثورة

الإعلامية الحادثة هي الفضاء الثقافي الجديد، وي طرح خبير إعلامي غربي بارز القضية من منظور موضوعي متوازن: "وأصبح العالم أشبه بقرية واجتاح الإرسال التلفازي الحواجز يغير في القيم، ويؤثر في الأحداث ، ويحرك الجماهير في النظام ذاته تضع الثقافة والسياسة التي تناسب مع تطورها ومتطلباتها ، حيث أن برامج الإرسال بالأقمار ستطال كل بلدان العالم ، وإن كل البرامج الوافدة إلا إن برامج مرآة برامج غاز ، وأتت إلينا بلا استئذان أو دعوة"<sup>(١١)</sup>.

المسألة الرابعة: التعامل بمصطلحات الكفر وشعاراته

لا يجوز التعامل بالاصطلاحات أو الافكار أو الشعارات التي يروجها الكفار كالتاريخ الميلادي والأسامي غير الاسلامية ونحو ذلك، إذا سببت ضياع معالم الاسلام و إضلال المسلمين ، أو تضعيف عقيدتهم؛ لأنه موجب لعلوهم ، بل ومن مصاديق اتخاذهم أولياء ، وقد ورد النهي عن ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٢)</sup>، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (صلى): " ولا تسلكوا مسالك أعدائي"<sup>(١٣)</sup>، وإذا لم يسبب ذلك فلا إشكال في مرجوحته؛ إذ" لا تسلكوا" له فردان حرام ومكروه .

وبخلاف ذلك يجب التحفظ على اللغة العربية لأجل بقاء القرآن والسنة والشريعة، كما يلزم جعلها اللسان العالمي لنشر ثقافة القرآن وتعاليم الإسلام ؛ لأنها من مصاديق العلو فضلاً عن إظهار الحق والدعوة إلى الخير والإيمان<sup>(١٤)</sup> .

كما يجب ترجمة الأحكام الإسلامية من اللغة العربية إلى سائر اللغات لدعوة غير العرب إلى الاسلام ، فإن تبليغ الاسلام من الواجبات ، والترجمة من مقدماته الوجودية.

كما يجب نقل الأدلة الدالة على أن الإسلام هو الدين الحق إلى لغات الكفار ليتسنى لهم النظر فيها و الانطواء تحت لواء الإسلام .

المسألة الخامسة: تعليم المسلمين

فإذا توقف تقدم المسلمين وعلوهم على التعاليم وَجِبَ عليهم ذلك ، وخصوصاً فيما يتوقف عليه حفظ عزة المسلمين واستقلالهم، كما لو خيف انهزام المسلمين في ميادين الحروب ونحوها بما يسبب إذلالهم وضياعهم وعلو الكفار عليهم، أو يسبب تراجع الإسلام وإضلال الناس.

كما عمل الأئمة المعصومين ( عليهم السلام) بتعليم المسلمين دينهم والتي اعتبرت مهمة حياتهم؛ لصالح دنياهم<sup>(١٥)</sup>.

لكن يتبادر لي سؤال وهو: هل يجوز للدولة إجبار الناس على التعليم؟ قد يقال بالعدم؛ لأن الناس مسيطون على أموالهم وأنفسهم، إلا أن الظاهر تقدم قاعدة العلو ونفي السبيل على قاعدة السلطنة .

إن ما تقدم لا ينحصر في الحروب، بل يجري في الصناعات والسياسات والاقتصاديات، فإذا وقع المسلمون في تنافس شديد وتعرضوا إلى الهزيمة وهيمنة الكفار، فيكون من الواجب عليهم التعلم والتخصص، ولا يجوز لهم إهمال هذا الأمر؛ لأن الإسلام يعلو ولا يعلو عليه.

ولذلك يرى البحث إنه من الواجب مكافحة الأمية في الجملة؛ لتعميم القراءة والكتابة بين المسلمين لتشمل الرجال والنساء والكبار والعجزة؛ لأن ذلك مقدمة للواجب كتعلم الأحكام الشرعية والعقائد التي هي جزء من حياتنا اليومية والتي تعدُّ من أهم الواجبات، كما يتوقف عليها إقامة الشعائر الدينية كالقراءة في الصلاة والقرآن والدعاء والزيارات التي تحفظ الحياة الدينية وشعائر الإسلام بين المسلمين.

هذا مضافاً إلى أنه من مقدمات علو الإسلام والمسلمين، لذا من الواضح أن التعليم في بعض مراتبه من الواجبات وفي بعض مراتبه الأخرى من المستحبات، إلا أنه لا يبعد القول بأن المجموع من حيث المجموع من الواجبات الكفائية على المسلم.

المسألة السادسة: الوفاء بالمعاهدات الدولية

لا إشكال في وجوب الوفاء بالمعاهدات الدولية التي يعقدها المسلمون مع الكفار؛ لأن المؤمنين عند شروطهم، ولأدلة العهد، ولا يجوز النقض إلاّ لأمر:

أولاً: أن تتعلق في أمر لم تحرمه الشرعية. مثلاً: إذا عاهد المسلمون الكفار في أن يعطوهم كل سنة الف دينار أو لا يعتدوا إلى حدودهم، وجب الوفاء ولقوله سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١٦)</sup>.

ثانياً: أما إذا كانت المعاهدة تتعلق بشيء محرم بذاته، فالظاهر عدم جواز الوفاء كما لا يجوز إبرام هذه المعاهدة كما إذا عاهدوهم في إن يقدم المسلمون إليهم كل سنة عشرين فتاة من فتيات المسلمين.

ثالثاً: أما لو عاهد المسلمون الكفار، ثم حصلت جهة أهم في نظر الشريعة لنقض العهد جاز النقض من باب قاعدة الأهم والمهم. وقد ضرب الرسول (صلى) أروع الامثلة بالعهد كما لا يخفى ذلك لمن راجع التاريخ<sup>(١٧)</sup>.

رابعاً: إذا سببت هيئة الكفار على المسلمين أو أضعاف الإسلام والمسلمين أمامهم. فمثلاً: الاتفاقات العسكرية إذا كانت في نفع المسلمين كانت جائزة، ويجب الوفاء بها، بل قد تجيب إذا سببت علو المسلمين أو درء الخطر عن بلاد الإسلام.

وأما إذا تضرر منها المسلمون أو أوجبت ضعفهم كانت محرمة؛ لأنه مقدمة للحرام، ولا يجوز الوفاء بها، ومثلها الاتفاقات الاقتصادية والأمنية والسياسية، كما يجب على المسلمين أن يدفعوا الكفار إذا أرادوا الاستيلاء عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً على بلادهم.

إذا اضطر المسلمون إلى مصادقة الكفار؛ لأجل رفع مستوى المسلمين حتى لا يتخلفوا عن مواكبة الحياة الحرة الكريمة وحتى لا تعلق عليهم الأمم الكافرة أو اضطر المسلمون لمصادقتهم؛ ولأجل مساندتهم ضد الكافر الغازي المهاجم أو إرهاب العدو المتربص

وكانت مصادقتهم نافعة بلا ضرر أو بلا أضرار معتد بها فلا بأس، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١٨)</sup>

إما ترتبت عليها أضرار فينبغي ملاحظة الأهم والمهم حينئذٍ، فإن كان الأهم إجرار التعاهد معهم جاز بشرطين:

أحدهما: أن يكون العمل بإذن شورى الفقهاء أو الفقيه الجامع للشرائط؛ لأنه من الموضوعات المستنبطة التي ينبغي مراجعة الفقيه فيها.

ثانيهما: أن يكتفي بمقدار الضرورة فيها؛ لأنها تقدر بقدرها كما وكيفاً<sup>(١٩)</sup>.

المسألة السابعة: تطوير البلاد الإسلامية

لا نستبعد القول بوجود تطوير البلاد الإسلامية في مختلف الشؤون والمرافق؛ لأنه من مظاهر علو الإسلام والمسلمين، ولا يخفى إن الدين الإسلامي يدعو إلى التطور، كما إن أحكامه تتضمن القواعد العامة التي تسهل عملية التطور.

لذا يجب أن نوضح الفرق بين التطور والتجديد والتحديث في العقيدة الذي يظنه البعض بأنه بمعنى التطور، فيتخلوا عن الأصول والمعتقدات بحجة التطور، فإن متعلق العقيدة هي عبارة عن حقائق ثابتة لا تقبل التطور ولا التراجع شرعاً، بل هي من القوانين العقلية الضرورية، والإحكام العقلية لا تقبل التبديل كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد والتي تعد من أصول الدين الإسلامي والمتفق عليه عن الامامية.

كما ليس معنى التطور في الفضائل والمحاسن والمساوي كما قد يتوهم البعض، فيتخلى عن أخلاقه، ويلتزم بالمستوردات من أخلاق الغرب؛ لأن الفضيلة فضيلة مهما تطورت الحياة؛ ولأنها مقتضى الفطرة، والمحسنات والمقبحات العقلية والعقلانية والحسن والقبح في الفضائل من لوازم ذوات بعض الأشياء على قول، كما هو من الأحكام التي لا يختلف أمرها عند العقلاء

في البعض الآخر، فلا يصبح الكذب حسناً، ولا الصدق قبيحاً عند قوم أو في زمان مهما تطورت الحياة<sup>(٢٠)</sup>.

وكذا بالنسبة إلى الحلال والحرام لا يطرؤ عليه التطور؛ لأن الأحكام وضعت حسب المصالح والمفاسد في المتعلقات الواقعية مهما تبدلت الظروف؛ ولأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة؛ وفقاً لما ذكره زرارة بن أعين قال: "سألت

أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن الحلال والحرام؟ فقال: حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره" (٢١) خلافاً لمن يتخلى عن أحكامه زاعماً أن الحياة تفرض علينا ذلك.

وكذلك بالنسبة إلى المعاملات التي صبت إلى الأسس الإنسانية والعقلانية، ولا قوانين العبادات، ولا الجنایات، بل المقصود من التطور هو تطور المصاديق التي الأطر والقواعد العامة للتشريع التي بينها الإسلام، فإذا تبدل المصداق إلى مصداق متطور أو دخل في الوجود مصداق جديد لم يكن من قبل تشمله القواعد العامة؛ إذ الحكم يتبع الموضوع، وكلما تحقق الموضوع يتحقق الحكم.

لذا يرى البحث إنه لا بد من التطوير في الحياة، والمقصود منه تطوير المصاديق وتبديل الموضوعات؛ لكي يبقى الإسلام عالياً والمسلمون في عزّة وكرامة. وبهذه الخطوة يجب علينا تجديد الخطاب الإسلامي، والتجديد عبّر عنه بأنه: هو إعادة صياغة الخطاب الإسلامي في أطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية (٢٢).

وعبّر عنه أيضاً بأنه: انتقال نهضوي اسلامي يعبر عن حالة لم يكن يشهدها الماضي العربي الاسلامي، ولا يمكن أن يعرفها الغرب الحديثي في بناء المنظومة الفكرية الاسلامية هي شروط تفجرها امكاناتها وقدراتها في السيطرة على العصر (٢٣).

وبذلك يرى البحث إنه نعني بالتجديد من كل التعريفات السابقة نجد إنه عبارة عن احداث صورة جديدة للخطاب وفق نمط وضوابط القرآن الكريم والسنة الشريفة حسب وسائل الخطاب الاسلامي المعاصر، أي مع مراعاة تغير الواقع البشري وتطور مجتمعاته، فيجب أن نخطبهم بخطاب واقعي ومجدد غير تلك الخطابات المتداولة السابقة، أو هي نفسها ولكن وجود بعض التغيرات البسيطة فيها.

فهل نحن حقاً بحاجة إلى التجديد في الخطاب الإسلامي؟

نعم، نحن بحاجة إلى تجديد في الخطاب الإسلامي، ويحدث هذا التجديد ابتداءً ليس ثمة إمكانية التجدد الذاتي المحض؛ لأن الذات الإسلامية عقلاً ومؤسسة ليس قادرة دونما

وعى بالنظم القيمية المعاصرة لها والمحيطة بها إن تتجدد ، وعليه فإن الوعي المتجدد في كل منظومة ونظام عقائدي كلي يقوم على:

أولاً: الوعي - بما هو إدراك واستبطان وتمثل - بأسس البنية القيمية لمجال الاعتقاد والانتماء العقدي والفكري والسلوكي ، أو ما يمكن أن نطلق عليه المنظومة القيمية التأسيسية ، وهي في الاسلام تقوم على العمل النافع والعمل الصالح اللذين يحققان الصلاح الدنيوي والفلاح الآخروي ، وهما مع غايتهما جوهر فلسفة الاسلام للوجود والانسان والتاريخ ، ووعي النص القدسي وما أنشأه من علوم من مقدمات الوعي الذاتي وعباً بالنص وعلومه في رسالته أدواته المأصولية المخصوصة التي بُنيَ عليها من لسانية وبيانية وبلاغية ونحوية ومنهجية<sup>(٢٤)</sup>.

ثانياً: الوعي بفقهِ الواقع الذي تحيا الذات والواقع هو" ما يحيط بالإنسان والجماعة من حال ومجال وعصر ويؤثر فيهما على سبيل التشكيل الراهن فمن زمن متحرك" والواقع بذلك حال الانسان والجماعة بما يحملانه من قيم وافكار وطبائع وخصائص وسمات ضمن مجالات يحياها كل منهما ويعيشها من اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وفق المرحلة التاريخية العامة التي تمر بها المجتمعات بسماتها المختلفة ، وهو ما نطلق عليه العصر والحال والمجال والعصر معيش من قبل الانسان والجماعة في زمن ممتد متحول ، والواقع بذلك ليس إلا معاصرة الحال والمجال وتشكلهما في صيرورة الزمن المعيش<sup>(٢٥)</sup>.

ثالثاً: الوعي بالآخر: نظاماً قيمياً وفلسفياً أو أبنية اجتماعية ونظماً سياسية ، وظاهر متجسدة حية والوعي به يكشف الاسس الفارقة بين الذات والآخر وتحديداً في فلسفتها وموقفها من مباحث التوحيد (الآله)

والمعاد (الآخرة) والنبوة (محمد ﷺ) والرسول) والتاريخ والحياة والكون.

وضرورة الوعي بالآخرة في عملية التجديد هامة ؛ لأن صورة الذات لا تتضح ولا تعرف إلا بحضور الآخر في مرآتها على ما هو عليه ، لا على ما تشتهي الذات التمامية<sup>(٢٦)</sup>.

لذلك فإن من أهم قضاياها هي التي تطال القضايا الكلية والتي تتعلق بأصول العلوم وعلى وجه التحديد العلوم التي تُنشئ معارف وتُبنى وفق اصولها الاحكام ؛ لأن

التجديد في أصول العلوم - وهي بطبيعتها اجتهاد بشري- وبنيتها يفضي بيسر إلى التجديد في العديد من القضايا التي تتفرع عنها ، وتقع في أبواب هذا العلم ومثال ذلك علم الأصول (الفقه) ، وعلوم القرآن وعلوم الحديث الشريف، وعلوم اللغة)، ومثال بعض القضايا تنحو المنحى الكلي هي:

مباحث تفسير النص الآلهي ، عن الدلالة ، والتاريخية والحاكمية.

١- الاهتمام بالتطور الدلالي للمفاهيم الشرعية وطرق استثمارها في العلوم الشرعية مثل: مفهوم الشرعية أو الحكم أو الأمة وغيرها.

٢- اعادة التوسع في قواعد وأصول نقد الحديث الشريف على ضوء المتن وليس السند ، فحسب وبيان مرتبته وفق قواعد هذا النقد الجديد.

٣- معالجة قضية ما يعدُّ تشريعاً وما لا يعدُّ دينياً وما لا يعدُّ دينياً.

ومن هنا يرى البحث إنَّ العقلية البشرية تطورت حيث يكون هذا الخطاب فكري قائد على تلك العقليات وأقوى منها.

فمن ضمن مقترحات الشيخ الفياض (دام ظله) حول نهضة المسلمين فقال: " على المسلمين التمسك بالثواب والقيم الاسلامية الاصلية المتمثلة في القرآن الكريم والعترة الطاهرة وعدم الانجرار وراء ما تفرزه الحضارة الغربية وعليهم بالوحدة وحرص الصفوف فأنها الحصن الحصين لنهضتهم وتطورهم" (٢٧).

ومن مقترحات الشيخ بشير النجفي (دام ظله) حول نهضة المسلمين ، أنه يجب كسب العلم بجميع اقسامه والتبحر فيه والتقدم في الصناعة لاستعادته العزة المسلوبة من المسلمين (٢٨) .

المسألة الثامنة: إثماء ثروات المسلمين

لاشك في وجوب إثماء ثروات المسلمين ؛ لأن فيه تحصيل الغنى، وإثماء الثروة وترشيد المال والتجارات والصناعات والزراعات الموجبة لتفوق المسلمين على الكفار حتى لا يكون هناك أعلى من المسلمين ، خصوصاً إذا كان عدم الغنى سبباً لهيمنة الكفار على

المسلمين ، أو المنقصة والإذلال بالمسلمين ، أو سبباً لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين ، كما لو يقال: إن سبب تأخر المسلمين هو دينهم مثلاً.

كل ذلك لأنه من مصاديق العلو الوارد في " الإسلام يعلو ولا يعلى عليه " (٢٩)؛ ولأدلة وجوب الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وأما في غير ذلك فإن الغنى والرفاه بحد ذاته مستحب شرعاً ؛ لأنه موجب للكرامة والتوسعة على النفس والعيال.

كما يستحب جعل الصناديق لأجل جمع المال لمختلف المشاريع الإسلامية والإنسانية؛ لأنها من أجلى مصاديق الإعانة على البر والتقوى، فضلاً عن معونة الضعفاء والفقراء والمساكين، بل قد يجب فيما إذا كانت هناك جهات وجوبية، ومن أجلى مصاديقها ما كان موجباً لعلو الإسلام والمسلمين.

فكل ما ذكره البحث هو خاص بقاعدة نفي السبيل والعلو؛ لأن بعلو المسلمين ترفع هيمنة الكفار على المسلمين ويصبحون أحرار في معتقداتهم الدينية وأفكارهم وكل مجالاتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية.

المسألة التاسعة: هيمنة الأمريكان على الموارد الطبيعية في بلاد الإسلام إن هيمنة الأمريكان على الموارد الطبيعية على بلاد المسلمين ليس فقط على المستوى العسكري والعلمي ، حيث بلغ التنافس في هذين الميدانين إلى القمة، بل على مستوى الحرب الاقتصادية والمزيد من الترف والرفاه على حساب الشعوب الفقيرة.

وقد بدت المؤشرات في هذا المجال ، سواء في حرب الخليج أو في احتلالهم للعراق في الآونة الأخيرة ؛ إذ حاول الأمريكيون فيها الاستيلاء على مصادر النفط والهيمنة على هذه المنطقة الغنية ؛ من أجل أن يمسكوا بزمام المبادرة في هذا المجال والطاقة المؤثرة في جميع اقتصاديات العالم.

وكذلك بالإضافة إلى قضية الرسوم الصادرة الزراعية والأوربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد إن رفض الأوربيون أن يلغوا الدعم الزراعي الذي يقدمونه للمنتوجات الزراعية في بلادهم للمحافظة على انخفاض الاسعار .

أما بالنسبة إلى نتائج الانتخابات الاخيرة التي كان العامل المؤثر فيها هو : الاهتمامات الداخلية والاقتصادية والاجتماعية بعد الاضطرابات الواسعة التي شهدتها بعض الولايات الامريكية في العاميين الماضيين ، وتنامي خطر المخدرات والامراض الفتاكة التي هي وليدة التفسخ الاخلاقي والغرق في الشهوات والتحلل غير محدود<sup>(٣٠)</sup>. وفي مقابل ذلك : السعي الاوربي والمشاكل الاقتصادية التي احدثتها لبعض البلدان الاوربية ؛ فضلاً عن المشاكل الاجتماعية والانسانية التي تواجهها أوروبا وامريكا في داخل شعوبها .

فإن ما يراه البحث إلى إن كل ما ذُكرَ هو نوع من السبيل والهيمنة على بلاد المسلمين من قبل الامريكان ؛ وذلك لإشباع رغباتهم وحاجاتهم ومصالحهم الذاتية . بالإضافة إلى ذلك فإنها- هيمنة الامريكان- تتطابق مع مفهوم العولة في العصر الحاضر التي تعني : محاولة امركة العلاقات السياسية والحقوقية والاجتماعية وفرض ثقافة الهيمنة على الآخرين فهي من اخطر الافكار الشيطانية؛ فعلى الامة الاسلامية أن تتخذ في مقابل العولة اجراءات تركز في مفاهيمها على إمطة اللثام عن حقيقة الهيمنة الامريكية

والغاء السيطرة على السوق وتوسيع رقعة حوار الحضارات ، واحترام الهوية الثقافية ورفع القدرة العلمية والصناعية للشعوب وكذلك تقوية المنظمات الدولية وتعزيز استقلالها<sup>(٣١)</sup>

فإن المؤامرة الكبرى لسرقة الثروات النفطية التي تدعمها بقوة الادارة الامريكية الحالية والشركات الكبرى لاستخدامها في العراق ، وهذه السياسة تم التخطيط لها بإتقان في مشروع مستقبل العراق ، وهي مجموعة الآليات والسياسات التي اعتمدها الولايات المتحدة قبل الغزو ل يتم تنفيذها لاحقاً بعد الاحتلال البغيض ، كما إن اتفاقية الشراكة في الانتاج التي تسمى خصخصة القطاع النفطي ليصبح مملوكاً للشركات الكبرى خلال فترة العقد والتي تصل إلى (٤٠ عاماً)، فالحرب التي حدثت في العراق في الآونة الأخيرة وهي سقوط النظام البائد الدكتاتوري هي هدف من الأهداف الرئيسية للعدوان

الأمريكي على العراق وتأكيداً، لذلك الكاتب البريطاني الشهير (باتريك سيل) والخبير بشؤون الشرق الأوسط .

لقد خططت هذه الإدارة لأن يكون العراق بعد سقوط النظام السابق دولة علمانية حديثة متحالفة مع الغرب ؛ وليكون مركز ثقل مهم في الشرق الأوسط بدلاً من مصر والسعودية التي لا يراها الأمريكيون إلا مراكز لتفريخ الإرهاب.

حيث سأل الشيخ محمد اسحاق الفياض (دام ظلّه) حول أزمة العراق في المشتقات النفطية كالبنزين ، ومن أهم أسبابها الأساسية العمليات التخريبية والتهريب التي تشهدها البلاد في ظروف الاحتلال ؟

فأجاب : لا تجوز ممارسة الأعمال التخريبية بكافة أشكالها وأنواعها كسرقة أموال الدولة العامة وهي أموال الشعب وتخريب محطات الوقود والكهرباء وغيرها ، وإيجاد البلبلة في البلاد وزعزعة الاستقرار والأمن والابتزاز من المواطنين والإضرار بهم ، فإن كل ذلك محرم شرعاً ومن المعاصي الاجتماعية الشرعية ، فإن الله تبارك وتعالى لا يتجاوز عن مرتكبي هذه الاعمال في الدنيا قبل الآخرة والماضي عبرة لأولي الأبصار<sup>(٣٢)</sup>.

حيث دعى الشعب العراقي بكل شرائحه إلى الهدوء والاستقرار وإيجاد الأمن والاجتناب عن كل ما يثير الفتنة، وعليهم بالتكاتف والتوافق ووحدّة الصف والكلمة، لأن قوتهم وشوكتهم وعزهم إنما هي الوحدة<sup>(٣٣)</sup>.

حيث ذكر آية الله محمد اليعقوبي (دام ظلّه) في مقدمة لخطاباته حول الاحتلال التي تعرض لها العراق ومسارعة الولايات المتحدة للسيطرة على مصادر النفط والثروات في العالم وانفرادها بالأسواق فيه كل ذلك جعل هذه الأرض مسرحاً لتقاطع هذه الارادات السياسية العالمية<sup>(٣٤)</sup>.

فيرى البحث كذلك إنه حسب هذه الرؤية فإن العراق سيصبح تابعاً للولايات المتحدة وسيكون أكثر بلد متقدماً بين الدول العربية وقادراً على إعادة صوغ حضارة المنطقة بكاملها وفق المواصفات الأمريكية ، ولتطبيق هذه المخططات لا بد من الاستيلاء على ثروات العراق النفطية وتسخيرها خدمة للمخطط الأمريكي.

وكما صرح (بول أونيل) وزير الخزانة الامريكية تصريحاً شديداً الخطورة لا يبتعد عن عيون المحللين: "ان الولايات المتحدة سوف تتحمل نفقات الحرب على العراق مهما كان الثمن باهظاً، وان لم يدعمها أحد؛ لأن أهمية هذه الحرب تفوق المخاوف من تكاليفها" (٣٥).

من جملة مسائل وفتاوي مراجعنا العظام (دام ظلهم الوارف) حول دخول القوات الاجنبية إلى العراق وهيمتهم على البلاد ومواردها:

أولاً: المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف): ذكر السيد السيستاني (دام ظله) في نصوص صدرت عنه و استفتاءات خاصة في المسألة العراقية حول الاحتلال الذي تعرض له، والمسماة بقوات التحالف المتواجدة على ارض العراق، حيث اشار إليها السيد بتصريحه إنها قوات احتلال كما أقر بها مجلس الأمن، ورفضه لكل اساليب التطرف والانفلات (٣٦).

وقد اشار السيد من خلال اسئلة مطروحة عليه من قبل صحيفة واشنطن بوست حول موقفه ورأيه تجاه التواجد الامريكي في العراق؟

فأجاب: نشعر بقلق شديد تجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا المجال للعراقيين بأن يحكموا أنفسهم من دون تدخل أجنبي.

وكذلك اشار إلى أكبر خطر وتهديد لمستقبل العراق هو خطر طمس هويته الثقافية التي من أهم ركائزها هو الدين الاسلامي الحنيف (٣٧).

وفي استفتاء له بخصوص بيع العقارات لليهود والصهاينة الذين دخلوا العراق بعد الاحتلال فقال: "لا يجوز البيع والتمن سحت" (٣٨).

حيث نصح الشعب العراقي بأن ينظروا إلى قدوم هذه القوات وخاصة القوات اليابانية؛ لأنها سوف تقوم بمهام في العراق نظرة إيجابية؛ ولغرض توفير الظروف الملائمة لإجراء الانتخابات العامة لتشكيل المجلس التأسيسي لكتابة الدستور (٣٩).

وبذلك فقد عدّ السيد السيستاني (دام ظله) إن التواجد الامريكي في العراق هو احتلال، وتطالب المرجعية الدينية بفسح المجال للعراقيين بأن يحكموا بلدهم بأنفسهم وتكون

لهم السيادة الكاملة ورفضه ببقاء قوات الاحتلال في العراق بعد قيام حكومة منتخبة من قبل الشعب<sup>(٤١)</sup>؛ وذلك لما أبدوه من معاملة جشعة للعراقيين مثل قتل واعتقال المواطنين والحوادث التي تجري في كافة مناطق البلاد<sup>(٤٢)</sup>.

واشار السيد حول انسحاب القوات الامريكية من العراق هو ضرورة إن يبنى أي اتفاق يستهدف إنهاء الوجود الأجنبي في العراق وإخراج البلد من تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة على اساس أمرين:

أولاً: رعاية المصالح العليا للشعب العراقي في حاضره ومستقبله، وتتمثل بالدرجة الأساس في استعادة سيادته الكاملة وتحقيق أمنه واستقراره.

ثانياً: حصول التوافق الوطني عليه، بأن ينال تأييد مختلف مكونات الشعب العراقي وقواه السياسية الرئيسة.

إن أي اتفاق لا يلبي هذين الأمرين وينتقص من سيادة العراق سياسياً أو أمنياً أو اقتصادياً، أو أنه لا يحظى بالتوافق الوطني فهو مما لا يمكن القبول به، وسيكون سبباً في مزيد معاناة العراقيين والفرقة والاختلاف بينهم<sup>(٤٣)</sup>.

وأضاف إلى ذلك إلى يجب في الحكم الجديد أن يحترم الدين الاسلامي الذي هو دين أغلبية الشعب العراقي ولا يقر من يخالف تعاليم الإسلام<sup>(٤٣)</sup>.

وكذلك أراد السيد أن يوضح إن العراق إذا أحتاج إلى قوات اجنبية لسوء الوضع الامني في العراق فلتكن تحت مظلة الامم المتحدة؛ لحفظ الامن والاستقرار في البلاد<sup>(٤٤)</sup>.

ثانياً: المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض (دام ظله الوارف):  
وضّح الشيخ الفياض (دام ظله) في رسالة له للشعب العراقي للوضع الذي تعرض له من احتلال ونهب الخيرات وتدميرها من خلال المخربين ، فقال: " إن وظيفة المؤمنين لا سيما المثقفين منهم لزوم نشر الوعي الإسلامي بين الناس بمختلف أصنافهم من الرجال والنساء والفتيان والفتيات ، وبث القيم الانسانية والفكرية والأخلاقية ضد ألوان الفساد والأخلاقية ومختلف ألوان الغزو الفكري والتيار الاجنبي، وضرورة المحافظة على

التقاليد الإسلامية الدينية فإنها تزود الإنسان بطاقات نفسية كبيرة أمام التيار الأجنبي والغزو الفكري وتجعله كالجلبل الراسخ لا تحركه العواصف<sup>(٤٥)</sup>.

كما أشار إلى معنى الحرية بالنسبة للشعب العراقي المسلم لها جوانب إيجابية وجوانب سلبية ، أما الجوانب الإيجابية؛ فلأن الحرية أتاحت الفرصة لهم لإقامة شعائر المذهب ونشر الأفكار الإسلامية والثقافة الدينية بين الناس بمختلف الوسائل والطرق والمطالبة بحقوقهم .

أما الجوانب السلبية ؛ فلأنها هيأت العوامل والأسباب للفساد الأخلاقي وأعطت مجالاً واسعاً للغزو الفكري والثقافي والتيار الأجنبي، فهذا يجب على المؤمنين لاسيما الشباب والخطباء والمثقفين ومدرسي الجامعات والمعاهد والكليات من ذوي الكفاءة واللياقة العلمية والثقافية والدينية أن يقوموا بتزويد الناس بالقيم الإسلامية والأفكار الدينية والأخلاقية الحميدة ، فإن تلك القيم تجهز الإنسان بالطاقات النفسية الكبيرة والملكات الفاضلة وتخلق الإنسان الكامل والمجتمع الآمن<sup>(٤٦)</sup>.

لذلك أوصى الشيخ محمد اسحاق الفياض (دام ظله) الشعب العراقي رفع اصواهم بصورة سليمة و إيصالها إلى مسامع الحاكم والمطالبة بتشكيل دولة ديمقراطية حرة من أبناء العراق لإدارة بلدهم بأنفسهم وإزالة الاحتلال الذي هو من مخلفات العصر البائد المقبور ووضع دستور دائم يكفل حقوق الجميع من قبل المنتخبين من الشعب لا من الدخلاء من الخارج فإنه غير مقبول عند جميع طبقات الشعب العراقي ، فإن وضع الدستور لا بد أن يكون بيد الممثلين من جميع الطوائف والفئات الإسلامية، ثم إذا عرضت بنود الدستور بعد ذلك على الشعب المسلم فعندئذٍ يجب عليهم رفض كل بند من بنوده دستوره يكون خارجاً عن دائرة الإسلام مرفوض عند جميع الطبقات والفئات من الشعب العراقي المسلم، وأيضاً المطالبة بوضع هذه الحقوق الأساسية للدولة الدائم ولا بد أن تكون هذه المطالبة صارمة وصریحة وأنه لا يمكن التجاوز ورفع اليد عنها والمراجع العظام مطالبتهم بحقوقهم بقوة وصرامة يمكن الغض عنها كما أنهم يرفضون بجد كل بند من الدستور يكون خارجاً عن دائرة الإسلام<sup>(٤٧)</sup>.

لذلك يرى البحث إنه من المتبين من كلام الشيخ محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، أعطى صورة واضحة لوضع العراق الحالي جراء الاحتلال وكيفية معالجته من خلال وضع انتخابات، وتشكيل دولة ديمقراطية حرة ورسم دستور جديد موافق لمطالب الشعب وإيجاد الأمن والأمان وزوال الاحتلال.

المسألة العاشرة: تعليم الكفار للطلاب المسلمين

إن الهدف ينتج الأثر، فكل هدف من أهداف هذه المدارس التعليمية الاستعمارية الاجنبية تأتي آثاره المدمرة و مخاطره البالغة على المسلمين بواسطة ناشئتهم الذين ارتموا في احضان هذه المدارس، وقد تحقق لعباد الصليب وغيرهم من أمم الكفر بواسطة مدارس الضرار هذه، تكوين قوى مضادة للمسلمين من انفسهم وذرائعهم وبني دياتهم، خلفوا أساتذتهم الكفرة بنوبة المستعمر لبلاد المسلمين، وليس فقط الاساتذة بل حتى أدارات المدارس؛ لذا نجد عامة من كتب هذه المدارس الاستعمارية تشرح عن تاريخ امريكا واستعمارها لبلدان المسلمين وانجازاتهم المبوذة في تدمير شعوب العالم من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية، فمن تلك الاخطار التي تؤدي إلى تلك المدارس ارتداد الطلاب المسلمين عن دينهم إلى النصرانية أو اليهودية وبذلك تصبح خدمة للسياسة الاستعمارية وبه يعلو شأن الكفار على المسلمين<sup>(٤٨)</sup>.

ومن آثارها ايضاً وجود المنافقين الذين يحملون نصيبهم من الإسلام ظاهراً وباطناً بالاسم، وعقد النكاح وتسجيل المواليد، وتشيع جنازهم ودفنها في مقابر المسلمين وهم يستنبطون الإلحاد ويظهرون الإباحية والفساد.

كما وجود الكافرين ظاهراً وباطناً الذين يعلنون كفرهم وإلحادهم من آثار هذه المدارس، الذين يسبون الله (ﷻ) والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام، ويستهزؤون بالطلاب المسلمين ويسخرون من دينهم، وما بقي لهم من الإسلام إلا ما بقي لإخوانهم المنافقين ليزداد الفريقان بها كفاً فيدخلون المسلمين بالتزواج وولاية الاعمال والتصرف في شؤونهم<sup>(٤٩)</sup>.

لذا يرى البحث إنه تلك الامور هي التي تشيع الفاحشة بين صفوف الطلاب المسلمين ومحاربتهم في دينهم فهذه جملة من الآثار المدمرة التي تساعد الكفار في تقوية معتقداتهم وممارسة سيطرتهم على الطلاب المسلمين سواء كانوا في المدارس الابتدائية أو الثانوية أو في الكليات والمعاهد فليس لديهم قيم تربوية أو أخلاقية تجاه المسلمين ، وهذا نوع من السبيل الذي يكون مستوى الطلاب المسلمين في الحضيض وانحرافهم عن الدين الاسلامي فهذه غاية الكفار ونوع من اساليبهم الخبيثة .

فهناك جملة من فتاوى العلماء الاعلام والمراجع الكرام تجاه هذا النوع من التدريس أو التحاق الطلاب المسلمين إلى تلك المدارس ، يُسأل السيد الخوئي (قد) عن المؤمنين الذين يريدون إن يسجلوا أبناءهم في المدارس الاجنبية المختلطة، والتي لا يوجد فيها تدريس الدين الاسلامي، والذي يقوم بتدريس هؤلاء التلاميذ مدرسين غير اسلاميين، علماً أنه يوجد البديل من المدارس الاسلامية؟

فيجيب (قد): إذا وجد البديل فلا يجوز<sup>(٥٠)</sup>.

وكذلك السيد السيستاني (دام ظله) يُسأل عن هذه المدارس ويقولون : إنَّ هناك مدرسة اوربية في ملاكها مدرسون لا يؤمنون بدين وينكرون أمام التلاميذ وجود الله، فهل يجوز إبقاء الطلاب المسلمين بها ، رغم أن تأثرهم بأساتذتهم محتمل جداً؟  
فيجيب السيد (دام ظله): لا يجوز، وولي الطفل يتحمل كامل المسؤولية عن ذلك<sup>(٥١)</sup> .

لكن يجدر بالذكر هنا إلى انتشار المدارس الاجنبية في البلاد الاسلامية، وقد كان في البداية سبيلاً لتنصير المسلمين وعلى هذا نصت بعض المؤتمرات التبشير وعلى هذا يتم انشاء الكلية الانجيلية في بيروت ، وانشاء الجامعة الأمريكية في مصر<sup>(٥٢)</sup> .

لكن يستفاد من ذلك إنه ليس مطلوباً إدخال المسلمين إلى المسيحية أنه يكفي إخراجهم من الإسلام؛ وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حالياً في البلدان الاسلامية ، فأقل ضرر لها هو الازدراء باللغة العربية وتمجيد اللغة الانجليزية وليس فقط اللغة بل حتى الدين فيثيرون السخرية والاشمئزاز من صغار الطلاب وكبارهم على السواء، بينما يظهر

رجل الدين عندهم على نحو مخالف يولد الرهبة والاحترام وقد يولد الحب والألفة، بالإضافة إلى ذلك تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير<sup>(٥٣)</sup>.

الخاتمة

المرجعية هي كوكبة الحياة وسفينة النجاة التي بها نشد ازرننا من متغيرات الازمان، يتصدر الحديث عن التكامل في الشريعة الإسلامية كل الأدبيات التي تناولت هذا الدين الحنيف، ولعل هذا الأمر هو الرابط الأساسي الذي يتفق عليه جميع المسلمين بكافة مذاهبهم والعروة التي يتمسك بها المسلم في تثبيت هوية انتماءه للإسلام، حتى أن غير المسلمين ممن عكفوا على دراسة هذا الدين الحنيف ومنهم المستشرقين المنصفين لم يجدوا بداً من التسليم بهذه الحقيقة الساطعة، حيث مثل الشكل الهرمي لمبنيات الفكر الإسلامي وحده غير قابلة للتبويض أو الفصل عن أجزاءها الأخرى، مما أعطاه قوة إضافية خاصة ميزته عن باقي الأديان والملل والشرائع الوضعية فاحتل الإيمان قمة هذا الهرم ثم تلتها النبوة وامتداداتها والتي مثلها خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين نصت عليهم الأحاديث الشريفة تتناقلها كتب المسلمين، حيث أخذت الإمامة الدور القيادي الرئيسي في ترسيخ مبادئ الإسلام وتحديد الأطر التي أبقته عليها ثم جاء دور العلماء حيث استلم فقهاء الأمة ثقل الأمانة عن الإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الوصية الواردة من الناحية المقدسة في نهاية الغيبة الصغرى، وقد امتاز أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بتمسكهم بخط الإمامة عبر المؤسسة المرجعية التي استقلت كمدرسة إسلامية عريقة يرجع إليها نصف المسلمين في العالم، وهي المدرسة الإسلامية الوحيدة التي تمتاز بقرب امتدادها الشرعي من عهد الرسالة، وخلوها من فترة انقطاع (حقيقية) عن مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، وإذا كانت فترة غيبة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يمكن تسميتها انقطاعاً، فإن الإرث الذي خلفه الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والأئمة (عليهم السلام) من قبله وضع أسس مرجعية المسلمين وربطها بعلماء الأمة وقد وردت روايات متواترة بالنص على خلافة العلماء.

ومن هذا المنطلق نصت المرجعية العظيمة على مقترحات وحلول لمسائل معاصرة، يمكننا من خلالها تطبيق الاحكام الشرعية الخاصة بتلك المسائل.

ملخص بحث

المرجعية هي كوكبة الحياة وسفينة النجاة التي بها نشد ازرننا من متغيرات الازمان ، يتصدر الحديث عن التكامل في الشريعة الإسلامية كل الأدبيات التي تناولت هذا الدين الحنيف، ولعل هذا الأمر هو الرابط الأساسي الذي يتفق عليه جميع المسلمين بكافة مذاهبهم والعروة التي يتمسك بها المسلم في تثبيت هوية انتماءه للإسلام، حتى أن غير المسلمين ممن عكفوا على دراسة هذا الدين الحنيف ومنهم المستشرقين المنصفين لم يجدوا بداً من التسليم بهذه الحقيقة الساطعة، حيث مثل الشكل الهرمي لتبنيات الفكر الإسلامي وحده غير قابلة للتبويض أو الفصل عن أجزاءها الأخرى، مما أعطاه قوة إضافية خاصة ميزته عن باقي الأديان والملل والشرائع الوضعية فاحتل الإيمان قمة هذا الهرم ثم تلتها النبوة وامتداداتها والتي مثلها خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين نصت عليهم الأحاديث الشريفة تتناولها كتب المسلمين، حيث أخذت الإمامة الدور القيادي الرئيسي في ترسيخ مبادئ الإسلام وتحديد الأطر التي أبقث عليها ثم جاء دور العلماء حيث استلم فقهاء الأمة ثقل الأمانة عن الإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الوصية الواردة من الناحية المقدسة في نهاية الغيبة الصغرى، وقد امتاز أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بتمسكهم بخط الإمامة عبر المؤسسة المرجعية التي استقلت كمدرسة إسلامية عريقة يرجع إليها نصف المسلمين في العالم، وهي المدرسة الإسلامية الوحيدة التي تمتاز بقرب امتدادها الشرعي من عهد الرسالة، وخلوها من فترة انقطاع (حقيقية) عن مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، وإذا كانت فترة غيبة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يمكن تسميتها انقطاعاً، فإن الإرث الذي خلفه الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والأئمة (عليهم السلام) من قبله وضع أسس مرجعية المسلمين وربطها بعلماء الأمة وقد وردت روايات متواترة بالنص على خلافة العلماء.

ومن هذا المنطلق نصّت المرجعية العظيمة على مقترحات وحلول لمسائل معاصرة، يمكننا من خلالها تطبيق الاحكام الشرعية الخاصة بتلك المسائل.

الهوامش:

(١) عباس كاشف الغطاء: بحوث ومقالات (اهداف الدولة القانونية)، ط١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، شركة

صبح للطباعة والتجليد، لبنان- بيروت، نش- منشورات كاشف الغطاء العامة، ٤٣٠

(٢) الحجرات: ١٠

(٣) عباس كاشف الغطاء: بحوث ومقالات (اهداف الدولة القانونية)، ٤٣١

(٤) القصص: ٤

(٥) النظام السياسي في القرآن: مقالات المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي، ٢٢٥

(٦) المجلسي: بحار الانوار، ٧٩/٩٧، ح٣٧، باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٧) أحمد بن محمد بن خالد البرقي: المحاسن، تح+تع- جلال الدين الحسيني، ت. ط (١٣٧٠-١٣٣٠ش)، نش- دار الكتب الاسلامية- طهران، ٢٣١/١ باب اظهار الحق

(٨) أحمد بن محمد بن خالد البرقي: المحاسن، ٢٣١/١ باب اظهار الحق

(٩) الحر العاملي: الوسائل، ٢٧١/١٦-ح٢١٥٤٦ باب من ابواب الأمر والنهي

(١٠) محسن خضر: الهيمنة الاتصالية الفضائية وتحدياتها الثقافية والتربوية في المجتمع العربي، ١

(١١) محسن خضر: الهيمنة الاتصالية الفضائية وتحدياتها الثقافية والتربوية في المجتمع العربي، Kalema،

.net، عد٣٩-س- العاشرة، ٢

(١٢) آل عمران: ٢٨

(١٣) الحر العاملي: الوسائل، ٣٨٥/٤، ح٥٤٦٨، باب ١٩ من أبواب لباس المصلي

(١٤) فاضل الصفار: فقه العلو والارتقاء، ٢٥٥

(١٥) عبد الحلیم الجندي: الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، تح+ أش- محمد توفيق عويضة، ت. ط (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، مطابع الأهرام التجارية- القاهرة، ٦٥+ شهاب الدين المرعشي

النجفي (١٤١١هـ): شرح أحقاق الحق، تح- محمود مرعشي، ط١ (١٤١٥هـ)، حافظ- قم، ١٨٩/٢٨

(١٦) التوبة: ٧

(١٧) ظ: الشيرازي: الفقه، ١٩٨/٤٧ (كتاب الجهاد)

(١٨) الممتحنة: ٨

(١٩) فاضل الصفار: فقه العلو والارتقاء، ٢٥٨

- (٢٠) فاضل الصفرار: فقه العلو والارتقاء ، ٢٥٩
- (٢١) الحر العاملي: الفصول المهمة في أصول الأئمة ، تح+اش- محمد بن محمد الحسين القائيني، ط١ (١٤١٨هـ - ١٣٧٦ش)، بكين- قم، ١/٦٤٣
- (٢٢) ظ: عماد علي عبد السميع حسين: تجديد الخطاب الديني، مط - دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، ١٥
- (٢٣) ظ: أنور أبو طه وآخرون: خطاب التجديد الاسلامي ، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الفكر - دمشق، ١١٠
- (٢٤) ظ: انور ابو طه وآخرون: خطاب التجديد الاسلامي ، ١١٠
- (٢٥) ظ: م ، ن
- (٢٦) ظ: انور ابو طه وآخرون: خطاب التجديد الاسلامي ، ١١٠
- (٢٧) استفتاء مقدم إلى الشيخ آية الله العظمى محمد اسحاق الفياض في ٩ رجب سنة ١٤٣٣هـ
- (٢٨) استفتاء مقدم إلى الشيخ آية الله العظمى بشير النجفي في ٩ رجب سنة ١٤٣٣هـ
- (٢٩) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٤/٣٣٤، باب ميراث أهل الملل، ح ٥٧١٩
- (٣٠) ظ: محمد باقر الحكيم (٢٠٠٤م): الوحدة الاسلامية من منظور حضاري، رسالة التقريب، العدد ١، ١٨
- (٣١) ظ: خلاصة مقالات المؤتمر الدولي السادس عشر للوحدة الاسلامية، ١/٥٤ (الحوار مع الآخر)
- (٣٢) ظ: محمد اسحاق الفياض، بيانات وتوجيهات آية الله محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، منشورات دار البذرة- العراق - النجف الاشرف، ١٥٣
- (٣٣) محمد اسحاق الفياض، بيانات وتوجيهات آية الله محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، ١٥٤
- (٣٤) ظ: محمد اليعقوبي: ملامح من تاريخ وخطاب القيادة الدينية في العراق الجديد (من بيانات وخطابات آية الله محمد اليعقوبي (دام ظله)، ١٤
- (٣٥) http://www.forsan.net: المؤتمر الكبرى لسرقة ثرواتنا النفطية
- (٣٦) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ط١ (١٤٢٧هـ)، دار المؤرخ العربي ١٩٥، سؤال - ٨ (الاحتلال)
- (٣٧) ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٣٠ (وثيقة رقم ١٣/ اسئلة صحيفة واشنطن بوست، سؤال ٩+١٠
- (٣٨) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٣٥، وثيقة رقم ١٥

- (٣٩) ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٤٣، وثيقة رقم ٢١ / اسئلة صحيفة أساهي اليابانية، سؤال ٥-
- (٤٠) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٥١، وثيقة رقم ٢٥، اسئلة صحيفة بايونير الهندية، سؤال ٤
- (٤١) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، وثيقة رقم ٢٥، اسئلة صحيفة بايونير الهندية، سؤال ٥
- (٤٢) حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ١٩٩-٢٠٠، سؤال ٢٥ (الاحتلال)
- (٤٣) ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٤٥، وثيقة رقم ٢٢، اسئلة جريدة الاقتصاد اليابانية، سؤال ٢
- (٤٤) ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني / في المسألة العراقية، ٦٣، وثيقة رقم ٣٣، اسئلة صحيفة نوفيل أوبزرفاتور الفرنسية، سؤال ٢+١
- (٤٥) محمد اسحاق الفياض : بيانات وتوجيهات آية الله محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، ٥
- (٤٦) ظ: محمد اسحاق الفياض : بيانات وتوجيهات آية الله محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، ٦
- (٤٧) ظ: محمد اسحاق الفياض : بيانات وتوجيهات آية الله محمد اسحاق الفياض (دام ظله)، ٨
- (٤٨) ظ: بكر بن عبد الله أبو زيد: المدارس العالمية تاريخها ومخاطرها، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ٢٨-٢٩
- (٤٩) ظ: م، ن
- (٥٠) جواد التبريزي: صراط النجاة (مجموعة من استفتاءات الخوئي ) ، ط١ (١٤١٨هـ)، ٣ / ٤٠٣
- (٥١) محمد حسين الصغير: فقه الحضارة ، ط١ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ١٧٩
- (٥٢) ظ: جريشة ، الزييق: أساليب الغزو الفكري، ط١ (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، نش- دار الاعتصام، ٦٢
- (٥٣) ظ: م، ن

## ” الشيخ محمد مهدي شمس الدين وآرائه الفكرية من بناء الدولة المتحضرة

### ” وقضايا التجديد والإصلاح ”

م.م اسراء تحسين علي الموسوي  
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المقدمة:

يتميز الفكر السياسي الاسلامي عن غيره من انواع الفكر بعدد من المميزات المهمة ومنها : اتخاذ الاسلام مرجعية عليا (القران والسنة النبوية) ، وانطلاقا من الواقعة الاسلامية ، ومن البيئة التي ينشأ بها المفكر ، ان الاسلام ليس قوالب جامدة ، وانما هو متجدد ومتطور ، ويمثل الفكر السياسي مجموع الاسس والمبادئ ، والنظم ، والآراء والفلسفات ، والمفاهيم ، والنظريات التي صاغها المفكر لرسم صورة الدولة والسلطة من حيث النشأة والتطور ، ويعد الشيخ محمد مهدي شمس الدين من المجددين الذين دعوا الى ضرورة التجدد في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، لان التجديد مسألة حيوية ومهمه لاستيعاب حركة التغيير في مختلف الابعاد ، والتمسك بثوابت في ظل عالم يسبح بالمتغيرات السريعة ، كما ان التجديد يسهم في تكوين رؤية عصرية قادرة على مخاطبة الجيل الجديد وإقناعه بالمنهج الاسلامي الاصيل ، لذلك نرى ان الشيخ محمد مهدي شمس الدين دخل التجديد من اوسع ابوابه عندما تطرق الى موضوع الدولة مفهومها واركائها وصفات الحاكم وصلاحياته في الفكر السياسي الاسلامي ، وهذا ما تطرق اليه البحث الذي جاء تحت عنوان : ” الشيخ محمد مهدي شمس الدين وآرائه الفكرية من بناء الدولة المتحضرة وقضايا التجديد والإصلاح ” .

تكون البحث من مقدمة واربع مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع ، جاء المبحث الاول تحت عنوان : ” مفهوم التجديد في الفكر الاسلامي ” والذي انقسم الى ثلاث محاور : ” التجديد في اللغة والاصطلاح ” و ” أهمية التجديد ” و ” صفات المجدد ” ، واما المبحث الثاني فتناول : ” السيرة الشخصية للشيخ محمد مهدي شمس الدين ” والذي جاء بأربع محاور : ” ولادته ” و ” نسبه واسرته ” و ” دراسة معالم شخصيته ” و ” نماذج من اثاره العلمية ” و ” نشاطه السياسي ” ، واما المبحث الثالث فتطرق الى : ” ملامح

التجديد في المشروع السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين " ، وجاء هذا المبحث بمحورين هما : " مفهوم الدولة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين " و " الديمقراطية في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين " ، ، واما المبحث الرابع والآخر فحمل عنوان : " الشيخ محمد مهدي شمس الدين وقضايا التجديد والاصلاح " ، وانقسم هذا المبحث الى ثلاث محاور الاول : "الفكر السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين " ، والمحور الثاني : " ملامح التجديد في الشيخ محمد مهدي شمس الدين " ، واخيراً " اثر الشيخ محمد مهدي شمس الدين في العمل السياسي بالعراق " وانقسم الى : " أثره من حزب الدعوة الاسلامي " و" اثره من جماعة العلماء " .

المبحث الاول : مفهوم التجديد في الفكر الاسلامي .

اولا : التجديد لغتا واصطلاحا

(١) الجديد في اللغة :

ورد في لسان العرب لابن منظور معاني متعددة للتجديد، فالتجديد مأخوذ من جدّ والجدة : مصدر الجديد ، وأجدّ ثوباً ، واستجدّه ، وثياب جدّ مثل سرير وسرر ، وتجدد الشيء صار جديداً. والجدة نقيض البلى ، والاجدان والجديدان هما الليل والنهار لانهما لا يبيلان ابداً ، يقال شيء جديد ، ويقال جدّ الثوب صار جديداً ، وهو نقيض الخلق ، وعليه قول سيويه ملحفة جديدة<sup>(١)</sup>.

ومن معانيه ايضاً في اللغة: الحظ والغنى ، ومن معانيه العظمة ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾<sup>(٢)</sup> ، أي عظّمته وجلاله . ومن معانيه الاجتهاد ، يقال اجد الرجل في أمره صار مجتهداً ، ومن معانيه كذلك الوسطية ، ويقولون: جادة الطريق أي سواء الطريق ووسطه<sup>(٣)</sup>.

من الواضح ان ما جاء في تحديد معنى التجديد في اصل اللغة يصعب معه تحديد المفهوم من الناحية الاصطلاحية ، لكن يمكن ان يأخذ المعنى الاقرب هو ان التجديد نقيض الخلق ، بمعنى انه لم يأتي بشيء من العدم بل هو موجود لكن قد بلي ، ومن ثم صار جديداً ، اي قد نفّض عنه الغبار ، والمعنى الاقرب لهذا المصطلح وفق رؤية مدرسة اهل

البيت ( عليهم السلام ) هو الاجتهاد ، فالطريق الوحيد للتجديد الديني هو الاجتهاد في المساحات التي لم يرد فيها نص شرعي<sup>(٤)</sup>

(٢) التجديد في الاصطلاح

بما ان هذا المصطلح فيه شيء من الغموض فلا يوجد تعريف محدد لمفهوم التجديد في اقوال العلماء والمفكرين هل هو المعنى المقابل للقديم ؟ ام احياء ما اندرس ام غير ذلك فقد ورد في المعجم الفلسفي ان التجديد بمعنى " جدد الشيء صيره جديداً ، والتجديد انشاء شيء جديد ، او تبديل شيء قديم ، وهو مادي ، كتجديد الملابس والمسكن ، او معنوي ، كتجديد مناهج التفكير ، وطرق التعليم "<sup>(٥)</sup>

يعرف الدكتور حسن حنفي<sup>(٦)</sup> التجديد على انه " اعادة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر ... والتجديد هو الغاية وهي المساهمة في تطوير الواقع ، وحل مشكلاته ، والقضاء على اسباب معوقاته ، وفتح مغاليقه التي تمنع اي محاولة لتطويره ، والتراث ليس قيمة في ذاته الا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره ... هو نظرية للعمل وموجه للسلوك "<sup>(٧)</sup> .

ويشير الغرباوي على ان " التجديد عملية شاقة تحفها مخاطر محاكمة الواقع ودراسة مشكلاته بغية تقويمها ، كما تحدى بها التبعات المترتبة على نقد الانساق الثقافية والفكرية ، لا عادة صياغة بنية الفرد المعرفية وفقا لمتطلبات الحاضر وضرورات المستقبل وفي اطار الثابت والمتغير من الدين "<sup>(٨)</sup> .

ويرى الدكتور محمد عمارة ان التجديد تقيض الحداثة بالمعنى الغربي ، فان من التراث الفكري ما هو ثابت لا يقبل النسخ لكن وارد فيه التجديد من منطلق الحديث النبوي ، فهو السبيل لوفاء هذا الثابت بدوره الذي انيط به في حياة هذه الامة ، ولا بد ان يبقى فاعلا والا كان ثباته ثباتا متحفيا ، فالجديد الذي لا يستمد الشرعية من الثابت لا يعد تجديدا لا نه يقطع صلاة الواقع الجديد بالأصول الثابتة ، انه نسخ للثوابت وليس تجديدا<sup>(٩)</sup> .

هنا يطرح الشيخ محمد مهدي شمس الدين عدة تساؤلات بسبب الغموض الذي اصاب هذا المفهوم من اجل وضع تعريف محدد له فيقول هل " التجديد في التأريخ ، في الفقه ، في نظام القيم ، هل هو حركة خارج الدليل ام داخله ؟ هل التجديد عملية علمية فكرية دائمة ومستجدة ، أم موقف أخلاقي تفرضه تطورات المرحلة ، أم موقف شخصي تقتضيه الاطماع والطموحات ؟ هل التجديد هو إستمرار متطور للتأريخ ، وإبداع يُستمد من الأصالة ، أم إنقطاع عن التأريخ ، وخروج عليه و تحلُّ عن الجذور؟" (١٠) .

ان التجديد وفق رؤية الشيخ محمد مهدي شمس الدين هو حركة داخل الدليل وليس خارجه ، وهو اعادة تأصيل المسلمات بأفق اوسع ، ونظرة اكثر عمقاً ، واكثر شمولية ، التجديد هو عملية علمية فكرية دائمة ومستجدة ، وهو استمرار متطور للتأريخ ، وابداع مستمد من الاصلالة (١١) .

يبدو من خلال التعاريف الواردة للعلماء والمفكرين المهتمين بقضايا الفكر الاسلامي المعاصر محاولة في تفسير مفهوم التجديد الطارئ على البنية الثقافية للفكر الاسلامي ، والذي يهدد في بعض الاحيان نفس الموروث الفكري الاسلامي ، وبناء أنساق معرفية جديدة مشتقاه من مناهج حديثة لم تكن متداولة من قبل كان لها الاثر في تقدم وتطور الفكر المعاصر على كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، واتخاذ كمنهج بديل عن الفكر والدين (١٢) .

لهذا انبرى هؤلاء العلماء من اجل حل هذه الاشكالية في ان التجديد ليس نسخاً للفكر ، وليس ترف فكري ، كما انه ليس موقف شخصي تقتضيه الاطماع ، او قطيعة مع التراث كما وردت في التعاريف الالفة الذكر ، وانما هو بعث الروح في الموروث الفكري الاصيل ليكون فاعلا محركا ملييا كل احتياجات الانسان المعاصر المتغيرة بسبب متغيرات العصر الكثيرة (١٣) .

ثانيا : اهمية التجديد :

ان الحاجة الى التجديد هو مطلب التيارات الاسلامية المعاصرة نتيجة التطور الحاصل في الواقع المعاصر ، واستجابة لحاجات الانسان المعاصر ، واعدادة الموروث الفكري

بصياغة جديدة لكي يبقى حيا فاعلا، عدا بعض التيارات السلفية التي لا تقبل أي نواحي تجديدية وتعتبرها نوع من الابتداع<sup>(١٤)</sup>.

ويذهب محمد عماره<sup>(١٥)</sup> الى القول بأنه لا بد من التجديد لضمان بقاء الموروث في الحياة المتجددة لتجابه الوجه الحقيقي للمبادئ والعقائد والمناهج والاحكام من زوائد البدع، والخرافات، والشعوذة، ولا بد لهذا التجديد في ان يستمد شرعيته من الثابت، والا لا يعد تجدد، لأنه يقاطع صلة الواقع الجديد بالأصول الثابتة، ويعد نسخا للثوابت ولا يسمى تجديد، وهناك علاقة بين التراث والتجديد فهو ليس منفصلا عنه<sup>(١٦)</sup>.

فمنشأ التجديد هو التطور الحضاري المتصاعد، واتصال المسلمين بالحضارة الحديثة من خلال التماس الغربي الاسلامي، حيث اكتشف المسلمون الفارق الحضاري بينهم وبين الاخر، ولذا يبقى التجديد فعلا ايجابيا، ونقطة انطلاق باتجاه التجديد، واصلاح الفضاء الثقافي والاجتماعي<sup>(١٧)</sup>.

اضحت الحرية الفكرية، والحرية الدينية مطلبا ملحا عند المثقفين المتأثرين بالفكر الغربي الحديث، وانها ليست ترفا بل ضرورة وواحد من المقتضيات اللازمة المعاصرة<sup>(١٨)</sup>.

ومن هنا تبقى الحاجة الى التجديد على الرغم من الدعوات المتكررة للاستكبار العالمي لدعم تيار التغريب، والتي وضعت اغلب مؤسساته الثقافية والاعلامية تحت هيمنته، الا ان الواقع الفكري والثقافي المعاصر يستدعي الحاجة للتجديد وفق الرؤية الاسلامية الذي عجز عنه التيار التقليدي في ان يقيم لهذه الامة مشروعها الثقافي الذي ينير لها طريق النهضة والتحرر<sup>(١٩)</sup>.

ثالثا : صفات المجدد :

من الملاحظ الكثيرين من الكتاب والباحثين والمفكرين الاسلاميين ممن يمتلك لغة جديدة واسلوبا ادبيا في الكتابة والقدرة على التلاعب بالألفاظ ممن يحمل اختصاصات غير الفقه والعقيدة ان يطرح قضايا الفكر الاسلامي بالاستناد الى النصوص الدينية في حل المشاكل والتحديات التي تواجه الفكر الاسلامي المعاصر<sup>(٢٠)</sup>.

فالمجدد هو الساعي الى احياء روح الشريعة الحقه والعودة بها الى صفاتها الاولى وتوجهها ، وهو المعنى الذي استعملت فيه عبارة التجديد قديما في تمييز المجدد عن المجتهد ، فالمجدد هو الذي يقطع مع المرجعيات القديمة ويسعى من خلال مسائلات فلسفية ووجودية عميقة الى التفاعل الحي والحلاق مع الاوضاع التاريخية المستجدة ومع مقتضيات المعرفة الحديثة (٢١) .

ومن الجدير بالذكر ان من يتصدى لهذه المسؤولية ان يمتلك ادوات المعرفة الاسلامية ، والقدرة الكاملة للوصول الى عناصرها بشكل يمكن المتخصص من استنباط الرأي الاصيل والفكرة المستندة الى الاصول ، فعلى اصحاب الاختصاص ملئ الفراغات التي يمكن للآخرين ان ينفذوا من خلالها ، واذا ظهر أي اختلاف او شبهة في نظرية اسلامية فأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الفصل ، وتكون النظرية الاسلامية هي الاقرب الى النص (٢٢) .

فالمجتهد المتجدد لا بد ان يكون ملما بالموضوعات السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية ، والتي تعزز من قدرته على فهم اوسع لمجالات الاجتهاد، وان يكون ذا احاطة كاملة بالموضوعات التي تصدر في خصوصها الفتوى ، فهناك فرق بين من قضى حياته في زاوية بيته ومدرسته مع اخر ضالع بشؤون الحياة (٢٣) .

ولكن الحاصل ان الكثير من بالشخصيات والتيارات تحول نفسها صياغة انواع من الفكر تطلق عليه فكرا اسلاميا او تجديديا ، وهي لا تمتلك ادنى درجات الاختصاص ، وهذه هي الخطوة الاولى باتجاه الانحراف (٢٤) .

المبحث الثاني : السيرة الشخصية للشيخ محمد مهدي شمس الدين

اولا : ولادته

ولد الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، في ليلة الجمعة في الخامس عشر من شعبان ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م في مدينة النجف الاشرف (٢٥) ، مركز المرجعية الدينية عند الشيعة الأمامية الاثنا عشرية (٢٦) ، وكانت ولادته في اثناء هجرة والده من لبنان الى مدينة النجف الاشرف لطلب العلم والفضيلة (٢٧) ، وبقي مع جدة حتى بلغ الثانية عشر من

عمرة ، ثم عاد والده الى لبنان وتركة في النجف الاشرف لينهل من علومها على يد عباقرة العلم والاعلام لتحصيل العلوم الدينية وتهذيب الاخلاق النفسية<sup>(٢٨)</sup> ، واطلق عليه والده اسم ( محمد مهدي ) تيمنا باسم الامام الثاني عشر وهو الامام المهدي (عج)<sup>(٢٩)</sup> .

ثانيا : نسبة واسرته

اسمه محمد مهدي بن الشيخ عبد الكريم بن الشيخ عباس بن الشيخ امين زين الدين بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ كحمد علي بن الشيخ تقي الدين محمد بن الشيخ زين العابدين بن الشيخ حيدر زين العابدين بن الشيخ اسماعيل بن الشيخ حسن بن الشيخ علي<sup>(٣٠)</sup> .

يعود نسبة الى الشيخ محمد بن مكّي الملقب بالشهيد الاول<sup>(٣١)</sup> ، واما اسرته فهو ينحدر من اسرة علمية لبنانية معروفة ، وقد برز في هذه الأسرة علماء مشهورين منهم كالشيخ محمد والشيخ علي واختهما فاطمه<sup>(٣٢)</sup> ، وهم اولاد الشهيد الاول ، الذين منحهم اجازته في الرواية ونقل الحديث<sup>(٣٣)</sup> .

نشأ محمد مهدي في كنف اسرته اللبنانية الاصل ، والتي اعتمدت صيغة الاقامة<sup>(٣٤)</sup> ، طوال مدة مكوثها في مدينة النجف الاشرف ، وبحلول عام ١٩٤٨ م ، قرر رب الاسرة العودة الى لبنان ، ولم يكن لا يتجاوز عمر الشيخ محمد مهدي شمس الدين آنذاك الثالثة عشر من عمرة ، وذلك لتردي الحالة المعيشية في مدينة النجف الاشرف ، ولكن محمد مهدي تخلف عن الرحيل مع اسرته وفضل البقاء قيئ النجف الاشرف للدراسة على الرغم من كون لبنان كان اسمها مغريا في ذلك الوقت لمن هم في عمره<sup>(٣٥)</sup> .

تميزت مدة اقامة محمد مهدي في النجف الاشرف بالوحدة وعسر الحال للذين لازماه طوال مدة اقامته فيها ، مما تعرّك اثار بعيدة المدى على وضعة الصحي والنفسي<sup>(٣٦)</sup> ، فكان والحال هذه يميل الى العزلة ولا يأنس مع زملائه اللبنانيين ، وكان يتسم بالهدوء وشدة الوقار ، ولا يخرج عنهما حتى في وقت الراحة والمرح مع الاخرين<sup>(٣٧)</sup> .

ثانيا : دراسته ومعالم شخصيته

اشرنا فيما سبق ان الشيخ محمد مهدي شمس الدين ترك والده وهو في سن الثالثة عشر من عمره في النجف الاشرف ، لكنه في هذا السن قطع شوطا بعيدا في الدراسة ، تعلم القران الكريم على يد والدته ، الحاجه زينب ابنة الحاجه علي كمال ، ومن ثم شرع والده بتعليم العلوم الاولية في النحو والصرف ومبادئ الفقه ، ثم انتقل لتلكس علوم البلاغة على يد بعض الفضلاء امثال الشيخ عبد المنعم الفروسي<sup>(٣٨)</sup> ، وقد كانت هذه هي مرحلة المقدمات<sup>(٣٩)</sup> ، والتي انتهت عام ١٩٤٨ ، ومن ثم انتقل الى مرحلة والاجتهاد<sup>(٤٠)</sup> ، فدرس كفاية الاصول عند الشيخ محمد تقي القيرواني الذي كان من اقدر الأساتذة على تعليمه ، والشيخ حسين معتوق<sup>(٤١)</sup> ، الذي شهد له بالتحصيل ، ويظهر اثر هذه الدراسة الاصولية جليا عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين في ميزتين ، الاولى الحزم وقوة الشخصية ، والثانية الدقة الموضوعية والعلمية<sup>(٤٢)</sup> ، ودرس رسائل الشيخ الانصاري عند السيد عبد الروف فضل الله<sup>(٤٣)</sup> ، ودرس اللمعة الدمشقية عند الشيخ محمد تقي الجواهري<sup>(٤٤)</sup> ، ودرس تقارير الشيخ النائيني عند الشيخ محمد تقي الفقيه<sup>(٤٥)</sup> ، وبعد ان تجاوز مرحلة السطوح دخل مرحلة ( البحث الخارج ) ، وهي المرحلة التي تقوم مقام الدراسات العليا ، فدرس لدى كبار مراجع التقليد وهم الامام محسن الحكيم<sup>(٤٦)</sup> في الفقه ، والامام ابو القاسم الخوري<sup>(٤٧)</sup> ، في الفقه والاصول وغيرهم من العلماء في الحوزة العلمية في مدينه النجف الاشرف<sup>(٤٨)</sup> .

بلغ الشيخ محمد مهدي شمس الدين درجة عالية من العلم في ظل الفقر والعوز الذي كان يعيش فيه ، ولم يزد الفقر الا علما وفضيلة ، على خلاف ما ذهب اليه القديس (توما الأيوني)<sup>(٤٩)</sup> ، الذي قال : " ان الفضيلة تقضي شطرا من السعة والبحبوحة ، بدونه يستحيل عادة او قلة يتعذر جدا ممارستها ، لان المرء في حالة الفاقة القصوى والفقر المدقع ، يستسلم الى اليأس وتحاذل القوى ، وتضيق عليه مذاهبه ، فينقاد الى بعض الاغنياء والى حسدهم والرغبة في الاستيلاء على الثروة التي لاحظ له فيها ... " <sup>(٥٠)</sup> ، اما زملائه في الدراسة النجفي فكان ابرزهم السيد محمد تقي الحكيم<sup>(٥١)</sup> ،

والسيد محمد باقر الصدر<sup>(٥٢)</sup> ، الذي كان معجب بكتاب الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، حول انصار الحسين (ع)<sup>(٥٣)</sup> ، وعمل الشيخ محمد مهدي شمس الدين استاذاً في الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف<sup>(٥٤)</sup> .

كان للأمام محسن الحكيم وابو القاسم الخوري دورا كبيرا وعظيماً في صقل شخصية الشيخ محمد مهدي شمس الدين ونفسيته الاجتماعية ، وكان موضع محبتهم وتقديرهما ، وكان السيد محمد باقر الصدر والسيد اسماعيل الصدر<sup>(٥٥)</sup> ، يثيان عليه وينظران اليه كعالم اسلامي كبير<sup>(٥٦)</sup> .

ويذكر والده انه كان مميزاً في دراسته وملفتاً للنظر في ذكائه ، وان الرغبة الشديدة في العلم منعه من اختيار أي شج آخر مهما كانت العقبات<sup>(٥٧)</sup> . ويقول عنه السيد محمد بحر العلوم<sup>(٥٨)</sup> " ان شخصيته العلمية تبدوا واضحة في مجالسة العلم ومحافل الادب والفقهاء ، رصين الفكر ، متوازناً في السيرة ، ويصفه بالفيلسوف"<sup>(٥٩)</sup> .

رابعاً : نماذج من اثاره العلمية

ابتدأ الشيخ شمس الدين التآليف في سن مبكرة جداً ، بالرغم من الفقر والعذاب فلم يترك حقلاً من حقول المعرفة ، الا وكتب فيه شارحاً ومعلقاً ، فكتب في الفقه والاصول ، والحكمة ، والكلام ، والسياسة والاجتماع ، والتفسير والادب ، لقد تجاوزت مؤلفات الشيخ نحو الثلاثين كتاباً<sup>(٦٠)</sup> .

ترك الشيخ محمد مهدي شمس الدين إرثاً كبيراً أتحف به المكتبات العربية والإسلامية كان لها الأثر الكبير في التعرف على الفكر الاسلامي الأمامي الاثني عشري ، ومنها :

١- " نظام الحكم والادارة في الاسلام " ، ألفه الشيخ شمس الدين في بداية شبابه ، طبع هذا الكتاب عدة طبعات نتيجة تغير رؤى وافكار الشيخ محمد مهدي شمس الدين بسبب اختلاف البيئة الجغرافية والحياة الاجتماعية بين النجف ولبنان ، طبع الطبعة الاولى في بيروت ، منشورات حمد عام ١٩٥٥ م ، وطبع الطبعة الثانية في بيروت ، دار المجد ، ١٩٩١ م ، وقد امتازت الطبعة الثانية عن الاولى ببعض الاضافات التي اغنت

البحث منها اضافة فصلين احدهما "ماهية الامامة المعصومة ومهمتها الاولى والكبرى عند الشيعة وماهية الخلافة ومهمتها الاولى والكبرى عند السنة"، وثانيهما "الادارة في الاسلام" (٦١).

٢- "في الاجتماع السياسي الاسلامي"، نشرته المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت عام ١٩٩٤م، وهو محاولة تأصيل فقهي وتاريخي للمجتمع السياسي الاسلامي باحثا فيه قضية تكوين المجتمع السياسي الاسلامي ومقوماته، وقضية الدولة الاسلامية، وقد تضمن ابحاثا عن الاساس النظري للدولة في الاسلام على مستوى التشريع، اتبع فيه منهجا في البحث اكتشف من خلاله ان مشروع الدولة نتيجة ضرورة للتشريع على المستوى النظري، واقامة هذا المشروع ضرورة حتمية على المستوى العملي في المجتمع السياسي، لكون الامة مسلمة ملتزمة بالشرعية (٦٢).

٣- "التطبيع بين ضرورات الانظمة وخيرات الامة" في فكر الإمام آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نشر المؤسسة الدولية للدراسات، الطبعة الاولى في بيروت مركز أفق، عام ١٩٩٤م، والطبعة الثانية كانت ايضا في بيروت عام ١٩٩٥م، اما الطبعة الثالثة، فكانت في بيروت عام ١٩٩٧، قدم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في هذا الكتاب رؤية جديدة ومختلفة عن كثير من الطروحات على مستوى النهوض والمواجهة داعيا الى اعادة النظر في منهجية العمل السياسي بمحاولاتها الاقتصادية والتنموية والاجتماعية، وهي اطروحة لتحسين الامة من مخاطر العدو الاسرائيلي، فمسألة التطبيع بجميع اشكاله الثقافية والسياسية والاقتصادية داخلية في خيارات الامة، وليست داخلية في ضرورات الانظمة (٦٣).

٤- حركة التاريخ عند الامام علي (دراسة في نهج البلاغة)، نشر المؤسسة الدولية للدراسات طبع الطبعة الاولى في بيروت عام ١٩٨٥م، قدم الشيخ في هذا الكتاب فلسفة جديد تختلف عن الكتب التاريخية الموجودة لبعض المؤرخين ونظرتهم الى التاريخ التي تعطيها مفهوما شاملا يتجاوز الفعاليات الانسانية من قبيل المسعودي (٦٤) في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، اذ ادخل معلومات جغرافية، وفلسفية، لذا

كانت عناية الشيخ شمس الدين موجهة الى تاريخ الانسان في محيطه داخل الزمان ، لذا حاول الشيخ في هذا الكتاب تقديم نظرة عن شخصية تُعدّ من اعظم الشخصيات التاريخية الاسلامية وهو الامام علي بن ابي طالب ( عليه السلام ) واساليب تعامله مع التاريخ في حياته العامة الفكرية والسياسية (٦٥) .

٥- "بين الجاهلية والاسلام" ، طبع الطبعة الاولى في بيروت، دار الكتاب اللبناني عام ١٩٧٥م ، وقد تبنت المؤسسة الدولية للدراسات والنشر الطبعة الثالثة والرابعة ، حيث كانت الطبعة الثالثة في بيروت عام ١٩٨٧م ، والرابعة ايضا في بيروت من عام ١٩٩٥م ، سلط الشيخ شمس الدين في هذا الكتاب الاضواء على نور الاسلام وعظمتته في مواجهة ظلمة الجاهلية ، وان تعددت اشكالها واساليبها ، فالإنسان الذي لا يعتبر بتعاليم الاسلام واخلاقياته، ويتأثر بالوضع الاجتماعي الغربي فهو كالإنسان الجاهلي (٦٦) .

٦- "محاضرات في التاريخ الإسلامي" ، طبع في العراق ، النجف الاشرف عام ١٩٦٥م (٦٧) .

٧- شرح عهد مالك الاشر: وهو دستور في كيفية ادارة الدولة عهده الامام علي ( عليه السلام ) الى عامه في مصر مالك الاشر (٦٨) .

٨- الغدير ( دراسة تحليلية ، اجتماعية ، سياسية ، لمسألة الحكم الاسلامي بعد وفاة الرسول(ص)، طبع الطبعة الاولى في بيروت، منشورات الجمعية الخيرية الثقافية، ١٩٨٦م (٦٩) .

٩- " التجديد في الفكر الاسلامي " ، طبع هذا الكتاب في دار المنهل اللبناني في بيروت ، عام ١٩٩٤م (٧٠) .

١٠- " واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي " ، طبع هذا الكتاب مرتين الطبعة الاولى منشورات الجمعية الخيرية الثقافية ، ١٣٨٦هـ ، والطبعة الثانية ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ١٩٩٦م ، قدم فيها الشيخ محمد مهدي شمس الدين عن طبيعة العلاقة الروحية والمبدية بين الناس وثورة الامام الحسين ( عليه السلام ) ، اذ تعد هذه

الثورة خالدة تتجدد باستمرار ، والناس بأمس الحاجة لاستذكار هذه الواقعة في كل عصر وزمان فهي الطريق الذي يستضيء فيه الناس الى طريق الحق<sup>(٧١)</sup> .

١١- "الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي" ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، طبعة بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ، يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من الابحاث تتعلق بقضايا الاجتهاد والتجديد التي تساير قضايا العصر بما لا يناقض اسس التشريع الاسلامي وما جاء في الكتاب والسنة وسيرة الأئمة الاطهار<sup>(٧٢)</sup> .

١٢- "مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني" ، طبعة في دار الكتاب الاسلامي ، الطبعة الاولى في مدينة قم المقدسة ٢٠٠٦م ، يتضمن هذا الكتاب قسمين ، القسم الاول : "الرؤية الكونية في الفكر الماركسي" ، والقسم الثاني : "الرؤية الكونية في الاسلام من خلال المقارنة بين الله والمادة" ، كما تضمن نقد للفلسفة الماركسية<sup>(٧٣)</sup> القائمة على اسس مادية بحتة ، ونقد قانون التطور الداروينية ( نظرية النشوء والارتقاء)<sup>(٧٤)</sup> ، لصاحبها تشارلز داروين<sup>(٧٥)</sup> وغيرها من الموضوعات المهمة<sup>(٧٦)</sup> .

٢٣- عاشوراء ، مجموعة محاضرات القاها الشيخ محمد مهدي شمس الدين في الاعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨٨ ، وعام ١٩٩٢ ، ١٩٩٩م ، طبع في مجلدين نشرته المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، طبع القسم الاول في بيروت بطبعته الاولى عام ١٩٩١م ، والطبعة الثانية في بيروت عام ١٩٩٥م ، اما القسم الثاني فطبع في بيروت بطبعته الاولى عام ٢٠٠٠م<sup>(٧٧)</sup> .

خامساً : نشاطه السياسي

تصدى الشيخ محمد مهدي شمس الدين للعمل السياسي منطلقاً من الرؤية الاسلامية التي تقول : " السياسة ليست مجرد دعوة الى تنظيم المجتمع تنظيماً مادياً فحسب بل هي اضافة الى ذلك فلسفة دولة تهتم بالبعد الروحي للإنسان خلافاً لما عليه السياسة في الغرب التي تنظم وترعى الانسان مادياً وتهمل كافة الحواب الاخرى في الانسان " <sup>(٧٨)</sup> .

عاش الشيخ محمد مهدي شمس الدين في خضم أحداث سياسية دينية خطيرة عاشتها المرجعية الدينية في النجف الاشرف وغيرها من المراكز الدينية في العراق وإيران وتركيا

ولبنان، وترتب عليها مواقف متباينة إزاء العديد من المشكلات السياسية ذات الطابع الديني لعل أهمها قضية " المشروطة " (٧٩) ، التي كانت تعني وجوب تقييد صلاحيات الحاكم بدستور ينهل من الشريعة الاسلامية الغراء (٨٠)

ان مواقف الشيخ محمد مهدي شمس الدين السياسية المتعددة دعت الى التساؤل في أنه هل يجوز لرجل الدين ان يتدخل في الأمور السياسية ، أم ينصرف الى دروسه ومباحثه الفقهية البحتة ، وأن يقتصر دوره الاجتماعي والاصلاحي على توضيح ما هو حلال وما هو حرام في مسائل المسائل الشرعية ؟؟ فكان جواب الشيخ محمد مهدي شمس الدين : " فمن منطلق الواقع الذي فتحنا أعيننا عليه في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي ، - القرن العشرين - وقد ولدت فيها ، ومن بقايا الدوي الذي كان يطرق أذاننا ، وضماثرنا ، وقلوبنا ، عن جحافل الغرب المتصارعة فيما بينها ، ونحن الفريسة او الجائزة ، والاسلام الطريفة والضحية ..... ومن أحاديث النجف الغاضبة والآسفة والنادمة عن معركة " المشروطة والمستبدة " ... ومن قراءاتي عن الافغاني ، ومحمد عبدة ، واخرين غيرهما .... ومما كانت تفيق عليه النجف ، آنذاك ، من سباتها او يفتح لها من آفاق على عزلتها ، من لغط حول ما سمي ، فيما بعد تيار الحداثة او تيار التغريب من خلال ما كان يصل الى النجف ... من كل ذلك وما اليه كان الاهتمام بمسألة حكم الاسلام وحكومة الاسلام ليواجه بها المسلمون الغزو الذي اجتاحتهم ... وهو اهتمام اعتبره من الطاف الله الحفية بي ، ونعم الله الحفية علي في تلك الحقبة المبكرة جداً من حياتي " (٨١).

فالدين والسياسة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين شيء واحد والاصلاح يكمن في تغيير الواقع الفاسد وهذا لا يتم الا من خلال تكوين دولة اسلامية تقوم بتطبيق احكام الله في الارض ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وقد كانت من وظائف المرجعية اصلاح النظام الاجتماعي الفاسد يقول الشيخ شمس الدين : " نحن نشاطنا السياسي في النجف بدأ في دائرة العمل الاسلامي العام الدس بدأ يظهر الى العلن منذ انقلاب تموز (٨٢) وعملنا في حقول متنوعة منها ما كان ظاهرا ، ومنها ما لم يكن ظاهرا سواء في

اصدار البيانات او المشاركة في اصدار البيانات ، او المشاركة في إيجاد وإصدار مجلة الأضواء<sup>(٨٣)</sup> في حينه وفي تربية الكوادر الاسلامية ، او في كتابة نصوص تتعلق بمهمات العمل الاسلامي في ذلك الحين " <sup>(٨٤)</sup> .

المبحث الثالث : ملامح التجديد في المشروع السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين

اولاً : مفهوم الدولة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين  
يعرف الشيخ شمس الدين الدولة حسب المفهوم الحديث للدولة لعلم السياسة هي " شعب - او امة - ينظم امرهم حكم ، ويخضعهم هذا الحكم جميعا الى احكام قانونية واحدة لا تمايز فيها " <sup>(٨٥)</sup> .

يقدم الشيخ شمس الدين ثلاث عناصر اساسية في تكوين الدولة الحديثة وهي الشعب او الامة ، والحكم الذي يجسد سلطة على الشعب ، وقوانين واحدة لجميع الافراد من دون تمييز بينهم ، ثم يضيف عنصر رابع وهي الارض التي يسكنها الشعب او الامة اعتبره عنصر مهم لم تبحث في الفقه السياسي المدون ، وقد ادعى بعض الباحثين الغربيين امثال برنارد لويس <sup>(٨٦)</sup> ان الاسلام اغفله ليجعل منه ذريعة للطعن في اطروحة الدولة في الاسلام <sup>(٨٧)</sup> .

من هنا يتساءل الشيخ شمس الدين عن حتمية الدولة كونها ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها ، ام انها وليدة ظروف خاصة يمكن الاستغناء عنها بمجرد زوال تلك الظروف ؟ ثانياً: على انها ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في مطلق الاحوال ، وهي حاجة نفسية للإنسان باعتبار ان الانسان مدني بالطبع ، فمتى وجد المجتمع الانساني وجدت العلاقات الاجتماعية المعقدة ووجد النشاط الاجتماعي المتعدد الوجوه في شتى الميادين ، فلا بد من ان يوجد من يشرف على المجتمع وينظم علاقاته تنظيمًا يحول دون النزاع والصراع بين الجماعات والافراد <sup>(٨٨)</sup> .

ثانيا : الديمقراطية في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين  
تعتبر الديمقراطية عن شكل من اشكال الحكم في المجتمع السياسي في عالم السياسة اليوم  
والتي تعني في مصطلح علم السياسة سيادة الشعب (٨٩) .

يعتقد الشيخ شمس الدين بمبدأ الديمقراطية كمنهج سياسي في ادارة الدولة ما دام يحقق  
العدالة في الامة ، وهو يساوق مفهوم الشورى الذي عده من اهم المبادئ الدستورية  
على الاطلاق عند جميع المسلمين سنة وشيعة ، اذ يقول : " ينبغي ان يكون مبدأ  
الشورى في الشؤون العامة ، اهم المبادئ الدستورية على الاطلاق ، عند جميع المسلمين  
: عند الشيعة الامامية في عصر غيبة الامام المعصوم (ع) ، وعند اهل السنة وسائر  
المسلمين منذ وفاة النبي (ص) ، لان مقتضى ادلة هذا المبدأ من الكتاب الكريم والسنة  
، أنه لا تستقيم شرعية اي تصرف في الشؤون العامة للمجتمع ، من دون ان يكون قائما  
على مبدأ الشورى " (٩٠) .

ويعتقد الشيخ شمس الدين ان هذه الديمقراطية القائمة على مبدأ الشورى لا تتم الا  
حينما يجعل الفرد كوحدة سياسية وليس الطائفة برمتها ، لان المواطن لن يحصل على  
حقه في ظل الطائفية (٩١) .

ثالثا: صفات الحاكم وصلاحياته

يذكر الشيخ شمس الدين مجموعة من الشروط في الحاكم ويقسمها الى قسمين ، شروط  
اولية ، وشروط ثانوية ، وما الشروط الاولية فهي الاسلام ، والذكورة ، والبلوغ ،  
والحرية ، والعقل ، النسب ( بمعنى ان يكون قرشيا ) ، ويعدّها موضع اجماع عند اهل  
السنة ، وهي شروط اساسية ، فمن دون اجتماعها لا يكون الانسان مؤهلا لتحمل هذه  
المسؤولية ، ثم يشرع في تفصيل وتوضيح هذه الشروط ، واما الشروط الثانوية ، فهي  
العلم ، والكفاءة ، والعدالة ، وهذه الشروط ليست موضع اجماع ، لذا عبر عنها بانها  
ثانوية ، اما الشروط الاساسية العامة لدى مدرسة الامامة فهي ، النسب ، والنص ،  
والعصمة ، والافضلية ، ويتخلص الشيخ من هذه الشروط لدى المدرستين في الحاكم

على اساس اعتبار الامامة من اصول الدين او من فرع الدين ، فمن يشترط العصمة في الامام او الحاكم عد الامامة من اصول الدين ، وان كان العكس عدها من الفروع (٩٢) .  
 اما صلاحيات الحاكم باعتباره نائبا او وكيل عن الامام في قضايا الدولة والمجتمع ، ويكتسب الحاكم صلاحياته بمقدار ما تمنحه الامة حتى يستطيع ان يكتسب القدرة على ادارة الدولة ، كما ان الحاكم الذي يمارس صلاحياته بمقدار ان يسعى لتحقيق رضا الامة ، مضافا الى ذلك تمتلك الامة حق الرقابة على الاداء السياسي للحاكم وتستطيع عزله اذا رأت انه خالف طبيعة العقد المبرم بينها وبينه ، كما انها تستطيع ان توسع من دائرة صلاحياته او تضيقها (٩٣) .

المبحث الرابع : الشيخ محمد مهدي شمس الدين وقضايا التجديد والاصلاح

اولا : الفكر السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين

واجه الشيخ محمد مهدي مشاكل المجتمع اللبناني عبر مقولة ( الاسلام هو الحل ) ، فالإسلام في نظر الشيخ عقيدة ونظام فيقول : " عقيدة تسمو بروح الفرد ، ونظام يسمو بالمجتمع " (٩٤) ، وهذا ما تضمنه كتابه (( نظام الحكم والادارة في الاسلام )) ، والذي اتسم هذا الكتاب بكونه اول نص عربي شيعي يطرح مسألة الحكم الاسلامي في العصر الحاضر (٩٥) .

حاول الشيخ شمس الدين اثبات ان للإسلام نظاما للحكم في المجتمع لأدارته على ولفق تعاليمه الخاصة ، ويريد الشيخ ان يثبت قصور ما كان سائدا من طروحات حول الفصل بين الدين والدولة من جهة ، وبين الدين والدنيا من جهة اخرى ، منتقدا في الوقت ذاته من خالفه من المفكرين كالشيخ علي عبد الرزاق (٩٦) صاحب كتاب "الاسلام واصول الحكم" ، والذي هاجم فيئة الدولة الاسلامية (٩٧) ، في الوقت الذي نمت فيه حركات التحرر الوطني ذات النزعة القومية في العالم العربي وكذلك الاحزاب الماركسية واليسارية ، وكان الطرفان ينظران بنظرة فوقية الفكر الى الفكر الاسلامي التقليدي ويقدمان البدائل لنظام الحكم من خارج سياق الاسلام (٩٨) .

جاءت اغلب طروحات الشيخ محمد مهدي دفاعا عن الاسلام وتوجهاته ، لا حيث اكد ان القيم الدينية والصفات الاخلاقية الدينية للشخصيات الاسلامية تعطيها ضمانه تجاه الاستبداد والانحراف وتجاه فساد المؤسسات الديمقراطية الحديثة (٩٩) .

نقد الشيخ محمد مهدي شمس الدين التعددية الحزبية ، لانها تفسح المجال للأحزاب السياسية المعارضة ، فتهيأ لها فرصة الانتشار ، وهذا مناقض لمبادئ الاسلام ، لأنه يوغر الصدور ويحول دون تكتل الامه على معنى واحد ناهيك عن بروز ظاهرة العصبية الشخصية التي تتحكم بالسياسة العامة (١٠٠) .

ثانيا : ملامح التجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين  
 عد كثير من المفكرين ان الازمه الحقيقية للفكر الاسلامي تتمثل بغياب مفهوم الامة لحساب حضور مفهوم الشريعة ، أي غياب الالية التي تمكن الناس من صون مصالحهم الخاصة والعامة ، ولم يكن هناك تفكير فيما يخص التجارب العربية الحديثة في امكانية تولي الجمهور مباشرة مصالحة بنفسه ، ومن هنا جاءت طروحات الشيخ محمد مهدي شمس الدين التي حملت من ملامح التجديد ما يستحق الوقوف عنده ودراسته وكانت : ١ " نظرية ولاية الامة على نفسها" ، التي عدت انشاقية في الوسط الفقهي ، فلم يريد ذكرها في التراث الفقهي والفكري السياسي الشيعي ، فهي كشف فقهي من وضع الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، وعلى ما يبدو لم يسبقه اليه احد من الفقهاء (١٠١) .

واذا اردنا ان نفهم هذه النظرية وابعادها الفقهية والسياسة وكشف مواطن التجديد فيها ، لابد من دراسة نظرية " ولاية الفقيه " والتي جاءت نظرية " ولاية الامة " انقلابا على ارثها (١٠٢) .

تقوم نظرية ولاية الفقيه على اساس ان الله سبحانه وتعالى قد فوض الولاية في شؤون الامة الاجتماعية والسياسية في الاسلام الى الرسول محمد (ص) ، ومن بعده نص على الائمة الاثني عشر بالترتيب ولاة على الامة ، اما في عصر غيبة الامام الثاني عشر ، فإن الفقهاء العدول يتولون شؤون الولاية نيابة عنه ، ولا مدخل لإرادة الناس وقبولهم في شرعية تصديهم للولاية، بل عليهم التمكين لتنفيذ الولاية والاعانة في سبيل تحقيق

الاهداف الاسلامية<sup>(١٠٣)</sup> ، فولاية الفقيه هي اعطاء الولاية المطلقة والعامه للفقيه الجامع للشرائط كما لو كان اماماً معصوماً ، وقد استندوا في ذلك الى قوله تعالى : " اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم " <sup>(١٠٤)</sup> ، فأولي الامر هم الفقهاء <sup>(١٠٥)</sup> .

اما نظرية (ولاية الامة على نفسها) عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين فتتلخص بنفي كل دور للمفتي ( بمعنى ان يحكم وانه مصدر للتشريع ) ، ووظيفة الفقيه فيها هو وظيفة المستشار والمفتي ، فهو يتمتع بموقع تشريعي ، وليس مصدر للشرعية التي تكون بالنسبة الى السلطة ، وبالنسبة الى شرعية الجوانبين في دائرة التنظيم هو للأمانة التي تمارس السلطة والتشريع خارج الحقل الذي تحكمه احكام الشريعة بواسطة وكلائها وممثليها<sup>(١٠٦)</sup> ،

لم تتوقف مسيرة التجديد لدى الشيخ محمد مهدي شمس الدين عند حدود ولاية الفقيه بل تعدته الى الاجتهاد ، الذي هو احد ابواب الفقه المهمة والذي يقصد منه " استفراغ الوسع في تحصيل الحجة على الحكم الشرعي " <sup>(١٠٧)</sup> ، ولقد برزت الحاجة الى التجديد في بنى الاجتهاد عندما دفعت الرؤية الفقهية التقليدية للدين والحياة والانسان بالواقع الاجتماعي المعاصر كحالة لبنان الفقيه الى ادراك ازمة الفكر الاسلامي وجمود العملية الفقيه المثمرة للمجتمع الاسلامي <sup>(١٠٨)</sup> .

دعا الشيخ محمد مهدي الى ضرورة تفعيل وتطوير ( نظرية الفراغ التشريعي ) ، وكانت هذه النظرية محل تداول الفقهاء . <sup>(١٠٩)</sup> ، ويعنون بذلك ان الله عز وجل قد ترك للإسلام منطقة فراغ تشريعي يتولى التشريع فيها ( ولي الامر والفقهاء ) بما يقتضي به حاجة الامة في تطورها ومما يطرأ عليها من تبدلات وتغيرات ، وهذه الدعوى قيلت في مواجاة ادعاء جمود الشريعة بإزاء تطورات الحياة <sup>(١١٠)</sup> ، وقد اضاف الشيخ محمد مهدي شمس الدين الى هذه النظرية ما يسمى ( بالعرف المكمل للتشريع ) ، الذي يأتي بعد ان يحدد النص الديني المبدأ التشريعي العام ، فيأتي دور العرف لا كمال المبدأ ، ويشمل كلاً حكم شرعي تم تحديد العادة وتفصيله وحالاته ، فأن المرجع هنا لا كمال المبدأ التشريعي هو العرف العام ، الذي قد يتغير من مجتمع لآخر او من زمن لآخر ، على

ذلك لا حازه بالفقيه الى البحث عن ادلة على شرعية هذا الاسلوب او الشكل ، والى الرجوع لا دلة الاحتياط ، لان المرجع التشريعي في تحديد الموضوع هو العرف السائد بالنسبة اليه <sup>(١١١)</sup> .

ثالثا : اثر الشيخ محمد مهدي شمس الدين بالعمل السياسي في العراق

(١) اثره من حزب الدعوة الاسلامي :

عانت الساحة العراقية من فراغ فكري وسياسي اسلامي ، مما دفع بالنخبة الواعية من داخل الحوزة وبالتنسيق مع المثقفين الاسلاميين الى محاولة ملئ الفراغ بتشكيل حزب اسلامي ، اطلق عليه ( حزب الدعوة الاسلامي ) .، كي يستقطب الشباب المفعم بالروح الثورية والتواق الى الحياة الحزبية ، والتي كانت آنذاك احدى سمات السياسة في العالم العربي وليس في العراق فقط <sup>(١١٢)</sup> .

انتهج حزب الدعوة المرحلة في العمل ، فقد قسم سير عمله الى اربع مراحل ، الأولى هي :

"التغييرية" وسميت "الفكرية" او "مرحلة البناء والتكوين" ، واما المرحلة الثانية فهي "مرحلة الصراع السياسي" ، والثالثة "مرحلة اقامة حكم الله في الارض" ، واهم المرحل هي مرحلة "التغييرية" لارتباط الشيخ محمد مهدي شمس الدين بهذه المرحلة ، اذ كان من المنتسبين الاوائل الى الحزب وذلك في عام ١٩٥٨ <sup>(١١٣)</sup> .

اتسمت المرحلة الاولى بالطابع الفكري ووضع ايدولوجيا للحزب <sup>(١١٤)</sup> ، بمعنى انها مرحلة تحضيرية الهدف منها كسب الدعاة وتكوين كتلة من الداعين للقيام بمهام التغيير والتأثير في الامة فكراً وسياسياً من اجل تهيئة قاعدة جماهيرية وصولاً الى اقامة حكومة اسلامية <sup>(١١٥)</sup> .

ظهر اثر الشيخ محمد مهدي شمس الدين ضمن القيادة الفكرية الى جانب السيد موسى الصدر <sup>(١١٦)</sup> ، وكانت له مشاركة اخرى ضمن هيئة اعداد الافكار والمرئيات ، ونشاط الشيخ هذا وان اقتصر على النواحي الفكرية الا انه كان سرا ، لانتمائه للحوزة العلمية التي كانت تفر كل عمل حزبي <sup>(١١٧)</sup> .

عمل الشيخ محمد مهدي شمس الدين مع الدعاة على نشر الوعي الاسلامي والسياسي في المقهى والشارع والمسجد والجامعة ، وابتكروا لذلك اساليب واعية منها : استغلال المناسبات الدينية بتنظيم المهرجانات والاحتفاليات وفتح المكتبات لجذب الطلبة وتوعيتهم وكتابة المنشورات الدينية وتوزيعها ، فضلا عن الكتابة في الصحف والمجلات المحلية ، وهكذا الى ان احدثوا التغيير المنشود<sup>(١١٨)</sup>.

(٢) اثره من جماعة العلماء :

شهد نهاية العقد الخامس من القرن العشرين تشكيل تجمع علمائي ، ضم الطبقة الثانية بعد شريحة المراجع وكبار الفقهاء ، وقد حظي هذا التجمع بدعم من المراجع ، وفي مقدمتهم السيد محسن الحكيم ، وجاء تشكيل جماعة العلماء بعد تأسيس حزب الدعوة الاسلامي الذي كان في طور السرية آنذاك ، مما لهم قيادة الدعوة فكرة " التنسيق " مع جماعة العلماء لاتخاذها واجهة للتحرك بحرية ومزولة نشاطها ونشر افكارها باسم الجماعة<sup>(١١٩)</sup>.

التحق الدعاة الاوائل بجماعة العلماء ومنهم الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محسن الحكيم واخرون<sup>(١٢٠)</sup> ، واشتركوا ضمن نشاطات الجماعة بصفه مساعدين يؤدون المهام التنفيذية ، ويحتلون الفئة التي تأتي بعد فئة الاداريين المكونة من العلماء وكبار المراجع ، وكان هدف الجماعة هو مواجهة التيارات الفكرية الاحادية والتطلع الى انشاء نظام سياسي جديد في العراق<sup>(١٢١)</sup>.

حاول الدعاة وهم الكتلة الشابة في الجماعة ايصال الفكر الاسلامي الى مدن العراق المختلفة ، فنظموا تجمعا اسلاميا بقيادة السيد محمد مهدي الحكيم ، وبالتعاون مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين اطلق عليه ( تجمع انصار العلماء ) ، واطلق على افراده اسم ( انصار المرجعية ) لكسب التأييد والعمل بفاعلية اكبر<sup>(١٢٢)</sup>.

اصدر الدعاة مجلة سياسية فكرية تعني بنشر الوعي والثقافة الاسلامية ، والفكر السياسي الاسلامي ، اطلق عليها مجلة الاضواء<sup>(١٢٣)</sup>

## الخاتمة

في ختام هذا البحث لابد من ذكر بعض الاستنتاجات المهمة التي خرجت بها هذه الدراسة وأبرزها :

١. تعد البيئة النجفية الاساس الفكري للشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ففي هذه البيئة ولد ونشأ فيها بعدما تركه والده ، فهو ينحدر من أسرة علمية معروفه بالتقوى والعلم والمعرفة ، فنشأ تواقاً الى تلقي العلوم الدينية والمعرفية فيها .

٢. درس المقدمات والسطوح وصولاً الى مرحلة الاجتهاد على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف ن كان ابرزهم السيد محسن الحكيم ، والامام ابو القاسم الخوئي ، وله عدد من المؤلفات العلمية كان اهمها " نظام الحكم والادارة في الاسلام "

٣. عد الشيخ محمد مهدي شمس الدين من المفكرين الاسلاميين الذين كتبوا عن النظرية الاسلامية ، ومارسوا النشاط السياسي في العراق ولبنان وبدعم من المرجعية الدينية الرشيدة انذاك .

٤. يعد من المجددين في القضايا الدينية والفكرية والسياسية والثقافية التي شغلت بال المثقفين والعلماء والمفكرين ، فقد اسهم في عملية التجديد والتحديث في مختلف الامور والقضايا المهمة .

٥. أكد الشيخ شمس الدين على ان الدولة الاسلامية هي دولة عقائدية تتركز على الاسلام وتنطلق منه في تحقيق الرسالة المقدسة التي تحملها ن ويرى بأن الدولة الاسلامية تنطلق من دين كامل وشامل وتقوم على عقيدة ومنهج متكامل

٦. رفض الشيخ نظرية ولاية الفقيه التي تقوم على اساسها الحكومة الاسلامية بعدم وجود الادلة اللفظية والعقلية ، ولا يوجد دليل ينزل الفقيه منزلة المعصوم (ع) ، ويرى الشيخ بأن السيادة التامة والحاكمية المطلقة على الكون والعالم والانسان هي لله عز وجل .

٧. اهم ما يميز الشيخ شمس الدين هو نظرية ولاية الامة على نفسها ، فيرى الشيخ ان الله عز وجل وفقه لكشفها الفقهي ، ويؤكد على ان يكون الحكم الاسلامي بولاية الامة على نفسها ، وهذه النظرية تسمح للامة ممارسة السلطة من خلال مؤسسات ادارية وتنفيذية وتعيين اشخاص يمارسون سلطات على الانفس من دون الحاجة الى فتوى فقيه.

٨. كان للشيخ نشاط ساسي مهم داخل العراق وتمثل بمواقفه من حزب الدعوة الاسلامي وجماعة العلماء ، واسهاماته الفاعلة في اصدار مجلة الاضواء لنجفيه مع نخبة من علماء الحوزة الدينية في مدينة النجف الاشرف .

الملخص:

سُلط البحث الضوء على شخصية فقهية ودينية وتجديدية واصلاحية ، لها اثر كبير في عملية الاصلاح والتجديد التي شهدتها مدينة النجف الاشرف والفرات الاوسط ، وهذه الشخصية هي شخصية الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، فهو يعد من العلماء المعاصرين الذين دعوا الى التجديد بنظرة تأصيلية ، وقد أوضح أفكاره التجديدية في القضايا الفقهية والفكرية والثقافية والسياسية بصوره خاصة ، ومسألة التجديد من القضايا المهمة التي شغلت بال العلماء والمفكرين والمثقفين لأنها مسألة حيوية ومهمة لاستيعاب حركة التغيير في مختلف الابعاد ، والتمسك بالثوابت في ظل عالم ملئ بالمتغيرات السريعة ، لذا نجد ان الشيخ محمد مهدي شمس الدين دخل الى مفهوم التجديد من اوسع ابوابه وهذا ما سيتم التطرق اليه في البحث الذي جاء تحت عنوان " الشيخ محمد مهدي شمس الدين وآرائه الفكرية من بناء الدولة المتحضرة وقضايا التجديد والاصلاح " ، وتكون البحث من مقدمة واربع مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع ، جاء المبحث الاول تحت عنوان : " مفهوم التجديد في الفكر الاسلامي " والذي تطرق الى مفهوم التجديد لغتاً واصلاحاً واهمية التجديد وصفات المجدد ، واما المبحث الثاني فتناول : " السيرة الشخصية للشيخ محمد مهدي شمس الدين " من حيث ولادته ونسبه واسرته ودراسة معالم شخصيته واثارة العلمية ونشاطه السياسي ، واما

المبحث الثالث فتطرق الى : " ملامح التجديد في المشروع السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين " ، وتناول مفهوم الدولة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين و الديمقراطية في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، واما المبحث الرابع والاخير فحمل عنوان : " الشيخ محمد مهدي شمس الدين وقضايا التجديد والاصلاح " ، وتطرق الى الفكر السياسي عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين و ملامح التجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين و اثر الشيخ محمد مهدي شمس الدين في العمل السياسي بالعراق فتطرق الى موقفه من حزب الدعوة الاسلامي وجماعة العلماء .  
الهوامش:

(١) ابي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٥٧١١هـ) ، لسان العرب ، ( بيروت : دار صادر ، د.ت ) ، ج ٣ ، ص ١١١ .

(٢) سورة الجن، الآية : ٣ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٨-١١٣ ؛ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢م ) ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٤) جميل صليبا ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٥) المصدر نفسه، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٦) حسن حنفي : هو مفكر مصري ولد عام ١٩٣٥ ، يقيم في مدينة القاهرة ، ويعد من ابرز منظري تيار اليسار الاسلامي وتيار علم الاستغراب ، مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية منها جامعة القاهرة ، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون وقام بنشرها عام ٢٠٠٦ ، تحت عنوان " تأويل الظاهريات " ، للمزيد من التفاصيل ينظر : شبكة المعلومات العالمية ( الانترنت ) :

[www.wikipedia.com](http://www.wikipedia.com)

(٧) حسين حنفي، التراث والتجديد ، ط ٤ ، ( بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، ١٩٩٢ ) ، ص ١٤ .

(٨) مجموعه من الباحثين ، اشكاليات التجديد ، ( بيروت : دار الهادي للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م ) ، ص ٢٥ .

(٩) محمد عماره ، ازمة الفكر الاسلامي المعاصر ، ( د.م : دار الشرق الاوسط للنشر ، د.ت ) ، ص ٢٠-٢٢ .

- (١٠) محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي ، (بيروت : المؤسسة الدولية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م) ، ص ٧ - ٨ .
- (١١) عبد الله احمد اليوسف ، الاجتهاد والتجديد قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، (القطيف : د.مط ، ٢٠٠١م) ، ص ٥٥ .
- (١٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .
- (١٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
- (١٤) محمد عمارة ، ازمة الفكر الاسلامي المعاصر ، ص ٩٠ .
- (١٥) محمد عمارة ( ١٩٣١ \_ ) : هو مفكر اسلامي ومؤلف ، محقق ، ولد في مصر ( كفر الشيخ ) عام ١١٣١ ، اول مقال نشرته له صحيفة مصر الفتاة هو بعنوان ( جهاد عن فلسطين ) ، درس الدكتوراه في العلوم الاسلامية ، حصل على العديد من الجوائز والاوزمة والشهادات التقديرية والدروع منها : جائزه جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان علم ١٩٧٢ ، وجائزه الدولة التشجيعية في مصر عام ١٩٦٧ ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : الاسلام والمستقبل ، الغرلة الجديدة على الاسلام ، التراث والمستقبل ، الجامعة الاسلامية والفكرة القومية وغيرها . للمزيد من التفاصيل ينظر : شبكة المعلومات العالمية ( الانترنت ) : [www: feqhweb](http://www.feqhweb)
- (١٦) محمد عماره ، ازمة الفكر الاسلامي المعاصر ، ص ٢١ \_ ٢٢ .
- (١٧) ماجد الغرباوي ، اشكاليات التجديد ، ص ٢٥ .
- (١٨) حمزه محمد ، اسلام المجددين ، ط ٢ ، (بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٢) ، ص ١١٠ .
- (١٩) محمد عمارة ، ازمة الفكر الاسلامي المعاصر ، ص ٩٠ .
- (٢٠) محمد حمزه ، المصدر السابق ، ص ٦ .
- (٢١) عصمت كاظم حميد ، التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر الشيخ محمد مهدي شمس الدين نموذجاً ، اطروحة دكتوراه ، ( جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠١٤ ) ، ص ٦ \_ ١٢ .
- (٢٢) علي المؤمن ، الاسلام والتجديد ، رؤى الفكر في الفكر الاسلامي المعاصر ، ( بيروت : دار الروضة ، ٢٠٠٠ ) ، ص ٣٣ \_ ٣٤ .
- (٢٣) عبد الله احمد اليوسف ، الاجتهاد والتجديد قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ص ٣٧ .
- (٢٤) ماجد الغرباوي ، اشكاليات التجديد ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- (٢٥) محمد حمزه ، المصدر السابق ن ص ١٠٠ .

- (٢٦) رنا عبد الرحيم حاتم حسن ، محمد مهدي شمس الدين ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ( جامعة الكوفة : كلية التربية للبنات ، ٢٠١١م ) ، ص ٢٥ .
- (٢٧) كمال السيد ، تجارب العلماء في عصور الغيبة ( قم المقدسة : مؤسسة انصاريان ، د.ت ) ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .
- (٢٨) زكي الميلاد ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين والاصلاح الديني ، مقال ، ٢٠١١\٢\٢٣ ، ص ١ موقع يعنى بنشر فكر وتراث الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين <http://www.imamshamseddin.com> .
- (٢٩) كمال السيد ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .
- (٣٠) حسني علي الحلاني ، قبس من حياة الامام ابي القاسم الخوري ، تحقيق : عبد الجبار الربيعي ، ( بيروت : مؤسسة المنار ، ١٩٩٢ ) ، ص ١١٤ .
- (٣١) الشهيد الاول : استشهد عام ٧٨٦ هـ / ١٣٨٣ ، في التاسع من جمادى الاول ، وكان في الثانية والخمسين من عمره الشريف ، قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم بدمشق ، وبعدها حبس سنه كاملة في قلعة الشام ، وقد الف كتاب المسمى ( اللعة الدمشقية ) ، للمزيد من التفاصيل ينظر : خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ط ١٦ ، ( بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠ ) ، ج ٧ ، ص ١٠٩ .
- (٣٢) فاطمة : هي فاطمة الفقهية المدعوة ( ست المشايخ ) ، كان الشيخ الشهيد الاول يأمر النساء بمراجعتها في المسائل الشرعية والقضايا الدينية ، وكانت مثالا للمرأة المؤمنة ، وقد أوتيت حظا عظيما من العلم والورع والتقوى والعفاف ، توفيت في جبل عامل ، للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد بن الحسن الحر العاملي ، أمل الامل ، تحقيق : احمد الحسيني ، ( النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٢٨٥ ) ، ص ١٨٠ .
- (٣٣) عبد الله الاصبهاني ، رياض وحياض الفضلاء ، تحقيق : احمد الحسيني ، ( قم المقدسة : منشورات اية الله المرعشي ، د.ت ) ، ج ٥ ، ص ١٧١ .
- (٣٤) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، ( بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٣ ) ، ص ٣١ .
- (٣٥) تجنب الطلبة المقيمين في العراق من كانت عائلته تسكن في العراق مدة طويلة ، التجنس بالجنسية العراقية هربا من قانون التجنيد الاجباري . للمزيد من التفاصيل ينظر : علي احمد البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠ - ١٩٨٠ ، ( بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩٣ ) ، ص ٣٥٨ .

(٣٦) حسين رحال ، محمد مهدي شمس الدين دراسة في رؤاه الاصلاحية ، ( بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ٢٠١٠ ) ، ص ٢٢ .

(٣٧) رنا عبد الرحيم ، المصدر السابق ، ص ٢٥ \_ ٢٦ .

(٣٨) عبد المنعم الفروسي ( ١٩١٦ \_ ١٩٨٣ ) : فقيه مسلم ، شاعر عراقي ، ولد في محافظه ميسان في جنوب العراق ، ونشأ في مدينة النجف الاشرف ، ودرس المقدمات والسطوح على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف ، منهم الامام ابو القاسم الخوري ، ومحمد علي الجمالي الكاظمي ، ومحمد طاهر الخاقاني ، والسيد محسن الحكيم ، وابو الحسن الاصفهاني ، واشهر تلامذته محمد مهدي الآصفي ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : شرح مقدمة المكاسب ، ارجوزة شعرية في المنطق ، ديوان شعر ، شرح كفاية الاصول ، شرح الرسائل للشيخ الطوسي وغيرها . للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف ، ( النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٨ ) ، ص ٦٥ ؛ حميد المطيعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، ( النجف الاشرف ، مطبعة الاداب ، ١٩٦٦ ) ، ج ١ ، ص ١٣٧ ؛ حيدر المحلاتي ، الشيخ عبد المنعم الفروسي حياته وادبه ، ( النجف الاشرف : المطبعة الادبية المختصة ، ١٩٩٩ ) ، ص ٥٣ \_ ٨٩ ؛ كاظم عبود الفتلاوي ، المنتخب من اعلام الفكر والادب ، ( بيروت : مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ ) ، ص ٦١٤ .

(٣٩) المقدمات : تقسم الدراسة العلمية في حوزة النجف الى ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى تسمى (المقدمات) وهي مصطلح يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على الكتب التي يدرسها الطالب لمعرفة الحكم الشرعي مثل الفقه والمنطق والبلاغة ، واما المرحلة الثانية فتسمى بالسطوح لان الدراسة فيها بشكل سطحي دون الاعتماد على منهج معين لبيان الدليل ، واما المرحلة الثالثة والاخيرة تسمى البحث الخارج لان الدراسة تكون خارج الكتب المقررة . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد رضا المظفر، جامعة النجف في جامعة القرويين، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩)، ص ١٠ - ١٤ .  
(٤٠) الاجتهاد: هو بدل الجهد في ادراك الاحكام الشرعية ويقابل الاجتهاد التقليد المجتهد هو من توفرت فيه القدرة على استنباط الحكم الشرعي، ومن شروط المجتهد الاسلام والبلوغ والعقل والعدل والتقوى وان يكون ذو معرفة بالقرآن والسنة والنحو واللغة والاصول والناسخ والمنسوخ . للمزيد ينظر: يحيى بن شرف النووي، شرح المذهب، (د. م: مطبعة المتسرية، د. ت)، ج ١، ص ٧٤ .

(٤١) الشيخ حسين معتوق ( ١٩١٢ \_ ١٩٨٠ ) : هو الشيخ حسين يوسف مصطفى بن معتوق ، عالم دين شيعي ولد في جبل عامل عام ١٩١٢ ، ونشأ يتيم في عائلة فقيره تعتمد على الزراعة ، توفي والده قبل ان يبصر النور هاجر الى مدينة النجف الاشرف لتلقي العلوم الدينية والمعارف فدرس عند السيد

حسين الحماصي ، والسيد محمود الشوشتري ، والشيخ محمد علي الخراساني ، والشيخ عبد الحميد ناجي ، له عدد من الاثار الدينية منها : العديد من الخطب الحسينية وهي خطب توجيهية تمتاز بالوعظ والدعوة الى الالتزام بنهج اهل البيت ( عليهم السلام ) ، وله كتابات متعددة في امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ( عليه السلام ) ، وله اثار شعرية والتي ركزت على محورين الاول مديح ال البيت ( عليهم السلام ) ، والثاني الغزل ، وعناوين القصاد هي "هيهات السلو" ، "اكلف نفسي" ، "الشاعر الغد" . للمزيد من التفاصيل ينظر : المركز الاسلامي للتبليغ ، الشيخ حسين معتوق شمس بين محراب ومنبر ، ( د.م : د.مط ، ٢٠١٣ ) .

(٤٢) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الاسلام ، ط ٣ ، ( قم المقدسة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٩٢ ) ، ص ١١\_١٢ .

(٤٣) السيد عبد الرؤوف فضل الله : هو السيد عبد الرؤوف فضل الله ابن السيد نجيب بن السيد محي الدين بن محمد بن علي بن فضل الله ، ولد في جبل عامل عام ١٣٢٥ هـ ، توفي والده وهو في سن العاشرة من عمره . للمزيد من التفاصيل ينظر ، علي الخاقاني ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٥٨ ؛ ناجي وداعة الشريس ، لمحات من تاريخ النجف ، ( النجف الاشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٧٣ ) ، ص ٢٨\_٣٨ .

(٤٤) محمد تقي الجواهري (١٩٢٢\_١٩٧٩) : الشيخ ابو محمد أمين ، محمد تقي ابن الشيخ عبد الرسول ابن الشيخ شريف الجواهري ، ولد عام ١٩٢٢ في مدينة النجف الاشرف ، درس على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف ومنهم : السيد محسن الحكيم ، السيد محمد تقي بحر العلوم ، الشيخ باقر الزنجاني ، ومن اهم تلامذته : السيد حسين بن السيد محمد تقي بحر العلوم ، والسيد جواد الشهرستاني ، والشيخ عبد الهادي الفضلي ، والسيد رؤوف جمال الدين ، وله عدد من المؤلفات العلمية منها : دارك العروة الوثقى ، الجواهر السنية في الاصول العقلية ، نتائج العقول في علم الاصول . للمزيد من التفاصيل ينظر : جعفر باقر محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ، ( بيروت : دار الاضواء ، د.ت ) ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ ؛ علي الخاقاني ، شعراء الغري ، ( للنجف الاشرف : مطبعة الاضواء ، ١٩٥٥ ) ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٤٥) محمد تقي الفقيه (١٩١١\_١٩٩٩) : الشيخ محمد تقي بن الشيخ يوسف الفقيه المعروف بالحاريسي ، ولد في بلدة حارص في جبل عامل ، ارسله والده الى مدينة النجف الاشرف مع اخيه علي وبقي فيها لمدة ٢٩ عام ، واكب على الدرس والتدريس والتبليغ ، حتى حصوله على مرتبة الاجتهاد وشهد له السيد محسن الحكيم بذلك ، تتلمذ على يد السيد محسن الحكيم والشيخ محمد علي الكاظمي ، والسيد ابو الحسن الاصفهاني ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : جبل عامل في التاريخ ، جامعة

النجف في عصرها الحاضر ، قواعد الفقيه ، من فلسفة التشريع ، للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد جواد الفقيه ، بحث منشور في مجلة الموسم ، العدد ٢٠ ، هولندا ، ص ٢٥٥ ؛ محمد تقي الفقيه ، جبل عامل في التاريخ ، ( النجف الاشرف : دار الاضواء ، د.ت ) .

(٤٦) الامام محسن الحكيم ( ١٨٨٩ \_ ١٩٧٠ ) : ولد السيد محسن الحكيم في اول يوم من عيد الفطر المبارك في مدينة النجف الاشرف سنة ١٩٨٩ ، وتذكر بعض المصادر التاريخية انه ولد في بنت جبيل في لبنان ونشأ وتعلم في النجف ولكن اغلب الكتب التاريخية تشير الى انه ولد في النجف وكانت هذه الكتب معاصرة له ولأولاده حتى ان بعضها كتبت في حياته ، عاش السيد محسن الحكيم في اسره فقيرة ، حيث توفي والده وعمره ست سنوات ، بدأ السيد محسن الحكيم حياته العلمية بقراءة القرآن الكريم وحفظ فتمكن من اتمام قراءته وهو في سن الثامنة من العمر ، وكان لموهبته الاثر الكبير الذي دفعه لدراسة علم النحو والذي يعد من العلوم الاساسية في الحوزة العلمية ، حيث اتم دراستها وهو في سن العاشرة من العمر ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : حقائق الاصول ، ومنهاج الصالحين ، ودليل الناسك ، ونهج البلاغة . للمزيد من التفاصيل ينظر : احمد الاشكوري الحسيني ، الامام محسن الحكيم الطباطبائي ، (النجف: د. مط، ١٩٦٥)، ص ١٧ ؛ محمد باقر الحكيم ، لمحات من مرجعية السيد الحكيم ، ( طهران: د. مط، ١٩٨٤ ) ، ص ١٢ .

(٤٧) الامام ابو القاسم الخوري ( ١٨٩٩ \_ ١٩٩٣ ) : اسمه ابو القاسم علي اكبر بن هاشم الموسوي الخوري ، ولد في بلدة خويفي محافظة اذربيجان ، كانت هذه البلدة المحطة الاولى التي تلقى تعليمه الاولي فيها من القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، فنشأ في كنف والديه ، اذ عاش في بيت عرف بالتقوى والفضيلة على ضوء التربية الاسلامية متمسكاً بقواعد قيام الاسرة في الاسلام ، فقد عمل والده علي اكبر على توفير الحياة الكريمة قدر المستطاع لكونه رجل علم لا يملك من الجوانب المالية اكثر مما يسد رمق اسرته وابنائهم رغم ذلك دأب على توفير مستلزمات الحياة والعمل المستمر لجعلهم يسيرون على خطى آل البيت (عليهم السلام) وسيرتهم المباركة ، درس على يد ابو الامام ابو الحسن الاصفهاني وشيخ الربعة الاصفهاني ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : البيان في تفسير القرآن ، علي امام البررة ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، للمزيد من التفاصيل ينظر : احمد الواسطي ، سيرة وحياة الامام الخوري ، (بيروت: دار الهادي، ١٩٩٨)، ص ١١؛ علي البهادلي ، ومضات من حياة الامام الخوري ، (بيروت: دار القارئ، ١٩٩٢)، ص ٧ .

(٤٨) محمد حسين الصغير ، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ( بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ن ٢٠٠٣ ) ، ١٢٩ ؛ عدنان ابراهيم السراج ، الامام محسن الحكيم ، ( بيروت : دار

الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣٩ ، ص ٦٠؛ سعيد الشريف، "تلامذة الامام" / مجلة الموسم ، هولندا ، العدد ١٧ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٠\_ ٢٥١ .

(٤٩) توما الأكيوني (١٢٢٥\_١٢٧٤): فيلسوف ايطالي كاثوليكي ، من اتباع المدرسة الفلسفية المدرسية ، وقد اعتبرته الكنيسة عالمها الاعظم ، له فلسفه اطلقت عليه الفلسفة التوماوية ، ولد في قلعة الكونت لاند وفل روكاسكا قرب مملكة نابولي ، ارسل في سن الخامسة الى الدير ليتلقى تعليمة المبكر ، استمر في الدراسة في جامعة نابولي لمدة ست سنوات ثم غادرها في سن السادسة بتأثير الرهبان الدومينيكان الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم لجذب الدارسين الشبان ذوي المهارة واكتساب مكانة بينهم مقدمين مع الرهبان الفرنسيسكان . للمزيد ينظر :

(٥٠) ارسطو طاليس ، كتاب السياسة ، ط ٣ ، ( بيروت : اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، ١٩٨٠ ) ، ص ٣٧٨ .

(٥١) محمد تقي الحكيم (١٩٢٣\_١٩٨٣) : ابو عبد الهادي محمد تقي نجل العلامة السيد سعيد الحكيم ، ولد في مدينة النجف الاشرف مركز الحوزة العلمية والمرجعية الدينية ، نش ، برعاية والد جبل على حب العلم والمعرفة ومجالسة العلماء ، واجتهد في غرس هذه المبادئ في مدراك ولده الصغير ، وهناك ثلاث روافد فكرية كونت شخصية العلامة محمد تقي الحكيم وهي : جمعية منتدى النشر التي تأسست عام ١٩٥٣ ، والمجمع الثقافي لجمعية منتدى النشر الذي اسس عام ١٩٤٤ ، والحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف ، والمجمع العلمي العراقي الذي تأسس عام ١٩٤٧ ، وللسيد محمد تقي الحكيم عدد من المؤلفات العلمية منها : الاصول الامة للفقه المقارن ، قصه التقريب بين المذاهب ، مناهج البحث في التاريخ . للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الكريم ال نجف ، ، من اعلام الفكر والقيادة المرجعية ، ( د.م : مركز الهدى للدراسات الحوزوية ، ٢٠٠٨ ) ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، جعفر باقر محبوبية ، ماضي النجف وحاضرها ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٥ .

(٥٢) محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠): عالماً، فقيهاً، واصولياً وفيلسوفاً، ولد في مدينة الكاظمية، بدأ دراسته في مدرسته منتدى النشر الابتدائية في الكاظمية، انتقل الى مدينة النجف عام ١٩٤٥، واكمل دراسته على سد محمد رضا ال ياسين والشيخ محمد تقي الجواهري والسيد مرتضى ال ياسين. للمزيد ينظر: حسن عيسى الحكيم، المفضل في تاريخ النجف، ج ٨، ص ١٠٩؛ علي اكبر حائري، حياة الشهيد الصدر، (قم: مجمع الفكر الاسلامي، ١٩٧٨)، ص ٥-١٠.

(٥٣) احمد عبد الله ابو زيد العاملي ، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووقائع ، ( بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٦ ) ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

(٥٤) ماجد الغرباوي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٥٥) السيد اسماعيل الصدر : هو السيد اسماعيل بن صدر الدين بن صالح العاملي الاصفهاني ، اصل ابيه من جبل عامل ، توفي والده وهو في سن الخامسة من عمره ، فتكفل في رعايته اخوه السيد محمد فدرس عنده النحو والصرف والمنطق والبيان ، درس على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ومنهم : الشيخ محمد باقر الاصفهاني ، والشيخ راضي النجفي . للمزيد من التفاصيل ينظر : اغا برزك الطهراني ، طبقات اعلام الشيعة ( مشهد : دار المرتضى ، ١٤٠٤هـ ) ، ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ محسن الامين ، اعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الامين ، ( بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، د.ت. ) ج ٣ ، ص ٤٠٣ ؛ محمد حرز الدين ، معرف الرجال ، تحقيق : محمد حسين حرز الدين ، ( قم المقدسة : مكتبة الله ايه المرعشي ، د.ت. ) ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٥٦) فرح موسى ، بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٥٨) السيد محمد بحر العلوم ( ١٩٢٨ \_ ٢٠١٥ ) : هو السيد محمد بن السيد علي بن السيد هادي بن السيد علي تقي بن السيد محمد تقي بن السيد محمد رضا بن السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي ، ولد السيد محمد مهدي بحر العلوم في عام ١٩٢٨ في مدينة النجف الاشرف ، اذ كان والده السيد علي بحر العلوم زعيماً دينياً واجتماعياً في مدينة النجف ، حيث ان تصديه للأمر الاجتماعي كان يحظى برعاية من قبل مرجعية السيد محسن الحكيم في مدينة النجف ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : بين يدي الرسول الاعظم ، الكندي الفيلسوف العربي ، في رحاب السيدة زينب ، حصاد الايام ، للمزيد من التفاصيل ينظر : : محسن الأمين ، اعيان الشيعة ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ، جعفر باقر محبوبة ، ماضي النجف ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، محمد مهدي بحر العلوم ، ديوان السيد محمد مهدي بحر العلوم ، تحقيق : محمد جواد فخر الدين وحيدر شاکر الجدي ، ( د. م. د. مط ، ٢٠٠٦ ) ، ص ٢٠ ، رشيد سعيد القسام ، الاسر النجفي وسبب تسمية الألقاب ( النجف : النبراس ، ٢٠٠٧ ) ، ص ١١٨ .

(٥٩) محمد بحر العلوم ، شمس الدين عطاء دائم ن ( لندن : معهد الدراسات الاسلامية ، ٢٠٠٤ ) ، ص ٣٩ .

(٦٠) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٦١) للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ( بيروت : دار المجد ، ١٩٩٩ ) .

(٦٢) للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي ، ( بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٤ ) .

- (٦٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: التطبيع بين ضرورات الانظمة وخيرات الامة ، ( بيروت : د.مط ، ١٩٩٨ ) .
- (٦٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي ( دراسة في نهج البلاغة ) ، ( بيروت : نشر المؤسسة الدولية للدراسات ، ١٩٨٥ م ) .
- (٦٥) عصمت كاظم حميد ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- (٦٦) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، بين الجاهلية والاسلام ، ط٤ ، ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩٥ ) .
- (٦٧) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، محاضرات في التأريخ الإسلامي ، (النجف الاشرف : د.مط ، ١٩٦٥ ) .
- (٦٨) عصمت كاظم حميد ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
- (٦٩) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، المصدر السابق ، ص ٦١ .
- (٧٠) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، التجديد في الفكر الاسلامي ، (بيروت : دار المنهل اللبناني ، ١٩٩٤ م) .
- (٧١) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، ( بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٦ م ) .
- (٧٢) ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي ، (بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩ م) .
- (٧٣) للمزيد من التفاصيل حول الفلسفة الماركسية ينظر: كامل محمد عويضة ، الماركسية والاسلام ، (د.م: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣) ، ص ٤١ ، إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من كنط الى رينوفيه ، (د.م: دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٩) ، ج ٢ ، ص ١٩٩ – ١٠١ ، محمد علي أبو ريان ، الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩) ، ص ١٠٤ – ٢٤١ ، افانا سيبق ، الفلسفة الماركسية ، ترجمة: عزيز سباهي ، (بغداد ، مطبعة السلام ، د.ت) ، ص ٤٢ – ٥٢ ، محمد حسين الطباطبائي ، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، (د.م، د.مط ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .
- (٧٤) نظرية النشوء والارتقاء: نظرية النشوء والارتقاء: او ما تعرف بالانتخاب الطبيعي ترى هذه النظرية ان التطور هو الذي أوصل الانسان الى شكله الحالي، واكد داروين ان هناك ثلاث عوامل طبيعية تؤدي الى ذلك (الوراثة – التحول – التوالد، التناحر على البقاء – بقاء الاصلح) . للمزيد من

التفاصيل حول النظرية ينظر: تشارلز داروين، اصل الأنواع، ترجمة: مجدي محمود المليجي، (القاهرة: المجلس الأعلى الثقافي، ٢٠٠٤)، ص ٦١-٢٢٦.

(٧٥) تشارلز داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٦) : عالم طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في بريطانيا عام ١٨٠٩، والده طبيب وخبير مالي (روبرت داروين)، واما جده فهو عالم ومؤلف (ارازموس داروين) ، تنتمي اسرته الى مذهب مسيحي يعتقد بوحدانية الله ويرفض التثليث، تأثر داروين بجون هيرسل والكسندر فون هوميولت، وكان له اليد الكبرى في اكتشاف علم الوراثة. للمزيد من التفاصيل ينظر: تشارلز داروين، اصل الأنواع، ترجمة: مجدي محمود المليجي، (القاهرة: المجلس الأعلى الثقافي، ٢٠٠٤)، ص ١٧-٢٤.

(٧٦) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد مهدي شمس الدين ، مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني ، ( قم المقدسة : دار الكتاب الاسلامي ، ٢٠٠٦ ) .

(٧٧) محمد مهدي شمس الدين ، عاشوراء ، ط٢ ( بيروت : د . مط ، ١٩٥٥ ) .

(٧٨) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .

(٧٩) المشروطة : او تسمى الحركة الدستورية التي حدثت سنة ١٩٠٥ وتعد من ابرز الاحداث السياسية التي شهدتها ايران في القرن العشرين، قاد هذه الثورة رجال الدين والمثقفين وتجار البازار، واجبر مظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧) على وضع دستور للبلاد. للمزيد ينظر: احمد كسروي تبريزي، تاريخ الحكم النيابي في ايران، ترجمة: هويدا عزت، (القاهرة: المركز القومي، ٢٠٠٩)، ج ١، ج ٢، ج ٣.

(٨٠) عصمت كاظم ، المصدر السابق ، ص ١١٠-١١٣ .

(٨١) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ص ١٢

(٨٢) ثورة (١٤/ تموز / ١٩٥٨): هو الثورة الذي اطاحت بالحكومة الملكية الهاشمية في العراق التي اسسها الملك فيصل الاول بمساعدة بريطانيا، قاد هذا الحدث عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وكان سبب قيامهم به هو دخول حكومة نوري السعيد في سلسلة معاهدات منها حلف بغداد ١٩٥٥، وتصاعد المد الجماهيري المؤيد للحركات الثورية والقومية في كل من الاردن ومصر. للمزيد من التفاصيل حول الانقلاب ينظر: ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ثورة ١٤/ تموز / ١٩٥٨ في العراق، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٧٩)؛ محمد حسين الزبيدي، ثورة ١٤/ تموز / ١٩٥٨ في العراق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٣)؛ صالح البصام، مذكرات واسرار هروب نوري السعيد، (بيروت: دار

الانتشار العربي، ٢٠٠٥)؛ عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨).

(٨٣) مجلة الاضواء : تعتبر اهم المجلات النجفي التي حاربت المد الشيوعي في العراق على اثر انقلاب (١٤ / تموز / ١٩٥٨)، صدرت هذه المجلة من قبل جماعة العلماء عام ١٩٦٠ واستمرت حتى عام ١٩٦٨، صاحب امتيازها هو الشيخ كاظم الحلفي، واما المشرف عليها هو السيد مرتضى الرضوي الكشميري، اتخذ هذه المجلة من الجامع الهندي مقراً لها، وجاء في ترويضها "نشرة إسلامية تعني بتعميم الثقافة على ضوء الدين". للمزيد من التفاصيل ينظر: وفاء كريم منعم عبد سالم العامري، مجلة الأضواء النجفي ١٩٦٠ - ١٩٦٨ دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠١٦).

(٨٤) فرح موسى ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٨٥) عصمت كاظم ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٨٦) برنارد لويس : مفكر بريطاني ينحدر من اسرة يهودية متخصص في تاريخ الاسلام ، ولد سنة ١٩١٦م في لندن ، درس في مدارس لندن وجامعتها ، حتى تخرج منها سنة ١٩٣٦م ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه بعد ثلاث سنوات من كلية الدراسات الشرقية والافريقية متخصصا في تاريخ الاسلام ، والتفاعل بين الاسلام والغرب ، اتسمت آراءه بالسلبية تجاه العرب والمسلمين ، من مؤلفاته العرب في التاريخ ، وكتاب الاسلام في التاريخ ، موقع ويكيبيديا الحرة <http://ar.wikipedia.org>.

(٨٧) محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي الاسلامي ، ص ٩١ \_ ٩٢ .

(٨٨) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ص ٣٩ .

(٨٩) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج ١ ، ص ٥٧٠ .

(٩٠) محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي الاسلامي ، ص ١٠٧ .

(٩١) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، ص ١٤ .

(٩٢) محمد مهدي ، نظام الحكم والادارة ، ص ١٣٦ - ١٩٧ .

(٩٣) محمد شقير ، فلسفة الدولة في الفكر الشيعي ولاية الفقيه نموذجاً ، ص ١١٨ .

(٩٤) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ص ٣٥ .

(٩٥) لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام.

(٩٦) علي عبد الرزاق ( ١٨٨٨ \_ ١٩٦٦ ) : هو علي حسن احمد محمد عبد الرزاق ، ولد في القاهرة عام ١٨٨٨ ، مفكر واديب مصري ، درس في الازهر وفي الجامعة المصرية السيكولارية ، حصل على شهادته من الازهر عام ١٩١٢ ن سافر الى انكلترا ودرس في جامعة اوكسفورد ، ناقش في كتابه "

الاسلام واصول الحكم " فكرة الخلافة والحكومة في الاسلام فحكم عليه بتجريدته من شهادته العالمية الازهرية . للمزيد من التفاصيل ينظر : علي عبد الرزاق ، الاسلام واصول الحكم ، ( القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٢٥ ) ؛ محمد عمارة ، الاسلام واصول الحكم دراسة ووثائق ، ٠ بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٤ .

(٩٧) كثيرا ما انتهج الشيخ محمد مهدي شمس الدين اسلوب النقد العلمي البناء البعيد عن التجريح والتقليل من قيمة النص لطروحات الاخرين ونذكر المساجلة التي حصلت بين المفكر صادق جلال على صفحات صحيفة النهار اللبروتية في عام ١٩٧٠ ، وطبعت مداخلات الشيخ في كتاب حمل عنوان (( مطارحات في الفكر المادي الديني )) طبع عام ١٩٩٧ ، للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ص ١٩ ؛ محمد مهدي شمس الدين ، مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ط ٢ ، ( بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩٢ ) ، ص ٣٣٩ \_ ٣٩٦ .

(٩٨) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة ، ص ٥٨ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ \_ ١٥٠ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(١٠١) رضوان جودت زيادة ، سؤال التجديد في الخطاب الاسلامي المعاصر ، ( بيروت : دار المنار ، ٢٠٠٤ ) ، ص ٣٤٠ \_ ٣٤١ .

(١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ \_ ٤٠ .

(١٠٣) محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي الاسلامي ، ص ٣٥١ .

(١٠٤) سورة النساء ، آية : ٥٩ .

(١٠٥) محمد علي محمد رضا محسن الحكيم ، الفكر السياسي الاسلامي المعاصر \_ دراسة في نظريتي ولاية الفقيه وولاية الامة ، رسالة ماجستير ، ( جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٩ ) ، ص ٩٣ \_ ١٢٨ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

(١٠٧) محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي ، ص ٣٤٩ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٣٥١ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(١١٠) محمد مهدي شمس الدين ، التجديد في الفكر الاسلامي ، ص ٩٠ \_ ١٠٨ .

(١١١) محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد ، ص ١٢ \_ ١٢٥ .

(١١٢) شبلي مناظ ، تجديد الفقه الاسلامي محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم ، ( بيروت : دار النهار ، ١٩٩٨ ) ، ص ٥٠ .

- (١١٣) حزب الدعوة الاسلامي ، ثقافة الدعوة الاسلامية ، القسم التنظيمي ، ( طهران : مؤسسة الجهاد ، د.ت ) ، ص ٣٩٩ .
- (١١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .
- (١١٥) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .
- (١١٦) محمد باقر الصدر ، المصدر السابق ، ٨٦ .
- (١١٧) حزب الدعوة الاسلامي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .
- (١١٨) المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .
- (١١٩) محمد الحسيني ، محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق ، ( بيروت : دار المحجة البيضاء ، ٢٠٠٥ ) ، ص ١٣٢ .
- (١٢٠) ومنهم : السيد مرتضى العسكري ، والسيد محمد حسين فضل الله ، والشيخ محمد امين زين الدين . للمزيد من التفاصيل ينظر : عمار ياسر العامري ، السيد محمد مهدي الحكيم دراسة تاريخية ، ( بيروت : دار الكواكب ، ٢٠١٠ ) ، ص ١٩٣ - ١٤٠ .
- (١٢١) فالخ عبد الجبار ، العمامة والافندي ، سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني ، ترجمة : امجد حسين ، ( بيروت : د.مط ، ٢٠١٣ ) ، ص ١٩٧ - ١٨٠ .
- (١٢٢) عادل رؤوف ، العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية قراءة لمسيرة نصف قرن ١٩٠٠ \_ ٢٠٠٠ ( د.م : د.مط ، د.ت ) .
- (١٢٣) عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف ومشاريع الاصلاح ، ( د.م : مؤسسة افاق ، ٢٠٠٧ ) .
- المصادر والمراجع
- القرآن الكريم
- اولاً : المصادر العربية والمعرّبة:
- (١) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من كمنط الى رينوفيه ، ( د.م : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٩ ) ، ج ٢ .
- (٢) ابي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور ( ت ٥٧١١هـ ) ، لسان العرب ، ( بيروت : دار صادر ، د.ت )
- (٣) احمد الاشكوري الحسيني ، الامام محسن الحكيم الطباطبائي ، ( النجف : د. مط ، ١٩٦٥ ) .
- (٤) احمد الواسطي ، سيرة وحياة الامام الخوري ، ( بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٨ ) .

- (٥) احمد عبد الله ابو زيد العاملي ، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووقائع ، ( بيروت : مؤسسة العارف للمطبوعات ، ٢٠٠٦ ) ، ج ٥ .
- (٦) احمد كسروي تبريزي ، تاريخ الحكم النيابي في ايران ، ترجمة: هويدا عزت ، (القاهرة: المركز القومي، ٢٠٠٩)، ج ١، ج ٢، ج ٣.
- (٧) ارسطو طاليس ، كتاب السياسة ، ط ٣ ، ( بيروت : اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، ١٩٨٠ ) .
- (٨) اغا برزك الطهراني ، طبقات اعلام الشيعة ( مشهد : دار المرتضى ، ١٤٠٤ هـ ) ، ج ١ .
- (٩) افانا سيف ، الفلسفة الماركسية ، ترجمة : عزيز سباهي ، (بغداد ، مطبعة السلام ، د.ت) .
- (١٠) تشارلز داروين ، اصل الأنواع ، ترجمة: مجدي محمود المليجي ، (القاهرة: المجلس الأعلى الثقافي، ٢٠٠٤) .
- (١١) جعفر باقر محبوبية ، ماضي النجف وحاضرها ، ( بيروت : دار الاضواء ، د.ت ) ج ٤ .
- (١٢) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ م ) ، ج ٣ .
- (١٣) ١٣ حزب الدعوة الاسلامي ، ثقافة الدعوة الاسلامية ، القسم التنظيمي ، ( طهران : مؤسسة الجهاد ، د.ت ) .
- (١٤) حسن عيسى الحكيم ، المفضل في تاريخ النجف ، ج ٨ ، ص ١٠٩ ؛ علي اكبر حائري ، حياة الشهيد الصدر ، (قم: مجمع الفكر الاسلامي ، ١٩٧٨) .
- (١٥) حسني علي الحلاني ، قيس من حياة الامام ابي القاسم الخوري ، تحقيق : عبد الجبار الربيعي ، ( بيروت : مؤسسة المنار ، ١٩٩٢ ) .
- (١٦) حسين حنفي ، التراث والتجديد ، ط ٤ ، ( بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر ، ١٩٩٢ ) .

- (١٧) حسين رحال ، محمد مهدي شمس الدين دراسة في رؤاه الاصلاحية ، ( بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، ٢٠١٠ ) .
- (١٨) حمد حسين الزبيدي، ثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨ في العراق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٣) .
- (١٩) حمزه محمد ، اسلام المجددين ، ط ٢ ، ( بيروت : دار الطليعة ، ٢٠٠٢ ) .
- (٢٠) حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، ( النجف الاشرف ، مطبعة الاداب ، ١٩٦٦ ) ، ج ١ .
- (٢١) حيدر المحلاتي ، الشيخ عبد المنعم الفروسي حياته وادبه ، ( النجف الاشرف: المطبعة الادبية المختصة ، ١٩٩٩ ) . كاظم عبود الفتلاوي ، المنتخب من اعلام الفكر والادب ، ( بيروت : مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ ، ص ٦١٤
- (٢٢) خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ط ١٦ ، ( بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٠ ) ، ص ١٠٩ .
- (٢٣) رشيد سعيد القسام، الاسر النجفي وسبب تسمية الألقاب (النجف: النبراس، ٢٠٠٧) .
- (٢٤) رضوان جودت زيادة ، سؤال التجديد في الخطاب الاسلامي المعاصر ، ( بيروت : دار المنار ، ٢٠٠٤ ) .
- (٢٥) شبلي مناط ، تجديد الفقه الاسلامي محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم ، ( بيروت : دار النهار ، ١٩٩٨ ) .
- (٢٦) صالح البصام، مذكرات واسرار هروب نوري السعيد، (بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٥) .
- (٢٧) عادل رؤوف ، العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية قراءة لمسيرة نصف قرن ١٩٠٠ \_ ٢٠٠٠ ( د.م : د.مط ، د.ت ) .
- (٢٨) عبد الرزاق احمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢ ، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٨) .

- (٢٩) عبد الكريم ال نجف ، ، من اعلام الفكر والقيادة المرجعية ، ( د.م : مركز الهدى للدراسات الحوزوية ، ٢٠٠٨ ) ، ج ٢ .
- (٣٠) عبد الله احمد اليوسف ، الاجتهاد والتجديد قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، (القطيف: د.مط ، ٢٠٠١م).
- (٣١) عبد الله الاصبهاني ، رياض وحياض الفضلاء ، تحقيق : احمد الحسيني ، ، ( قم المقدسة : منشورات اية الله المرعشي ، د.ت ) ، ج ٥ .
- (٣٢) عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف ومشاريع الاصلاح ، (د.م : مؤسسة
- ٣٣) عدنان ابراهيم السراج ، الامام محسن الحكيم ، ( بيروت : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣٩ ) .
- (٣٤) علي احمد البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠ \_ ١٩٨٠ ، ( بيروت :
- (٣٥) علي البهادلي ، ومضات من حياة الامام الخوري ، (بيروت: دار القارئ، ١٩٩٢).
- (٣٦) علي الخاقاني ، شعراء الغري ، ( للنجف الاشرف : مطبعة الاضواء ، ١٩٥٥ ) ج ٣ ،
- (٣٧) علي المؤمن ، الاسلام والتجديد ، رؤى الفكر في الفكر الاسلامي المعاصر ، ( بيروت : دار الروضة ، ٢٠٠٠ ) ، ١٣٣ عبد الله احمد اليوسف ، الاجتهاد والتجديد قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- (٣٨) علي عبد الرزاق ، الاسلام واصول الحكم ، ( القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٢٥ ) ؛
- (٣٩) عمار ياسر العامري ، السيد محمد مهدي الحكيم دراسة تاريخية ، ( بيروت : دار الكواكب ، ٢٠١٠ ) .
- (٤٠) فالح عبد الجبار ، العمامة والافندي ، سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني ، ترجمة : مجد حسين ، ( بيروت : د.مط ، ٢٠١٣ ) .
- (٤١) فرح موسى ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الاسلام وجليد المذاهب ، ( بيروت : دار الهادي ، ١٩٩٣ ) .

- (٤٢) كامل محمد عويضة ، الماركسية والإسلام ، (د.م: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣) .
- (٤٣) كمال السيد ، تجارب العلماء في عصور الغيبة ( قم المقدسة : مؤسسة انصاريان ، د.ت ) ، ج ١
- (٤٤) ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨ في العراق، (بغداد: دار الرشيد، ١٩٧٩).
- (٤٥) مجموعه من الباحثين ، اشكاليات التجديد ، ( بيروت : دار الهادي للطباعة والنشر ، ٢٠٠١ م ) .
- (٤٦) محسن الامين ، اعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الامين ، ( بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، د.ت ) ج ٣ .
- (٤٧) محمد الحسيني ، محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق ، ( بيروت : دار المحجة البيضاء ، ٢٠٠٥ ) ، ص
- (٤٨) محمد باقر الحكيم، لمحات من مرجعية السيد الحكيم، ( طهران: د. مط، ١٩٨٤) .
- (٤٩) محمد بحر العلوم ، شمس الدين عطاء دائم ، ( لندن : معهد الدراسات الاسلامية ، ٢٠٠٤ ) .
- (٥٠) محمد بن الحسن الحر العاملي ، أمل الامل ، تحقيق : احمد الحسيني ، ( النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٢٨٥ ) .
- (٥١) محمد تقي الفقيه ، جبل عامل في التاريخ ، ( النجف الاشرف : دار الاضواء ، د.ت ) .
- (٥٢) محمد حرز الدين ، معرف الرجال ، تحقيق : محمد حسين حرز الدين ، ( قم المقدسة : مكتبة الله ايه المرعشي ، د.ت ) ، ج ١ .
- (٥٣) محمد حسين الصغير ، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ( بيروت : مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ ) .
- (٥٤) محمد حسين الطباطبائي ، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ( د.م، د.مط، د.ت ) ، ج ٢ .

- ٥٥) محمد رضا المظفر، جامعة النجف في جامعة القرويين، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩).
- ٥٦) محمد علي أبو ريان، الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩).
- ٥٧) محمد عمارة، الاسلام واصول الحكم دراسة ووثائق، ٠ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠).
- ٥٨) محمد عماره، ازمة الفكر الاسلامي المعاصر، (د.م: دار الشرق الاوسط للنشر، د.ت).
- ٥٩) محمد مهدي بحر العلوم، ديوان السيد محمد مهدي بحر العلوم، تحقيق: محمد جواد فخر الدين وحيدر شاكر الجدي، (د.م: د. مط، ٢٠٠٦).
- ٦٠) محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي، (بيروت: المؤسسة الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).
- ٦١) محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي، (بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م).
- ٦٢) محمد مهدي شمس الدين، التجديد في الفكر الاسلامي، (بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٩٩٤م).
- ٦٣) محمد مهدي شمس الدين، التطبيع بين ضرورات الانظمة وخيرات الامة، (بيروت: د.مط، ١٩٩٨).
- ٦٤) محمد مهدي شمس الدين، بين الجاهلية والاسلام، ط٤، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٥).
- ٦٥) محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الامام علي (دراسة في نهج البلاغة)، (بيروت: نشر المؤسسة الدولية للدراسات، ١٩٨٥م).
- ٦٦) محمد مهدي شمس الدين، عاشوراء، ط٢ (بيروت: د.مط، ١٩٥٥).

- ٦٧) محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي ، ( بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٤ ) .
- ٦٨) محمد مهدي شمس الدين ، محاضرات في التاريخ الإسلامي ، ( النجف الاشرف : د.مط ، ١٩٦٥ ) .
- ٦٩) محمد مهدي شمس الدين ، مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني ، ( قم المقدسة : دار الكتاب الاسلامي ، ٢٠٠٦ ) .
- ٧٠) محمد مهدي شمس الدين ، مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة ، ط ٢ ، ( بيروت : دار الزهراء ، ١٩٩٢ ) .
- ٧١) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الاسلام ، ( بيروت : دار المجد ، ١٩٩٩ ) .
- ٧٢) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الاسلام ، ط ٣ ، ( قم المقدسة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٩٢ ) .
- ٧٣) محمد مهدي شمس الدين ، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، ( بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٦ ) .
- ٧٤) محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف ، ( النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٨ ) .
- ٧٥) المركز الاسلامي للتبليغ ، الشيخ حسين معتوق شمس بين محراب ومنبر ، ( د.م : د.مط ، ٢٠١٣ ) .
- ٧٦) ناجي وداعة الشريس ، لمحات من تاريخ النجف ، ( النجف الاشرف : مطبعة القضاء ، ١٩٧٣ ) .
- ٧٧) يحيى بن شرف النووي، شرح المهذب، (د.م: مطبعة المتسيرية، د.ت).  
ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية
- ١) رنا عبد الرحيم حاتم حسن ، محمد مهدي شمس الدين ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ( جامعة الكوفة : كلية التربية للبنات ، ٢٠١١ م ) .

- (٢) عصمت كاظم حميد ، التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر الشيخ محمد مهدي شمس الدين نموذجاً ، اطروحة دكتوراه ، ( جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠١٤ ) .
- (٣) محمد علي محمد رضا محسن الحكيم ، الفكر السياسي الاسلامي المعاصر \_ دراسة في نظريتي ولاية الفقيه وولاية الامة ، رسالة ماجستير ، ( جامعة الكوفة: كلية الاداب ، ٢٠٠٩ ) .
- (٤) وفاء كريم منعم عبد سالم العامري ، مجلة الأضواء النجفي ١٩٦٠ - ١٩٦٨ دراسة تاريخية تحليلية ، رسالة ماجستير ، ( جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات ، ٢٠١٦ ) .
- ثالثاً : البحوث المنشورة
- (١) زكي الميلاد ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين والاصلاح الديني ، مقال ، ٢٠١١ ، ص ١ موقع يعنى بنشر فكر وتراث الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين <http://www.imamshamseddin.com> .
- (٢) سعيد الشريف ، "تلامذة الامام" / مجلة الموسم ، هولندا ، العدد ١٧ ، ١٩٩٤ .
- (٣) محمد جواد الفقيه ، بحث منشور في مجلة الموسم ، العدد ٢٠ ، هولندا .

## الاتجاه الاصلاحى في الدولة وفق رؤى المدرسة العلوية (النظرية والتطبيق)

اينار نصير دواره العباس / طالب دكتوراه / ايران

المقدمة:

لم تكن الحركة الاصلاحية في الدولة وتغيير اتجاه البوصلة لمسارها الصحيح منحصرأ في النظرية داخل المدرسة العلوية ، بل ان التأريخ اثبت عمق الحركة الاصلاحية التي انطلق بها امير المؤمنين "عليه السلام" ، وبدأت بوادر هذا الاصلاح قبل ان يستلم زمام السلطة وهو ما يعبر عنه اليوم بالمصطلح المعاصر الحراك السياسي ، لكن ميزة هذا الحراك السياسي العلوي ان اهدافه اسمى واجل من كل المبادئ التي يُرفع شعارها اليوم ، انه حراك اصلاحى الهى ، والتعبير عنه بالحراك السياسي هو من باب المسامحة ، ولقرب المفهوم المعاصر للذهن ، بل هو حراك واصلاح على جميع المستويات قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلَاةَ وَاَتَوْا الزَّكَاةَ وَاَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ... فاصلاح المدرسة العلوية في الدولة يشمل جميع مفاصلها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .... ، ولم يكن الاصلاح متوقف على عدد التابعين لها ، بل هو قائم بالدرجة الاساس على المقومات الذاتية ان صح التعبير قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، و﴿ اِنْ اِبْرٰهِيْمَ كَانَ اُمَّةً ﴾<sup>(٣)</sup> الكلمات المفتاحية: الحركة الاصلاحية - المدرسة العلوية - ادوار الامام علي "ع" -

سراية الدور الاصلاحى

خطة البحث :

حمل هذا البحث عنوان "الاتجاه الاصلاحى في الدولة وفق رؤى المدرسة العلوية (النظرية والتطبيق)"، وتوزع على اربعة مباحث : المبحث الاول في المباحث التصورية واشتمل على معنى الاصلاح لغة واصطلاحاً ، والاستعمال القرآني له ، اما المبحث الثاني فقد حمل عنوان: الحراك الاصلاحى العلوي ومراحل: وتوزع على مطلبين: المطلب الاول : دور الامام علي "عليه السلام" في زمن تولي الشيخين للسلطة ، والمطلب الثاني في موقف الامام علي "عليه السلام" بعد انتهاء حكم الشيخين ، اما المبحث الثالث

فكان في : الحركة الاصلاحية بعد استلام الحكم ، والمبحث الرابع : سراية الدور الاصلاحى الى المرجعية الدينية ، ثم دونا اهم النتائج والتوصيات ، ودوناً المصادر التي تم الاستعانة بها خلال البحث ، فما جاء في البحث من نفع علمي فهو من توفيق الله ولطفه على الباحث ، وما فيه من نقص فهو من عجز الباحث وتقصيره.

### المبحث الاول

معنى الاصلاح في اللغة والاصطلاح :

" الإِصْلَاحُ : نقيض الإِفساد" (٤) ، وجاء في الصحاح : (( الصلاح ضد الفساد .. ونقل الفراء صلح أيضا بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابتك والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطلحا وتصالحا واصالحا بتشديد الصاد والاصلاح ضد الافساد والمصلحة واحدة المصالح والاستصلاح ضد الاستفساد)) (٥) وقال ابن منظور : (( صلح : الصَّلَاحُ : ضدّ الفساد ؛ صَلَحَ يَصْلَحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا ؛ وأنشد أبو زيد : فكيفَ بِإِطْرَاقِي إِذَا مَا شَتَمْتَنِي ؟ ❖ وما بعدَ شَتَمِ الوَالِدَيْنِ صَلُوحًا)) (٦).

((والصَّلَاحُ ، بكسر الصاد : مصدرُ المُصَالِحَةِ ، والعرب تؤنثها ، والاسم الصُّلْحُ ، يذكر ويؤنث.

وأصلح ما بينهم وصالحهم مُصَالِحَةٌ وصالِحاً ؛ قال بشرُ ابن أبي خازم :  
يَسُومُونَ الصَّلَاحَ بِذَاتِ كَهْفٍ ، ❖ وما فيها لهم سَلْعٌ وَقَارٌ)) (٧)

والإصلاح : التغير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة ، ولا يخرج استعمال الفقهاء عن هذا المعنى ، ومن هذا التعريف يتبين أن كلمة (إصلاح) تطلق على ما هو مادي أو على ما هو معنوي ، فيقال : أصلحت العمامة وأصلحت بين المتخاصمين)) (٨).

ويتضح من خلال المعنى اللغوي لمفهوم الاصلاح ومشتقاته أنه يعني إعادة تقويم الشيء واتمام ما يعتريه من نقصان يفسد وظيفته. كما يعني هذا المفهوم كذلك السلم والامن وبالتالي فهو عمل غايته اصلاح الامر في اطار السلم ، ويعتبر مفهوم الاصلاح من

المفاهيم المركزية في القرآن الكريم الذي جاء خصيصا لإصلاح ما أفسده أهل الرسالات السابقة بالتحريف، أو إصلاح ما أفسد فطرة الإنسان التي فطره الله عليها<sup>(٩)</sup> وعليه فالإصلاح عملية تأخذ بعين الاعتبار الوضع القائم وتنطلق منه بتثبيت الصالح فيه، وتعديل وتقويم الفاسد منه والانتقال به إلى وضع جديد أفضل. والمتأمل لدعوة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، يجد أنهم إنما بعثوا من أجل الإصلاح بما يعنيه من تحسين وترشيد وتجويد وإتمام، فكانت رسالة شعيب عليه السلام على سبيل المثال محصورة في الإصلاح بأداة الحصر والاستثناء "إلا" في قوله تعالى: "إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ"<sup>(١٠)</sup>.

ويمكن القول: بأنه أحداث تغيير نوعي في نمط الاستجابة للمؤثرات المحيطة بالفرد أو المجتمع سواء كانت المؤثرات داخلية أم خارجية. ونستطيع القول أن المعنى الاصطلاحي لم يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي، بل جاء في سياقه.

الإصلاح في الاستعمال القرآني:

لقد ورد ذكر هذا المفهوم في موارد كثيرة من القرآن الكريم، فجاءت كلمة (صلح) ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائة وثمانين مرة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أهمية هذا المفهوم، بل إن الرسالات السماوية قامت من أجل الإصلاح.

جاءت الآيات القرآنية لتؤكد على أن الصالح ما كان موافقا مع فطرة الإنسان ومنسجما مع وجدانه وضميره وعقله والفاسد ما كان تماما على عكس ذلك حيث تقول الآية المباركة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(١١)</sup> فكل ما كان مخالفا لهذه الفطرة فهو بعينه انحراف وفساد، ومن هنا تركز الآيات القرآنية على الإصلاح بجميع أبعاده ومشتقاته وعلى جميع الأصعدة الفردية والاجتماعية وفي مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية، فهل يوجد هناك كتاب تحدث عن الإصلاح كما تحدث عنه القرآن الكريم؟!، ومن جملة هذه الآيات: قال تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴿١٣﴾ ، ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

﴿ نَمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ،  
 "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِيتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ لِبَقْرَةِ ٢٢٠ .

"لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴿١٧﴾ .

((لقد ركز القرآن الكريم على تحرير الإنسان من القيود التي يزرع تحتها معتمدا في ذلك على تهذيب النفس وتركيتها، ومركزا بشكل كبير على إصلاح المعتقد، وقد سلك في سبيل ذلك مسلك التخلية ثم التحلية، فبدأ بتحرير العقل من المعتقدات الفاسدة، سواء كانت أصناما أو أموالا أو أهواء أو غير ذلك، قال عز من قائل: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ، وقال أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ﴿١٩﴾ ، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ثم عمل على غرس بذور العقيدة الصحيحة المبنية على العلم، وإعمال العقل، وتربية النفس على عدم الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ . (٢٣)

### المبحث الثاني

توطئة:

يعد شعار الإصلاح شعارا متكررا في كل زمان ومكان منذ أن خلق الله سبحانه الإنسان ، والكل يدعي طلب الإصلاح حتى قوم فرعون ! فقد كانوا يدعون أن مشروع موسى واخيه هارون ينافي الإصلاح. مستدلين بنحو من البداهة على ما في الآية ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ

مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٢٤﴾ بمعنى أنه حتى الملائمة من قوم فرعون وفرعون نفسه ينتهي إلى أنه رجل إصلاح مقابل حركة موسى، وهذا هو شعار الطغاة دائماً لا يتغير قبالة كل حركة معارضة أو إصلاح و تصحيح ، والمنافقون في المدينة - أيضاً - عندما انكشف امرهم كانوا يدعون أنهم في مقام طالب الإصلاح، وقد قال الله عنهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

إن مسألة الإصلاح وفي مقابلها الإفساد من البداهة بحيث لا يحتاجان من أجل إدراك رجحان القيمة الأعلى منهما إلى وحي سماوي رباني فبعض المفاهيم يدركها الإنسان بالفطرة، فيعرف - مثلاً - أن الظلم والكذب قبيح، وأن الصدق حسن، وأن الإصلاح مطلوب. ولو دعي الإنسان للاشتراك في عمل إصلاحي فإنه بشكل طبيعي و تلقائي سوف يستجيب بالفطرة مسلماً كان أو غيره.

وقيمة الإصلاح هي انه من البديهيات الإنسانية مضافاً إلى ما عندنا من بديهيات دينية وأخلاقية، وإذا رفعت شعارات الإصلاح ومحاربة الفساد والظلم والمطالبة بالحقوق وعمارة الأرض، فإنها دعوة يقبلها الكافر والمؤمن على السواء. ولكن لأن الكل يدعي الإصلاح فقد تنطلي الدعوات الزائفة على الكثيرين، لكن نحن الشيعة لا يمكن أن نغترنا بعض المظاهر التي يبدو منها الإصلاح. لأننا محصنون بالولاية، التي جعلتنا ندقق في مسألة كل موقع زعامتي ونراقبه ونلاحظه ، وقد أعطانا اهل البيت عليهم السلام حصانة عقائدية بحيث لا تضيع علينا مثل هذه الشعارات ونحن إذ نبحث في حياة الأئمة الاثني عشر فلكي يبقى إيماننا وعقيدتنا فهم عليهم السلام عقيدة منطقية، وبالرغم مما نعتقد به من عصمتهم نبقى نبحث عن برامجهم الإصلاحية ونتمثلها في كل ابعادها، من هنا فلا يمكن أن نثق فيمن يدعي

ويرفع شعارات الإصلاح بلا محتوى، لعلمنا أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فإذا كان الإنسان غير صالح في نفسه، وقبل أن يأخذ موقفاً بلا اهلية فكيف يكون صالحاً؟ وكيف يكون عملها صالحاً؟

الحراك الاصلاحى العلوي ومراحله :

لم يكن القيام العلوي مقتصرًا على استلام دفة السلطة التي هي بمنظوره لاقيمة لها ان لم تقربه من الله عز وجل ، لان ابواب الطاعات بعدد انفاس الخلائق وليس كما يُحاول البعض ممن يدعي انتمائه لهذه المدرسة العريقة ان يُسوّق للبسطاء انه لا بد من التثبيت بالسلطة لكي لا يتسلط الاخرون على رقاب المستضعفين!! ، ومن جهة اخرى يسرق قوتهم امام أعينهم ، او على الاقل التخبط وعدم القدرة على التدبير... فالمدرسة العلوية عندما رأت اجماع الامة قائم على تحييدها ، اما طمعاً بسكر السلطة والتسلط على رقاب المستضعفين ، او خوفاً من سطوة الحكام الجائرين ، او حشر مع الناس عيد! ، لم تجبر الناس على بيعتها ولم تستخدم الاساليب التي يسلكها الطامعين للسلطة.

وبما ان ابواب الطاعات والتقرب الى الله تبارك وتعالى كثيرة فالمصلح له اكثر من باب للاصلاح وليس بالضرورة ان يكون الأمر النهائي .... وكون موقعية امير المؤمنين الحساسة وقربه من رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" فهو اخيه وصنوه وحامل لوائه ، وهو القائل : " ان رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب ولم يعلم ذلك أحدا غيري " (٢٦) ، فقد جعل مصلحة الاسلام والحفاظ عليه هي العليا فقال : " لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري . ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله ، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه " (٢٧) ، مع العلم ان الاستحقاق ليس من وجهة نظر اهل الدنيا فحسب ، بل هي ارادة السماء ان يكون علي "عليه السلام" في هذا الموقع ، ولكن الامة انقلبت على عقبها بعد رحيل الرسول الاكرم "صلى الله عليه واله وسلم" ، فكان الامر استحقاقا الهيأ وهو القائل : (( لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت )) (٢٨)

و" لما عرض عبد الرحمن بن عوف صفقته على الامام علي ( عليه السلام ) بشرط أن يعمل بسيرة الشيخين فقال : بل اجتهد برأيي فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال نعم ، قال علي : ليس هذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليته الامر الا ليرده إليك ، والله كل يوم في شأن " (٢٩) ، ونقل الطبري : " فقال علي حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الامر إليك والله كل يوم هو في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله " (٣٠) .

ونستطيع القول ان هذه المرحلة في سنة ٢٣ هجرية بالذات تعتبر بداية للقيام العلوي بشكل علني ورسمي ، فقد اوضح رؤيته من السياسة الحاكمة آنذاك ، وقد يتصور بعض انه فقط رفض لتولي منصب الخلافة من ليس اهلاً له ، والجواب كلا ، فهو رفض لسيرة الشيخين ، واعلانه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وهذا يدل دلالة قطعية واضحة على ان سيرة الشيخين مخالفة لكتاب الله وسنة النبي " صلى الله عليه واله وسلم " ، ونستعرض على نحو الاختصار هذا الحراك على مطلبين:

المطلب الاول : دور الامام علي " عليه السلام " في زمن تولي الشيخين للسلطة: عندما نقول بداية القيام والرفض للطخمة الحاكمة لاي يعني ان امير المؤمنين لم يمارس دوره القيادي والتوعوي وتطبيق مبادئ السماء في الفترة المنصرمة ، بل كانت له ادوار كثيرة بعضها مفصلي في حياة الامة والحفاظ على الاسلام ، كذلك توجيه بوصلة الحكم بالاتجاه الصحيح لكي يحافظ على الاسلام وعلى كيان الامة ، حتى انهم كانوا يطمعون ويعلمون عن المواقف المفصلية لامير المؤمنين " عليه السلام " ناهيك عن قول عمر غير مرة : ( لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر ) وقوله : ( لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ) (٣١) " لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن " و " لولا علي لهلك عمر " (٣٢) ، وكان بإمكانه فقط السكوت وعدم ابداء النصح والمشورة لكي يُعري الغاصبين للخلافة ويفضح عدم تدبيرهم ، فضلا عن الاشارة الى مواطن الخلل عندهم ، لكنه لم يفعل

كل ذلك بل على العكس كان ناصحاً واميناً على تعاليم السماء ، فأين السياسون اليوم من هذا المنهج العلوي الاسلامي الاصيل ، وهم يدعون وصلاً لبليلى ، الذين شغلوا عن مصالح البلاد والعباد في جمع الادلة على خصومهم والتلويح لهم بها فقط التلويح للحصول على المكاسب الزائلة في قبال جمع الادلة !.

وكان يمارس ادواراً واهتمامات في زمن الخلفاء يمكن ايجازها بما يلي : (٣٣)

أ - العبادة والعبودية لله وبالنحو الذي يليق بشأن شخصية مثل علي - عليه السلام - وقد وصلت عبادته إلى درجة ان الإمام السجاد "عليه السلام" يعتبر عبادته وتهجده الفريد هو لاشيء بالنسبة إلى عبادة جدّه العظيم ، ففي يوم ((كان على بن الحسين عليهما السلام قد جهد في العبادة مالا يفعله بعده أحد ، فدخل ابنه أبو جعفر محمد الباقر عليهما السلام فرآه قد اصفر لونه من السهر والجوع وعمصت عيناه من البكاء ، وصارت جبهته كركبة البعير ، وانخرم أنفه من كثرة السجود ، وورمت ساقاه وقدماه من طول القيام في الصلاة فيقول الباقر عليه السلام: لم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال ، فبكيت رحمته عليه ، وإذا هو يفكر ، فالتفت إلى بعد حينة من دخولي فقال : يا بنى أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فأعطيته ، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يطيق عبادته)) (٣٤).

قد يعتبر بعض ان هذا الدور هو من الادوار الشخصية التي يختص بها المعصوم، لكن الحقيقة ان ما نؤمن به ان فعل المعصوم حجة فعندما يرى اتباعه هذا الدور ينصرف ذهنهم الى الاعداد الروحي والقرب الالهي لانها احد اسباب نشر الرحمة والتمكين في الدنيا والفوز بنعيم الاخرة .

ب - تفسير القرآن ومعالجة غوامض ومشاكل كثيرة من الآيات وتربية تلاميذ من مثل عبد الله بن عباس الذي يعد من أكبر مفسري الإسلام من بين الصحابة.

ج - الإجابة على شبهات وتساؤلات علماء الأديان العالمية لا سيما اليهود والنصارى منهم الذين كانوا يتوافدون إلى المدينة للبحث والاستقصاء حول دين النبي بعد وفاته - صلى الله عليه وآله وسلم - وما كانوا يجدون من يجيب تساؤلاتهم سوى علي "عليه

السَّلام" الذي بدت معرفته بالتوراة والإنجيل واضحة من خلال كلامه معهم، ولولا أن علياً ملاً هذا الفراغ لكان المجتمع الإسلامي يغط في انتكاسة كبيرة. وعندما كان الإمام يقدم أجوبة مفحمة على جميع الشبهات والتساؤلات كان الفرح والإعجاب الكبير يغمران وجوه الخلفاء الجالسين في مكان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".

د - بيان الحكم الشرعي للمواضيع المستحدثة والتي لم يكن لها سابقة في الإسلام أو بأن تكون القضية بقدر من التعقيد والغموض بحيث يعجز القضاة عن الحكم فيها، وتشكل هذه النقطة جانباً هاماً من حياة الإمام، فلولم تكن هناك شخصية كالإمام علي "عليه السَّلام" بين الصحابة، تلك الشخصية التي هي أعلم الأمة بشهادة واعتراف الرسول الكريم وأعرفها بأصول القضاء والتحكيم لظلت هناك قضايا كثيرة عالقة من صدر الإسلام بلا حلول، وقد جمع بعض العلماء قسماً منها في كتاب مستقل.

هـ - تربية مجموعة من الذين كانوا يحملون ضميراً حياً وفطرة سليمة وروحاً مستعدة للسلوك الديني حتى يمكنهم الوصول إلى مدارج الكمالات المعنوية العالية والتعرف على ما لا يمكن التعرف عليه بالمعرفة الظاهرية إلا بالرؤية القلبية والعين الباطنية. و- العمل والسعي لأجل ضمان معيشة شريحة كبيرة من الفقراء والمساكين، وقد وصل الأمر بالإمام إلى أن يغرس الأشجار ويحفر القنوات ثم يوقفها ويجعلها وقفاً في سبيل الله.

ز- عندما كانت الخلافة تصل إلى طريق مسدود في القضايا السياسية وبعض القضايا والمشاكل الأخرى كان الإمام - عليه السَّلام - المستشار الوحيد والمعتمد الذي يعالج المشاكل بموضوعية خاصة مع حلول واضحة، وقد جاءت بعض الاستشارات في نهج البلاغة وكتب التاريخ، ومنها على سبيل المثال كتاب قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السَّلام - من مؤلفات العالم الكبير الشيخ محمد تقي التستري، وكتاب قضاء علي بن أبي طالب - عليه السَّلام - تأليف السيد إسماعيل رسول زاده.

المهم ان الامام علي عليه السلام تعايش مع الاول والثاني، ولم يظهر معارضته العلنية لهما، فقد كان الانحراف في مسيرة الحكومة الإسلامية مستتراً.

المطلب الثاني : موقف الامام علي "عليه السلام" بعد انتهاء حكم الشيخين: ففي فترة حكم عثمان استشرى الفساد ودبّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية.

وقد برزت معالم الاصلاح والموقف الرفض لهذه الطخمة في مرحلة كان يرى الامام علي "عليه السلام" السكوت في مثل هذا الظرف فيه توهين للمذهب وضياح لمعالمه ، لذلك عندما اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي "عليه السلام" المبايعة ((عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده))<sup>(٣٥)</sup> ، فقال له الامام علي "عليه السلام" : ((إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري أحد))<sup>(٣٦)</sup> ، اجيرى<sup>(٣٧)</sup>.

وهنا لا بد من التوقف على سيرة الشيخين التي رفضها امير المؤمنين "عليه السلام" ، وهي باختصار الاجتهادات التي صدرت منهما في قبال الكتاب والسنة ، والنظرية فيها : (( ان للخليفة بعد بيعته الحق في الاجتهاد في قبال الكتاب والسنة ، وان اجتهاداته تكون ملزمة للخليفة من بعده ، وللخليفة الجديد الحق ان يضيف الى اجتهادات من سبقه ))<sup>(٣٨)</sup>.

ولم يكن هذا الاجتهاد في مورد محدد بل شمل نواحي كثيرة منها : مسائل اجتماعية كتحریم متعة النساء وامضاء التطلقات بلفظ واحد ومجلس واحد وغير ذلك ، ومنها : مسائل ثقافية : من قبيل المنع من نشر حديث النبي "صلى الله عليه واله وسلم" وحرق مذكرات الصحابة فيه ، ومنع السؤال عن تفسير القرآن ، وفسح المجال لعلماء اهل الكتاب الذين اسلموا لنشر قصص الخلق وسير الانبياء المحرفة التي نها عنها النبي "صلى الله عليه واله وسلم" ، ومنها : مسائل سياسية : من قبيل الاعراض عن بيعة المنصوص عليه واقامة الحكم الاسلامي ببيعة خاصة قبل البيعة العامة مع اكراه الاخرين عليها.<sup>(٣٩)</sup>

فعندما يرفض المعصوم امراً فسوف تكون نتائجه حتمية لانه لم يرفض شيئاً الاوكان في ذلك مصلحة او دفع للفساد ويمكن لنا أن نجمل طبيعة حكم عثمان وملاحمه فيما يلي: إن عثمان وصل إلى الحكم وقد تجاوز السبعين عاماً، وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبهم وإيثارهم، فقد روي عنه قوله: (( لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم ))<sup>(٤٠)</sup>. كما أن عثمان عاش غنياً مترفاً قبل الإسلام، وظل على غناه في الإسلام، فلم يكن ليتحسس معاناة الفقراء وآلام المحرومين، وقد أقرباه أمور الحكم والسلطة ، ولو سلطنا الضوء قليلاً على عمال عثمان فقد ((قدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرهما من بني أمية - والحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غربه عن المدينة ، ونفاه عن جواره - وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ، وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه من اهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة ، وولاهما سعيد ابن العاص))<sup>(٤١)</sup> .

والسبب في عزل الوليد عن الكوفة هو ان (( الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى الصباح ، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله ، فتقدم الى المحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعاً ، وقال: أتريدون ان أزيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطل ، اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الاول : ما تزيد لا زادك الله من الخير ، والله لا اعجب إلا ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي ، وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثل بأبيات لتأبط شراً: <sup>(٤٢)</sup>

ولست بعيداً عن مدام وقينه ولا بصفا صلد عن الخير معزل  
ولكنني أروي من الخمر هامتي وأمشي الملاً بالساحب المتسلسل  
وما اشبه هؤلاء باولئك ، فالتاريخ هو التأريخ يُعيد نفسه ، وكان عثمان ضعيفاً أمام مروان بن الحكم، يسمع كلامه وينفذ رغباته، ووالد مروان هو الحكم بن أبي العاص

طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي غربه عن المدينة ونفاه عن جواره. وأما سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقة وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلا أنها كانت أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بني أمية ثراءً فاحشاً، وحين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: ((إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت))<sup>(٤٣)</sup>.

ومن الامور التي نستفيدها هنا ان ضعف الحاكم له عدة مناشئ ، منها : ضعف المبدأ والعقيدة التي يحملها.

فقد يخلوا بعض الحكام من العقيدة الا انهم عندهم مبدأ يحاولون السير عليه ولذلك هناك كلمة لابن طاووس وهي : (( الكافر العادل خير من المسلم الجائر))<sup>(٤٤)</sup> ، ومن مناشئ الفساد في الحكم ومحاولة التغطية عليه هو جعله حالة عامة غير مستهجنة ، واعطائه صبغة سياسية او قيادية ، وما يسمى بفن الممكن ، من قبيل تسويق سوء الادارة بحجج لها مساس بعقيدة الامة ، فترضى عامة الناس بالمأساة التي هي عليها ، حُباً بعقيدتها ، في حين لم نجد في ابجديات المدرسة العلوية ، التأسيس لوجود الملازمة بأن المؤمن اما ان يفقد كرامته او يحافظ على عقيدته والتزامه ، بل ان الاعتقاد وحرية عند علي ان تكون للمؤمن العزة والكبرياء والكرامة والاستقرار على جميع المستويات ، فالاسلام لم يأتي الا لكي يخلص الناس من العبودية والذل لغير الله .

يمكن ان نخلص الى نتيجتين مهمتين في فشل الحكم وانحرافه ليس فقط عن التعاليم الاسلامية فحسب ، بل هو انحراف عن القوانين الانسانية والعدالة والحرية وحق الحياة وكل ما تتغنيه فطرة الانسان ، وهما : وضع الاشخاص غير المناسبين في المفاصل الحساسة ، فضلا عن كونها محسوبيات . والشيء الاخر والمهم هو إيجاد الطبقة بين ابناء المجتمع الواحد ، هذا مهاجري وهذا انصاري ، هذا من فئتي واتباعي وهذا ليس منهم .... الى آخره من المسميات التي لاحقيقة لها بل هي اشياء اعتبارية ، ولو فكر كل شخص تسلّم رأس هرم بمنهج علي في العدالة والمساواة فسوف يحترمه حتى اعداءه ، فضلا عن كونه سيكون على خير.

وهما اهم دعامتين عمل على تغييرهما امير المؤمنين عليه السلام في اولى خطواته الاصلاحية بعدما آلت اليه الامور.

وهذه نقطة فاصلة تمام الفصل بين الانظمة القائمة الآن وبين الاسلام الحقيقي الذي جسده امير المؤمنين عليه السلام، وانها لايمكن ان تلتقي مع النهج العلوي ربما حتى في بعض تفاصيلها، وانما هي انظمة قائمة على الانحرافات التي وضعها الاوائل، واغلب صيحات العدالة والاصلاح هي دعوى من دون دليل، ما دامت لامت الى عدالة علي ومنهجه الاصلاحى بشيء.

وكانت اول هذه البوادر العلوية بعد تسلم عثمان الخلافة هو احياءه "عليه السلام" لفريضة حج التمتع، التي نهى عنها الخليفة الثاني، وتعتبر هذه الخطوة مخالفة صريحة وعلنية للسلطة آنذاك واسقاط لشرعيتها الدينية، وتحدي لها، ولم يأمر علي "عليه السلام" اتباعه ومريديه بالمواجهة مع السلطة ليكونوا في لهواتها بل كان هو قائد ميداني لهذا الاصلاح على جميع المستويات، فقام هو بنفسه ومن تبعه باداء فريضة الحج على سنة النبي "صلى الله عليه واله وسلم" متخلفاً عن قافلة الدولة ومرشديها.

ويمكن ان نفهم من هذه الخطوة الاصلاحية التي ظهرها انها تمس موضوعاً فقهياً مختلف فيه لكنها تستبطن ابعاداً جوهرية في خطى الاصلاح، فنفهم انه لايمكن ان تبدأ باصلاح نظام اداري لإمة ما وهي تنتشر عندها العقائد الزائفة، والانحرافات، ولغة الجهل، والعقل الجمعي، الذي لايمكن عدّه ميزاناً لمعرفة الحق، فلا بد من خطوات اساسية في طريق الاصلاح تبدأ من تصحيح العقيدة ومعالجة الجهل والانحراف لكي تميز الامة بين الحق والباطل، ولذلك فإن حركة الانبياء الاصلاحية اعنف ما واجهته هو المد الجارف والمعارض لها، وسببه هو تزييف الحقائق باعين الناس بحيث لايميزوا بين الدعوة الالهية التي تهدف الى صلاحهم وخدمتهم وبين دعوات الضلال والانحراف.

وهذا ما اشرنا الى جزء منه في الاستعمال القرآني لمفردة الاصلاح فقد ((ركز القرآن الكريم على إصلاح الفرد، وفي صلاح الفرد صلاح للجماعة، وعلى هذين الأساسين يبنى صلاح النظام العمراني، السياسي والاجتماعي، فيحفظ نظام العالم الإسلامي

ويضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضها ببعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ويرعى المصالح الكلية للكيان المسلم ويضبط تصرفاته ومعاملاته مع غيره من المجتمعات))<sup>(٤٥)</sup>

### المبحث الثالث

#### الحركة الإصلاحية بعد استلام الحكم

لم ينفك الإصلاح في المدرسة العلوية عن العمل به ، بمعنى اخر لم يكن هناك فصل بين النظرية والتطبيق وهو السر في تميز هذا الخط الالهي ، والسر في بقاءه غريباً ، كون التطبيق ليس امراً يسيراً ، فهو يحتاج الى مقدمات عدة ، فكثيراً ما نسمع من يتحدث عن الزهد لكنه بعيداً عنه ، وهناك من يتحدث عن الورع لكنه ليس ورعاً ، ومن يتحدث عن العدالة والإصلاح وهو يتحيز الفرص .

وهذا التلازم (بين النظرية والتطبيق) الذي ميز المدرسة العلوية هو على طول الخط ولم يقتصر على المعصوم وهو ما سنلحظه في نواب المعصوم "عليه السلام".  
فعندما كان امير المؤمنين "عليه السلام" في مرحلة المعارضة كما يُعبر عنه بالمصطلح الحديث اطلعنا على سياسته ، فلم يستخدم سياسة خلط الاوراق كما يفعل اليوم مدعي الوصل بليلى بل كانت سياسته اصلاحية حازمة لا تحتمل التأويل ، وفي نفس الوقت حذرة اشد الحذر للحفاظ على سمعة الاسلام ومسيرته بشكل عام ، وحريصة اشد الحرص على معالم هذه المدرسة الحققة.

ويمكن ان نستعرض جملة من هذه المعالم التي ثبتها امير المؤمنين "عليه السلام" لكل من اراد ان ينتهج نهجاً اصلاحياً على اي مستوى سياسياً او دينياً او غيرها:  
اولاً : علي "عليه السلام" يكشف ذمته المالية :

ربما نسمع من هنا وهناك ممن يتولون مقدرات الشعوب انهم ينادون بالكشف عن الذمم المالية كما يسمى بالمصطلح الحديث ، حتى اصبح هذا المصطلح بمثابة الشماعة التي تنفع في الدفع نحو الظهور وجلب انظار البسطاء من ابناء المجتمع ، فضاع الحابل بالنابل ، فنجد من يكشف عن ذمته المالية ، ولكن حاله يُغني عن مقاله ، فتجدهم منعمون

يذخون الاموال ويتحكمون بامور العباد والبلاد وكأنهم منصوبون من قبل الله تبارك وتعالى .

في حين نجد من نصبه الله عز وجل على العكس من ذلك تماماً " روى بكر بن عيسى ، قال : كان علي عليه السلام يقول : يا أهل الكوفة ، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ، ورحلي وغلامي فلان ، فأنا خائن . فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع ، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ، ويأكل هو الثريد بالزيت " (٤٦) ، اين المدعين قربهم من علي "عليه السلام" من هذا ، فالذمة المالية وكشفها ليس ادعاء بل لا بد من واقع ملموس ، وقد يثار تساؤلا على هذا الكلام ، بأن الكشف عن الذمة المالية لا دخل له بما ذكرناه ، وانما هو مجرد اعلان عن ملك الحاكم ، والجواب اننا نتحدث عن شكل الاعلان ومحتواه ففرق بين من يعلن عن امتلاكه العقارات والاموال الطائلة في البلاد وخارجها ، وبين من ملك دولة مترامية الاطراف التي هي اليوم حسب جغرافية العالم مجموعة من الدول ، وهو بهذا الحال امام رعيته ، وهو القائل : " والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها ؟ فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى " (٤٧) ، فهل ستكون ثمار الامن المجتمعي في دولة يحكمها علي "عليه السلام" ، كثمارها فيمن يحكمها اللصوص !!.

ثانياً : زهده بالدنيا مع انه قادر على الاستزاده:

وهذه الصفة قل نظيرها في التاريخ ، فمن تجبى له الاموال من دولة مترامية الاطراف كيف سيكون حاله ياترى ؟ ، فلو تخيلنا صورة علي "عليه السلام" بمعزل عما نقلته لنا النصوص التاريخية ، حتماً اننا لانتخيل ، بل ولا يخالنا جزء مما ذكرته تلك النصوص ، حتى لو وضعنا في الحسبان زهده واعراضه عن الدنيا ، فعندما ننظر ونتمعن في تلك الرويات وكيف تصف زهده بالدنيا ، رغم تربعه على عرش الصدارة انذاك ، فأن حاله لا يُحير العقل فحسب ، بل تجد دموعك تنحدر من اللاشعور على طهارة هذا الشخص العظيم ، ويقتلك الشوق الى رؤيته ، فكيف لنا ان نتصور ان حاكما لدولة واسعة وهو يستعين بركبته لكسر الحبز لشدة بيوسته !!.

وكيف لا وهو القائل : " هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جسعي إلى تخير الأطمعة ، لعل في الحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له في الشبع " (٤٨) وروى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : ما اعتلج على علي عليه السلام أمران في ذات الله ، إلا أخذ بأشدهما ، ولقد علمتم أنه كان يأكل - يا أهل الكوفة - عندكم من ماله بالمدينة ، وإن كان ليأخذ السويق فيجعله في جراب ، ويختم عليه مخافة أن يزداد عليه من غيره . ومن كان أزهد في الدنيا من علي عليه السلام! (٤٩).

وروى النضر بن منصور ، عن عقبة بن علقمة ، قال : " دخلت على علي عليه السلام ، فإذا بين يديه لبن حامض ، أذنتي حموضته ، وكسر يابسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأكل مثل هذا ! فقال لي : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله يأكل أبيض من هذا ، ويلبس أخشن من هذا ، وأشار إلى ثيابه ، فإن أنا لم آخذ بما آخذ به خفت ألا ألحق به " (٥٠) ، كذلك ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما روي عن عمران بن مسلمة ، عن سويد بن علقمة ، قال : " دخلت على علي عليه السلام بالكوفة ، فإذا بين يديه قعب لبن أجدر يجه من شدة حموضته ، وفي يده رغيف ، ترى قشار الشعير على وجهه ، وهو يكسره ، ويستعين أحيانا بركبته ، وإذا جاريتة فضة قائمة على رأسه ، فقلت : يا فضة ، أما تتقون الله في هذا الشيخ ! ألا نخلتم دقيقه ؟ فقالت : إنا نكره أن نؤجر ويأثم ، نحن قد أخذ علينا ألا نخل له دقيقا ما صحبناه - قال : وعلي عليه السلام لا يسمع ما تقول ، فالتفت إليها فقال : ما تقولين ؟ قالت : سله ، فقال لي : ما قلت لها ؟ قال : فقلت إني قلت لها : لو نخلتم دقيقه ! فبكى ، ثم قال : بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثا متوالية ( من ) خبز بر حتى فارق الدنيا ، ولم ينخل دقيقه ، قال : يعني رسول الله صلى الله عليه وآله " (٥١).

فأين الحكام من هذا الخلق وهذا الجهاد في ذات الله .

ثالثاً : عدم غمض النظر عن غير اللاتقين بالحكم :  
 فعلي "عليه السلام" لا يوجد في ابجدياته فن الممكن كما يُصطلح عليه في العصر الحديث ، او كما يمارسه الذين يتصدون للسلطة ، ولا يوجد عنده ، السكوت عن الذين يمتلكون اسراره ، فعنده لا توجد اسرار ، فهو يقرأ كتب معاوية امام الرعية ، فلا يطمع المنافقون في ان يجدوا عليه مأخذ .

إن طائفة من أصحاب علي ( عليه السلام ) مشوا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أعط هذه الأموال ، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، ومن تخاف خلفه من الناس وفراره .

قال : وإنما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع من أتاه فقال لهم علي ( عليه السلام ) :  
 ( أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ؟ ! والله لا أفعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم . والله ، لو كان ما لهم لي لو اسيت بينهم ، فكيف وإنما هي أموالهم ؟ !  
 قال : ثم أزم طويلاً ساكناً ثم قال : من كان له مال فإياه والفساد ! فإن إعطاء المال في غير حقه تذيير وإسراف ، وهو ذكر لصاحبه في الناس ويضعه عند الله ، ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم.... " (٥٢) .

رابعاً : عدم المجاملة في الحق :

علي "عليه السلام" ديدنه عدم المجاملة على حساب الثوابت ، كما هو معروف اليوم لدى الطبقات السياسية ، التي فيها من التناقضات ما فيها وان كانوا ملتفتين الى انها ثوابت ويطلقون عليها الخطوط الحمراء ، لكنها في واقعها هواء في شبك ، فمتى ما وجدوا مصلحة في المجاملة والسكوت على الحق والانصاف بحيث يكون مردوده انفع لبقائهم متربعين على دفة الحكم ، سكتوا وقنطوا ، وان سبب هذه الصفة هو التشبث بالدنيا وحب الزعامة وعدم الايمان بالغيب ، فكثيراً ما نجد اناس كنا نعددهم من المظلومين المضطهدين ، لكن بعد مسكهم زمام الامور والوصول الى مناصب والزعامة تكون حقيقتهم خلاف الماضي ، فنراهم لا يختلفون وحشية وقسوة عن الخوارج ، والدواعش في العصر الحديث فهو مستعد ان يذبح بيده من يخالفه او يجد فيه تهديداً

على مصالحة فهل تغير هؤلاء؟ ام ان حقيقتهم المكونه هي هذه التي برزت بعد تسلمهم زمام الامور ، الجواب ان هذه هي حقيقتهم لكن لم تتوفر العوامل لبروزها ، وقد اشار الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) الى هذه الحقيقة عندما طرح تساؤلاً : " هل طرحت علينا دنيا هارون حتى لم نصنع ما صنعه مع موسى الكاظم ؟ " ((٥٣))

في حين نجد علياً " عليه السلام " لا يعير لهذه الامور ادنى اهمية ، بل هي غير داخله في حساباته ، جاء في كتاب الغارات : " شكنا علي ( عليه السلام ) إلى الأشر فرار الناس إلى معاوية ، فقال الأشر : يا أمير المؤمنين ، إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ، والرأي واحد ، وقد اختلفوا بعد ، وتعادوا ، وضعفت النية ، وقلّ العدل ، وأنت تأخذهم بالعدل ، وتعمل فيهم بالحق ، وتنصف الوضيع من الشريف ، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع ، فضجت طائفة ممن معك على الحق إذ عموا به ، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه ، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف ، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا ، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب ، وأكثرهم من يجتوي الحق ويستمرى الباطل ، ويؤثر الدنيا . فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمّل إليك أعناق الناس ، وتصف نصيحتهم ، وتستخلص ودهم . صنع الله لك يا أمير المؤمنين ، وكبت عدوك ، وفض جمعهم ، وأوهن كيدهم ، وشئت أمورهم ، إنه بما يعملون خبير. " ((٥٤))

فأجابه علي ( عليه السلام ) ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل ، فإن الله يقول : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ) وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك ، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور ، ولم يدعوا إذ فارقونا إلى عدل ، ولم يلتمسوا إلا دنياً زائلة عنهم كأن قد فارقوها ، وليسألن يوم القيامة : ألدنيا أرادوا أم لله عملوا ؟ وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال ، فإننا لا يسعنا أن نؤتي أمرء من الفيء أكثر من حقه ، وقد قال الله وقوله الحق : ( كَمْ مِّن فِئَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) وبعث محمداً ( صلى الله

عليه وآله ) وحده فكثّره بعد القلّة ، وأعزّفته بعد الذلّة ، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّ لنا صعبه، ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضىً ، وأنت من آمن أصحابي، وأوثقهم في نفسي ، وأنصحهم وأراهم عندي<sup>(٥٥)</sup>.

خامساً: هكذا كان علي "عليه السلام" في فترة الحكم:

قال الامام الصادق " عليه السلام " اذا اتى امير المؤمنين "عليه السلام" (( بيت المال جمع المستحقين ثم ضرب يده بالمال ويقول : يا صفرا ويا بيضا غري غيري ، غري غيري ، فلا يخرج حتى يفرق المال ويعطى كل ذي حق حقه ، ثم يأمر أن يرش الماء فيه ويكنسه ، ثم يصلى فيه ركعتين ، ثم يقول : يا دنيا أبي تتعرضين؟ أم إلي تشوقين؟ فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ))<sup>(٥٦)</sup>.

وهذا الموقف من جملة المواقف التي لا يمكن عدّها ، لايحتاج الى تفسير أو تأويل ، فهو دستور لمن طلب رضا الله والنجاح في خدمة عيال الله .

#### المبحث الرابع

سراية الدور الاصلاحى الى المرجعية الدينية في المدرسة الامامية

هذا الدور الاصلاحى في المدرسة العلوية الذي اسسته السماء وطبقه النبي الخاتم وسار عليه الوصي من بعده ، يسري الى الفقهاء من بعدهم ، لان الفقهاء حصون الاسلام والادلة كثيرة على نيابتهم للمعصوم "عليه السلام" من ذلك ما ورد عن الامام المهدي "عجل الله فرجه" : (( وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ))<sup>(٥٧)</sup> ، وعن الامام الصادق "عليه السلام" : ((فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه ، حافظا لدينه ، مخالفا على هواه ، مطيعا لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه))<sup>(٥٨)</sup>، ومما ورد عن ابي عبد الله : ((إياكم أن يخاصم بعضكم بعضا إلى أهل الجور ، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضايانا ، فاجعلوه بينكم فإنني قد جعلته قاضيا ، فتحاكموا إليه))<sup>(٥٩)</sup>

وذكر العلماء ان للفقهاء ادوار في زمن الغيبة وهي تتوزع على ثلاث مهام :<sup>(٦٠)</sup>

الاولى : منصب حجية الفتوى أن فتواه حجة على مقلديه.

الثانية : منصب القضاء قضائه نافذ على الناس .

الثالثة : منصب الولاية ، على الرغم من وجود اراء عند فقهاء الامامية في سعة وضيق دائرة نيابة الامام " عليه السلام " فبعض الفقهاء يرى الولاية خاصة بالأمر النظامية وبعض الفقهاء يرى الولاية عامة مطلقة ، السيد الخوئي مثلاً: كان يرى الولاية خاصة بالأمر النظامية، الإمام الخميني مثلاً يرى الولاية مطلقة عامة هذا اختلاف في سعة الولاية وضيقها المهم ان الجميع يقول بمنصب الولاية.

فدور الفقيه هو حفظ الشريعة دور الفقيه ليس بسيطاً ، دور خطير جداً مكلف بحفظ الشريعة على المستوى التشريعي والتعليمي والتطبيقي .

فعلى المستوى التشريعي : الفقيه مسؤول عن رقابة الفكر طول الوقت ، والفقيه يراقب ما يقال، ما يطرح، ما يتكلم به لماذا؟! حتى يكون حذر على حفظ الشريعة ألا يدخل فيها ليس منها، الفقيه في حال رقابة على الفكر، أي فكر يطرح في هذا القنوات وما يدور فيها، والمواقع وما يدور فيها، كلها تصل إلى الفقهاء أولاً بأول، الفقيه رقيب على ما يطرح وما يقال وما يذكر حتى يقوم بمسؤوليته في حفظ الشريعة من الناحية التشريعية أن يحافظ على أصولها وثواباتها وقطعياتها<sup>(٦١)</sup>.

فقد ورد عن النبي "صلى الله عليه واله وسلم" : " في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهل وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم"<sup>(٦٢)</sup> يعني دوره دور الرقابة

وعلى المستوى العلمي : من قبيل تأسيس الحوزات العلمية التي بدورها تجعل الفكر الامامي متجدد مواكب لتطورات العصر والا اصبح فكراً متجمداً ، فالحوزات العلمية تديره بين فترة وأخرى، فهذا حفظ للفكر الإمامي حفظ تعليمي قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

اما على المستوى التطبيقي : ويكون من خلال مراقبة الفقيه لما يدور من احداث على ارض الواقع والافتاء في اتخاذ ما هو صحيح تجاه الحوادث والمتغيرات ، لكي لايقع عامة لناس في الشكالات الشرعية والشبهات.

من خلال كل هذه المستويات التي يمارسها الفقيه يتبين مدى وحجم الدور الاصلاحى الذي يمارسه نواب الامام "عليه السلام" ، ونقول نواب الامام ، لاننا لانرى ان هناك ثمة فرق في ادوار الفقهاء ، فكل واحد منهم مكمل للاخر ولايمكن الاستغناء عن جهد فقيه منهم ، او تحييده اعلامياً عن الساحة العملية فمعنى هذا ومؤداه ان الامة سوف تفقد جزءاً مهماً من الفكر ، ونعتقد ان سير الامة بهذا الاتجاه هو جزء من الحرب التي يوجهها اعداء الاسلام الى قلب الامة النابض .

لان ما ثبت اليوم للمسلمين ولاعدائهم ان هببة الامة وصلابتها وتحديها للمصاعب هو بفضل الدور الاصلاحى الذي تقوم به المرجعية الدينية .

خصوصاً في المواقف المفصلية في حياة الامة ، ولم يكن الدور الاصلاحى الذي لعبته المرجعية في حياة الامة مقتصرأ على الدائرة الضيقة او على اتباع المدرسة العلوية ، بل هي مواقف عالمية انسانية كما هو ديدن ال البيت وامير المؤمنين "عليه السلام" بالذات ، فلم يكن عدله وانصافه لاتباعه ومريديه فحسب بل الخلق كلهم سواسية في منهجه.

النتائج

١- عدم وجود التلازم بين الحركات الاصلاحية وبين استلام زمام السلطة ، بل ان ساحات العمل الاصلاحى متنوعه ويمكن للمؤمن ان يجد اكثر من ساحة عمل لخلق الاصلاح والوعى لدى الامة والدفاع عن حقوقها.

٢- لو تكت ساحات العمل ونأى اللحاء بانفسهم عن الواقع ، فهذا يؤدي الى ملء الساحة بما هو موجود سواء من حكام الظلم والجور او من المدعين للعلم والتسديد.

٣- ان دعوى الاصلاح كما اثبتناه من خلال الاستعمال القرآني ، هي سلاح ذو حدين فالكل يرنو الى الاصلاح ، ولانبالغ ان قلنا انها نزعة فطرية ، ولكن علينا ان نميز

صدق الحركات الاصلاحية من خلال عرضها على سيرة وعنفوان الاصلاح امير المؤمنين عليه السلام.

٤- لم يكن النهج الاصلاحى الذي سار عليه امير المؤمنين عليه السلام قائما على خلط الاوراق وتسقيط خصومه ، كما هو معمول به في اروقة السياسة اليوم ، بل هو قائم على حفظ ثوابت الاسلام ، وعرض الاسلام كمشروع متكامل ، وبذلك يُفتضح كل من سار خلاف ذلك المنهج بمرور الوقت .

٥- في منهج الدولة العلوية اللبنة الاولى في الاصلاح هو تقوية علاقة الامة بالله تبارك وتعالى من خلال الحفاظ على سنة النبي "صلى الله عليه واله وسلم" ، واحياءها بالشكل الصحيح ، لا الترويج لها بشكل مزيف ، او الابتعاد عنها بدعوى التحرر والتجدد وما يسمونه التخلص من الماضي !! .

٦- من اسرار نجاح الحركات الاصلاحية هو الحضور الميداني والتعايش مع معاناة الامة ومشاكلها وهو ما عُبِّرَ عنه بالنظرية والتطبيق .

٧- اهم اسباب ظهور الحركات الاصلاحية هو وجود الاشخاص غير المناسبين في المفاصل الحساسة ، الذين اهم اسباب فشلهم انهم يؤسسون للطبقية في المجتمع ، ويجعلوها حالة طبيعية صحية يجب ان تسود.

٨- سراية الدور الاصلاحى في المدرسة العلوية الى المرجعية الدينية ، وان العلماء العاملين مسيرتهم واحدة وان تعددت افكارهم لان المنهل الذي يغترفون منه واحد ، والدور الاصلاحى في الكيان المرجعي يكتمل باجتماع اطرافه.

٩- لا يمكن ان نشد الاصلاح ونترك الامة تسودها الشبهات الفكرية والعقدية و.... التي يمكن ان نُعبر عنها البنية التحتية للفرد والمجتمع ، لان النتائج المتوخاة سوف تكون ضعيفة حتماً ، من دون الالتفات الى اصلاح هذه الجوانب .

توصية :

من خلال تنامي التحديات التي تواجه الاسلام والهجمة الشرسة التي تشنها الانظمة المعادية لضرب كيان الامة في قلبه النابض ، لابد ان يخرج المسلمون من الموقف الدفاعي

ان صح التعبير ، واستلام زمام المبادرة من خلال الاعداد والتدريب كتأسيس جامعة او اقسام تُعنى بالوعي بمنهج المدرسة العلوية ومواقفها بالتركيز على تفعيل القرآن الكريم ونهج البلاغة وسيرة امير المؤمنين لاسيما في مجالات العلوم السياسية والقانون لتكون لدينا شرائح تحمل هذا الفكر ويكون بيدها زمام المبادرة .  
الهوامش:

(١) سورة محمد :٧.

(٢) البقرة :٢٤٩.

(٣) النحل :١٢٠.

(٤) نفسه :٥١٦/٢.

(٥) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، الوفاة : ٧٢١ ، تحقيق : ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٥ - ١٩٩٤ م ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان : ١٩٤.

(٦) لسان العرب ، ابن منظور : ٥١٦/٢.

(٧) لسان العرب ، ابن منظور ، الوفاة : ٧١١ ، سنة الطبع : محرم ١٤٠٥ ، الناشر : نشر أدب الحوزة : ٥١٧/٢.

(٨) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، الناشر : دار الفضيلة : ٢٠٤/١.

(٩) تأمل في مفهوم الاصلاح ، مصطفى هطي ، على الرابط :

<https://www.maghress.com/al3omk/85>

(١٠) سورة هود :٨٨.

(١١) سورة الروم :٣٠.

(١٢) سورة هود :٨٨.

(١٣) سورة الحجرات :٩.

(١٤) الحجرات :٩.

(١٥) الحجرات :١٠.

(١٦) البقرة :٢٢٠.

(١٧) النساء :١١٤.

- (١٨) الجاثية: ٢٣.
- (١٩) الحج: ٧٣.
- (٢٠) يونس: ١٠٦.
- (٢١) البقرة: ١١١.
- (٢٢) المؤمنون: ٧٨-٨٠.
- (٢٣) الاصلاح في القران الكريم – المفهوم والمنهجية ، المحجة العدد / ٢٠٨ ، ٢٠٠٤ ، على الرابط:  
/http://almahajjafes.net/٢٠٠٤/٠٢
- (٢٤) الأعراف ١٢٧.
- (٢٥) البقرة ١١
- (٢٦) الخصال ، الشيخ الصدوق ، الوفاة : ٣٨١ ، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، سنة الطبع : ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٥٧٢.
- (٢٧) نهج البلاغة ، خطب الإمام علي ( ع )  
الوفاة : ٤٠ ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش ، المطبعة : النهضة - قم ، الناشر : دار الذخائر - قم - ايران : ١/١٢٤.
- (٢٨) المواقف ، الايجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ - ١٩٩٧ م ، المطبعة : لبنان - بيروت - دار الجيل ، الناشر : دار الجيل : ٦٢٧/٣.
- (٢٩) بحار الانوار ، المجلسي ،  
(٣٠) تاريخ الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، الوفاة : ٣١٠ ، تحقيق : مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان: ٢٩٧/٣.
- (٣١) مناقب الخوارزمي : ٩٦-٩٧ ، الحقيقة الضائعة ، الشيخ معتصم سيد احمد ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ ، المطبعة : دار المحجة البيضاء - بيروت ، الناشر : دار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان : ٣١١.
- (٣٢) المواقف ، الايجي ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٧ - ١٩٩٧ م ، المطبعة : لبنان - بيروت - دار الجيل ، الناشر : دار الجيل : ٦٢٧/٣.
- (٣٣) ينظر : سيرة الأئمة عليهم السلام - مهدي البيشوائي ، تعريب : حسين الواسطي ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام :

- (٣٤) ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي ، ت ١٢٩٤ ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٦ ، المطبعة : أسوه ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر : ١/٤٤٦ .
- (٣٥) تاريخ المدينة ، ابن شبة النميري ، الوفاة : ٢٦٢ ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، سنة الطبع : ١٤١٠ - ١٣٦٨ ش ، المطبعة : القدس - قم ، الناشر : دار الفكر - قم - إيران : ٣ / ٩٣٠ .
- (٣٦) تاريخ يعقوبي : ١٦٢ / ٢ .
- (٣٧) العادة والطريقة
- (٣٨) الامام الحسن في مواجهة الانشقاق الاموي ، السيد سامي البدري : ٨٤ .
- (٣٩) ينظر : الامام الحسن في مواجهة الانشقاق الاموي ، السيد سامي البدري : ٨٥ .
- (٤٠) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، ت ٥٧١ ، تحقيق : علي شيري ، سنة الطبع : ١٤١٥ ، المطبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان : ٢٥٢ / ٣٩ .
- (٤١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، ت ٣٣٦ ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤ م ، الناشر : منشورات دار الهجرة ايران - قم : ٣٣٤ / ٢ - ٣٣٥ .
- (٤٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي : ٣٣٥ / ٢ .
- (٤٣) تاريخ يعقوبي ، الوفاة : ٢٨٤ ، الناشر : دار صادر - بيروت - لبنان : ١٦٨ / ٢ .
- (٤٤) حياة السيد ابن طاووس رضوان الله عليه ❖ ، مركز المصطفى (ص) .
- (٤٥) الاصلاح في القرآن الكريم - المفهوم والمنهجية ، المحجة العدد / ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٤ ، على الرابط : [/http://almahajjafes.net/2004/02](http://almahajjafes.net/2004/02)
- (٤٦) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢٠٠ / ٢ .
- (٤٧) نهج البلاغة ، خطب الامام علي ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش ، المطبعة : النهضة - قم ، الناشر : دار الذخائر - قم - ايران : ٦١ / ٢ .
- (٤٨) الشيعة في الميزان ، محمد جواد مغنية ، الطبعة : الرابعة ، سنة الطبع : ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان : ٣٨٨ .
- (٤٩) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢٠١ / ٢ .
- (٥٠) المصدر نفسه : ٢٠١ / ٢ .
- (٥١) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٢٠١ / ٢ .
- (٥٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، الجزء : ٣٤ ، الوفاة : ١١١١ ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٣ - ١٩٩٢ م : ٢٠٩ / ٣٤ .

- (٥٣) حب الدنيا ، محاضرة للشهيد الصدر امام طلبة العلوم الدينية في نهاية السبعينيات .
- (٥٤) الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الوفاة : ٢٨٣ ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث : ٧١/١ .
- (٥٥) الغارات ، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ، الجزء : ١ ، الوفاة : ٢٨٣ ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، ص : ٧٤ . سنن الإمام علي ( ع ) ، لجنة الحديث معهد باقر العلوم ( ع ) ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٣٨٠ ش ، المطبعة : اعتماد ، الناشر : نور السجاد ، ص : ٧٦ .
- (٥٦) يتابع المودة لذوي القربى ، القندوزي ، ت ١٢٩٤ ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع : ١٤١٦ ، المطبعة : أسوه ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر : ٤٤٦/١ .
- (٥٧) وسائل لشيعه ، الحر العاملي ، الوفاة : ١١٠٤ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٤ ، المطبعة : مهر - قم ، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة : ١٤٠/٢٧ .
- (٥٨) مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، الوفاة : ١٤٠٥ ، تحقيق : تحقيق التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٢٨٦/٨ .
- (٥٩) السرائر ، ابن إدريس الحلبي ، الوفاة : ٥٩٨ ، الطبعة : الثانية ، سنة الطبع : ١٤١٠ ، المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة : ٥٣٩/٣ .
- (٦٠) ينظر : دور المرجعية في عصر الغيبة - السيد منير الخباز - شبكة المنير .
- (٦١) دور المرجعية في عصر الغيبة - السيد منير الخباز - شبكة المنير .
- (٦٢) بحار الانوار ، العلامة المجلسي ، الوفاة : ١١١١ ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، الطبعة : الثانية المصححة ، سنة الطبع : ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م ، الناشر : مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان : ٣٠/٢٣ .

## دور علماء الدين في محاربة الغزو الثقافي

الباحثة إيناس شريم

أولاً/ المقدمة:

كثيرة هي الثورات والنهضات التاريخية والحركات الإصلاحية، التي رافقت العالم الإسلامي في الحرب ضد الظلم. فهضة أعظم حضارة إنسانية، ألا وهي الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله (ص)، (حضارة الإنسان الحقيقية)، الذي قدم لنا الحقائق، إن موجد هذا الوجود وهذا الكون وهذا الخلق هو الله سبحانه وتعالى، هذا الذي يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وليس كمثل شئ، هو واحد أحد، وأن هذا الخالق عادل وكريم وجواد ولطيف وقدير وعليم .... وهو الذي أنقذ البشرية من ظلم وعمة الجاهلية، دين الفكر والالتزام والسلوك والعقيدة. وإن لترسيخ هذه المعاني في النفوس يحتاج إلى أسس عقلية ومنطقية، تمكن العقيدة الإسلامية من التصدي لكل الأخطار والشبهات والتشكيكات الفكرية والثقافية وغيرها، التي يروجها أهل الكفر والطواغيت، أولئك الذين يرتعون عند ذكر القرآن والرسول (ص)، لتأكيد قدرة الإسلام ومرونته واستيعابه لكل زمان ومكان.

فمع استمرار العداوة لهذا النهج وتعاليمه، أي الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى، والرفض القاطع للرسالة المحمدية، استمر العداء بين أهل الحق والباطل. ... وألا أن الحق مهما غالبه الباطل، فلا بد من أن ينتصر في نهاية المطاف، وقد قال الله في القرآن الكريم: "وكذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الربد فيذهب جفأً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال" <sup>(١)</sup> هذا ما علمنا إياه الإمام الحسين عليه السلام من ثورة كربلاء، في إنقاذه للدين والحفاظ عليه على الحق والعدل... وما هذه الصراعات بين الحق والباطل، إلا ابتلاءات رسالية لتقوية عضد أهل الحق والإيمان.

فالصراع ملازم للحياة البشرية، ولكن يختلف باختلاف الإمكانيات والأدوات، ففي المائتي سنة الأخيرتين برز على الساحة العالمية، تيار التمدن الذي إتسم بصفات معينه كالميل نحو الصناعة والعلم والماديات، إلا أن هذا التيار جاء مضاداً للمعنويات وللدين، وبدأ يفرض نفسه على المجتمعات ويتسلل ويتسع شيئاً فشيئاً، وتزداد معه العداوة أينما

وجدت تيارات دينية مسيحية وإسلامية أو أي مسارات معنوية في هذا العالم، ومع سيطرت الماديات على الفكر والسياسة والسلوك الحياتي للناس بشكل هائل، تفاجأ به حتى من هم قاموا بتطويره.. ، أخذت التيارات ذات الطابع الديني، بالتقلص والضعف أمام هذا المسار الحركي، الذي لم تشهد مثله البشرية على مر العصور، وتقلصت معه النزاهة والأخلاق... فازدادت الهجمة بشكل محدد وواضح على الفكر الإسلامي واشتدت موجات الصراعات، وخاصة الهجوم الثقافي والمعنوي لإجتثاث أصول الثقافة الوطنية وإستئصالها والقضاء عليها. مما جعل واقع المسلمين يسير من السيء إلى الأسوء حيث استبدت به مظاهر يؤسف عليها: كإنتشار الأمية والجهل والتبعية... والفقر والتجويع، واستبدال أغلبية الثقافة الوطنية الخاصة بالأمة الإسلامية والعربية بالثقافة الأجنبية.

وإزاء هذه المأساة التي اجتاحت الفكر الإسلامي، لقلعه من جذوره الحضارية والثقافية وتدميره.. برزت أهمية دور المرجعيات الدينية في السعي لإسترجاع الناس إلى الإسلام وتجديد الفكر الديني والإهتمام بالأوضاع الثقافية، والإجتماعية، والإقتصادية، والتربوية، والسياسية، للنهوض بالأمة على أسس واعية للعقيدة ودورها وإنعكاساتها في الحياة. وعصرنا الحاضر شهد العديد من مشاريع الحركات الإسلامية، التي ارتكزت على توضيح المعارف التي يخرزنها الفكر الإسلامي، واستنطاق النص والخروج من جموده إلى الحرية الفكرية المتعددة الجوانب، لمحاكاة الواقع المعاش وإصلاحه، من أجل تقدمه وتطوره بالعلم والإيمان، وقد جاء في القرآن الكريم: "كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله".<sup>(٢)</sup> فجهود علماء الدين وأصحاب الضمائر اليقظة التي عملت على استنهاض الأمة من كل أنواع السقوط الأخلاقي والمكر والخديعة... التي يتظلل بها العدو. كأمثال الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله)، الذي أستطاع تأسيس مشروعاً فكرياً متكاملماً على صعيد النظام الاجتماعي والسياسي... وأيضاً السيد " جمال الدين الأفغاني " الذي دفع بالمسلمين للتصدي للإستعمار الغربي من الناحيتين السياسية والفكرية. إضافة إلى الإمام المغيب الإمام السيد موسى الصدر الذي

قام بمرحلة فكرية إصلاحية نهضوية، إستند فيها على العلم والإيمان، مطبقاً ما جاء به الإسلام من قوانين وشرائع للنهوض بالفرد والمجتمع معاً، مستلهماً من القرآن الكريم، منتهجاً لخط الإمام الحسين (عليه السلام) بكل أقواله وأفعاله.

وأكبر فاتحي النهضة الدينية، الإمام الخميني الراحل (قده)، بقيادته الثورة الإيرانية، وما جاءت به من مشروع نهضوي ضخم، بإحياء الدين من جديد، بالشكل والمضمون... وإضافة الى أدوار المراجع العديدة، التي تعمل بالليل والنهار لإحياء الدين، وتطبيق مبادئه ونشر تعاليمه، وحفظ القيم والأهداف التي جاء به الإسلام، وبث الإيثار والحماسة بين الشباب للثقف... كالسيد علي السيستاني (حفظه الله)، في توعية الناس من الخطر الذي يحدق بهم، وحثهم وتنويرهم للوعي واليقظة الدائمة، والتمسك بعقيدة الإيمان، ...

فلو طرحنا سؤالاً لماذا كل هذه العداوة للفكر الإسلامي تحديداً؟ ألا هو الرعب والخوف الذي يعيشه الطواغيت والمستعمرين الغرب داخل نفوسهم، من القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية التي لا تسمح بالظلم الإنساني والهيمنة وسلب الشعوب ثرواتها... لما يمثله الإيمان بالله الواحد والمعنويات من نموذج إصلاحي، والهاجس من توسع وإنتشار هذه الأمور، التي تعيق طموحاتهم وتتفوق عليهم. وقد أكد هذا غلادستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: "مادام القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"<sup>(٣)</sup> " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون"<sup>(٤)</sup>

ثانياً/ الفصل الأول:

أ- من هم العلماء؟.

١- تعريف العلماء: من خلال العودة لمعاجم اللغة العربية نجد أن كلمة العلماء لها عدة أصول لغوية منا:

١. عِلْمَاءُ: (اسم) / عِلْمَاءُ: فاعل من عَلِمَ

٢. عِلْمَاءُ: (اسم) / عِلْمَاءُ: مؤنث أَعْلَمُ

٣. عُلَمَاءُ: (اسم) / عُلَمَاءُ : جمع عَالِمٍ
٤. عُلَمَاءُ: (اسم) / عُلَمَاءُ : جمع عَلِيمٍ
٥. أَعْلَمُ: (اسم) / الجمع : عُلَمَاءُ / هُوَ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِ بِعُلُومِ الْفِقْهِ : أَعْرَفَهُمْ ، أَدْرَاهُمْ / اللَّهُ أَعْلَمُ : أَيُّ هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ
٦. عَلِيمٌ: (اسم) / الجمع : عُلَمَاءُ / صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ عِلْمٍ / عِلْمٌ بِـ
٧. عَالِمٌ: (اسم) / الجمع : عَالِمُونَ وَ عُلَمَاءُ / اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ عِلْمٍ وَعِلْمٍ / عِلْمٌ بِـ / مُتَّصِفٌ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، مُتَخَصِّصٌ فِي عِلْمٍ مَعِيْنٍ / عَالِمٌ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ : عَارِفٌ بِهِمَا / عَالِمٌ فِي عِلْمٍ مَّا : الْمَتَضَلِّعُ مِنْهُ ، الْمَتَّصِفُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
٨. عِلْمٌ: (فعل)
- عِلْمٌ عِلْمًا فَهُوَ أَعْلَمُ ، وَهِيَ عُلَمَاءُ وَالْجَمْعُ : عُلَمٌ
- عِلْمٌ فَلَانٌ : انْشَقَّتْ شَفْتُهُ الْعَلِيَا
٩. عِلْمٌ: (فعل)
- عِلْمٌ / عِلْمٌ بِـ يَعْلَمُ ، عِلْمًا ، فَهُوَ عَالِمٌ وَالْجَمْعُ : عِلْمَاءُ ، وَالْمَفْعُولُ مَعْلُومٌ
- عِلْمُ الشَّخْصِ الْخَبْرُ / عِلْمُ الشَّخْصِ بِالْخَبْرِ : حَصَلَتْ لَهُ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ ، عَرَفَهُ وَأَدْرَكَهُ ، دَرَى بِهِ وَشَعَرَ : لَا تَعْرِفُونَهُمْ ،
- عِلْمُ الْأَمْرِ : أَيْقَنَهُ ، صَدَّقَهُ عِلْمٌ بِهِ
- عِلْمُ الشَّيْءِ حَاصِلًا : أَيْقَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ
- ١ - أَعْلَمُ : أَكْثَرَ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً : « اللَّهُ أَعْلَمُ » . ٢ - أَعْلَمُ مِنْ بَشْفَتِهِ الْعَلِيَا شَقٌّ .
- وَقَدْ عَرَفَ الْعِلْمُ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَذْرِ اللَّغْوِيِّ عِلْمٌ ؛ فَالْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْأَثَرِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَعِلْمُ الرَّجُلِ عَلَى الشَّيْءِ عِلْمٌ ؛ إِذْ تَرَكَ فِيهِ أَثْرًا ، وَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ ، وَعِلْمٌ وَأَعْلَمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ بِنْفَارِقِ أَنَّ الْإِعْلَامَ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِخْبَارِ السَّرِيعِ ، فِي حِينِ أَنَّ التَّعْلِيمَ مُتَعَلِّقٌ بِالتَّكْثِيرِ وَالتَّكْرَارِ ؛ بَغِيَّةٌ تَحَقُّقُ أَثَرَهُ فِي النَّفْسِ .
- ٢ - أَمَا فِي التَّعْرِيفَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ :

العالم هو كسائر البشر ولكن يتميز عن غيره بعدد من الصفات والسّمات البشريّة من ذكاء أو إبداع، ونتج عن هذه السّمات والصفّات مخرجات فكرية أو أدبية أو علمية أو في أيّ مجال من مجالات الحياة، ساهمت بالمنفعة للبشريّة. وقيل كذلك في تعريف العالم أنّه الإنسان الذي يحيط علماً بشيء معين فمن كان عالماً بشيء من جميع جوانبه اعتبر عالماً به.

والتاريخ يشهد على الإسهامات والأدوار البارزة التي قدمها العلماء العرب والغرب في كافّة جوانب الحياة، في خدمة البشريّة قديماً وحديثاً حينما كانت أمة الإسلام رائدةً في مجال العلم والبحث، وكان بينهم العلماء الموسوعيين الذين كانوا يتبحّرون في مجالات عدّة، (علماء الطّب العرب وعلى رأسهم الرّازي الذي كان له دور بارز في خدمة الطّب والمشتغلين بهذه المهنة من خلال ابتكاره لخيوط الجراحة، وتشريحه لأعضاء الجسم وحديثه عن كثير من العقاقير والأدوية ضمن علم الصّيدلة حتّى ظلّت مؤلفاته تدرّس في أوروبا ولفترات طويلة.

وابن سينا الذي كان أوّل من شخّص التهاب السّحايا الأولى وشخّص أسباب اليرقان، وكذلك العلّامة ابن النّفيس الذي اكتشف الدّورة الدّمويّة، كما حدّثنا تاريخ العلماء عن علماء عرب في مجالات أخرى مثل علم البصريّات والنّظائر، حيث تميّز ابن الهيثم، كما تميّز علماء في التّاريخ مثل الطّبري، وكذلك ابن خلدون في علم الاجتماع...)

وأيضاً العلماء الغربيون فهم كذلك كثر، ولهم إسهاماتهم في مجال العلم والتّكنولوجيا، (منهم إسحق نيوتن مكتشف قانون الجاذبيّة والحركة، والعلّامة ألبرت آينشتاين مكتشف النّظريّة النسبيّة وصاحب الإنجازات الرّائدة في علم الفيزياء).

-لكن هذه الدراسة ستختص من بين العلماء، علماء الدين.

ب- الفرق بين علماء الدين ورجال الدين:

لا بد من لفت النظر للفرق بين علماء الدين ورجال الدين، (الإسم الذي أطلقته الكنيسة في أوروبا إبان الثورة الصناعيّة). هو عبارة عن مصطلح أجنبي، أطلقه الغربيون على القسيسين والرهبان والأساقفة، وصفاً لحالهم، وتقريراً لواقعهم، وذلك إبان قيام الثورة

الفكرية ١٧٨٩م. في أوروبا بالمطالبة بالإصلاح والتحرر من سيطرة الكنيسة ورجالها، (الكنيسة التي كانت تقف في وجه كل دعوة إصلاحية حسب المفاهيم الغربية وتتهمها بالمروق من المسيحية، التي قهرت وظلمت الناس قروناً عدة، باسم الدين، ونتج عنه تأخر أوروبا وفسادها وشيوع الاضطراب النفسي والفكري وبالتالي المادي).

فهو أيضاً اسم يستخدم في الصحافة على وجه واسع، لكن علماء الدين الإسلامي يحدرون من استخدامه، فالإسلام يختلف عن غيره من الأديان لم يخصص رجالاً دون غيرهم ليكونوا "رجال دين"، فليس في الإسلام مراتب كهنوتية، وأن أمر الدعوة والتفقه في الدين هو واجب على كل مسلم، فيكون هناك من هو أعلم من غيره فيسمى عالم دين.

وتعريفاته كثيرة فقد عرف (عالم الدين): هو العالم بنصوص العقيدة والشريعة، بإيمانه أو صلاحه هذه المعاني التي تنسب إليه عادة. وهذا لا ينطبق على رجل الدين لعدم تمتعه بهذه السمات.

وهو من "العلم" كما ورد أعلاه وهو إدراك الشيء على مستوى اليقين، وكلمة الدين تعني في هذا التركيب الخطاب الديني، الذي هو مجموع النصوص التي يعتقد أنها دينية، وما أقصده هو علماء الدين المدعوم من قبل الحديث الديني "إنما الله يخشى من عباده العلماء"<sup>(٥)</sup>.

ويعرف في معجم السياقات القرآنية، تملك مستوى محدد من المعرفة اليقينية في الخطاب الديني هي منطوق النصوص ودلالاتها الصريحة، التي يمكن وصفها بـ "المعلومات" بالإضافة إلى شروط فهم الخطاب، من علوم اللغة والمقاصد والسياق والإجتهد في الاستنباط...

ج- ما المقصود العلماء وورثة الأنبياء؟

أطلق النبي محمد (ص) صفة على العلماء بأنهم ورثة الأنبياء لأهمية الدور الذي يشغلونه في تنوير الناس وحثهم على الدين والتمسك بالعقيدة والإيمان والجهود الذي يقدمونها لإصلاح الأمة والمجتمع. حيث قال "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك

اللهُ به طريقاً من طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَهَا لِطالبِ العلمِ رضاً بما يصنع، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيْتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، .. " وهم الحافظين للإِنجازِ المحمدي - الحسيني - أي على السنن الإسلامية.... التي هي ملك الأمة والتاريخ، وملك المسيرة الإلهية لإستمرار الدين الإسلامي.

ثالثا/ الفصل الثاني

أ- التمهيد:

شهد العالم خلال قرني التنوير أي الإسم الذي أطلق على القرنين التاسع عشر والعشرين تقدماً صناعياً وعلمياً، وقد رافق هذا التحول سرعة في الإنسلاخ عن الدين وعالم المعنى والتوجه نحو الماديات، نتيجة المخططات والجهود التي عملت عليها القوى العالمية، ولا زالت لتتحي الدين وإبعاد الناس عنه، وتهميش دور العلماء وإستئصال الإيمان الحقيقي وحصر دورهم في التعليم والتخلي عن الأمور السياسية.. لعزل الدين الإسلامي المحمدي الأصيل عن معترك الحياة وخاصة في البلدان المسلمة، ساعين لفصل الدين عن السياسة. حتى أصبحت هذه البلدان تابعة إقتصادياً وسياسياً لهم، على رغم إمتلاكها للثروات والمنابع التي أصبحت في جيوب الغرب، حيث أصبحت المعادلة كلما زاد الغرب في التقدم زاد السيطرة والإستلاء وزاد العجز في البلدان الإسلامية، وزادت التبعية.

وأمام كل النجاحات والإبتكارات التي وصلت إليها القوى العالمية، نجد أنهم لازالوا يخافون من هذا الدين ويعتبر الخطر الرئيسي الذي يقف في وجههم، ونلاحظ أين ما وجدت حركات تدعو إلى الإيمان ونشر معالم الإسلام المحمدي، تصنف على أنها خصم لهم ويحاربونها بالسلاح والمال والتشويهات عبر الدعاية ووسائل التواصل الحديثة، وتأليف الكتب وبذل الأموال...

نجد أن موج الغزو الثقافي الغربي يعلو يوماً بعد يوم لتزييف وتشويه الإسلام، والتخطيط والتنفيذ لمحاربه من تغيير اللغة وتحريف النصوص، وإحراق للقرآن الكريم، وتشويه

صورة النبي (ص)، وإستعمار بعض البلدان وتغيير معالمها، وسلب كل ثرواتها وطمس العادات والتقاليد واستبدال الثقافة والقيم بثقافة تتعارض مع ما جاء به الدين الإسلامي.

فمحاربة الإسلام أخذت أشكال متعددة على مر العصور، فالتاريخ يشهد على الغزوات والحروب التي جرت بواسطة تقنيات الأسلحة على أنواعها أي التدخل العسكري لإستعمار البلاد وهزيمتها ..، تلاها تطور تقنية التدخل الأمني، ومن ثم التدخل من خلال جاذبية القيم والرموز والفكر السياسي أو ما سمي بالحرب الباردة ومن ثم الحرب الناعمة، والحارة .....

وقد راجت مصطلحات كثيرة للدلالة على هذا النوع من الصراعات الفكرية أو الثقافية أو النفسية (حرب الأعصاب\_ حرب الإرادات\_ الغزو الثقافي\_ حرب المعنويات\_ حرب الإيديولوجيات ...)

وكل هذه التسميات لا يمكن أن تواجه بالبندقية كونها من أنواع الحرب الثقافية، تهدف إلى تغيير الهوية الدينية في المجتمعات الإسلامية للفرد والمجتمع، ومن أجل سلب المشروعية عن الأنظمة الدينية وإستبدالها بأنظمة جديدة تتناسب مع ما يريده العدو، والأخطر في هذه الحرب تسعى إلى تغيير الإيديولوجيات والإعتقادات الدينية والقيم الحاكمة التي تحمل طابعاً اسلامياً. وتركز بشكل كبير على فئة الشباب والمرأة وسوقهم نحو الابتذال والفساد الأخلاقي لإبعادهم عن جوهرهم الإيماني، ولتفكيك اللحمة الأسرية، كما وتضع في أولويات إستهدافها علماء الدين والمدافعين عن القيم والشعائر الدينية.

ب-تعريف الغزو الثقافي: تعددت تعاريف الغزو الثقافي، وإن كانت جميعها تصب في نفس المعنى:

وبما أن الكلام يدور حول مصطلح الغزو الثقافي فلا بد من توضيح معنى الكلمتين أولاً ومن ثم عرض تعريف الكلمتين معاً والمراد منه.

١- معنى كلمة الغزو في اللغة: إنه الطلب والقصد إذ يقال غزاه يغزوه غزواً، أي: طلبه وقصده، أي: سار إلى قتالهم وانتهابهم، والغزو: الخروج إلى محاربة العدو<sup>(٦)</sup>

٢- تعريف الثقافة: لا نستطيع حصر الثقافة بتعريف واحد نظراً لأن الثقافة تشمل جميع جوانب حياة الانسان وسلوكه، ولأن معناها يختلف في الأمور المعنوية عنها في الحسية. ومن جملة ما عرفت في المعجم اللغة أنها جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحدق بها.

كما وعرفها "هنري لاوست" أنها مجموعة الأفكار والعبادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تميزها عما سواها.<sup>(٧)</sup>

٣- الغزو الثقافي:

عرف الغزو الثقافي أنه حالة تغليب الثقافة الأجنبية على ثقافة شعب ما، وخلق هوة بين ماضي ذلك الشعب وحاضره، وبينه وبين تراثه الثقافي مما يؤدي إلى رفع شأن الحضارة الأجنبية، وطمس معالم الحضارة المحلية أو الوطنية وفرض نوع حاد من الإغتراب على أبناء الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها ينسون فيه أنماط حياتهم وقيمهم الموروثة وتقاليدهم الخاصة ويخسرون بسببه إستقرارهم الوطني وسمعتهم القومية ويتمزقون بين ماضيهم وحاضرهم<sup>(٨)</sup>.

كما وعرفه السيد علي الخامنئي: "هو أن تشن قوة سياسية أو إقتصادية حرباً على المبادئ الثقافية لشعب من الشعوب، لتنفيذ أهدافها الخاصة والتحكم بمصير ذلك الشعب. أنهم يفرضون بالقوة عقائد جديدة على تلك الدولة، وعلى شعبها من أجل ترسيخها بدلاً من ثقافة ومعتقدات ذلك الشعب" والهدف من الهجوم الثقافي هو اجتثاث أصول الثقافة الوطنية والقضاء عليها<sup>(٩)</sup>.

وكذلك عرفته "إيمان سعد الدين" أنه زعزعة عقيدة الأمة وثوابتها وقيمها والتشكيك في أحوالها من قبل أعداء الأمة<sup>(١٠)</sup>.

وعرفه " آخرون على أنه عبارة عن كل الأفكار أو المعلومات أو البرامج أو المناهج يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية سواء العقيدية أو الفكرية أو الثقافية، أو الحضارية، أو يتحرى التشكيك فيها، والحط من قيمتها، وتفضيل غيرها عليها وإحلال سواها محلها في الدستور أو مناهج التعليم أو برامج الإعلام والتثقيف أو الآداب والفن والنظرة الكلية للدين والإنسان والحياة. (١١)

ج- الغزو الثقافي والأمة الإسلامية:

يعتبر الغزو الثقافي من أخطر وأعقد المشاكل التي توجه ضد المسلمين في العالم، وما هو إلا تكملة واستمرارية لجذور الحرب على الإسلام، وقد امتلأ التاريخ بأشكال متنوعة من الصراعات والغزوات والتحريض ضد الإسلام، فمنذ أن أرسى النبي محمد (ص)، قواعد الإسلام بتقديمه الدين منزهاً خالص التوحيد لله عز وجل متضمناً أيديولوجيا تغييرية في المفاهيم والعادات القبلية التي كانت سائدة، مخلفاً حضارة جديدة متكاملة، مبنية على أسس تماسك الأفراد في المجتمع الإسلامي كوحدة متماسكة متجانسة في ما بينها، مقدمة للعالم أروع الصور والمعاني في الرقي والتقدم.

"لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (١٢)

ولكن ما جرى من إنشقاقات وإضعافات، وإصطفافات مذهبية، للمجتمع الإسلامي أدت إلى تزعزع الأنظمة الاجتماعية والإقتصادية... ولاحق ذلك التدخل الحضاري الغربي التي بدأ يتسع شيئاً فشيئاً داخل البيئة الإسلامية في تاريخنا المعاصر مع التسارع الإيديولوجي الملاحق والمتقابل في كل الاتجاهات. وهذه العوامل وغيرها ساهمت في تأخر المسلمين وجهلهم الأمر الذي ساهم في تغيير البنية العقائدية في الأمة العربية والإسلامية بشكل سريع. مما أدى إلى تحول الأمة العربية إلى أمة تابعة للإستعمار الفكري الغربي، وهو الأخطر من أي إستعمار آخر، لأنه يعتمد على الجذور العقائدية والإلتصاق أكثر فأكثر بأشياء الحياة ومادياتها دون الرجوع إلى الروحانيات التي وجدت

لتجد في كل شخص إنساناً منظماً واعياً في علاقاته في أي مجتمع وجد فيه وهو ما جاء فيه الإسلام الحقيقي.

لكن السيل العارم من التيارات الفكرية الجذابة وطرق الحياة المادية، والطاعة العمياء دون التفكير بمعرفة ما يلاءم القواعد والعقائد الدينية في المجتمع الإسلامي، الأمر الذي ساهم في تفاقم وتخلف الأمة العربية إثر تداخل العادات والتقاليد في ذهنية المسلمين المختلفة عما ترتبط به الحياة من عادات وتقاليد شرقية، ففرضت عليهم حضارة ليس لها أي قاعدة أخلاقية أو معنوية، ظهرت بشكل فوضوي متحركة دون لجام كالفرس الشارد، ولدت الصعوبات والويلات وغيرت الملامح وأنتجت الانحرافات الاجتماعية. أرادوا إرساء قواعد جديدة هضمت حقوق المسلمين والدول والشعوب، جعلوها تروح تحت وطأة مصالحهم، باستخدامهم شتى وسائل التهيب والترغيب حتى أصبحت الأمة سجيناً وحبسية وخاضعة لسلطة المستعمر الغازي كما يشاء. فهم لم يدخروا جهداً لمحو شخصية الأمة الإسلامية بل عملوا ووظفوا الطاقات المادية، والإمكانات البشرية، وشتى الوسائل والإمدادات المعنوية والوجستية... لتشويه صورة الدين وحقيقته، وتمزيق المجتمعات الإسلامية، ساعين لتشويه سمعتهم، وتحريف أهداف الشريعة الغراء، والقضاء على الصفوة المؤمنة في العالم التي تعبر عن الكرامة الإنسانية، المستمدة من الرسالة الإلهية. التي ترفع مستوى ومقام الإنسان. كما نجحوا بزرع أفكارهم في النفوس شيئاً فشيئاً، مما سارع في هذا الأمر أن المسلمين تأخروا في الإقبال على العلم وإنكفاؤاً عن خوضهم في الأجواء العلمية وابتعدوا عن العمل الدائم.

د- أبرز الفئات المستهدفة:

١- أين علماء الدين من الغزو الثقافي؟

وبما أن العلم اليوم بأيدي أصحاب الغزو الثقافي، بطبيعة الحال الهيمنة تكون في نطاق واسع وشامل في كافة المجالات، ولعل أبرز الأمور التي أخذت حيزاً كبيراً في تفتيت الدين هو الإهتمام بالعلماء المسلمين بتأثير عليهم وإغرائهم بالأموال والماديات، حيث ظهرت فئة من العلماء المنافقين وأقصد هنا باللفاق الذين يمارسون مهمة وظيفة خطيرة

ظاهرهم حق وباطنهم باطل، يروجون للإستكبار وتزييف الدين عن معناه الحقيقي هؤلاء الذين نُجح الغرب في تشغيلهم كأدوات في أيديه لطمس الدين المحمدي، وإبعاد الناس عن المعنويات والحث على الماديات وزرع أفكار في نفوس الناشئة لا تمد للإيمان بصلة . وهم بهذا التصرف أسوء من الإستعمار نفسه وإنهم وقعوا في منزلقين خطرین المنزلق الأول: وهو الخضوع للجو الضاغظ الذي يثيره الإستعمار من حولنا، وحسب رأي أن هؤلاء الذين يتنازلون عن أمور يعتقدون بها، مهما صغرت، فإنهم سيكونون قابلين للتنازل عن ما هو أكبر منها، وبذلك علينا أن نتوقع بمطالبتهم بالخروج عن دينهم إلى دين آخر أرادته المستعمر "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" (١٣)

المنزلق الثاني: بدل أن يعملوا على تعميم العلم والإيمان الإسلامي، فإنهم يخضعون لعادات لا يرتضيها الإسلام ولا العادات الشرقية، وهذا ما فيه صد عن سبيل الوصول إلى تعميم ثقافتنا وخصوصيتنا المسلكية .... ونشر تعاليم ومبادئ الإسلام والحضارة الإسلامية. بحكمة مواقفهم وعلمهم وقيمهم... وبالأساليب التي إنتهجوها ليرسموا فيها من خلال درب الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، عبر التأكيد على مبدأ "التدبير" و "المراعاة" والدعوة إلى الارتباط بالله وآل البيت (ع). والنهوض بالأمة، كما أراد وعمل الإمام الحسين (ع)، بحيث إنه قدم على طريق النهوض أقدس وأنبل وأعز ما لديه... وإن أقل دور لعلماء الدين هو العمل على دوام إيقاظ النفوس على الإيمان وإستنهاض كل المقومات للإلتحاق بركب آل البيت عليهم السلام، وتجييش كل الوجدان والطاقات سواء من النشر، والتعليم، والتثقيف، والتوعية للثبات، والإستقامة في سلوك الإيمان، وإحياء الدين بالمحافظة على قيم الإسلام في شتى سلوكيات الحياة والعبادة وتركيز عناصر التقوى في القلوب ... للوقوف في وجه كل القوى الإستبدادية والظالمة التي تفكك المجتمعات وتميت القلوب وتضعف الهمم في النفوس، ذلك لأن الحياة الاجتماعية التي تسودها قيم الولاية لله سبحانه وحده، بالتالي تكون هي حياة مفعمة بنور العدل والحق والهداية والحرية " الله وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يُخرجهم من النور إلى الظلمات" (١٤)

فالنوع الأول من حياة الإيمان يكتشف الإنسان نفسه ويعرفها، حتى إذا ما عرفها عرف ربه، وإذا ما عرف ربه ووليه، كانت حياة النوع الثاني بالخروج من دائرة الظلمات التي يقبع فيه أهل الكفر، وعبيد الطاغوت... وذلك بنسيانهم ربهم وإيمانهم والذين نسوا الله، أنساهم أنفسهم... فإذا نسوا وغفلوا عن أنفسهم كانوا مرتين لحيف الحياة وظلم الجبارة فيها..... وما دور المستعمر إلا أن يطفىء نور الإيمان ويلغي أي مفهوماً من المفاهيم والأسس الدينية والوصول إلى فقدان الذاكرة التاريخية، والعقيدية، والنيل من قيم المجتمعات واختراق السلوكيات والتلبس بما يقدمه من الغزو الفكري والثقافي والنفسي لواقع مليء بالجور والظلم.. وإيصال المجتمعات الإسلامية والضعيفة إلى مرحلة الوعي المهزوم وأقصد بالوعي المهزوم هنا، ذاك الوعي الذي يخنق قابلية وإستعداد المجتمعات على مواجهة الواقع السلطوي السيء، وخلق ظروف ومناخات تساعد على التردى والانحلال... لإبقائهم في سمة التخلف المستمر وبتبعية دائمة

٢- تأثير الغزو الثقافي على الشباب:

تعريف الشباب: إختلف المختصين وعلماء النفس والإجتماع وغيرهم... من تحديد تعريف موحد للشباب، ولكنهم اتفقوا على أن هذه المرحلة من عمر الإنسان تشكل إنعطافاً حاسماً بطريق تكوين الشخصية الإنسانية سواء (الرجل أو المرأة)، بحيث يصبح قادراً أو مستعداً على تقبل القيم والمعتقدات والأفكار والممارسات الجديدة التي من خلالها يستطيع العيش في المجتمع والتفاعل مع الأفراد والجماعات.<sup>(١٥)</sup>

لقد تأثرت أوضاع الشباب الإسلامي بجملة عوامل رئيسية منها إقتصادية ومنها إجتماعية ومنها فكرية ومنها سياسية<sup>(١٦)</sup>، سببها الغزو الثقافي للمجتمعات العربية. وبما أن الشباب يعتبر عصب الأمة، والقوة التي يُعولوا عليها لبناء المستقبل الأفضل في المجتمعات، عمل الغزو الثقافي الأجنبي باستغلال كل الوسائل في حرب الإسلام والكيد من أهله، وأخطر هذه الأنواع وسائل الإعلام وتكريس وشيوع الإنبهار بالثقافة الغربية عند الفئة الشابة، من خلال تقديم صور مشرقة بأساليب فنية عن النظام الغربي وأساليب الحياة المعيشية في مجتمعاته وصيغ ومجالات العمل في مؤسساته المختلفة،

مستعيناً بأفضل وأبرز الأدوات ووسائل الإتصال الجماهيرية الدولية كالإذاعة والصحافة والتلفزيون من خلال بث الأخبار السلبية والملفقة والكاذبة والمزورة عن مكانة العرب وعرض الأفلام والمسلسلات المليئة بالصراعات والعنف وسفك الدماء وغيرها بغية خروج هؤلاء عن مجتمعهم والتنكر له ولشعبه وقيمه وتمسكهم بقيم الحضارة الغربية، ولاسيما السينما التي تعتبر اليوم الأهم عند الغرب لتوجه الشباب والتأثير في أفكارهم ومبادئهم وقيمهم، وإشاعة الإنبهار في نفوسهم، من أجل ترغيبهم بثقافة جديدة، "تبعث في نفوسهم الأمل في الحصول على مباحج الحياة الغربية بما فيها من تفسخ أخلاقي ومروق على القيم الإنسانية"<sup>(١٧)</sup> وتسيير سلوكهم وتصرفاتهم في مجالات معينة تخدم أغراض وأهداف هذه الثقافة التي تسيء إلى تراثهم العربي الإسلامي والتي تعيق النهوض والرقي والتقدم في المجالات كافة، حيث أصبحوا أسرى لها، ذات شخصيات ضعيفة ومستسلمة وتابعة لما تخطط له وتريده .

وبطبيعة الحال الآثار السيئة التي تغرس بأساليب الجذب لدى الشاب، تجعل عنده فقدان الإيمان بالنفس وبالثقافة المحلية أو التي نشأ عليها وتحيط به، وبالحط من مكانته عند مقارنة مكانته بالمكانة التي يتمتع بها الشاب الغربي.

وهذه العوامل بحد ذاتها تساهم في هدم ليست فقط الشخصيات الشابة، إنما بهدم الحضارات والتراجع في البناء العلمي بسبب إفتقاده لروح التفاني والإخلاص لأمتة وشعبه، ليصبح أداة سلبية للتخريب بدلا من أن يكون أداة إيجابية للبناء والتعمير والتنمية والتطوير التي تطلب منه التضحية والعمل والتقدم الفاعل والبناء لإقامة دعائم مستقبل المجتمع العربي.

بل والأكثر من هذا كله أنها جعلته يفقد هويته نتيجة نجاحها في تفاعله مع قشور الثقافة الغربية، وتنكره لثقافته الأصلية من خلال ترويجها بالطرق والأساليب الذكية لفسخ الصلة بين العروبة والإسلام والإفتراء على مبادئه وقيمه السماوية عن غير معرفة علمية عميقة، والإبتعاد عن الإيمان الذي ينير القلوب...، وبالتالي أصبح، يتخبط بين ثقافة القديم العربي والجديد الغربي مما ينشأ تغييراً إجتماعياً خطيراً يؤدي بدوره إلى كسر

الروابط الاجتماعية ورفضها ومن ثم تحطيمها. إبتداءً من التمرد على التربية العائلية والقيم الأخلاقية والعادات والتقاليد الشرقية، والمبادئ الإسلامية. والجانب الأسوأ مما سبق، كرس الشباب للتوجه نحو القتال وهذا ما شهدته معظم البلدان الإسلامية والعربية في السنوات الأخيرة، من أجل تفكيك الشعوب والحط من عزيمتهم وقوتهم في التوجه للعلم والعمل للنهوض بمستقبل أمة مشرق ومنتور .

ويجب هنا الإشارة أن هذه هي الغاية المرجوة من إستعمال كل تلك الأسلحة المدمرة والمفتنة للشباب.

### ٣- رؤية لإنعكاس واقع الغزو الثقافي على المرأة:

تعتبر المرأة من أهم العناصر التي تساهم في تدمير الأسر وبالتالي المجتمع. لذا كان ولازال يخصص لها المستعمر الحصة الأكبر من الغزو الثقافي، مستخدماً العديد من الوسائل الترغيبية لجذبها إلى أفكار جديدة، كإيهامها أنها تؤمن لها الحرية الصحيحة. لجعلها تتخلى عن مبادئها الإسلامية وتتخلى عن دورها الأساسي، وحققتها إنسان من روح وعقل وجسد، وحرمان المجتمع من مهاراتها المختلفة كالذكاء والدقة والعلم والمعرفة .... ودورها في مسؤولية الأمومة، لينحصر إنشغالها بإبراز مفاتها والركض وراء الأزياء، هذا إضافة إلى الإبتكارات التي يعمل المستعمر بليل والنهار بذكاء لخلق أمور متنوعة من التفاهات التي تلهث للحصول عليها دون تفكير أو معرفة بأبعادها السلبية.

فبعد أن عاشت المرأة العربية في حالة تخلف وجهل نتيجة تداخل العادات والتقاليد التي تعود إلى بعض الموروثات الثقافية السلبية كحرمانها من العلم والقراءة أو العمل خارج المنزل... وتغيب دور بعض علماء الدين في القيام بواجبهم تجاه هذا الخطر الذي يضعف دور ومكانة المرأة في الأسرة والمجتمع خوفاً منهم أن تصبح فاسدة في حال نالت العلم، أو أن تتمرد برأيها على رأي الرجل ... فما كان للمستعمر الغربي إلا أن يستغل هذا الضعف وينطلق بحملات لإستهداف المرأة العربية. والتي بدأت بوادرها في الوطن العربي منذ عام ١٩١٤ م، منطلقة من رفض الواقع المعاش للمرأة وتغيير نظرة المجتمع

إليها، لتحسين واقعها ونيل حقوقها التي حرمت منها. فجاءت الشعارات والحملات التي أطلقها الغرب بدعوة التغيير والحداثة والتحرير من الدين لأنه السبب في قيدها وتخلفها حسب إعتقادهم..

فقد شكلت الجمعيات النسائية التي تطالب للمرأة بالمركز الذي سلب منها منذ دهور، فعقدت المؤتمرات والمحاضرات التي حملت شعارات التحرر والمساواة والنهضة.<sup>(١٨)</sup> على أساس مبدأ "رفض الحجاب الإسلامي" لكي تنال الحرية والمساواة .

إذ وظفت الصحف والكتب والمجلات والجرائد والندوات... للحث والمطالبة على نزع الحجاب للمرأة كي تنال حقوقها وحريتها، باعتبار الحجاب هو قيد لها. ومن أبرز قادة التحرير الذين شنوا هجوماً عنيفاً على مسألة الحجاب "قاسم أمين" بإصداره كتاب بعنوان "تحرير المرأة" عام ١٨٩٩م، وقد كتب فيه أن على المرأة المطالبة بحقوقها وواجباتها وأن تطالب بترك الحجاب لتصل إلى أهدافها<sup>(١٩)</sup>.

كما أن هذه الشعارات المطالبة بالسفور قد أحدثت جدلاً واسعاً في أوساط الأمة العربية، نتج عنها قيود جديدة للمرأة، النوع الأولى تخليها عن الحجاب وقد لاقت أصداء هذه الأصوات تجاوباً في بعض البلدان العربية بتقليد المرأة الغربية بالسفور، ونتج عن ذلك ضياعها بين القديم والتجديد حتى ضاعت، ولم تعرف هويتها الحقيقية، وبرز النوع الآخر من القيد في دول أخرى بالتشديد على المرأة الملتزمة بحجابها وخذرها خوفاً من إنجرارها للتغيير حتى أصبحت أسيرة أهواء الرجال وآراءهم ولا دور لها.

وأما المساواة التي أرهقوا في المناذاة لتحصل عليها، أي أن تتساوى مع الرجل بكل الحقوق والواجبات وهذا بطبيعة الحال يتنافى مع أحكام الدين الإسلامي، ليس من باب تفضيل الرجل على المرأة فكلاهما متساوين ولهما حقوق، وعليهما واجبات أقرها الإسلام في مواضع عدة، وأكد على ذلك الرسول محمد (ص)، حين قال أن المساواة بين جميع الناس: "الناس سواسية كأسنان المشط" ولكن بأحكام الإسلام تختلف المساواة حسب ما جاء في نصوص القرآن الكريم على سبيل المثال موضوع النقطة والميراث. فالنقطة هي واجب على الرجل، وهذا يعني أن الإسلام رفع عنها واجبات المعيشة التي

اختارتها بملء إرادتها وهي الأمومة وما تتطلب من عمل شاق ومتعب لصناعة الإنسان الصالح ، وعفاها من مسؤولية وعبء الإنفاق ووجب ذلك على الرجل " الرجال قوامون على النساء" (٢٠) كما قلل حصتها من الميراث ليس بتقليل من مكانتها، وإنما للعدل فمثلما فرض على الرجل الإنفاق والمهر كذلك قلل من حصتها في الميراث وقد ورد في قوله تعالى: " للذكر مثل حظ الأنثيين". (٢١)

تحت شعار المساواة أرادوها أن تعمل خارج المنزل كما الرجل، ولكن ليس لتطوير قدراتها وكفاءتها وليس لأن واقع الحياة يتطلب خروجاً لتأمين المستلزمات والحاجات أو مساعدة الرجل في تأمين متطلبات الأسرة.... إنما لتبقى في أجواء العمل ولتستقل مادياً ومعنوياً عن الرجل والأسرة لتنتج السلبيات التي تبعدها عن وظيفتها الأسرية، وحرمان الأطفال من عطف الأم الدائم ومواكبتها لهم، وكذلك لخلق الخلل في التنشئة الأسرية، وبالتالي تفكك الروابط الأسرية وتتحطم الأسرة، وتتلاشى العادات والتقاليد الإسلامية والمجتمعية العربية جيلاً فجيلاً وتنهيار الحضارة تدريجياً .

إذن هي شعارات تحمل بظاهرها معان براقية وتعطي الأمل، ولكن في باطنها وطياتها عبارة عن نوع من أنواع التسويق للمستعمر الغربي من أجل السيطرة والهيمنة على مقومات المجتمع العربي المرتكز على دعامة الأسرة وارتباط أفراد المجتمع.

وأن هذه الإدعاءات الذي نادوا بها تحت مسمى التحرر والمساواة والحداثة ماهي إلا قناع زيف، لحصر وجودها فقط بالجانب الإثوي الإغرائي الذي تمثله، وأن تكون قيمتها بمقدار جمالها، الأثوي لا المرأة ذات الكفاءات والمهارات المتعددة والمتنوعة حتى أصبحت تلهث وراء الدعايات والموضة ..، فالجمال يكون محصور بعمر معين، والمعلوم كلما كبر الفرد كلما تقلص هذا الجمال فأين المرأة بعد فترة الشباب هل تبقى المرأة الحرة كما إدعوا ذات القمة الجمالية؟ . قالوا أنها حرة ولكن الحقيقة قيدت بمختلف وسائل الإعلام والتجار والأزياء والحفلات والضيافات... وأين تكريمها كنعصر أساسي في المجتمع، كونها نصف المجتمع، وجزءاً من عملية البناء والتكامل الإنساني " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" (٢٢). أين دورها

ومسؤوليتها الكبيرة كأم على مسرح الحياة، ومشاركتها للزوج في تربية الأجيال، أين الأم الواعية المثقفة المتعلمة المتفهمة لدورها في الحياة، كان المقصود من دعوتهم للحرية أن تتحرر من واجباتها وإلتزامها، فهذه حرية غير مسؤولة، وهناك فرق كبير بين التحرر والتهرب من المسؤوليات، هم جعلوا منها إمراة أضاعت هويتها الحقيقية وأضاعت معها الأسرة. هم أرادوها أن تخرج إلى الحياة بغير ما أرادها وكرمها الإسلام.

هذه الأمور انعكست على المرأة العربية حتى جعلتها بصورة مؤلمة، مكبلت بطوق التقاليد القبلية والتيارات الأجنبية حائرة مترددة فلاهي كالعربية إشتكت مع الرجل في المجالات التوجيهية المختلفة، ولاهي شرقية أخذت مكانها الخاص في مجالس التوجيه، أو المساجد ، أو حفظت مملكة البيت. (٢٣)

٤- تأثير الغزو الثقافي على الأطفال:

لم يوفر الغازي الأطفال من إستهدافه، بحيث يُعتبرون من أكثر الفئات التي تتأثر وتُغرس الأفكار فيهم، ولعل أهم وسيلة تستخدم لتخريب براءة الأطفال، وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، ببث برامج تعرض فيها مشاهد العنف والجريمة، وتعتمد تكرارها، لتصبح مألوفة ومعروفة ولتزرع وتنمي في نفوسهم مشاعر العدوانية، وتعلمهم كيف يمارسون بعض أنواع وأنماط السلوك العدواني، وتشجيعهم على القتل والسرقة والانتحار والضرب.. سواء بشكل مباشر او غير مباشر. فالدراسات الأخيرة تشهد على هذا، بسبب تقليد الأطفال والتأثر بالأفلام التي يشاهدونه. ولا ننسى أن نشير لرغبة الأطفال في التقليد والمحاكاة لما يشاهدونه، وسرعة الالتقاط لصفاءهم، والمؤسف عدم وجود رقابة كافية عند أغلب الأسر وكذلك والمؤسسات الحكومية المختصة بالرقابة على وسائل الإعلام.

رابعا/الفصل الثالث:

أ-هل يمكن التغلب على هذا النوع من الحرب؟

بطبيعة الحال إن هذا النوع هو أخطر أنواع الحروب المدمرة والمفتنة، لأنهم يستخدمون أفضل وأدق التقنيات، بذكاء وتخطيط، وتميزها أنها طويلة الأمد وفعالة.

لقد ظهر مما سبق أن هذه الحرب موجهة إلى المجتمع الإسلامي بأكمله، وكما قيل "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"<sup>(٢٤)</sup>. لذا يجب مواجهتها بشكل جماعي من كافة الأقطار الإسلامية وبجميع مكوناتها سواء أفراد ومؤسسات وعلماء.... بطرق منظمة، ومتكاملة يسودها التعاون، والتكاتف للوصول إلى الأهداف المرجوة، بالتصدي والهزيمة للعدو. "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ"<sup>(٢٥)</sup>، وأيضاً قوله تعالى "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً"<sup>(٢٦)</sup>. وبما أن العدو دخل دون أن يشعر هؤلاء بأن الخطر يحدق بهم، ولهذا لم يتخذوا أي وسيلة دفاعية، بل أغلبهم سلم نفسه لجلاديه وقاتليه بنفسه، وهذا ما خطط له وأراده، ونجح في ذلك. لكن هذا لا يعني أن المسلمين استسلموا. فمنذ بداية الهجمة على الدين الإسلامي للقضاء عليه برزت فئات وأشخاص وقفوا ضده، (الثوار والوطنيون والمرجعيات الدينية....)

ولا ننسى الأمة العربية بعظمة دينها التي إستطاعت أن تستوعب الهجمة المغولية بالدين والفكر، ونتج عن ذلك دخول عدد من الملوك المغول في الإسلام وأصبحوا سبباً لترويج الإسلام في آسيا الوسطى، وبعض جمهوريات روسيا الحالية. وغيرها من الحروب كموجات الحرب الصليبية...

وصولاً للثورة الإيرانية.... "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ"<sup>(٢٧)</sup>

ب- دور المرجعيات الدينية في التصدي للغزو الثقافي:

التصدي للغزو الثقافي يحتاج إلى عمل وإلى إنجازات وإلى تخطيط وتنفيذ. يشهدها الواقع على الأرض ويستفيد منها الإنسان مباشرة.

فالتاريخ حافل بالحروب ضد الإسلام، ليس فقط في عصرنا الحالي إنما تختلف الأدوات والوسائل والأساليب من زمان لزمان. فالبعض حاول بالسلاح أن يبيد المسلمين لطمس وإلغاء الدين، وآخرون حاولوا بعنوان الحداثة والتغيير والحضارة والثقافة والتطور إلغاء الدين، وطمس الإسلام ودثره، فلا الأسلحة ولا الإدعاءات ولا السلطات ولا الترغيب

ولا الترهيب ولا الأعلام المأجورة استطاعت أن تحول دون أن تقضي أو تقلل من قوة وعزيمة أهل الحق والعقيدة وعلماء الدين في نشر تعاليم الإسلام، والتمسك بكتاب الله (القرآن الكريم)، وما جاء به الرسول الأكرم (ص)، والانبياء (عليهم السلام)، وما فدى بروحه من أجله الإمام الحسين (عليه السلام).

في القيام بالمسؤولية والتكليف وفي التصدي التي هي على عاتقهم بشكل أساسي، كونهم ورثة الأنبياء وتميزهم بكسبهم العلم، والمنزلة العظيمة، والدرجة الرفيعة بين الناس في الدنيا والآخرة، "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (٢٨)

١- دورهم في حفظ الدين:

إن المشروع الإستعماري في الغزو الثقافي هو المههد لمستقبل الأمة والدين، إنه الحرب على الإسلام وقيمه ومفاهيمه وقرآنه ونبيه وعلى أساس وجوده. فالهجمة واقعية ولا يمكن الغفلة عنها لذلك على الكل أن يعمل معاً على مواجهته والدفاع عن وجود هذا الدين ومقيمته، ولبقائه دون السماح بالقضاء عليه ومسخه، وتغييره وتغيبه وعدم إعادة الأمة إلى الجاهلية، (الأمور الأساسية التي جاهد وفدى بروحه لأجلها الإمام الحسين عليه سلام، ليبقى الدين المحمدي مستمراً حتى قيام الساعة). وإنطلاقاً من هذه الرؤية، يجب التخلي عن كل الخلافات العقائدية والدينية، وهنا يبرز دور علماء الدين الإيجابي في المجتمعات، الذين يقومون بتنوير الناس، والدور السلبي لبعضهم الذين يصدرون الفتاوى، التي تساعد في عملية الغزو الثقافي التي تخدم العدو وهؤلاء هم أسوأ من العدو نفسه، لأنهم يفسدون الأمة والحضارة، ويساهمون في تحريف أصول الدين ومبادئه، وهذا يُعد كارثة وخطأ مصيري قاتل. فالإيمان هو ليس لغزاً، والدين ليس بدعاً ولغط الشكاكين ليس إلا سخفاً "أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم" (٢٩)

فمن الضروري أن يعمل العلماء بالطريق والمسلك الصحيح بالحث على التكاتف بين جميع أفراد الامة، "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربك فاعبدون" (٣٠). والتحرك لتحقيق

هذا الهدف، وتحمل مسؤوليتهم تجاه الأمة في الإبتعاد عن التفرقة والنزاعات الداخلية، سواء كانت عقائدية أم فكرية أم تاريخية، والتصالح في العالم العربي والإسلامي بين التيار الإسلامي والتيارات القومية والوطنية لان هذا الأمر يعد من أهم أشكال الهيمنة الإستعمارية على بلاد العرب والمسلمين.

والتركيز في خطاباتهم ونشاطاتهم بالحث على التعاون ليكون الجميع في موضع الحذر والوعي واليقظة، وعلى ترسيخ الإيمان في أعماق النفوس، بحيث لا يكفي إنتماء الفرد إلى الإسلام وعاداته وتقاليده ومشاعره هي عادات وتقاليده ومشاعره مستمدة من الجاهلية. بل يجب إدخال الإيمان في أعماق القلوب والوجود والكيان والحياة أي التكلم والفعل والتحرك والحرب والسلم والمعاداة وكافة السلوك والتصرفات على أساس مفاهيم ومعتقدات الإيمان.

ومن هنا نجد بأن الاهتمام القرآني بأن يزداد المؤمنون إيماناً "ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً"<sup>(٣١)</sup> وكذلك قوله تعالى: "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً"<sup>(٣٢)</sup>

أي أن يكون الإيمان بالله تعالى إيماناً حقيقياً كما دعا الإسلام إليه، ومن جملة ما دعانا أيضاً الإيمان باليوم الآخر، أي بيوم القيامة وليس فقط مجرد أفكار نظرية، لان لو توفر هذا الإيمان الذي هو طاقة عبادية ومساراً سياسياً لمواجهة الحكام والجبابرة، ستتولد الإرادة والعزم والقوة والنشاط، والأمل والوضوح والإخلاص والجدية والمثابرة والإستهانة بالصعوبات والثبات في الشدائد والصبر على التضحيات، وتشكيل العوائق أمام كل من يبحث عن إحتكار أو غزو ثقافي أو فكري أو عسكري.. أو توظيف أو تقسيم في الأمة.

٢- سبل المواجهة:

دور العلماء في إسقاط أهداف المستعمر، وتنوير الناس في مواجهته واقتلاع جذوره فالغازي قد عمل على سلب الشعوب كل شيء، حتى أفقدت البلدان ثرواتها ومعتقداتها وتقاليدها وعاداتها وقيمها وعباقرتها، والأهم حضارتها الأصيلة التاريخية. التمسك بكتاب الله "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (٣٣) ودعوة الناس لقراءته، وفهم معانيه لأنه كتاب كل العصور، كتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتحدث عنها، ولعل أغلب العلوم الحديثة طبقت من القرآن. تشكيل وحدة مجتمعية مترابطة بين الناس، كما ذكر أعلاه يجمعهم الإيمان والإخلاص والصدق والثبات... الذي يخلق استعداداً جماعياً بالقيام بالمواجهة والتصدي وعدم السماح لكل من يتسلل إلى قناعات وتقاليده ومعتقدات الحضارة الإسلامية والأمة العربية.

تهيئة المناخ التربوي، والتثقيفي لتنشئة شباب مؤمن مستعد لبناء مستقبل الأمة. إعادة إحياء ما عطل من الدين ونشر مبادئ الإيمان والتقوى لما لهذا من تأثيراً في حفظ الإسلام والمساجد والعقيدة... ودوراً حاسماً في حفظ حرية الأمة، وتوحيد كلمة المسلمين. خاصة إذا كانت التعاليم التي تنشر وتنور للناس متصلة، بالعقيدة التي تحتزن بالمستقبل، أي عبر وحدة الإمامة التي ابتدأت بعد رسول الله (ص)، بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لتختتم بقائم آل محمد (ص) الحجة المنتظر (عج). العمل على زيادة حب آل النبي (ص)، ومصادر المعرفة الإلهية يفرض على العلماء، التحدث أو القيام بما يقرب الناس من الله والتمسك بالرسالة المحمدية. وذلك عبر توضيح مبادئ قيام الإسلام، وإبلاغ وشرح المعارف الإيمانية بين الناس، وتوعيتهم لعدم الوقوع في محذور التوهين بالدين... بالتركيز على الأسس الصحيحة. أن يسعى علماء الدين إلى دفع الناس إلى القضايا الإسلامية، وإعطائهم التوجيهات اللازمة في كافة الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية...

اليقظة الدائمة والحذر والوعي بين أبناء الأمة، وعدم الغفلة والتجاهل من خطر الغزو الثقافي، كي لا تصبح الأمة مصداقاً لكلام أمير المؤمنين (عليه سلام) "من نام لم يُنم عنه".

إنشاء المؤسسات الحوزوية، وغيرها. فالشباب الذي تحاصره أفلام الفيديو وتنهمر عليه الصور الماجنة في المدرسة والشارع وخلوات البيت، وتوفر بين يديه أنواع المخدرات، يحتاج حتى يملك الضمانة لعدم الانحدار في شباك العدو، إلى الحصانة الأخلاقية والوازع الديني. وأيضاً للحفاظ على الإرث الإسلامي، بالشكل الصحيح ليستمر من جيل إلى جيل..

تحسين الأفراد والأمة، بإنشاء المؤسسات التربوية والثقافية والتعليمية المجانية لحث الأفراد الناشئة على العلم والتثقف، وإنشاء المؤسسات التي تمكنهم من متابعة تحصيلهم للعلوم على أنواعها للحد من إستقطاب الغرب للأدمغة، وجذبهم لعدم الهجرة التي تصب بمصلحة العدو الغازي الذي يعمل على توفير فرص التعليم والتخصص المجاني، وفرص العمل.... لتأثير في أفكارهم وتغييرها.

حث المرأة على التعلم ومساعدتها للخوض في غمار الحياة، بتأمين الأجواء المناسبة لذلك كونها عنصر بناء في الحياة الاجتماعية، لتنهض وتنفض عنها غبار السنين، ولترفض كل ما يراد لها من مؤامرات، ولتبحث وتفتش عما تريده رسالتها الحقيقية، وإيمانها عن طريق الخلاص لله سبحانه وتعالى، والتي تزودها بالصفات والأخلاق الراقية.

إنشاء دورات تأهيلية تتعلق بالتربية الأسرية، للحفاظ على الموروثات الدينية الصحيحة، والتخلي عن الموروثات المتحجرة التي تعيق التقدم والتطور، وتدريبهم على التكيف بما هم جديد ويفيد عن طريق المعرفة والعلم.

إستغلال القنوات الرسمية والأقمار الصناعية، لبث البرامج التربوية والعلمية... ووضع إستراتيجيات إعلامية إسلامية شاملة، تخدم الأهداف السامية والمقاصد النبيلة، الداعية لهضة إسلامية عالمية، تساهم في محاربة التيارات المتطرفة.

الحفاظ على اللغة العربية، من تحريفها.

٣- دورهم الإصلاحى فى الأمة:

الإسلام هو دين التنوع والتطور والعلم، هو المحاكاة للإنسان عبر العصور والأزمان من خلال تعاليمه ومبادئه، هو دين الخوض فى غمار ومعارك الحياة.

لقد إهتم الإسلام بعلاقة الفرد بالآخرين وبالذولة والأمة والتنظيمات الإدارية والدولية، وكذلك بالقوانين الخاصة بالأحوال الشخصية، ووضع قواعد فكرية لتنظيم علاقة الفرد بالفرد والفرد بالمجتمع وبالكون وكيفية معاملة الإنسان لأخيه الإنسان. كذلك حرص الإسلام على الكرامة الإنسانية. وكذلك قدم مفهوماً عن العمل الذى هو عبادة إذا اقترن بالإخلاص. إذن يعتبر الإسلام الدعوة الشاملة إلى العمل ونبذ التكاسل والفوضى والظلم<sup>(٣٤)</sup>. والحث والسعى الدائم إلى تطوير التعاليم والعلاقات والأنظمة. وقد وصف الله أمة الإسلام فى القرآن الكريم: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".<sup>(٣٥)</sup>

لكن مع نجاح العدو بزعة الناس والسيطرة على عواطفهم وتجميد عقولهم مدعوماً بكل التقنيات الحديثة، لم يعد إستجابة إلى الفقه الإسلامى التشريعى كما يجب الذى أمن ضمانات تحفظ التطور وتعالج نقاط الضعف التى تواجه المجتمعات البشرية فى كل عصر. لذا المسؤولية ليست بالسهلة على علماء الدين. لهذا يجب التركيز على الجانب الثقافى بإعتباره الأول فى الشريعة الإسلامية فقوله تعالى حين أوحى إلى النبى محمد (ص) "اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"<sup>(٣٦)</sup>. فالثقافة الإسلامية هى فى فهم التعاليم والمفاهيم كالعقائد والأخلاق والأعمال التى تجعل الإنسان المسلم ذات قاعدة فكرية لتنظيم شخصيته وإيمانه وعباداته وكذلك حقوقه ومثله الأخلاقية.

فالشريعة الإسلامية قادرة على صيانة الإنسان فى المجتمع وعلى تطويره تطويراً مستمراً حياً، دون أى ركود. فالإيمان ينمو ويزدهر بالتفكير والمعرفة من خلال العقل الذى هو

سند القلب والعلم الذي يدعو الى الإيمان. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ". (٣٧)

فالمرجعية الدينية لهم القدرة على تغيير الأمة، عندما تنطلق هذه المرجعيات من بنية إيمانية ومرتكزات عقائدية، تستطيع جعل الأمة أمة عظيمة مهما كانت ضعيفة الإمكانيات، وذلك بترويج ونشر تعاليم ومبادئ الدين والفكر والثقافة والعلم من أجل المواجهة والدفاع المشروع في جميع الساحات، بالأسلحة والوسائل المختصة بكل ساحة، في الساحة الاجتماعية بالوسائل الاجتماعية، وفي الساحة الإعلامية بالوسائل الإعلامية، في الساحة التربوية..... من أجل حفظ الدين وحفظ كرامة الأمة وقيمها. لأن سبيل عزتها وكرمتها لا يتحقق إلا بالرجوع إلى نهج رسول الله (ص)، وتوحيد المسلمين خلف رايته الشريفة، التي هي المعيار للانتصار الحقيقي والوصول إلى الأهداف المرجوة مهما تقلبت وتنوعت أشكال الظلم. "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ". (٣٨)

وأن من أكبر الدعاة علماء الفكر والعلم والدين في هذا العصر إلى النهوض بالأمة الإسلامية، وتوحيد المسلمين، الإمام السيد علي السيستاني (حفظه الله) والإمام الخميني (قده) وغيرهم...

على سبيل المثال الإمام الخميني، الشخصية التي أحييت الأمة بعد فترات طويلة من الخمول، نتيجة الإنبهار بالتجربة الغربية، بإعادة الفاعلية والحركة واليقظة للأمة، بإحياء الدين وأصالته. فإن المجتمع الإيراني يسجل بحصيلة المقاييس المتوفرة خصوصية واضحة في الالتزام الديني والارتباط المذهبي والولاء للفقهاء والعلماء. وعناصر مثل هذه الخصوصية وفرت بشكل عام جداراً عازلاً حال دون تأثير فكر النخبة التغريبي على عقول الناس.

فالإسلام هو العامل الأساس الذي رفع المسلمين إلى العلم وهذا ما شهدته إنجازات الثورة الإيرانية التي لازمت بين العلم والدين.

وكيف لاقت أصداء هذه الثورة وغيرها التحركات النهضوية الإصلاحية الإسلامية أصواتاً في كل أرجاء العالم " وزاد الإقبال على الإسلام بشكل كبير " نفذت الكتب التي تتحدث عن الإسلام بالإيجاب والسلب-أي كتاب فيه عن الإسلام إقتناه الأمريكيون-وزداد عدد المسلمين في أمريكا بعد أحداث ١١/٩/٢٠٠١ إلى أربعة أضعاف وفق ما أعلنته إحدى المؤسسات المتخصصة في الموضوع<sup>(٣٩)</sup>.

خامساً/الخلاصة:

في خاتمة هذا البحث أورد بعض النتائج:

- أن الغزو الثقافي هو واضح وساطع كالشمس، ضد الدين الإسلامي، لا يمكن إنكاره أو الغفلة عنه.

- إن الغزو الثقافي هو أخطر أنواع الحرب، فآثاره أكبر وعلى مدى طويل، وتكلفته أقل وأيسر.

- أن الغزو الثقافي قديم جديد، وكذلك مواجهته قديمة جديدة، لكن تختلف باختلاف الأساليب والأدوات وإتخاذ الأشكال المختلفة.

- إن أعداء الإسلام هدفهم السيطرة على الأمة الإسلامية، ومجتمعاتها من خلال استهداف الإنسان سواء بتزعزع الأخلاق والعادات والتأثيرات على المستوى الثقافي والعلمي لأبناء الأمة، (لاسيما الأطفال والفتات الشابة، العلماء، المرأة)، وبمجالات شتى، وباستخدام أساليب ووسائل شتى، وطرقاً عديدة للوصول إلى أهدافهم.

- إن بعض أبناء المسلمين لا يعلمون حقيقة هذا الغزو وأخطاره، لعدم التفكير بآثاره.

- إن دور علماء الدين، زرع مضمون الفكر الإسلامي في نفوس الأفراد، وتزويدهم وتحصينهم بالمعارف والعلم.

- من مهام علماء الدين إصلاح المجتمعات الإسلامية، والنهوض بها لبناء الأمة والحفاظ على حضارة الإسلام.

- بالرغم من الأدوار التي عمل ويعمل عليها علماء الدين اليوم، لمواجهة هذا الهجوم المنظم، تعتبر في طور النمو والتسلح المعنوي، لأن لازال العديد من المجتمعات المتخلفة في أرجاء الوطن العربي والتي تفرز بنى إجتماعية نفسها. وهنا يمكنني القول:

كما عادت الروح إلى الإسلام بفضل ثمرة دم الإمام الحسين (عليه السلام)، وثورته على الظلم والجور. وإحياء إسلام الحق والحرية والعزة.. فالإسلام واحد لا يتغير وهو قادر على قوة خلق حضارة جديدة متكاملة ذات مبادئ إجتماعية، وإقتصادية، وفكرية، تعبر عن نهضة ثقافية إسلامية شاملة، مفتوحة على القديم والجديد بما لا يتعارض مع أسس وقواعد الشريعة، تمكنه من مخاطبة الأجيال في العصور مهما كانت التحولات والتغيرات العالمية، ودعوتهم للتعرف على العقائد الدينية، والتمسك بالقرآن الكريم والعمل بما جاء به فهو الطريق النير في كل مسالك الحياة، وإعتماد التوجيه الفكري المرتكز على العقيدة والشريعة، مع ما هو حديث، في كافة المجالات والعبادات...

ينبغي الإستمرار بالتصدي والتغلب على كافة أنواع الغزو الثقافي، التي أصبحت ساطعة كالشمس في وجه الدين الإسلامي، وما حدث من نتائج الثورات الإسلامية والعربية بما في ذلك الثورة الإيرانية، دليل على كل من آمن بالخط المحمدي - الحسيني استطاع أن يغير وينتصر على خصومه. وهنا ننظر إلى هذا الغزو الثقافي وغيره من الصراعات المعاصرة على أساس الصراع بين الخط الإلهي والطاغوت.

ولنبني حضارة الإنسان لا بد من الإنطلاق بالدين نفسه، سر النهوض والسلام في العالم. لذا فالحرص والمحافظة عليه أساس النهوض والتقدم والتطور... والتأكيد على عدم تعرضه لأي توهين أو شائبة مهما كانت صغيرة. وإن هذا الغزو الثقافي على الدين الذي يعمل على جرفه من جذوره ينبغي عدم السكوت والاستسلام بل المواجهة وإعادة الإحياء بالإسلام والتطور النهضوي وبناء المجتمع والدولة والأمة. بإتخاذ علماء الدين الأساليب لتوجيه الناس والتأثير في نفوسهم من أجل نهضة إسلامية معاصرة منسجمة

مع حفظ الصحيحة للدين. ينبغي منهم تبيان الحقائق الإسلامية والأهداف لهذا الدين الحق، عبر الوعظ في المؤسسات والمنابر والمساجد والندوات والمؤتمرات والمؤسسات التعليمية والتربوية، وعبر الوسائل الإعلامية... للتصدي لكل التضليلات والتحريفات.. إن عصرنا أنجب شخصيات علمائية، تعمل على التركيز على نشر الدين وأهدافه، والدعوة للتمسك به والعمل على حفظه. لتحرر العالم من كل التحريفات، والتصدي لجميع أنواع الغزو، التي تصرف الأنظار والقلوب عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسالة نبيه محمد (ص)، وما جاء به. ينبغي الاستفادة منهم ولتبيان الحق وتسيير حركة العالم نحو الصلاح والسلام لتمهيد الأرض لظهور ولي الحق (عج).  
الهوامش:

(١) سورة الرعد، الآية ٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد، ص ١٩.

(٤) سورة الصف، الآية ٨.

(٥) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٦) أنظر: لسان العرب لابن منظور (٣٩٠/٥)، تاج العروس للزبيدي (٢٦٤/١٥) (١٥٨/٣٩).

(٧) أنظر الوافي في الثقافة الإسلامية د: مصلح النجار ص-١٦-١٧. وأنظر الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د: إيمان عبد المؤمن سعد الدين ص ١٤.

(٨) مالك منصور، وسائل الإمبريالية في التخريب الثقافي، بغداد: منشورات دار الثورة، ١٩٧٧م، ص ٣.

(٩) مقدمات تأسيسية في مقولتي (الغزو الثقافي والتبادل الثقافي)، آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامني، مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت-لبنان-المعمورة -الشارع العام، ص.ب. ٥٣٠٢٤\_٢٥٠٣٢٧، ص ٢٣.

(١٠) أنظر بتصريف يسير الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين ص ١٦٦  
(١١) أنظر الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية نظرة إسلامية د. محمد عبد العليم مرسي ص ١٤٦.

(١٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

- (١٣) سورة البقرة، الآية ٢١٠.
- (١٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.
- (١٥) عزت حجازي، الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٧٨م، ص ٣٣.
- (١٦) المصدر نفسه.
- (١٧) ياسين خليل الشباب والتيارات الفكرية. بغداد مطبعة أسعد، ١٩٦٣م.
- (١٨) قبيسي، بشرى، " المرأة في التاريخ والمجتمع"، دار أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٩، ص. ص ١٠٨-١٠٩.
- (١٩) انظر، قبيسي، بشرى، المرأة في التاريخ والمجتمع، أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٥، ص ١٠٨.
- (٢٠) سورة النساء، الآية ٣٤.
- (٢١) سورة النساء، الآية ١١.
- (٢٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.
- (٢٣) جمال الدين، نجيب، " الشيعة على المفترق أو موسى الصدر" ص ١٥٣.
- (٢٤) لورانس بروان، انظر التبشير، والإستعمار، د. عمر فروخ، د. مصطفى الخالدي، ص ١٨٤.
- (٢٥) سورة الشورى، الآية ١٣.
- (٢٦) سورة المائدة، الآية ٤٨.
- (٢٧) سورة الروم، الآية ٤٧.
- (٢٨) سورة المجادلة، الآية ١١.
- (٢٩) سورة يونس، الآية ٢.
- (٣٠) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.
- (٣١) سورة الأحزاب، الآية ٢٢.
- (٣٢) سورة الفتح، الآية ٤.
- (٣٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.
- (٣٤) كربان، هنري، مقدمة كتاب " الفلسفة الإسلامية" دار عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٦٦.
- (٣٥) سورة آل عمران، الآية ١١٧.
- (٣٦) سورة العلق، الآية (١-٢-٣-٤-٥).
- (٣٧) سورة محمد، الآية ٧.

(٣٨) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣٩) الشيخ محمد اليعقوبي مقتبس من كتاب "نحن والغرب" مجموعة محاضرات لسماحته "

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن منظور، لسان العرب (٥/٣٩٠)، تاج العروس للزبيدي (١٥/٢٦٤) (١٥٨/٣٩).

٢. أسد، محمد "الإسلام على مفترق الطرق".

٣. الخامنئي، الإمام علي، مقدمات تأسيسية في مقولتي (الغزو الثقافي والتبادل الثقافي)، مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام، ص.ب. ٥٣٠٢٤ - ٢٥٠٣٢٧.

٤. النجار، مصلح "الوافي في الثقافة الإسلامية".

٥. اليعقوبي، الشيخ محمد مقتبس من كتاب "نحن والغرب" مجموعة محاضرات لسماحته.

٦. جمال الدين، نجيب " الشيعة على المفترق أو موسى الصدر".

٧. حجازي، عزت "الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها". الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٧٨م.

٨. عبد المؤمن، إيمان سعد الدين "الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة".

٩. قبيسي، بشرى " المرأة في التاريخ والمجتمع"، دار أمواج للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٩م.

١٠. كربان، هنري، مقدمة كتاب " الفلسفة الإسلامية" دار عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.

١١. لورانس بروان "التبشير والاستعمار"، د.عمر فروخ، د.مصطفى الخالدي.

١٢. مالك، منصور "وسائل الإمبريالية في التخريب الثقافي"، بغداد: منشورات دار الثورة، ١٩٧٧م.

١٣. مرسي، محمد عبد العليم "الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية نظرة إسلامية.

---

١٤. ياسين، خليل "الشباب والتيارات الفكرية". بغداد مطبعة أسعد، ١٩٦٣م.